الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبيّة.

وزارة التعليم العالي مالبحث العلمي.

جامعة العقيد الحاج لخضر-باتنة. كلية العلوم الإنسانيّة مالإجتماعيّة و الإسلامية.

.ع.ت.الت ا.ي.

علاقة الأمراء الأراتقة في شمال الجزيرة بالقوى السياسية المجاورة.

(من 495إلى 812هـ/1101إلى1409م)

مُذكّرة لنيل شهادة الماجستير في التّاريخ الوسيط.

من إعداد الطالب:

جلال أمباركي.

تحت إشراف:

أ.د.كمال بن مارس

الأأتار.	الرتبة.	الصفة.	المؤسّسة .
أ.د.رشيد باقة.	أستاذ التعليم العالي.	رئيسًا.	جامعة باتنة.
أ.د.كمال بن مارس	أستاذ التعليم العالي.	مُشرفًا ومُقرّرًا.	جامعة قالمة.
أ.د.مسعودمزهودي.	أستاذ التعليم العالي.	عُضوًا .	جامعة باتنة.
أ.د.محمّد فرقاني.	أستاذ التعليم العالي.	عُضوًا.	جامعة الأمير عبد القادر-قسنطينة-

السّنة الجامعيّة:1434-1435هـ/2013-2014م.

شُكر و إهداء.

لا يفوتني أن أشكر كُلّ من ساعدني في إنجاز هذا العمل بقول أو بفعل أو بدعم مادّي أو معنوي.

وأُهدي هذا العمل للوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما.

ولأساتذتي في جامعتي باتنة وقالمة ولهم كُلُّ التقدير والإمتنان.

ولزملائي السّابقين في جامعتي باتنة وقالمة .

ولصديق العُمر "فتحي قدّم".

جميعًا...أشكركم والحمدُ لله ربِّ العالمين.

مقدمة.

تتميز الدراسات بتاريخ المشرق الإسلامي بغزارة المادة التاريخية بين دفات الكتب المتعلقة بسرد الوقائع التاريخية أوالترجمة لحياة شخصية من الشخصيات الفاعلة أو التأريخ لسلالة حاكمة وغير ذلك من المواضيع المتداولة في مختلف المصادر ،ومن النادر العثور على مؤلفات تتناول جانبًا وحيدًا من تاريخ دولة من دول المشرق الإسلامي –إلا في الدراسات الأكاديمية الحديثة– لعدم تبلور منهج البحث التاريخي بشكل فعال إلا في فترات متأخرة،وعليه كان العثور على ماكتب حول الدولة الأرتقية أمرًا أشبه بالتنقيب عن غوامض الأمور وغريبها في بطون الموسوعات التاريخية؛زاده تعقيدًا تحري الدقة في استخلاص مايُمكّنُ تعريفه :بتفاعل الكيان السياسي الأرتقي مع غيره،وهو بتعبير أدق؛الممارسة السياسية لبني أرتق خارج قلاعهم الحصينة في ديار بكروغيرها،ولذلك كانت عملية البحث في هذا الموضوع عبارة عن عملية سرد واسعة لأبرز الأحداث التاريخية في بلاد الشام،وبلاد الجزيرة،وما يحيط بهما من سنة 495 إلى 811هـ /1100إلى 1409م،و الّتي أثّرت وتأثرت بمواقف مختلفة للأمراء الأراتقة؛بعضها ديبلوماسي الطابع،وكثير منها كرّسته الحلول العسكرية.

وارتكزت دراسة العلاقات السياسية للدولة الأرتقية على عدد من التفرعات –والتي تطلبها التقيد باستخلاص مواقف أو ردود أفعال أو بناء أحكام معينة–وهي فصول خمسة مسبوقة بفصل تمهيدي،وإذا كان الإطار الزماني لأي موضوع تاريخي هوأمر مُسلم به،فإن الإطار الجغرافي هو أمر ضروري أيضًا،والّذي تكرّس في الفصل التمهيدي والّذي ينقسم بدوره إلى دراستين: طبيعية وبشرية.

فأماالأولى فتهدف إلى وضع تصور في ذهن القارئ يبني من خلاله صورة تركيبية عن الأحداث التاريخية وبشكل أخص سير المعارك، والطبيعة الطوبوغرافية و التضاريسية لعمليّات الحصار وتحرّكات الجيوش ،وتباين المناطق بين من تتميز بأمطار غزيرة أو برد قارس أو غطاء غابي كثيف أو جبال عالية أو منطقة رطبة كثيرة المياه تسبب الأوبئة،أو شبكة طرقات طبيعية تُيَسرعملية الإنتقال السريع ناهيك عن الطبيعة الجبلية للجزء الشّمالي من الجزيرة الفراتيّةوالتي كان لها تأثير كبير على العلاقات الإقليميّة لدُوّل الأراتقة و على توزيع السُكان وتنوعهم الإثني،حيث سكن المنطقة الأكراد،وسُكنى الجبال ميزهم الدائمة،بل وهم أصلاء فيها،وبعدها طرأ على بلادهم العنصر التركماني الذي إرتبط أساسًا بالحياة العسكرية في المشرق الإسلامي–ومنهم إنحدر بني أرتق– فلقد جلبتهم إنتصارت السلاجقة،وطبيعة ديار بكر الرَّعَوية،والأكثر من ذلك الحاجة الدائمة للعساكر من طرف الكيانات السياسية الإسلامية؛وكان هذا العنصر التركي أكفأ من لبى ذلك.

كما كان العرب من العناصر التي عمّرت بلاد الجزيرة الفراتيّة ثم تراجعت –بسبب هجرة التركمان –إليها؛فانزاحوا إلى بلاد الشام أين شكلوا مجموعة مؤثرةعسكريًا،وساكنوا فيها الأرمن الذين شكلوا اغلب سكان بلاد الجزيرة من غير المسلمين؛فالذي ميز منطقتي الجزيرة وبلاد الشام تواجد عدد هائل من المسيحيّين بطوائفهم الكثيرة ومن اليهود ومن معتنقي الأديان الأخرى مما ساهم في تعقيد بُنيتها الإجتماعيّة–السيّاسيّة فيها.

ولقد مارس سكان المنطقتين نشاطات إقتصادية متنوعة،فالزراعة كانت مزدهرة،وذات إنتاج وفير،مما تسبب في مضاعفة مكاسب تجار طريق الحرير الدولي المار بهما،والذي ساهم في تمتع مدن الإقليمين بالشهرة والثروة،وهذا ما دفع كثيرا من الرحالة المسلمين في العصور الوسطى مثل:ناصر خسرو،إبن جبير،وإبن بطوطة ؛إلى الإسهاب في تعداد مؤهلاتهما الإقتصادية الهامة ،وأهليتمها لتحقيق عوامل قوة أية سلطة سياسية تسيطر على المنطقتين.

فهذه العوامل أثرت على الحياة السياسية في المنطقتين المذكورتين وأدى بها إلى صناعة الحدث السياسي والعسكري طيلة فترة العصور الوسطى وبالأخص فترة الغزوين الصليبي والمغولي باعتبارها المركز الرئيس للصدام بين هاتين القوتين ومركز ثقل القوى الإسلامية المعادية لهما في مصر والشام.

ومن خلال الربط بين العناصر المذكورة نتسائل:كيف تعامل الأمراء الأراتقة في أعالي الجزيرة الفراتية وشمال الشام مع القوى المعاصرة؟وكيف مارسوا فن البقاء وسط قوى عظمى لا تقارن إمكانياتهم العسكرية بقوات إمارات ماردين وحصن كيفا وخرتبرت؟

ومنه؛وبتفاصيل أدق كيف بدأ الطموح الأرتقي صغيرًا؛فتعهده أبناء وأحفاد أرتق بدمائهم ليكبر ويقوى؟،فمن كان أرتق بك ؟،وماهي علاقته بالسلاجقة؟،وكيف صنع لإسمه الصيت الذائع ليمهد الطريق لأبنائه في تأسيس ملكهم؟،وماهي المراحل التي مرت بها دولة الأراتقة بفروعها الثلاث؟.

ولما كان هؤلاء جزء من دولة السلاجقة وتابعين–ولو إسميًا– لسلطان السلاجقة،فإن علاقاتهم بأندادهم من أمراء الشام والعراق تُشكل مجالًا خصبا للبحث؛وبخاصة العلاقة بأمراء الموصل–وهي المدينة الأكثر تأثيرًا من الناحية السياسية والعسكرية– والذين حاولوا تكريس نظرية الإمتداد الطبيعي لمعقلهم نحو بلاد الجزيرة واستهدفوها،ويُضاف إلى ذلك علاقاتهم بدولة الأيوبيين سواءفي فترة تواجد شخصية مؤثرة كالسلطان صلاح الدين يوسف ،أو خلفائه من الأيوبيين كمرحلة مميزة من الحكم الأيوبي.

ونتسائل ماهي دوافع تحالف الأراتقة مع الناصرصلاح الدين بعد أن حاربوه ؟،وكيف تعامل أمراء ماردين وحصن كيفا مع خلفائه والذين تم على أيديهم إزالة إمارة أحفاد سقمان بن أرتق؟.

سنعالج في هذا البحث كذلك إشكالية تأمين الأراتقة حدودهم الشمالية ،والغربية ،والشرقية كذلك حتى الغزو المغولي في 658هـ/1260م، وكيف حاولوا بكل الوسائل إحتواء قوة سلاجقة الروم القائمة على أساس التوسع نحو بلاد الجزيرة؟،وهذا ما دفع أمراء ماردين وحصن كيفا إلى التحالف مع قوة طارئة على المنطقة وهي دولة الخوارزمشاهات، فكيف كان ذلك؟.

كما لم يقتصر النشاط السياسي لأحفاد أرتق بك على القوتين المذكورتين بل كانت هنالك تجاذبات وصراعات مع كيانات سياسية محلية مجاورة،مثل:الدانشمنديين،والأرمنشاهات،وغيرهم،فماهو الموقف العام لهم من هذه القوى ؟.

ولما ظهرت للوجود دولة المماليك في مصر والشام في 654هـ/1256م كانت ترفع شعار حماية الإسلام من الغزو المغولي وتوحيد القوى الإسلامية تحت رايتها،فكيف تعامل الأراتقة مع هذه السياسة ؟،وماهو موقفهم من ظهور كيانات سياسية جديدة في بلاد الجزيرة بعد الغزو المغولي؟.

وبالمقابل لماذا سطرت الحروب الصليبية في المشرق شهرة الأراتقة؟،وما الذي مكن قادة مثل:نجم الدين إيلغازي،وبلك بن بهرام من تبوء مكانة الصفوف الأولى من المدافعين عن الإسلام في فترة معينة؟،وهل إقتصر دورهم على بدايات المقاومة فقط؟،ثم هل كان موقفهم تجاه الصليبيين مشابها له تجاه المغول؟والبيزنطيين؟،والكرج؟،والأرمن؟.

للإجابة عن كل هذه الأسئلة؛وحلّ هذه الإشكاليّات إستعنّا بعملية تنقيب واسعة عن الأحداث السياسية في مابين (495-812هـ/1100-1409م) لاستخراج ما تعلق منها بتأتير الأراتقة في منطقتي الجزيرة وشمال الشام خلال هذه الفترة الطّويلة من تاريخ المشرق الإسلامي –والّتي يُغطّيها ،وفق الخطّة التّاليّة:

فصل تمهيدي:ويحتوي على الإطار الجغرافي لموضوع البحث(شمال الشّام،والجزيرة الفراتيّة) بشقَّيْه الطّبيعي (التّضاريس، الأبعاد الجغرافيّة،المجاري المائيّة،المناخ،والثّروة الحيوانيّة)،والبشري(عناصر السُكّان،ونشاطاتهم الإقتصاديّة).

الفصل الأوّل:ويتناول بدايات ظهور الأسرة الأرتقيّة،وتأسيس ملكهم ،وتوسّعاتهم العسكريّة ،ثُمّ دخولهم مرحلة الضّعف والتّبعيّة،وقسّمنا هذا الفصل إلى أربعة أقسام في القسم الأوّل عالجنا سجل أرتق بن أكسب السّياسي والعسكري في خدمة السّلاجقة،وفي القسم الثّاني تطرّقنا إلى الأعمال العسكريّة والسّياسيّة لإبنَيْه سقمان وإيلغازي كموظّفين لدى الأمراء السّلاجقة في الشّام والعراق والجزيرة،وفي القسم الثّالث درسنا بايجاز عُمر الإمارة الأرتقيّة في حصن كيفا من 495هـ/1100 إلى 630هـ/1230م ،وفيها إنفصال حصن خرتبرت عنها ليؤسّس فرعًا مُنشقًّا ،وفي القسم الرّابع دراسة موجزة عن تاريخ إمارة ماردين من سنة 500هـ إلى 811هـ/1105 إلى 1409م، وهيّ الأطول عمرًا مقارنة بالفرع الأوّل.

الفصل الثّاني:وفيه علاقة الأراتقة بالقوى الإسلاميّة في جنوب ديّار بكر حتّى الغزو المغولي (658هـ/1260م)،وفيه ثلاثة أقسام،الأوّل ويدرس فترة ماقبل ظهور عماد الدّين زنكي على مسرح الأحداث السّياسيّة بصفته أميرًا على الموصل وحلب عام 521هـ/1127م،وهذا القسم يتوى على جزئيّتين:الأولى حول الفترة مابين 495إلى 511هـ /1102-1117م وهيّ سنة ضم أمير ماردين لإمارة حلب السلجوقيّة،والثّانيّة حول الفترة الّتي تَلَت هذا الإجراء السّياسي إلى انتقال السُّلطة في حلب للأتابك زنكي،وفيها فترتين: فترة حكم نجم الدّين إيلغازي(511-516هـ /1117-1122م)،وتليها فترة حكم خلفائه على المدينة (516-521هـ/1122-1127م)،ثمّ القسم الثّاني، وفيه نحاول كشف جوانب العلاقة الأرتقيّة الزنكيّة في مابين521 لى 569 هـ/1127-1173م،موزّعة على مرحلتين: الأولى حول حكم عماد الدّين زنكي(521-541هـ/1127-1146م)،وإبنه نور الدّين محمود(541-569هـ/1127-1173م)،وتلي فترة الزنكيين الأيّوبيّين ولعلاقتهم بالأراتقة خُصّص القسم الثّالث من هذا الفصل ويحتوي على جزء خاص بفترة حكم السُّلطان صلاح النّاصر الدّين يوسف(570-589هـ/1174-1193م)،وآخر خاص بعلاقة الأراتقة مع خلفائه من الأسرة الأيّوبيّة(589-658هـ/1193-1260م).

الفصل الثّالث: ويحتوي على دراسة لعلاقات الأراتقة بالقوى الإسلاميّة في بلاد الجزيرة حتّى الغزو المغولي(495-658هـ/1100-1260م)،فبدأنا أوّلًا بسيّاسة الأراتقة تجاه مشاريع التوسّع السلجوقي(فرع بلاد الرّوم)في بلاد الجزيرة، ثُمّ موقف الأراتقة من توسّع إمبراطوريّة خوارزمشاه نحو أراضيهم،وبعدها علاقات الأراتقة بقوى أقلّ شأنًا في بلاد الجزيرة، كعلاقتهم بالدّانشمنديين (495-573هـ/1100-1173م)في جزئيّة،وعلاقتهم بأمراءخلاط(شاهات أرمن)(495-578هـ/1100-1182م) في جزئيّة أخرى،أما الجزئيّة الثّالثة فكانت حول العلاقة بصغار الأمراء المجاورين قبيل الغزو المغولي.

الفصل الرّابع :يتمحور حول العلاقات الأرتقيّة تجاه القوى الإسلاميّة بعد سقوط ماردين في يد المغول سنة 658هـ/1260م، والقسم الأوّل حول علاقتهم بالمماليك :البحريّة أوّلًا(648-784هـ/1250-1382م)، والبرجيّة

ثانيًّا(784-811هـــ/1382-1409م)،والقسم الثّاني هوّ حول سيّاسة الأراتقة في الأناضول وبلاد الجزيرة بعد نهاية الأسرة الإيلخانيّة في 738هـــ/1337م باعتبارهم كانوا في حمايتها.

الفصل الخامس: وموضوعه علاقة الأراتقة بالقوى الإقليميّة غير الإسلاميّة،والقسم الأوّل ناقشنا فيه موقف الأراتقة من الغزو الصّليبي،وفيه ثلاث فترات:مقاومة الصّليبيين قبل 511هـــ/1117م،ومقاومتهم خلال حكمهم لحلب(511-521هـــ/1117-1127م)،ثُمّ مقاومتهم بعد خروجهم من حلب،والقسم الثّاني فحواه علاقة الأراتقة بالمغول من خلال وقائع سقوط ماردين أمام قوّة جيوشهم سنة 658هـــ/1260م،ومن خلال مآل إمارة ماردين إلى التّبعيّة لهم حتّى إنهيّار دولتهم في 738هـــ/1337م،وفي القسم الثّالث عالجنا علاقة الأراتقة ببقيّة القوى الإقليميّة غير إسلاميّة (الكرج، البيزنطيّين، والأرمن).

وأتبعنا هذه الفصول بخاتمة وعدد كبير من الملاحق شملت ثمانيّة عشر خريطة و شكلين وإثنا عشر جدولًا هدفها توضيح وإبراز وضعيّة القوى الإقليميّة الّتي إحتكّت بالأراتقة طيلة سنوات تواجدهم كقوّة سيّاسيّة وعسكريّة في شمال الجزيرة الفراتيّة.

وقد اتّبعتُ في هذا البحث **المنهج التّاريخي**،باستخدام الوثائق التّاريخيّة ومقارنة محتوياتها ببعضها،والقيّام بعمليّتي التحليل والإستنتاج ثُمّ إعادة صيّاغة الحوادث التّاريخيّة بطريقة موضوعيّة إنطلاقًا من المُعطيات المتوفّرة من خلال المصادربهدف الوصول إلى الحقائق التّاريخيّة قدرالمستطاع،كما إعتمدنا على **المنهج التّحليلي** لإعادة بناء كثير من الأحداث التّاريخيّة الّتي لم تهتم بذكرها المصادر،أو لم تُشر إليها إلّا بالنزر اليسير بما لايخدم الحقيقة التّاريخيّة ولا يُجيب عن الإشكالات المطروحة،فحاولنا بناء بعض الإستنتاجات من خلال بعض الإشارات والمعلومات الواردة في بعض المصادر عرَضًا،والتي لا تُشكّل للوهلة الأولىإشارات والمعلومات أفادنا في نفصيل بعض الأحداث بشكل ملموس.

وفي هذا البحث تم الإعتماد على عدد كبير من المصادر،أهمها:

1-**الكامل في التاريخ**:لصاحبه أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني الجزري الشهير بإبن الأثير؛والمُتوفَى سنة 630هـــ/1232م،وهو موسوعة تاريخية لا مناص من الإعتماد عليها في دراسة تاريخ المسلمين في العصر الوسيط، وسلك كاتبها طريقة التأريخ بالحوليات،وهي طريقة تحمل الكثير من العيوب ؛فهي تُجبر القارئ على تقليب جميع صفحات أجزاء الكتاب لجمع المعلومات المتعلقة بموضوع بحث معين،وتُشتت تركيزه إلى الإنتباه لأحداث أخرى،ولكن إلمام إبن الأثير بأحداث الفترات الأولى لدولة الأراتقة ،ومعاصرته للحروب الصليبية،ولدولتي الزنكيين، والأيوبيين، جعله يتصدر قائمة أهم مصادر الدراسة،لا سيّما وأنه يعتمد على تفصيل عدد كبير من الوقائع،ويُترجم لأهم الشخصيات التي صنعت الأحداث التي أرّخ لها. ويتكرر هذا المصدر في هوامش أغلب فصول البحث لتضمنه في الجزئين التاسع والعاشر مادة تاريخية غزيرة حول الأمراء الأراتقةوعلاقاتهم بالقوى السياسية المعاصرة -حتى نهاية سنوات التأليف بوفاة الكاتب – ويُفسر هذا الأمر إلمامه بطبيعة المنطقة –بلاد الجزيرة–وارتباطه بها كَوْنه واحد من أبنائها.

2-**الباهر في تاريخ الدولة الأتابكية في الموصل**: لنفس المؤلف،و تمت عملية كتابة معلوماته التاريخية وفق طريقة الحوليات وفي هذا المصدر ميل لا يخفى لآل زنكي ،إذ يُعتبرتمجيدًا لهذه الأ سرة إبتداءً من فترة خدمة قسيم الدولة آق سنقر والد عماد الدين زنكي إلى نهاية حكمهم على مدينة الموصل وأعمالها.

3-**العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السُلطان الأكبر**:المجلّدين الثّالث والرّابع للمؤرخ عبد الرحمن بن محمد بن خلدون المُتوفى سنة 808هـــــ/1405م،وهذا السفر الضخم من الأحداث التاريخية يملك ميزة خاصة تتمثل في المنهج المُميز في عمليةالسرد التاريخي ،واعتماد إبن خلدون على التأريخ لكل دولة على حدى،وهوما يُسهل من عملية البحث عن المادة التاريخية،غير أن هذا المصدر اعتمد في كثير من فصوله على كتاب الكامل لإبن الأثير السابق الذكرباعتراف المُؤلف نفسه.

4-**تاريخ مختصر الدُول**:لغريغوريوس الملطي المعروف بإبن العبري،وهوّ رجل دين سرياني مسيحي،المتوفّى سنة 685هــ/1285م،والّذي عاصر أحداث الغزو المغولي لبلاد الجزيرة وآسيا الصّغرى،وهو عبارة عن جمع للأحداث التاريخية من"التاريخ الخُرافي"إلى منتصف القرن السّابع الهجري (الثّالث عشر للميلاد) ،يهدف الكاتب من ورائه إلى بثّ الموعظة والأعتبار من الأحداث التّاريخيّة،والظّاهر أنّ الكاتب تأثّر بالجو العام السّائد خلال فترة الغزو المغولي واعتباره عقابًا من اللّه للبشر على خطاياهم وكثرة سفك الدّماء سواء من المسلمين أو المسيحيّين في الشّرق الإسلامي،وعلى الرغم من إنفراد المُؤلف بكثير من الروايات التاريخية إلا أن مايُعاب على الكاتب نقله للروايات دون تمحيص وعدم إمتلاكه لمنهج المُؤرخ في مؤلفه المذكور،فرغم الزخم الهائل من المعلومات وحسن تبويبها باعتماد الموضوعات لا السنوات إلّا أن إبن العبري يَبرز بالأساس كرجل دين ،ومن خلال ماكتبه عن علاقة الأراتقة بالمغول يلاحظ القارئ أنّ الكاتب كان شاهد عيان،كما استخدم التّأريخ الحولي بالتّقويم الهجري،وبالأشهر السريانيّة (نيسان،أيّار.....)في مزج مُميّز،ولغة الكاتب ليست راقيةفهوّ يستعمل ألفاظًا عاميّة وبسيطة في أحايين كثيرة مثل:يمشي يعرّف بالقضيّة للمغول في الصفحة494،ولفظ "يقعد"،وعبارة "طويل العمر"،بمعانيها العاميّة،ويظهر
الملطي مُلمًّا أكثر بالأحداث القريبة منه زمانًا ومكانًا.

5- **مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة مايعتبر من حوادث الزمان**:ودوّنه عبد الله بن أسعد اليافعي المتوفى سنة 768هــ / 1366م،وميزته الإختصار عن طريق التأريخ بنمط الحوليات،كما أن الكتاب يزخر بكم هائل من التراجم لشخصيات من عهد النبوة إلى منتصف القرن الثامن الهجري،وركز اليافعي على عملية الإختصار وفي نفس الوقت التوسع بـــ"التقاط" الكثير من الأحداث التاريخية البعيدة عن بلاده (اليمن).

6-**مُفرج الكروب في أخبار بني أيوب**:الجزئين الأوّل والرّابع وكاتبه إبن واصل جمال الدين محمد بن سالم المتوفى سنة 697هــ/ 1298م،وهو ذو أهمية كبيرة في التأريخ لدولتي الزنكيين والأيوبيين،وفي تفاصيله تفوق على ابن الأثير في دقة المعلومة والإلمام بالحادثة التاريخية،فابن واصل كان يهدف من وراء هذا الكتاب التأريخ للسلاطين الأيوبيين،ولكنه انفرد بسرد الأحداث الممهدة لقيام دولتهم ،ودور بني أيوب فيها إبتداءً من 476هــ/ 1079م،
ميزة هذا الكتاب هو أنه كتب في الفترة الإنتقالية بين حكم الأيوبيين وخلفائهم المماليك،وما يحمله من دعاية سياسية للطرف الأول،وهي في نفس الوقت تحمل في باطنها معاداة للطرف الثاني.

7-**زبدة الحلب من تاريخ حلب**:للكاتب إبن العديم كمال الدين أبوالقاسم عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة،المتوفّى سنة 660هــ/1261م،وهوّ من مواليد حلب وعاش في فترة حافلة بالأحداث السّياسيّة والعسكريّة في شمال الشّام،واحتكّ بكثير من المؤرّخين والعلماء من أبناء مدينته ومن أسرة بني منقذ أمراء شيزر،وهوّ من أسرة ذات علم وجاه،كما عرف إبن

العديم بدقّة الكتابة والملاحظة وحُسن الخط وضبطه،كما زار دمشق والحجاز والعراق وبيت المقدس والجزيرة وآسيا الصّغرى والقاهرة،وإبن العديم من أسرة إبن أبي جرادة من قبيلة ربيعة من عرب البصرة،وكان مؤسّس الأسرة باسم بن أبي جرادة مرافقًا لعلي بن أبي طالب رضيّ الّله عنه ،وهذه الأسرة نشأت شيعيّة وهاجر أفرادها إلى حلب في القرن الثّالث الهجري (التّاسع الميلادي)،ولكنّهم تركوا مذهب الشّيعة الإماميّة إلى المذهب الحنفي في النّصف الثّاني من القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) مواكبة لانحسار القوى العسكرية الشّيعيّة وانبعاث قوّة السلاجقة السنيّين ،ولقد اشتغل صاحب زبدة الحلب مدرّسًا وسفيرًا لإمارة حلب الأيّوبيّة، واستغلّ منصبه للوصول إلى المخطوطات النّادرة في مكتبات البلدان الّتي زارها،وذلك قبل الغزو المغولي للمشرق سنة 656هـ/1258م الّذي تسبّب في هجرة الكاتب إلى القاهرة أين توفيّ بها،والنسخة المتوفّرة لدينا من تحقيق الدكتور سامي الدهّان ومنشورات المعهد الفرنسي بدمشق،ويحمل الكتاب في جزئه الثاني تفاصيل دقيقة وجد هامة عن تاريخ حلب،وتاريخ الحروب الصليبية حتى عصر الأيوبيين؛ينفرد فيها الكاتب بالرواية الواحدة التي تصور الحدث للقارئ وكأنه شاهد عيان،وهذا ما يعكس دقة الرواية والتي يوردها هذا المصدر بذكر أمكنة الأحداث على دقّتها إلى درجة إنعدام التّعاربف الخاصّة بها في المصادر الجغرافيّة الدقيقة كمعجم البلدان ،وما يعنيه ذلك من إلمام الكاتب بجغرافية المكان-وإدراج عنصر الحوار في الرواية التاريخية مما يتيح لمستعمل المصدر قابلية الإستنتاج،وتحليل الحوار وبناء أفكار أبعد من نتائج رواية إبن العديم.

8-**تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**:وهو موسوعة تاريخية من نمط الحوليات لمؤلفها الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي المتوفى سنة 748هـ/1347م،ولهذا السفر الضخم في تاريخ الإسلام أهمية في معرفة الشخصيات المؤثرة في تاريخ المسلمين من أول البعثة النبوية،وركز الذهبي بشكل كبير على الشخصيات الدينية ،لكونه بالأساس عالم من علماء الشريعة،إلا أنّه لم يقصّر في سرد الأحداث التاريخية بشيء من التفصيل بالإعتماد على أسلوب الحوليّات،والترجمةلشخصيات أثرت في هذه الأحداث،فهوّ كتاب تاريخ وتراجم معًا مثلما يقول المُحقّق الدكتور عمر عبد السّلام التدمري،ونحن حينما إستخدمنا الأجزاء الخاصّة بالسّنوات من 491 إلى 700هـ استفدنا منها في الحصول على معلومات تاريخيّة في كافّة مراحل الدّراسة من بدايات الأراتقة إلى السّنوات الأولى لحكم المماليك،وإن كان تاريخ الذّهبي يعيبه الإختصار لتركيزه على التّراجم بالأساس.

9-**شذرات من كتب مفقودة**: لإحسان عبّاس،والّذي يذكر أنّ الفضول التّاريخي جرّه إلى البحث عن المصادرالّتي كان ينهل منها أهمّ المؤرّخين الشّوام في العصر الوسيط في صورة إبن عساكر،وإبن العديم،والقيّام بتحقيقها وجمعها في مصنّفه الّذي بين أيدينا،ويُفاجئنا المُؤلّف بأنّ هذه المصادر لها هيّ الأخرى مصادرها،والّتي تحتوي معلوماتٍ هامّة قدرة على تغيير كثير من الحقائق الموجودة في المصادر المعروفة، ويحتوي الكتاب على صفحات من مصادر تاريخيّة هامّة حول تاريخ المشرق الإسلامي بعضها مفقود تمامًا كالبداية والنّهاية لعلي بن مرشد وتاريخ إبن الدهّان البغدادي، وصفحات من كتاب حِلية السريّين من خواص الدنيسريين لعُمر بن خضر الدنيسري،وتاريخ حرّان لإبن سلامة الحرّاني،وهذه الصّفحات على قلّتها إلّا أنّها تضمُّ معلومات تاريخيّة هامّة بما يجعل الباحث يأسف على فقدان بقيّة صفحات هذه المصادر وهذا ما يذكره مُعدّ الكتاب في

مُقدّمته إذ يجزم بأنّ البحث عن أصل المعلومات التّاريخيّة في مختلف المصادر يقودنا إلى إكتشاف حقائق تاريخيّة جديدة،وهو الهدف الّذي عمل على تكريسه من خلال جمعه لثلاثين مصدرٍ مفقود.

10-تاريخ ميّافارقين وآمد:ويُسمّى كذلك تاريخ الفارقي نُسبة لمؤلّفه أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق المتوفّى بعد 577هـ / 1189م،والكتاب عبارة عن سرد لتاريخ مسقط رأس الكاتب(وُلد بميّافارقين في 510هـ/ 1116م) بالأساس، ولكنّه يحتوي على معلومات جغرافيّة وتاريخيّة هامّة حول منطقة بلاد الجزيرة الفراتيّة،وعن البقاع الّتي زارها المؤلّف -وكان رحّالة أيضًا- مثل: حصن كيفا، وبغداد،ودمشق،وبلاد الكرج(جورجيا)، وآمد،والموصل، وبلاد الرّوم،و شمال الشّام، وماردين، وأرمينيّة،وبلاد فارس،وفي هذه المناطق احتكّ بأمرائها في مابين(543-566هـ / 1148 - 1170م)،ونهل من معارف علمائها وأخذ معلوماته التّاريخيّة من مكتبات بغداد والموصل،واستغلّ اطّلاعه على حياة القصور و احتكاكه بـ"الخاصّة"؛مثل:القُضاة،والخلفاء،والوزراء،والسّلاطين،والعلماء لتزويد قارئ تاريخه بمعلومات إنفرد بها وبخاصة حول البدايات الأولى لتأسيس ملك بني أرتق،كما أنّه من أسرة ذات تقاليد سيّاسيّة متوارثة،فكان جدّه ناظرًا في حصن كيفا للأكراد المروانيين حوالي 478هـ/1085م،وعمل على تزويد حفيده بكثير من خبايا وأسرار العلاقات السيّاسيّة في منطقة الجزيرة، وكان شغل مناصب هامّة في حصن كيفا،ومملكة الكرج،ودمشق،وميّافارقين،وكان موظّفًا كبيرًا لدى الأراتقة،لهذا فإنّ كتابه يُلخّص أهم الأحداث السيّاسيّة في منطقة شمال الجزيرة الفراتيّة مابين 478و543 هـ /1085-1148م.ويتفوّق في ذلك على إبن الأثير غير أنّ هذا الأخير أكثر تفصيلًا،بل وكان الفارقي قد إنفرد بكثير من المعلومات التّاريخيّة.

11-**جامع التواريخ،تاريخ المغول،المُجلد الثاني،الجزء الثاني:الإيلخانيون**:لصاحبه الهمذاني رشيد الدين فضل الله المتوفّى سنة 1318م،وهذا المصدر شهادة حية لعلاقة المغول بإمارة ماردين ،ويكاد هذا الكتاب ينفرد بالمعلومات المتعلقة بحصار المغول لماردين،وموقف الأراتقة منه،واستسلامهم ،ثم علاقتهم بخانات تبريز،و موقف القوى الإسلامية منها آنذاك،ولا يخفى في ذلك أ همية ما دوّنه الهمذاني،فقد كان كاتبًا في بلاط المغول،ومترجمًا رافق مختلف حملاتهم على العالم الإسلامي،وكان طرفًا في كثير من المفاوضات،ورسولًا،وهو دليل على قوة وحجية ما يوجد بين صفحات جامع التواريخ،ولو أن عامل الدعاية للمغول فيه ظاهر .

12- التاريخ المنصوري:تلخيص الكشف و البيان في حوادث الزمان:لصاحبه:أبو الفضائل محمد بن علي بن نظيف الحموي،والذي كان كاتبًا ووزيرًا في بلاط الملك الحافظ بن العادل الأيوبي أمير قلعة جعبر المتوفى سنة 639هـ/1241م،وهذا المنصب خوّل له الإتصال بعدد كبير من الأمراء والقادة العسكريين كان منهم أمير ماردين أرتق أرسلان المتوفى سنة 636هـ /1239م.

وكان إبن نظيف في مؤلفه يعتمد على :الروايات الشفوية،وعلى مشاهداته الشخصية،وعلى طريقة أخرى أهم وهي أن منصبه الإداري أهله للوصول إلى خزائن المكتبات وما تحتويه من وثائق وكتب نادرة وهامة جدًا،ويتجلى ذلك من خلال الكم الهائل من الرسائل الواردة في كتابه،وهو ما أهله للإنفراد بكثير من الروايات.

13-**كتاب نيل الأمل في ذيل الدُوَل الجزء الثّالث**: لزين الدّين عبد الباسط بن خليل المعروف بإبن شاهين الظّاهري المُتوفّى سنة 920هـ/1572م،والكتاب عبارة عن حوليّات تاريخية تبدأ في 744هـ/1343م وتنتهي سنة

869هـــ/1464م،وزّعت على ثمانيّة أجزاء مع تاسع خاص بالفهارس،وكاتبها من عائلة مقرّبة من الأمراء المماليك في الشّام ومصر،فقد اشتغل والده في الجيش المصري وحضر الكثير من المفاوضات و ما يُصطلح عليه بلغة عصرنا البعثات الديبلوماسيّة في آسيا الصغرى وبلاد الجزيرة،وكان والده نائبًا على ملطيّة(في تركيا حاليًّا)،فوُلد بها وعاش صباه في طرابلس الشّام واحتكّ فيها بكثير من علمائها،وهوّ ماقام به في صعيد مصر، وتونس،وطرابلس الغرب، والمغربين: الأوسط
والأقصى،والأندلس،وحدثت له حوادث وكان تاجرًا غنيًّا ،وكان كذلك موسوعة في الفقه ،واللُّغة ،ووالحديث، والشّعر،والطب،وأتقن التّركيّة كالعربيّة،وفي كتابه معلومات أخذها من صانعي الأحداث أو من احتكّ بهم،ناهيك عن أخذه من المصادر الكثيرة في القاهرة بصفته من المُقرّبين لأمراء المماليك،وكان كتابه مليئًا بالتراجم لأشهر علماء عصره،ولكنّه في كتاب نيل الأمل يعتمد كثيرًا على ماكتبه غيره من معاصريه كالمقريزي،وابن حجر العسقلاني،والعَيني،وابن تغري بردي، والسّخاوي،وتجاوز هذه النَّقيصة بما له من مَلَكَة النّقد،مثلما ذكره في الجزء الثّالث الصفحة السّابعة والثّلاثون،عندما اعتبر المظالم التي قام بها المُتمرِّدون من عساكر الشّام في 802هـــ /1399 م سببًا في فشلهم في الإطاحة بسلطان مصر.

14-السّلوك في معرفة دوّل الملوك:الجزئين الأوّل والسّادس، لتقيّ الدّين أحمد بن علي المقريزي الفاطمي النّسب، والمُتوفّى سنة845هـــ/1442نشأ نشأةً دينيّة،وبرع في الأدب والفقه،وشُغل بالتّاريخ لأسباب عائليّة بالأساس،ويذكر أنه أخذ العلم عن ستُّمائة شيخ منهم إبن خلدون،وكان موظّفًا حكوميًّا في القضاء والإدارة في مصر والشّام،وهذا أثّر أيُّما تأثير في إطّلاعه الواسع على مصادر المعلومات التّاريخيّة،ومن ثمّة جاء كتابه من أهم مصادر تاريخ مصر ودولتي الأيّوبيين والمماليك في الجوانب السيّاسيّة والحضاريّة،وممّا لا شكّ فيه أنّ"السّلوك" إرتبط بالمدرسة التّاريخيّة المصريةّ والّتي إزدهرت في العهدين الأيّوبي والمملوكي.

15-مضمار الحقائق وسرّ الخلائق: لمحمّد بن تقيّ الدّين عمر الأيّوبي المعروف بإبن شاهنشاه،والمُتوفّى سنة 617هـــ /1220م،وكان مؤلّفه من المقرّبين للسّلطان صلاح الدّين وواحدًا من أسرة بني أيّوب،كان عسكريًّا محنّكًا،وعالمًا أديبًا، ومؤرّخ، وشاعر،وله تصانيف ضخمة لم يصل منها إلّا القليل،ويظهر في كتاب المضمار باستعمال ضمير المُتكلّم ،وهذا يدلّ على قربه من الأحداث الّتي أرّخ لها،وكان أحد صانعيها،ولكنّ الكتاب يحمل جانبًا سلبيًّا وهوّ تغليب الذّاتيّة أي التعصّب للأيّوبيّين.

16-تحفة النُّظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار:المعروف برحلة إبن بطّوطة المُتوفّى سنة 779هـــ/1377م وهوّعبارة عن شهادة تاريخيّة موثّقة عن ديار بكروالأناضول من خلال وصف مدنها بسكّانها وحياتهم اليوميّة وذَكر أخبار أمرائها وسلاطينها خلال القرن الثّامن الهجري(الرّابع عشر ميلادي)،فإذا ذكرنا ماردين عاصمة بني إيلغازي الأرتقي فإنّ الرحّالة زارها وكان شاهد عيان على أوضاعها،وقابل الملك الصّالح بن الملك المنصور الأرتقي،وانفرد بوصفهاوحياة أهلها، وثروتها،ومكانة الأسرة الأرتقيّة وقتذاك (ص238-239).

17-معجم البلدان:وهو كتاب مشهور في التعريف بالأماكن والبلدان لياقوت الحموي الرومي البغدادي المُتوفّى في 626هـــ /1229م،وهوّ رحّالة زارمصر،والجزيرتين:العربيّة والفراتيّة،وبلاد الشّام،والعراق،وبلاد فارس،وكان ملازمًا للمؤرّخ إبن الأثير،وهذه المعطيات كرّسها في موسوعته الجغرافيّة في أجزائها الخمسة فحملت بين صفحاتها إضافة إلى المعلومات الجغرافيّة-

والّتي عني فيها بأصغرالأمكنة وبخاصّة في بلاد الجزيرة والشّام(محلّ هذه الدّراسة)- شيئًا من الأدب،والشّعر،والمعرفة بلغات أخرى،ومعلومات تاريخيّة مثلما ذكره في الجزء الأوّل الصفحة 534 في تعريفه لمنطقة بين السّورين في بغداد وكيف احترقت سنة447هـ/1055م،واقتصاديّة ، وإثنوغرافيّة جدّ هامّة،بل و فوائد في الطب وعلم النبات،والحيوان وغيرها.

18-صورة الأرض:موسوعة جغرافيّة هامّة خطّها كمُحصِّلة لرحلاته: إبن حوقل الموصلي المُتوفى سنة 367هـ/ 977م،و الّذي يُعتبر ظاهرةفريدة إذ أنّه سافر لفترة تُقدّر بثلاثين سنة في بلدان إفريقيا وآسيا حتّى جنوب خط الإستواء، وقام ناسخ مجهول ببعض الإضافات لصورة الأرض تدارك فيه ما استجدّ من بقاع مثل:حصن كيفا،وذلك سنة 631هـ/1233م،والكتاب يُماثل في مضمونه معجم البلدان،ولكنّه كتاب ذو أسلوب وصفي ترابطي يُستشف من خلاله أنّ الرحّالة كان يجمع معلومات إستخباراتيّة.

19-تذكرة بالأخبار عن إتّفاقات الأسفار:ويُعرف برحلة إبن جُبير لصاحبه أبو الحسن محمّد بن محمّد الكناني البلنسي المُتوفّى سنة 614هـ/1217م ، وهوّ حاج زار مدن الشّام والعراق والجزيرة في رحلة حجّه،والّتي تزامنت مع أوجّ فترة الصّراع الإسلامي الصّليبي،والرحّالة يرصد لنا الرّاي العام الإسلامي حول هذا الصّراع،ويصف الحياة في مدن الشّام والجزيرة،وحياة الطّوائف الإسلاميّة وغيرها،والعلاقات الإجتماعيّة والسّياسيّة وقتها،وشبكة الطّرقات ولاسيّما مروره بالطّريق التّجاري الكبير المعروف بطريق الحرير في شطره الرّابط بين أعالي الفرات و حلب،كما يصف لنا الكاتب الحياة التّجاريّة في المناطق الّتي مرّ بها،والعلاقات بين المسلمين والصّليبيين في مدن الشّام،وهوّ يمتلك قدرة كبيرة على الوصف الدّقيق باعتباره في الأصل أديب وفقيه ،وما يلاحظ في كتابه المصداقيّة العاليّة ممّا اتّفق مع الحقائق التّاريخيّة والجغرافيّة الحاليّة.

20-سفرنامه: كتاب رحلات ترجمه من الفارسيّة يحيى الخشّاب وهوّ لناصر خسروعلوي المُتوفّى سنة 481هـ/1088م،وهوّ شاعر وفيلسوف إسماعيلي المذهب،قام برحلته مابين 437و444هـ/1045-1052م؛سالكًا الطّريق التّجاري الأهم في الشرق الإسلامي والرّابط بين إيران،آذربيجان،أرمينيا،تركيا،الشام ،فلسطين، مصر، والعودة عبر الحجاز،والعراق،وهنا تظهر أهميّة الكتاب إذ يشتمل على تحليل قائم على المُعاينة حول أهميّة مُدُن منطقتي الشّام والجزيرة الفراتيّة في محور التّجارة العالميّة في العصر الوسيط.

21-تقويم البلدان:لعماد الدّين إسماعيل بن محمّد بن عمر المشهور بأبي الفداء صاحب حماه، والمُتوفّى سنة732هـ/1331م،وهوّ من علماء الفلك،والجغرافيا،الّذي يعترف في مقدّمة كتابه أنّه غير دقيق في ما بعد عن ديّاره من بلدان، ولكنّه دقيق في المناطق القريبة من حماه في شمال الشّام،بسبب حياته الحربيّة باعتباره من العائلة الأيّوبيّة المالكةآنذاك، وبالتّالي فإنّه أسهب في وصف مدن الجزيرة ،والشّام، والأناضول وأرمينيّة،وتفوّق في ذلك على ياقوت الحموي،بل إنفرد بذكر مدن وقلاع لم يتأتي في معجم البلدان مثل: الكختا(ألكختين).

22-الأعمال الكاملة وراء البحار:ويعرف كذلك بتاريخ الأعمال الّتي تمّت وراء البحار أو تاريخ الحروب الصّليبيّة لوليام الصّوري، والنُّسخةالتي بين أيدينا ترجمها سهيل زكّار في جزئين،ومايحتويه الكتاب من معلومات تاريخيّة حول الصّليبيّين خاضع بشكل كبير لذاتيّة المؤرّخ باعتباره رجل دين أضفى على عمليّة السّرد التّاريخي والوصف الجغرافي كمًّا هائلًا من الأساطير،وتمجيد القوى الصّليبيّة وأبرز قادتها،ورغم الزّخم الهائل من الأحداث التّاريخيّة يُعاب على المصدر كذلك ضعف

المعرفة بالطرف المُقابل (الجانب الإسلامي) فمعلومات الكاتب عن المسلمين وحياتهم الثّقافيّة والدّينيّة والإجتماعيّة هيّ إمّا مبنيّة على أحكام مُسبقة او فقيرة الكم المعرفي أو مغرقة في الذّاتيّة والتحيّز والحماس الدّيني الأعمى،وما فتئ وليم الصّوري في عمله التّاريخي الضّخم-والّذي قدّم له المترجم بتلخيص لأهم فترات الكتاب بأسلوبه الخاص وكأنّما يُصحّح ويتبرّأ-يغرق في القصص الدّيني ويستعرض معلوماته اللّاهوتيّة البعيدة عن الموضوعيّة والعاريّة عن الصّحّة في أغلبها،ولكّن القلّة من المعلومات الصّحيحة -إنطلاقًا من قرائن أخرى-كانت على قدركبير من الأهميّة إنطلاقًا من معرفة وليم الصّوري لأدق التّفاصيل عن حياة الغزاة الصّليبيّين،بما فيه من وصف دقيق لشخصيّاتهم،والتّنافس في مابينهم ،وما كان يحدث من نقاشات ومناوشات وصراعات داخل قلاع الغزاة الأوروبيّين ما كان للمؤرّخين المسلمين مجاراة الكاتب في معرفة أدقّ تفاصيلها،وإن بالغ في تصوير بطولات و خوارق مشكوك في مصداقيّتها.

ومقابل الكم الهائل من المصادر فإن المراجع المعتمدة في هذا البحث إشتركت في نفس الخاصية،وهي أنّها أدرجت المعلومات الخاصة بالأمراء الأراتقة من خلال دراسة العلاقات الخارجية للدول المحيطة بإماراتهم أو من خلال دراسة الأحداث التاريخية الكبرى التي عاصرتهم مثل: الحروب الصليبية،والغزو المغولي،وحملات تيمورلنك على الشام والجزيرة،وعليه فإن أهم المراجع تدور في فلك المحاور المذكورة آنفًا،وهي:

1-الحروب الصليبية:لأرنست باركر،ترجمه من الإنكليزية الدكتور السيد الباز العريني،ويتناول هذا الكتاب جذور الحروب الصليبية،وأحداثها،ونتائجهادون خوض في التفاصيل الدقيقة،إذ أن الكاتب إختار سرد الأحداث التاريخية من زاوية التحليل العميق،واستعمال الأسلوب السلس،وتعليل الظاهرة التاريخية من جوانب مختلفة،وتجاوزه للبعد الديني في تفسير العلاقة الإسلامية-الصليبية.

2- العلاقات الإقليمية والحروب الصليبية،محور الموصل-حلب(464-583هــ/1071-1187م): لكمال بن مارس،وهي دراسةأكاديمية تمحورت حول دور الموصل في دعم الجهاد ضد الغزاة الصليبيين قبل إنتقال مركز ثقل المقاومة الإسلامية إلى محور مصر والشام،وقد أسهب المؤلف في ذكر دور الأراتقة في محاربة الصليبيين بسبب إحتكاك الأراتقة العسكري والسياسي بحكام الموصل أولًا،وحكمهم لفترة معينة مدينة حلب ثانيًا،وثالثًا مساهمتهم في المجهود الحربي ضد الصليبيين إعتمادًا على هذا المحور.

3-**بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي**:لعصام عبد الرؤوف الفقي ،وهي دراسة أكاديمية مضمونها أتابكة الجزيرة وعلاقاتهم في مابينهم،ومع جيرانهم،ضف إلى ذلك وصف جغرافي لبلاد الجزيرة،وسياسة أتابكيتها الداخلية ومنها أتابكيات ماردين ، خرتبرت،وحصن كيفا،أي تناول موضوع دراستنا بطريقة كلية ،وبطريقة أقل تفصيلًا،وفيه بعض المعلومات الّتي إنفرد بها وصعب الحصول عليها من المصدر مثلما ذكره عن ضرب الدنانير الأرتقيّة في الأراضي البيزنطيّة (ص244)؛وهيّ معلومة أخذها من كتاب:

Lane poole,coins of the urtuki turkmens,p.14.

4-دراسات في تاريخ الأيّوبيين والمماليك:لحمدي عبد المنعم حسين،وتتمثل أهميّته في تركيزه على السيّاسة الخارجيّة للسُّلطان صلاح الدّين يوسف و السّلطان المملوكي الظّاهر بيبرس ،وهوّ أساس عمليّة البحث في هذا العمل إذ أنّ معرفة علاقات الأراتقة الخارجيّة يكون من خلال معرفة السيّاسة الخارجيّة للقوى المسيطرة على الشّام والجزيرة الفراتيّة.

5-الصّراع السيّاسي والعسكري بين القوى الإسلاميّة زمن الحروب الصّليبيّة:لحامد زيان غانم زيّان،وهوّ بحث تاريخي أكاديمي يتناول بكثير من التّحليل الجبهة الإسلاميّة في مواجهة الإمارات الصّليبيّة من ناحيّة التّفكّك السيّاسي والتّطاحن العسكري لاقتسام الأراضي السّلجوقيّة قبل نهاية حكمهم والّذي ظهر ضعفه يتّضح بعد وفاة السّلطان ملكشاه سنة 485هـ/1092م، والجيّد في ذلك أنّ البدايات المبكّرة لظهور الأراتقة السيّاسي والعسكري إرتبط بالفوضى السيّاسيّة في الشّام والجزيرة قبيل ظهور أولى الجيوش الصّليبيّة في الشّرق الإسلامي سنة 489هـ/1096م، وعجز السّلاجقة عن ردعهم ومنعهم من إحتلال أراضٍ إسلاميّة،ففوّضوا الأمر لأتابكة الجزيرة مثل الأراتقة و غيرهم من الأتباع للجهاد ضدّ الغزاة ،وهؤلاء المحاربون بالوكالة لم يكونوا مثاليّين بل كانوا ذوي طموح سيّاسي وفي

خلاف وصراع من أجل النفوذ والقلاع والإقطاعات و غيرها من المكاسب الماديّة الدنيويّة،وركزّ حامد زيّان أيضًا على تحليل مواقف صانعي القرار السيّاسي في الشّام والجزيرة مُبتعدًا عن الأحكام البسيطة من تخوين واحتقار يُقابلها مثاليّة وإضفاء لصفات بطوليّة وفق نظرة عاطفيّة بحتة مثلما تزخر به المصادر الإسلاميّة المعاصرة.

6-تاريخ العرب من بداية الحروب الصّليبيّة إلى نهاية الدّولة العثمانيّة:لعيسى الحسن،ويتميّز هذا المرجع بتركيز كاتبه على عمليّة التّحليل وإعادة بناء الأحداث وفق تفسيرات جديدة وبخاصّة في ما يتعلّق بعلاقة الأراتقة بالصّليبيّين،

فعيسى الحسن كان يتعمّد تجاهل الهوامش في أغلب الفقرات لفتح مجال أوسع أمام وضع إستنتاجات لكلّ حادثة تاريخيّة وتحليل الشخصيّات الصّانعة لها وتفسير مواقفها ،والإعتماد على تداعيّات الوقائع التّاريخيّة لبناء ظروف وملابسات تنتقل بذهن القارئ إلى مراحل أخرى،وهوّ كتاب ذو طابع إيديولوجي يهدف إلى بثّ الرّوح الدّينيّة من خلال دراسة الصّراع الإسلامي-الصّليبي،والميول الدّينيّة واضحة في تحاليل الكاتب.

7-بحوث في العلاقات بين الشّرق والغرب:لمحمود سعيد عمران،وهوّ مجموعة من المقالات التّاريخيّة الأكاديميّة لُمتخصّص في التّاريخ فنجده قد أسهب في تحليل العلاقة الأرتقيّة -الصّليبيّة بالجمع بين دقّة المعلومة التّاريخيّة وبناء إستنتاجاته منها،من ذلك ماذكره عن بلك بن بهرام من تفاصيل دقيقة لا نجدها عند أيّ مرجع آخر في هذا البحث، وتناول بالتّحليل دوره في العمل العسكري على محور حلب-أعالي الفرات-أنطاكية،وموقف الأراتقة من الأرمن في تعاونهم مع الصّليبيّين.

8-صلاح الدّين والصّليبيّون:لأحمد الشّامي،وفيه علاقات الأراتقة بالسُّلطان صلاح الدّين وتحليل لسيّاسته الخارجيّة تجاه أمراء الموصل،والشّام وكيفيّة تطويعه لهم من أجل توحيد القوى الإسلاميّة للجهاد ضدّ الصّليبيّين،وإعتمدالكاتب على أسلوب أكاديمي من خلال الإعتماد على المصادر بشكل أساسي وبناء التّحاليل والإستنتاجات من خلالها.9

9-تاريخ الحروب الصّليبيّة،المُجلّد الثاني القسم الأوّل الخاص بمملكة بيت المقدس:لستيفن رنسيمان،وبين دفّتيه أسلوب راقٍ في تحليل المعلومة التّاريخيّة،فيتّجه رنسيمان نحو منحًى منفرد ومتميّز في سرده لأحداث المقاومة الأرتقيّة للصّليبيّين بعيدًا عن العاطفة الدّينيّة،وتشبّث بميزة تكريس موقفه السّلبي ضدّ العنصر التركي(ص180) ،وتعاطفه مع الأرمن

(ص190)،وانتقاده الدّائم للصّليبيين،ناهيك عن تحليل الموقف بشكل دائم،وقدرة كبيرة على التّركيب والإستنتاج وربط الأحداث ببعضها بما يجعل المرجع قيمة تاريخيّة كبيرة في ما يتعلّق بموقف الأراتقة من الغزو الصّليبي كجزء والحرب الصّليبيّة ككُل.

10-أنطاكية الصّليبيّة والمسلمون: لحسين محمّد عطيّة،ويتناول بأسلوب تحليلي أكاديمي(في الأصل رسالة جامعيّة للكاتب)علاقة إمارة أنطاكية بأعدائها المسلمين بما فيهم الأراتقة كأولى القوى الّتي حاربتها،ولو أنّ الكاتب ذكر الأراتقة في الفصل التّمهيدي حتّى الصّفحة المائة والخمسون باعتبار أنّ فترة البحث الرّئيسة هيّ ما بين 567هـ و666هـ/1171-1268م.

11-التُّرك في العصور الوسطى:لزبيدة عطا،وأهميّته تتّضح من خلال تركيز الكاتبة على الإستعانة بكمٍّ هائل من المراجع والمصادر الأجنبيّة،فكان الكتاب مميّزًا وبخاصّة حول الغزو المغولي ودولة سلاجقة الرّوم،أي أحداث القرنين السّابع والثّامن الهجريَّين (الثّالث عشر والرّابع عشر للميلاد).

12-الدّولة الخوارزميّة والمغول:لحافظ أحمد حمدي وأهميّة الكتاب ظاهرة من خلال عنوانه فهوّ يعالج بالتّحليل نهاية دولة الخوارزمشاهات على أيدي المغول ،وتأثير ذلك على القوى المُعاصرة في الشّرق الإسلامي ومنهم الأراتقة.

لقد إرتكز العمل في هذا البحث بشكل رئيس على المصادر وعددها قارب السّبعين مصدرًا تاريخيا كون العمل مُميّز وغير مسبوق إلا مرتين أو ثلاث،والإعتماد على عدد كبير من المصادر كان الهدف منه تعويض فقدان الدراسات الحديثة في هذا الموضوع والتي تعذر الحصول عليهارغم الإتصالات والمجهودات المبذولة في هذا الإطار،إذ أن موضوع البحث لم يدرس في بلاد المغرب، ودرس فقط ثلاث مرات في المشرق من خلال رسالة دكتوراه في التاريخ الإسلامي لعماد الدين خليل بعنوان **"الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام1072-1409م،أضواء جديدة على المقاومة الإسلامية للصليبيين"**،وهي متوفرة بجامعة عين شمس في القاهرة بعد أن نوقشت بها سنة 1968م،وكتاب **"جانب من العلاقات الأرتقية-الإفرنجية 491-518هـ"**لمحمود فالح الرويضي،وكتاب**"تاريخ الدولة الأرتقية "**لداوودالجلبي،وهي دراسات متخصصة لم نجد سبيلًا للوصول إليها مما أجبرنا على الإنطلاق من الصفر في جمع المادة العلمية من المصادر، و عملية التنقيب فيها لم تكن سهلة،وأغلبها لم يحتوي على معلوماتٍ خاصّة بالأراتقة إلا في أسطُر قليلة،وأحيانًا تنقل المصادر عن بعضها البعض كحال إبن خلدون والمقريزي،وإبن تغري بردي، مع كتاب الكامل إبن الأثير مما يتسبب في ضياع مجهود البحث المضني لتطابق المعلومة وتكرارها دون جديد.

وفي الأخير نتمنى أن نكون سباقين إلى إزالة أي غموض حول دولة الأراتقة؛وعلاقتها بالقوى الإقليميّة،وأشكر كل من ساعدني في إنجاز هذه الدّراسة وهم كثيرون والحمدُ للّه المُوفّق عظيم الفضلِ والمِنّة.

فصل تمهيدي:

الإطار الجغرافي لموضوع الدّراسة.

المبحث الأوّل:الجغرافيّة الطّبيعيّة.

أوّلاً: التّضاريس.

ثانيًّا: الطرق والأبعاد الجغرافيّة.

ثالثًا: الثّروة المائيّة.

رابعًا: المناخ،الغطاء النّباتي والثّروة الحيوانيّة.

المبحث الثّاني: الجغرافيّة البشريّة.

أوّلًا: التّركيبة السُكّانيّة.

ثانيًّا: النّشاطات الإقتصاديّة.

تمهيد:

نلاحظ في الدراسات التّاريخيّة ذات الطّابع الأكاديمي التّمهيد لموضوع البحث بدراسة الحيّز الجغرافي للأحداث التّاريخيّة ؛وذلك للتّرابط الوثيق بين التّاريخ والجغرافيا،وعليه فالدّراسة الجغرافيّة تنقسم إلى قسمين:الدّراسة الطّبيعيّة وفيها نتعرّض لدراسة المناخ، والتّضاريس،والمسطّحات المائيّة،والثروات الطّبيعيّة،ولايخفى تأثير هذه العوامل على النّشاط البشري؛وبالتّالي تفاعل الإنسان مع هذه المؤثّرات الطّبيعيّة،والّذي يُساهم بشكل كبير في القسم الثّاني من الدّراسة الجغرافيّة والّتي تشمل :التّركيبة السّكّانيّة والنّشاطات الإقتصاديّة.

وبالنّسبة لموضوع البحث فإنّ نفوذ الأراتقة تركّز بالأساس في منطقتين رئيسيتين هُما:إمارة حصن كيفا [1] والّتي تأسّست في 495هـ/1101م،وإمارة ماردين[2] وكانت بدايتها في 500هـ/1106م،وكلتاهما تواجدتا في القسم الأعلى من إقليم الجزيرة الفراتيّة المعروف بـ"ديّاربكر".

كما امتدّ نفوذ بني أرتق التّخوم الغربيّة والجنوبيّة الغربيّة لهذا الإقليم فأسّس عماد الدّين أبوبكر بن قرا أرسلان (581-600هـ /1185-1203م) إمارة خرتبرت[3] في 581هـ/1185م[4]،وكذلك بسط أراتقة ماردين نفوذهم على جزء من شمال الشّام حينما حكموا حلب إبتداءً من 511هـ/1117م[5]،وضمّوا إلى جانب أعمال هذه المدن الرّئيسيّة كثيرًا من الحصون على فترات مُتقطّعة[6]؛كان من الواجب دراستها هيّ أيضًا(لاحظ الخريطة رقم1)، وسنستهلُّ الدّراسة الجغرافيّة بالجانب الطّبيعي فنذكر أوّلًا التّضاريس؛ثُمّ الأبعاد والطرقات، وبعدهما الثّروة المائيّة، والمناخ، والغطاء النّباتي،إضافة إلى الثّروة الحيوانيّة.

وسندرس إقليم الجزيرة الفراتيّة أوّلًا(لاحظ الخريطة رقم2)ثُمّ إقليم شمال الشّام ثانيًّا(لاحظ الخريطة رقم 3)،وبعدها نقوم بعرض التّركيبة السّكّانيّة من حيث العناصرالعرقيّة الّتي إستوطنت في المنطقتين ومختلف النّشاطات الإقتصاديّة الّتي زاولتها خلال الفترة الزّمنيّة المتعلّقة بموضوع الدّراسة،و لم نُغفل أيضًا دراسة المُدن والقلاع الّتي سيطر عليها الأراتقة مع مراعاة

---

[1]) ***حصن كيفا: kiphas , cephe*** ويقال لها كيبا كذلك وهوّلفظ أرمني،وكانت بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على نهر دجلة بين آمد وجزيرة إبن عُمر مع ديار بكر في منخفض بين الجبال،وتتّصلُ بربضها بقنطرة ضخمة وعاليّة،وبدأت تتضائل أهميّتها بعد الغزو المغولي(ق7هـ/13م)،را:إبن حوقل،صورة الأرض،ص202،وياقوت الحموي،معجم البُلدان،ج2ص265،وكي لسترنج،بلدان الخلافة الشّرقيّة،ص144-145.

[2]) ***ماردين:mardin***،وهيّ مدينة في أعلى جبل يُشرف على سهل بلدة دنيسر الّتي تبعد عنها بخمسة وثلاثين كيلومتر،وهيّ في الأساس قلعة صخريّة عظيمة قديمة البناء؛إسمها الباز،وفي القرن الرّابع الهجري(العاشر الميلادي) نشأحولها ربض فيه أسواق ورباطات وحمّامات ومدارس،وهيّ مبنيّة على شكل مدرّجات لوقوعها في أعلى جبل،ويقال لها كذلك"قلعه كوه"،أي قلعة الجبل،وجبالها مليئة بأشجار الفواكه،ويزرع في ربضها القطن،ويمرُّ به نهر صور،أمّا القلعة فتسقى بميّاه الأمطار،را:كي لسترنج،المرجع السّابق،ص125-126.

[3]) ***خرتبرت:harput,kharpart*** وهيّ حصن زياد(خربوط حاليًّا)،مدينة كبيرة على الفرات الأعلى معتدلة المناخ وأهلها أرمن،را:كي لسترنج،المرجع السّابق،ص149.

[4])زامباور،معجم الأسرات الحاكمة،ص344.

[5])إبن العديم،زبدة الحلب من تاريخ حلب،ج2ص549-550.

[6])سيأتي تفصيل ذلك في الفصل الثّاني ص48-91.

الإحاطة بمزايا وخصائص كلّ مدينة على حدة؛وبخاصّة من النّاحيّتين العسكريّة والإقتصاديّة وهما من الأهمّيّة بمكان في حسم موازين القوى في فترة ميّزتها الحروب المُستمرّة(ق5-ق9هـ/ق11-ق15م).

المبحث الأوّل:دراسة طبيعيّة.

أوّلًا:التّضاريس.

1-أعالي الجزيرة الفُراتيّة: وهيّ المنطقة التي تتكوّن من ديار بكر،ديارربيعة،وديارمُضر-مع ضمّ المنطقتين الأُولتين لبعضها في عدد من المصادر الجغرافيّة- وعرّفها القزويني[1]:"...سُمِّيت جزيرة لأنّها بين دجلة والفرات،وهما يُقبلان من بلاد الرّوم وينحطّان مُتساميّتان حتّى يَصُبّان في بحر فارس..."،وهوّ ما يُوّافقه فيه عدد من الجغرافيّين والرّحّالة المسلمين في العصور الوسطى[2]،بحيث يُسمّيها المقدسي[3]،وياقوت الحموي[4] جزيرة أقور.

يُفصّل الأوّل وصف تقسيمات هذا الإقليم إعتمادًا على التّمييز بين من إستوطنه من القبائل العربيّة:ربيعة، مُضر، وبكر، في حين أنّ الثّاني يستثني ديار ربيعة من الإنتماء إلى هذه الجزيرة،وسار على نهجه إبن خرداذبة[5] الّذي يتجاهل منطقة ديار بكر ويعتبرها جزءًا من دّيار ربيعة،وهوّ ماخالفه فيه ياقوت[6] الّذي يذكر بأنّ هذه الأخيرة تمتدّ من الموصل إلى رأس العين[7]، فنصيبين[8]، ودنيسر[9]، والخابور[10]،مع ما يتبعها من أعمال بخلاف ديار بكرالبلاد الكبيرة الواسعة الّتي تمتدّ من غرب نهردجلة

---

[1])آثارالبلاد وأخبار العباد،ص351.

[2])إبن حوقل،المصدرالسّابق،ص189،والإصطخري،المسالك والممالك،ص35،والإدريسي،نزهة المشتاق في إختراق الآفاق،ص351.

[3])أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم،ص136.

[4])معجم البلدان،ج2ص136.

[5])المسالك والممالك،ص39.

[6])معجم البلدان،ج2ص494.

[7])***رأس العين* :resaina,rasaline** وتقع قرب قرب منابع الخابور،ويبلغ عدد عيونها ثلاثمائة وستّون،كانت بدون سور حتّى القرن 8هـ/14م،واشتهرت بزراعة القطن،القمح،والكروم،وهيّ تتوسّط حرّان،نصيبين ودنيسر،بينها وبين نصيبين 90كلم،ونفس المسافة تقريبًا بينها وبين حرّان،أمّا عن دنيسر فهيّ 60كلم،وتشتهر بعيونها الثّلاثمائة؛الّتي تُكوّن منبع الخابور،وهيّ عيون كبريتيّة،وهيّ من دّيار ربيعة،وتقع في سهل خصيب،وبنيانها من الجص والحجارة،وأصل تسميّتها من عبارة سريانيّة (ريش عينو)، وهيّ معروفة حاليًّا بصناعة الأسلحة والخزف،والحلي،را:الإصطخري،المصدرالسّابق،ص ص36و39،وإبن حوقل،المصدرالسّابق، ص200، وياقوت، المصدرالسّابق، ج3ص13-14،والإدريسي،المصدرالسّابق،ص308،وإبن جبير،المصدرالسّابق،ص215، والمقدسي، المصدرالسّابق، ص140،وكي لسترنج،المرجع السّابق،ص125.

[8])***نصيبين*: nisibis:** هيّ مدينة كبيرة تمتد على أرض مستوية،خصبة،كثيرة المّياه،ولذلك إزدهرت زراعاتها؛فكانت حتّى القرن4هـ/9م من أحسن وأغنى المدن الجُزريّة،ثُمّ تراجع دورها الإقتصادي الهام خلال القرن 6هـ/12م،وهيّ تقابل جبل ماردين،وتُجاور مدن:دارا،دنيسر،رأس العين،وتقع على الطّريق الدوّلي للقوافل،وأغلب سكّانها سريان مسيحيّون،را:إبن حوقل،المصدرالسّابق،ص191-194،وإبن جبير،المصدرالسّابق،ص212-216،

[9])***دنيسر*:** أو "قوج حصار"؛كانت بلدة عظيمة مشهورة من أعمال ماردين،وكانت تبعد عنها بـ12كلم،وكانت تتميّز بكثافة الحركة التّجاريّة،واعتدال مناخها،وازدهار ريفها،وكانت أميل إلى الطّبيعة البدويّة،ولم تكن محميّة بسور،وعظمت مكانتها خلال القرن6هـ/12م،وفي تلك الفترة عاش بها أبوحفص عُمر بن الخضر-كاتب تاريخها-في فترة تميّزت بكثرة علمائها ومدارسها مثل:المدرسة الشّهابيّة،كما كثرت حلقات التّدريس بجوامعها،را:إبن جبير،المصدرالسّابق،ص214،وإحسان عبّاس،
شذرات من كتب مفقودة(عمربن خضر،حِلية السّرِّيّين من خواص الدّنيسريِّين)،ص163،وياقوت الحموي،المصدرالسّابق، ج2ص478.

[10])***الخابور*:** نهرتُنسب إليه قرى ومدن كثيرة،ومنبعه من رأس العين،وسيأتي تفصيل ذلك لاحقًا،را:كي لسترنج،المرجع السّابق،ص127.

إلى الجبل المُطل على نصيبيين،وفيها مُدُن حصن كيفا،وآمد[1]،وميّافارقين[2]،ولا تتجاوز في امتداداهما إلى السّهل،وهيّ عبارة عن صخرة متوسّط إرتفاعها ثلاثمائة وثمانيّة أمتار؛فآمد مثلًا ترتفع بخمسمئة وثمانين مترًا عن مستوى سطح البحر[3]،وهيّ بذلك تتشابه مع بقيّة مدن ديّار بكر في حصانتهاالنّاجمة عن وعورة التّضاريس[4]، غير أنّها تظهر للعيان كمنطقة عمرانيّة ممتدّة على مساحة واسعةمن الهضاب المنخفضة إذا ما قورنت بما يحيط بها من جبال شاهقة ،حيث يحيط بهذه الهضاب جبال أرمينيّة[5] من الشّرق الّتي تنحدر جنوبًا باتّجاه تكريت[6]؛فالموصل، وفي الجنوب نلاحظ امتداد جبل عابدين من الشّرق إلى الغرب[7]،وفي جنوب ديار بكر أيضًا مجموعة جبال متّصّلة هيَّ: ثمانين،باسورين، وفيشخابور،وهيّ امتداد لجبل الجودي[8] المُلاصق لآمد من جهة الثّغور[9].

أمّا ديار ربيعة ومُضر فهيّ المنطقة السّهليّة الجنوبيّة من هذا الإقليم؛والّذي يتداخل قسمه الشّمالي ذو الطّابع الجبلي مع إقليم أرمينيّة،وتُدرج بعض مُدُنه في نطاقه كميّافارقين[10]، وماردين الّتي يرى القلقشندي[11] أنّها جزء من ديّار ربيعة رغم كونها منطقة جبليّة.

والقسم الشّمالي يتميّز بالمسالك الضيّقة بين الجبال المرتفعة والّتي تنفتح على الشّمال والغرب بهضاب ممتدّة[12].

---

[1]) ***آمد: amida*** مركز ديّاربكر،تقع غربي دجلة،تشتهر بسورها الأسود شديد الحصانة،وهيّ مركز تجاري هام،وبها كنيسة عظيمة،را:كي لسترنج،المرجع السّابق، ص142-144.

[2]) ***ميّافارقين:martyropolis معرّبة من ميفركتmaypharkath الآراميّة، وmofarginموفركن الأرمنيّة*** ،وهيّ مدينة في أعالي الجزيرة من دياربكر،كثيرة الكنائس والبيّع،وكانت محصّنة بسور متين من حجارة بيضاء،وكانت كثيرة البساتين،وتتمتّع بمناخ معتدل،يتكوّن سكّانها من العرب والأرمن والسّريان والأكراد والتركمان،را:كي لسترنج،المرجع السّابق،ص144.

[3]) كمال بن مارس،العلاقات الإقليميّة والحروب الصّليبيّة،ص79.

[4]) ياقوت الحموي،المصدرالسّابق،ج3ص343وج5ص39،وإبن بطّوطة،الرّحلة،ص238،والإصطخري،المصدرالسّابق،ص305.

[5]) ***أرمينيّة:***هوّ إسم لمنطقة واسعة تحدّها من الشّرق بلاد الفرس،ومن الجنوب بلاد مابين النّهرين وبلاد السريان وكيليكيا،ومن الغرب آسيا الصّغرى،ومن الشّمال بلاد الكرج،وطول حدودها 36ألف كلم،وتُقسّم إلى قسمَين:أرمينيّة الكُبرى وأرمينيّة الصّغرى،وأهلها يُسمَّون الأرمن ومفردهم:ارمني،ويُقال لها إرمينيّة بكسر الألف،را:إبن خرداذبه،المصدرالسّابق،ص52،وياقوت الحموي،المصدرالسّابق،ج1ص159-160،وأنطون خانجي،مختصر تواريخ الأرمن،ص8.

[6]) ***تكريت:***بلدة قديمة في غربي دجلة،تقع بين بغداد والموصل،وهيّ إلى بغداد أقرب،وبينهما 180كلم،ولها قلعة حصينة في قسمها العلوي تُطلُّ على دجلة، ومن قسمها السُّفلي يمُرُّ الدّجيل وهوّ من روافد دجلة إلى بغداد،وأبنيّتها بالجص والآجروالحجروالحصى،كما تشرف على جبل شاهق،وأغلب أهلها نصارى من مختلف الطّوائف،حيث تواجدت بها كنائس وأدِيرة من القرن الأوّل الميلادي،را:إبن حوقل،المصدرالسّابق،ص205-206،وياقوت الحموي،المصدرالسّابق،ج2ص38.

[7]) كمال بن مارس،المرجع السّابق،ص79.

[8]) ***الجودي:***هوّجبل يمتدّ جنوبًا وشمالًا نحو مسافة ثلاثة أيّام (مئة وواحد وخمسون كيلومترًا)،يمتاز بغاباته الكثيفة،ويُشرف من جهاته الأربع على آمد،والموصل ودجلة،وجزيرة إبن عمر،را:إبن حوقل،المصدرالسّابق،ص203،وياقوت الحموي،المصدرالسّابق،ج2ص79،وأبوالفداء،تقويم البلدان،ص69.

[9]) الإدريسي،المصدرالسّابق،ص309.

[10]) نفسه،ص378.

[11]) صبح الأعشى في صناعة الإنشا،ج4ص316.

[12]) كمال بن مارس،المرجع السّابق،ص79-80.

ويوضّح إبن حوقل[1] بشكل أدق ماهيّة هذه الجبال،فيذكر منها جبال "بارمّا" الّذي يتواجد شرقي نهر دجلة ،ويقابله على الجهة الجهة الغربيّة منها جبل "الشّقوق".

وهناك من يرى أنّ جبل "بارمّا" في حقيقته كتلة جبليّة[2] تتقاطع مع جبل "الشّقوق" فيُشكّل جبلي "زينا" و"زامر" شرقي الحديثة[3] قرب الموصل،و"الشقوق" يمتدُّ باتّجاه الغرب عبر كامل الجزء الأوسط من الجزيرة الفراتيّة[4] أين يخترقه مجرى نهر دجلة[5].

ومن جبال الجزيرة الأخرى يذكر أبو الفداء[6] جبل "طورزيتا"قرب رأس العين،ويُجاوره جبل قلعة الصّور[7]،وأيضًا جبل ماردين ماردين الّذي يصفه صاحب الأعلاق الخطيرة[8] بقوله:"...قمّته لايعلو فوقها طير،ويُرى السّحاب دونها"،ويُشاطره الرّأي إبن حوقل[9]؛ قائلًا: "...ماردين حصن حصين منيع لايُرام ولايُقدرعليه،مبني على قنّة جبل شاهق في الهواء،وهوّ مشرف على تلك الجبال شرقًا وغربًا،شمالًا وجنوبًا،ولايُدانيه جبلٌ البتّة"،ويُلفتُ هذا الرَّحّالة إنتباه القارئ للإرتفاع المُذهل لقمّة الجبل إلى درجة أنّ سُكّانه: "...ليس بين أيديهم حائل يمنعهم من النّظر إلى بريّة رأس العين والخابور وسنجار"[10]، ويذكر إبن خرداذبه[11] أنّه يرتفع عن سطح الأرض بفرسخين(حوالي إثنا عشر كيلومترًا!)".

وعلى النّقيض من ماردين فإنّ حصن كيفا تقع في منخفض تحيط به الجبال الشّاهقة من كُلّ ناحيّة[12]،كما تُمُرُّ بالتّوازي مع نهر دجلة كتلة جبليّة تتّصل بجبل الجودي-المذكور آنفًا-وتُسمّى ثمانين-،والّتي يتفرّع منها جبل الدّاسن[13]، ويتموقع قرب مدينة

---

[1])صورة الأرض،ص156.

[2])الإدريسي،المصدرالسّابق،ص309.

[3])***الحديثة:***وهيّ بلدة صغيرة على الجانب الشّرقي من نهرالزّاب الأعلى،وتُسمّى حديثة الموصل وتتميّز بازدهار أريافها،وتبعد عن جبل "بارمّا" بثمانيّة عشر كيلومترًا تقريبًا،را:ياقوت،المصدرالسّابق،ج2ص306،والإدريسي،المصدرالسّابق،ص306.

[4])إبن حوقل،المصدرالسّابق،ص156.

[5])الإصطخري،المصدرالسّابق،ص36.

[6]) تقويم البلدان،ص69.

[7])***قلعة الصّور:***هيّ قلعة شديدة التّحصين؛تقع على قمّة جبل شديد الإرتفاع من أعمال ماردين،ولها ربض متّسع ذوسوق عامر،را:ياقوت،المصدرالسّابق،ص434.

[8])عزّالدّين بن شدّاد،ص357.

[9])صورة الأرض،ص202.

[10])نفسه،ص202.

[11])المسالك والممالك،ص35.

[12])إبن حوقل،المصدرالسّابق،ص202.

[13])نفسه،ص157.

نصيبيين منبع ميّاهها جبل "بالوسا"[1]،أمّا حرّان[2] فيُحيط بها جبل يمتدُّ على مسافة أكثر من مائة كيلومتر[3].
ورغم غلبة الطّابع الجبلي على منطقة أعالي الجزيرة فإنّه يلاحظ تواجد عدد من المُدن الّتي أنشئت على سُفُوح الجبال مثل: دارا[4]،كفر توثا[5]،رأس العين،ودنيسر[6].

2)شمال الشّام:

سيطر الأراتقة على حلب وأعمالها لفترة وجيزة(511-518هـ/1117-1124م)[7]،ويُعتبرنهر الفرات الحدّ الفاصل بين شمال الشّام وبلاد الجزيرة،وأهمّ ما تتّصف به هذه المنطقة؛غلبة الطّابع السّهلي على جزئها الشّرقي فتمتدُّ في شكل أرض مُنبسطة تتخلّلُها مجارٍ مائيّة غزيرة[8]،أمّا في الجزء الغربي فنلاحظ مجموعة من الجبال تقف كحاجز أمام ساحل البحر المتوسّط أوّلها جبل اللُّكام[9]،وهوّ الّذي يُسمّيه البيزنطيّون "آمانوس" حيث يبتدئ من آخر جبال طوروس[10] في آسيا الصّغرى وينتهي شمال مصب

---

[1])إبن خرداذبه،المصدرالسّابق،ص35.

[2])***حرّان*** ***:carrhae.haran*** وبالسريانيّة "كرها"؛تقع في بلاد الجزيرة،وهيّ مركز ديارمضر،قديمة النّشأة،يحيط بها سور له أربعة أبواب؛مبني من الصّخروشديد الصّلابة،كما تحميها قلعة حصينة حولها خندق عظيم،وهيّ حارة المناخ،ماؤها من الآبار،وبالرّغم من كونها تتواجد في منطقة صحراويّة إلّا أنّها كثيرة السُّكّان،وتتمتّع بنشاط إقتصادي كبير لوقوعها على الطّريق الدوّلي بين الموصل والشّام،وتشتهر بكونها مركز طائفة الصّابئين،وأكثرسكّانها حاليًّا من السّريان،ويُقال أنّها أوّل مدينة بُنيّت في الأرض بعد الطّوفان،وعلى بعد ثلاثة فراسخ(18كلم) منها إلى الجنوب مشهد النّبي إبراهيم"عليه السّلام"،را:الإصطخري،المصدرالسّابق،ص36،وبنيامين التطيلّي، رحلة إبن يونة الأندلسي إلى بلاد الشّرق الإسلامي،ص124، وإبن جبير،المصدرالسّابق،ص218-220،وياقوت الحموي، المصدرالسّابق، ج2ص235، والحِميَري، الرّوض المعطار،ص191،وكي لسترنج،المرجع السّابق،ص134.

[3])الإدريسي،المصدرالسّابق،ص309.

[4])***دارا:*** مدينة قديمة تقع في سفح جبل،وهيّ كبيرة يحيط بها سور من حجارة،وتُعدُّ من ديّار ربيعة،وتتوسّط الطريق بين نصيبيين وماردين،فبينها وبين الأولى أكثر من بقليل من سبعة وعشرين كيلومتر،وبينها وبين الثّانيّة حوالي تسعة عشر كيلومتر،را:الإصطخري،المصدرالسّابق،ص36،والإدريسي،المصدرالسّابق،ص308، وإبن جبير،المصدرالسّابق،ص213،وياقوت الحموي،المصدرالسّابق،ج2ص418.

[5])***كفرتوثا:*** مدينة كانت أكبر من دارا؛الّتي تبعد عنها ما مقداره ثمانيّة وثلاثون كيلومترًا تقريبًا،وكانت بينها وبين رأس العين والخابور،وصارت في القرن 7هـ/13م مجرّد قرية،را:الإصطخري،المصدرالسّابق،ص36،والإدريسي،المصدرالسّابق،ص308،وياقوت الحموي،المصدرالسّابق،ج4ص468.

[6])الإصطخري،المصدرالسّابق،ص36.

[7])عصام عبدالرّؤوف الفقّي،بلاد الجزيرة في أواخرالعصر العبّاسي،ص88.

[8])إبن جبير،المصدرالسّابق،ص ص221و226.

[9])***اللُّكام:*** وهوّ الجبل المشرف على أنطاكيّة،والمصيصة،وطرسوس،وهوّ إمتداد لجبال الحجاز،وتصل إلى فلسطين فتُسمّى:جبل الحمل،وفي الأردن:جبل الجليل،وبدمشق :جبل سنير،وبحلب وحماه وحمص:جبل لبنان،ويتّصل بأنطاكيّة والمُصيصة،وهناك يُسمّى:اللُّكام،ثُمّ يمتدُّ إلى ملطيّة وسميساط ومنه غلى بحر الخزر؛وهناك يُسمّى القَبق،را:ياقوت الحموي،المصدرالسّابق،ج5ص ص 11و22،ويرى كي لسترنج أنّ الجغرافيّين العرب كانوا يطلقون خطأ على جبال طوروس الدّاخليّة(anti-taurus) إسم جبل اللُّكام،را:بلدان الخلافة الشّرقيّة،ص38.

[10])***جبال طوروس:*** كانت الحدود بين المسلمين و البيزنطيّين في العصرين الأموي والعبّاسي تُحدّدها سلسلتي جبال طوروس الرئيسيّة و الدّاخليّة،ويُحدّدها خط طويل من القلاع تمتد من ملطيّة على الفرات الأعلى إلى طرسوس بالقرب من ساحل البحرالمتوسّط،را:كي لسترنج،المرجع السّابق،ص160،وسيأتي تفصيل ذلك لاحقًا.

نهر العاصي[1] قرب ميناء السويديّة[2]،ويتّصل هذا الجبل شرقًا ببلدة"أفامية"[3]فيقابله جبل "شَحْشَبو"الذي يمتد من الجنوب إلى الشّمال غربي المعرّة[4]،وسرمين[5]،وحلب،وبعدها يتّجه غربًا إلى جبال بلاد الرّوم[6]، في حين يمتدُّ جنوب مصب نهر االعاصي جبل جبل الأقرع (كاسيوس)،وتليه جبال النُّصيريّة،وبعدها سلسلة جبال لبنان الغربيّة[7].

يُقدّر طول جبل اللُّكام بألف ومائتي كيلومتر،وكان في القرن الرّابع الهجري(العاشر الميلادي) الحدّ الفاصل بين الثّغور الشّاميّة والثّغور الجُزريّة[8]،ويُصنّف من النّاحيّة التّضاريسيّة ضمن مجموعة المرتفعات الإلتوائيّة الّتي تتخلّلُها عادة سهول صغيرة المساحة[9]، وتتموقع بشكل مُوازٍ للبحر؛عازلة سهل شمال الشّام على ساحل المُتوسّط،وتُشكّلُ بذلك إقليم العواصم الجبلي وعاصمته أنطاكيّة[10]،وفيه مدن أخرى هامّة كمنبج[11] وبالس[12].

[1]) ***نهر العاصي*** :وسُمِيّ بالعاصي لأنّه لايسقي الأراضي إلاّ بنواعير تستجلب الماء منه، ويُسمّى بالنهر المقلوب لجريه من الجنوب إلى الشّمال، عكس بقيّة الأنهار، ويسمّى هذا النهر نهرحماة لارتباطه بهذه المدينة، و كذلك نهر الأرنط، وينبع من ضيعة الرأس شمال بعلبك،حيث يكون نهراًصغيراً،ثمّ يمتدشمالاً إلى الهرمل،مغارة الرّاهب،وجوسيّة،ويصبّ بعدها في بحيرة قدس قرب حمص، ثمّ يخرج منها فيَمر بالرّستن،حماة،ثم ّشيزر،ثمّ بحيرة أفامية فتختلط ميّاهه بمياه نهرها الصّغير،ثم دركوش ثم جسرالحديد، ثم يخترق غرباً جبل اللّكام باتجاه الجنوب الغربي نحو أنطاكيّة فيمُرّ بها ليتّجه نحو السُّوَيْدِيّة؛ أيْن يَصُبّ في البحر، را:أبو الفداء،المصدر السّابق ص49، والقلقشندي، المصدر السّابق، ج4 ص80-81.

[2]) ***السويدية:***هو مرسى مدينة أنطاكية وهو على ساحل البحر المتوسط، ويبعد عن مدينته بفرسخين (إثنا عشر كيلومتر)، وترسو فيه السفن ثم تحمل البضائع على الدواب إليها، را: يا قوت الحموي، المصدر السّابق،ج1 ص268.

[3]) ***أفاميه:apamea***ويقال لها كذلك فاميه؛مدينة حصينة قريبة من سواحل الشّام،تعدّ من أعمال حمص، را:ياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج1 ص227.

[4]) ***المعَرّة:maara***مدينة بين حلب وحماة، كثيرة الزيتون والتين و الفستق والكروم والجوز،بينها وبين حلب مائة وأربعون كيلومتر، يشرب أهلها من مياه الأمطار، وهيّ كثيرة المباني والأسواق، أهلها من قبيلة تنوخ، وهيّ تجاور جبل لبنان، را:القزويني، المصدر السّابق، ص272، الحميري، المصدر السّابق، ص555.

[5]) ***سَرْمين:***هي بلدة مشهورة من أعمال حلب،را:ياقوت الحموي،المصدر السّابق،ج3ص215.

[6]) القلقشندي،المصدر السّابق،ج4ص86.

[7]) يوسف الدّبس،تاريخ الشعوب الشرقية في الدين والسياسة والإجتماع،ج1ص25.

[8]) إبن حوقل،المصدر السّابق،ص156.

[9]) محمود أبوالعلا،جغرافيّة العالم الإسلامي وإقتصاديّاته،ص177.

[10]) ***أنطاكيّة:*** antiochوهيّ مدينةقريبة من ساحل البحرالمتوسّط،غنية بالمياه،تكتسي أهميّة بالغة للمسيحيين الشرقيين من الناحيّة التّاريخية، لذلك فهيّ كثيرة الكنائس،كانت في العصر الوسيط مبنيّة على شكل نصف دائرة ؛ قسم منها سهلي والقسم الآخر جبلي،وطول سورها الخارجي يقارب الإثنين وعشرين كيلومتر، وله خمسة أبواب، زيادةً على جبلها الّذي يستر عنها الشّمس وتوجد في أعلاه قلعة حصينة، وتبعد عن ساحل البحر باثنا عشر كيلومتر،وعن حلب السورية بمائة وعشرة كيلومتر،ونهرهاهوّ نهرالمقلوب(العاصي)،را:القزويني، آثار البلاد وأخبار العباد،ص 150، وياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج1ص267-268،والحميري،المصدر السّابق، ص38.

[11]) ***منبج:*** hierapolisتقع شمال شرق حلب بـــواحد وثمانين كيلومتر،كانت مركز إقليم العواصم، ترتفع عن سطح البحر بـــأربعمائة وخمسة وسبعين كيلومتر،كانت مركزًا تجاريًّا كبيرًا، وكانت مُحاطة بسور حجري مُحكم التّحصين، كثيرة المياه الجوفية؛ فازدهرت فيها الزراعة وبخاصة الكروم، وسُمِيّت أيضًا جسر منبج، را:الإصطخري، المصدر السّابق،ص36، وإبن حوقل، المصدر السّابق،ص166، وإبن خرداذبة، المصدر السّابق، ص31، و الإدريسي، المصدر السّابق، ص303،وكي لسترنج،المرجع السّابق،ص139.

[12]) إبن خرداذبة، المصدر السّابق، ص31-32.

وحسب رأي صاحب روض المعطار[1] فالقسم الرّابع من شمال الشّام يشمُل منطقتين هما:حِمص[2]،وقنّسرين[3]،والّتي مركزها حلب حلب وساحلها أنطاكية،وهيّ منطقة تضُمُّ كثيرًا من المدن والحصون مثل: أنطاكيّة، بالس، منبج، السويديّة ،سميساط[4]، بيّاس[5]،التّينات[6]،مرعش،الإسكندرونة[7]،حماه[8]،شيزر[9]،معرّة النّعمان،وطبعًا قنّسرين مركز الإقليم[10]،وبالتّالي فحلب تتوسّط شمال شمال الشّام بين قسم شرقي سهلي،وقسم غربي جبلي(العواصم).

ثانيًا:الطّرق والأبعاد الجغرافيّة.

1/أعالي الجزيرة الفراتيّة: تُقدّر المسافة بين ماردين وسوق دنيسر بأربعة وعشرون كيلومتر يتمُّ عبورها في منطقة صحراويّة[11]، وهنالك طريق آخر بين دارا ونصيبين طوله ثلاثون كيلو متر،ومن دارا كذلك يُمكن الإنتقال إلى كفرتوثا عبرطريق طوله إثنان

---

[1]) الحميري،ص385.

[2]) ***حمص:*** emessa,hims تقع شمال دمشق بنحو ثمانية وثلاثون كيلومتر، وجنوب حلب بنحو مائة وتسعون كيلومتر، وهي مزدهرة تجارياً، ومعتدلة المناخ ، يمر بها نهرالعاصي وكانت لها قلعة شديدة الحصانة على تلٍّ عالٍ را:الإدريسي، المرجع السّابق، ص174، وياقوت الحموي ، المصدر السّابق، ج2ص 302.

[3]) ***قنّسرين:*** كانت هذه المدينة مركزاً للإقليم الّذي بقي يُنسبُ إلَيها (جُند قنّسرين)، وقد تعرّضت هذه المدينة سنة 351هــ/962م للحصار بعد مهاجمة الرّوم لحلب وقتل جميع من كان يقطن في ربضها ، فغادر أهل قنّسرين بلدتهم وتفرّقوا في البلاد، و لم يبق منها سوى خان للقوافل، ثم خُرِّبت وعُمّرَت مرّات عديدة حتّى زالت نهائيًّا سنة 479هــ/1086م،وكانت من أصغر مدن جند قنّسرين ذات قلعة وسور حصينين،وبينها وبين حلب مسافة خمسٍ وعشرون كيلومتر،وبعض الجغرافيين كان يعدّها من إقليم العواصم، را: الإصطخري،المصدر السّابق،ص30،وياقوت الحموي،المصدر السّابق،ج4ص403-404،وإبن الشحنة ،الدّر المنتخب في مملكة حلب،ص163.

[4]) ***سميساط:***samosata،وتعرف بقلعة الطين،وهيّ مدينة هامّة على الضفّة اليمنى شمال غرب الفرات،وأكثرسكّانها أرمن،وهيّ فوق الرقّة بجوار بالس وجسر منبج،را: كي ليسترنج،المرجع السّابق،ص139-140.

[5]) ***بيّاس:***مدينة صغيرة تقع شرقي أنطاكية وغربي المصيصة،بينها وبين الإسكندرونة إثني عشر كيلومتر،وهي قريبة من البحر ومن جبل اللّكام،را:ياقوت الحموي،المصدر السّابق، ج1ص517.

[6]) ***التّينات:***حصن على شط بحر الروم من منطقة الثغور،يعرف بخشب الصنوبر الجيّد،را:إبن حوقل،المصدر السّابق،ص167.

[7]) ***الإسكندرونة:***مدينة في شرقي أنطاكيةعلى ساحل البحر المتوسط وتبعد عنها بــ ثمانيّة وأربعون كيلومترًا، فيها، ويحيط بها جبل اللّكام من جميع الجهات ما عدا جهة البحر،را:ياقوت الحموي، المصدرالسّابق، ج1ص185.

[8]) ***حماه:hamah***مدينة كبيرة عظيمة،ذات أهميّة تجاريّة وضواحي مزدهرةوآهلة ،ولها سور محكم ونهرها هوّالعاصي المذكور،را:ياقوت الحموي،المصدر السّابق، ج2ص300.

[9]) ***شيزر:***shayzarهي قلعةقديمة قرب المعرّة،تبعد عن حماه بــ ستّين كيلومتر ،يخترقها نهر الأردن؛وعليه قنطرة وسط المدينة،وهي على سفوح جبل لبنان، را:ياقوت الحموي،المصدر السّابق،ج3ص383.

[10]) المقدسي، المصدر السّابق،ص154.

[11]) إبن حوقل،المصدر السّابق،ص202.

وأربعون كيلومتر،ويوجد طريق من هذه الأخيرة إلى آمد مسافته ثمانيّة وسبعون كيلومتر،ومنها إلى آمد ثلاثون كيلومترًا[1].
والطّريق بين الموصل وآمد يبلغ مايزيد عن مائتي كيلومتر،وبين المدينة الأخيرة وسميساط أكثر من مائة وخمسون كيلومتر ومن نصيبين إلى رأس العين حوالي مئة وأربعة عشر كيلومترًا،ومن هذه الأخيرة إلى حرّان مايزيد عن مائة وخمسون كيلومتر،ومن حرّان إلى منبج مائة وواحد كيلومتر،ومن حرّان إلى الرّها[2] نصف هذه المسافة،وهيّ تتوسّط الطّريق بين حرّان وسميساط ومن ومن حرّان إلى الرقّة أكثر من مائة وواحد وخمسون كيلومترًا[3]،ومدينة ميّافارقين تمتاز بكونها معبرًا نحو أرمينيّة شمالًا بالإتّجاه إلى خلاط[4] بعبور مسافة مائة وثمانيّة وستّون كيلومترًا[5].
ضف إلى ذلك تواجد طريق يتّجه منها نحو ملطيّة[6] غربًا في هضبة الأناضول،وطوله مائتان وسبعون كيلومتر[7]،وتتوسّط ميّافارقين وخلاط مدينتان هامّتان:بدليس[8]،وأرزن[9]،وكلتاهما من أعمال الأولى[10]،ويتّصلُ حصن زيّاد(خرتبرت) بآمد عبر طريق طوله مائتان وسبعة وعشرون كيلومترًا،وبين آمد والرّها مسافة طويلة تزيد عن مئتين وسبعة وثلاثين كيلومتر،أمّامن

---

[1]) إبن خرداذبة ،المصدر السّابق،ص39.

[2]) ***الرها***:Edessa,urfasanli,callirhoe مدينة من منطقة الجزيرة ترتبط إرتباطاً وثيقاً بحرّان، بُنيت في عهد البيزنطيين، وهيّ محمية بسور من حجارة، وهي في بنائها تجمع بين السهل والجبل، وتتمتع بثروة مائية وزراعية كبيرة، وتقع شمال غرب حرّان،وهي من مراكز المسيحيةالهامّة،وكان بها أكثر من ثلاثمئة كنيسة ودير،وأكبر كنائسها تتمتع بشهرةكبيرة لاحتفاظها بمنديل النبي عيسى" عليه السّلام"،وأصل تسميّتها من "أوروهي" السريانيّة، وحرّفها العرب إلى الرّها ،وسمّاها الإغريق "إديسا"، وازدهرت هذه المدينة لسيطرتها على طريق الحرير المار بها، فكانت أكبر مدينة في بلاد الجزيرة في القرن الأوّل قبل الميلاد، ثُمّ أخذها الأتراك العثمانيّون وسمّوها"أورفا" حتّى اليوم، را:الحميري،المصدر السّابق، ص273،وكي لسترنج،المرجع السّابق،ص134-135.

[3]) الإصطخري، المصدر السّابق، ص36.

[4]) ***خلاط***:هي مدينة كبيرة كانت عاصمة بلاد الأرمن قبل هجرتهم إلى منطقة الثغور، وسكانها مسلمين ونصارى، ويتكلّمون الفارسية والتركيّة والأرمينية، وهيّ ذات سورحصين وثروة مائية، زراعية وغابيّة هامّة، وهيّ شديدة البرودة شتاءً، ولها بحيرة مشهورة، را:ياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج2 ص380، و القزويني، المصدر السّابق، ص524، والحميري، المصدر السّابق، ص220، وإبن الوردي، خريدة العجائب، ص25.

[5]) كمال بن مارس، المرجع السّابق، ص79.

[6]) ***ملطيّة:*** melitene,malatya مدينة قديمة في شرقي الأناضول على الحدود الشّماليّة لبلاد الشّام، وصارت هذه المدينة للمسلمين، وهي معروفة بتحصيناتها بينها وبين سميساط واحد وخمسون ميل(إثنان وتسعون كيلومترًا)،را:الإدريسي ،المصدر السّابق،ص303،وياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج5 ص192،

[7]) إبن حوقل، المصدر السّابق،ص178.

[8]) ***بدليس***:bitlis مدينة في أرمينيّة بينها وبين خلاط مائة وخمسة وثلاثون كيلومترًا،وهي مبنية في واد بين جبال ،وهذا ما كان سببا في إشتهارها بإنتاج العسل والفواكه وهي تتقارب مع ميّافارقين في العمران وعدد السّكّان، ويقال لها أيضاً بطليس –بالطّاء-، را:ناصر خسرو، سفرنامه، ص50، والإدريسي، المصدر السّابق، ص378-379، وياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج2ص358-359.

[9]) ***أرزن:*** مدينة تبعد عن ميّافارقين بحوالي ثمانيّة وثلاثون كيلومتر وعن آمد بـــأربعة وسبعين كيلومترتقريبا،وهيّ على الضّفّة الغربيّة لنهرسربط،ولها حصن عظيم،وتكتب كذلك "أرزنه"،وهيّ غير أرضروم(أرزن الرّوم)، را: المقدسي،المصدر السّابق، ص149، والقزويني، المصدر السّابق، ص494،وكي لسترنج،المرجع السّابق،ص144.

[10]) ناصر خسرو، المصدر السّابق، ص50-51.

آمد إلى ميّافارقين فلا تتجاوز أربعة وخمسون،ومن هذه الأخيرة يخرج طريقان نحو حرّان الأوّل بمسافة قدرها مئتان وأربعون كيلومتر ويُمرُّ بمنطقة خاليّة،والثّاني طوله ثلاثمائة وستّون كيلومترًا إلّا أنّه يُمرُّ بقرى ومناطق عمرانيّة[1].

أمّا دارا فتبعد عن نصيبيين بثلاثين كيلومترًا في أرض منبسطة مكشوفة،وبينها وبين الموصل حوالي مائتان وخمسة وستّون كيلومترًا،كما يُمكنُ التّنقُّل من دارا إلى ماردين بقطع مسافة قصيرة لاتتجاوز تسعة عشر كيلومترًا[2].

وتبعد سميساط عن حصن منصور[3] بثمانيّة وثلاثون كيلومترًا تقريبًا،والّتي تفصلهاعن مدينة ملطيّة مسافة أربع وخمسين كيلومترًا، وهناك طريق تعبره القوافل يمر من الموصل إلى نصيبيين ويُمرقرب دارا وماردين ثُمّ دنيسر وبعدها حرّان فمنبج[4].

وهناك عدّة طرق تصل إلى مدينة منبج،فهناك طريق مسافته مئتين وإثنين وخمسون كيلومتر يربطها بملطيّة،وترتبط أيضًا بسميساط عبر طريق مسافته مائة وواحد كيلومتر،وبمرعش عبر طريق مسافته مئة وإثنان وخمسون كيلومتر،ويوجد طريق يربط بين نصيبيين وأرزن الرّوم تُقدّر مسافته بمئتين وإثنان وعشرون كيلومترعبردارا وكفرتوثا،ثُمّ آمد وميّافارقين،وطريق آخر بين المدينة الأولى ورأس العين عبر كفر توثا مسافته مئة وأربعة عشر كيلومترًا،والطّريق بين ميّافارقين وحلب يمتدُّ لستّمائة كيلومتر،ومن آمد إلى الرّها مئتين وأربعة كيلومترات،ومن هذه الأخيرة إلى حرّان أربعة وعشرون كيلومترًا فقط،ومنها إلى الرقّة أربعة وثمانون كيلومترًا[5].

2/شمال الشّام: وفيما يتعلّق بشمال الشّام فإنّ بلدة بالس[6] تبعد عن حلب بمئة كيلومتروكيلومتر،ونصفها يقطعها المسافر من حلب إلى قنّسرين،ومن حلب إلى حمص مائتان وإثنان وخمسون كيلومتر،وإلى دمشق ضعفها،وإلى ملطيّة أكثر من ثلاثمائة كيلومتر،والطّريق من ميّافارقين إلى حلب هوّ الطّريق الرّئيسي للتّجارة في المنطقة،إذ أنّ القوافل القادمة من دياربكروبلادالرّوم وبلاد الشّام ومصر والعراق تمُرُّ بحلب وتدفع بها رسوم العبور،والطّريق من منبج عبر الفرات إلى حلب طوله ستّون كيلومترًا ، ومن ميّافارقين إلى حلب عبر منبج ما يُقارب السّتُّمئة كيلومتر[7].

---

[1]) ناصر خسرو، المصدر السّابق، ص ص52و54، و المقدسي،المصدر السّابق، ص148-150.

[2]) إبن جبير، المصدر السّابق، ص213، و المقدسي،المصدر السّابق، ص148-149، و الحميري،المصدر السّابق، ص230.

[3]) ***حصن منصور:*** هو مدينة عليها سور وخندق وثلاثة أبواب، وفي وسطها قلعة يحيط بها سوران،وهو من أعمال ديار مضر ويقع غربي الفرات قرب بلدة سميساط، واسمه اليوم"أديمان"،را:ياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج2 ص265،وكي لسترنج،المرجع السّابق،ص155.

[4]) إبن جبير، المصدر السّابق، ص ص203و212-214و220-222، و الإدريسي، المصدر السّابق، ص303.

[5]) ناصر خسرو، المصدر السّابق، ص55، و إبن خردادبة، المصدر السّابق، ص39-40، والإدريسي، المصدر السّابق، ص302-303.

[6]) ***بالس:*** ***barbalissus*** وكانت مدينةصغيرة على شط الفرات و أوّل مدن بلاد الشام للقادم من العراق، وكان الطريق إليها آهل بالسُكّان، كما كان يحيط بها سور متين وبساتينها كانت تفصلُها عن مجرى الفرات، وهيّ تبعد بـــ80كلم عن حلب،را:إبن حوقل ، المصدر السّابق، ص165، والإصطخري،المصدر السّابق، ص30،وكي لسترنج،المرجع السّابق،ص139.

[7]) الزهري، كتاب الجغرافيّة، 136، و ناصر خسرو، المصدر السّابق، ص55، و الإصطخري، المصدر السّابق، ص32، و المقدسي، المصدر السّابق، ص190.

وحدود هذا الإقليم تنتهي جنوبًا غلى قرب حمص وكانت حماة جزءًا منه،ومن جهة الشّرق يحُدُّه نهر الفرات،ومن جهة الشّمال الممرّات المؤديّة إلى بلاد الرّوم،وكما ذكرنا سابقًا فإنّ إقليم العواصم يُشكّل الحدود الغربيّة لمنطقة حلب؛وعاصمته أنطاكيّة الّتي تبعد عن حمص ما يفوق المئة وخمسون كيلومتر،وعن حلب بأكثر من خمسين،والطّريق منها إلى حلب ثُمّ الرقّة يكون عبر بلدة قنّسرين،وهذا الطّريق هوّ جزء من من الطّريق المؤدّي إلى العراق وبلاد فارس وخراسان [1]،كمايعبرهاطريق يربط بين حلب وأذنة[2] من بلاد الرّوم عبر الإسكندرونة ثُمّ المُصيصة[3]،ومسافة هذا الطّريق تفوق المئتي كيلومتر[4]،ومن حلب حلب يُمكنُ أخذ الطّريق جنوبًا بالمرور عبر قنّسرين،ثُمّ سرمين،وبعدها معرّة النّعمان،أوعبرحماه نحو حمص ثُمّ دمشق [5].

3)أهميّة موقع الجزيرة الفراتيّة وشمال الشّام:

لا تقتصر الطرق البريّة في المنطقتين على المدن والحصون والقرى المتواجدة فيهما فحسب؛بل ترتبط هذه الطّرقات بشبكة نقل تشكل حلقة وصل بين أجزاء العالم القديم؛بالإنتقال من قارة آسيا إلى أوروبا عبر الأناضول مرورًا بأعالي الجزيرة،أو الإنتقال من المنطقتين الأخيرتين إلى شمال شرق القارّة الإفريقيّة بعبور شمال الشّام نحو فلسطين ثُمّ مصر،ومن جهة أخرى الربط بين البحر المتوسّط والعمق الآسيوي.

---

[1]) إبن حوقل ،المصدر السّابق،ص171، والإدريسي،المصدر السّابق، ص302، و إبن الشحنة ، الدّر المنتخب في مملكة حلب، ص158.

[2])) ***أذنة***:adanaهي مدينة من مدن الثغور، يقع على نهر سيحان، يحيط بها سورله خندق وثمانيّة أبواب، وهيّ مرتبطة كثيرا ببلدة المصيصة، وتُسمّى أيضًا "أضنه" ،را:ياقوت، المصدرالسّابق، ج1ص133،

[3]) إبن خرداذبة، المصدر السّابق، ص41. ***والمُصيصة***: mamistra.mopsuestia..مدينة من ثغور الشّام بين أنطاكيّة وبلاد الرّوم، بُنيت على ضفاف نهر جيحان ، كانت مشهورة بكونها رباطا يقيم فيه الصالحون للعبادة والجهاد، وبها بساتين كثيرة وعليها سور له خمسة أبواب، را: ياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج5 ص144-145

[4]) الإدريسي، المصدر السّابق، ص301.

[5]) ناصر خسرو، المصدر السّابق، ص55.

وعليه فإنّه يُمكنُ للقوافل أن تصل إلى حدود مصر إنطلاقًا من حلب إلى الأثارب [1]،ثُمّ عَمْق [2]،ثُمّ أنطاكيّة،ثُمّ إلى اللّاذقيّة [3]، ثُمّ إلى جبلة [4]،ثُمّ إلى طرابلس الشّام [5]،ثُمّ إلى بيروت،وبعدها صيدا [6]،ثُمّ صور [7]،وقَدَس [8]،ثمّ إلى قيساريّة [9]،ثمّ إلى أرسوف الشّام [10]،ثُمّ إلى يافا [11]، وبعدها عسقلان [12]،ثُمّ غزّة [13] قبل دخول أرض مصر [14].

[1]) ***الأثارب:*** وهي قلعة معروفة بين حلب وأنطاكيّة،بينها وبين حلب ثمانيّة عشر كيلومتر،وتتبعها قرية تحمل إسمها، را:ياقوت الحموي، المصدر السّابق ، ج1 ص89.

[2]) ***عمق:*** كورة بنواحي حلب، ثم صارت تتبع أنطاكيّة، را:ياقوت الحموي، المصدر السّابق،ج4 ص156.

[3]) ***اللاذقيّة laodicea:*** مدينة شاميّة من مدن ساحل البحر الأبيض المتوسّط،كانت من أعمال حمص ثمّ صارت من أعمال حلب،وهي قديمة البنيان ،في أرض منبسطة، ولها مرفأ جيّد محكم التحصين، تشرف على حراسته قلعتان، را:ياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج5 ص5-6.

[4]) ***جبلة:*** قلعة مشهورة من سواحل الشّام ، من أعمال حلب قرب اللّاذقيّة، را:ياقوت الحموي، المصدرالسّابق، ج2 ص105.

[5]) ***طرابلس الشّام tripoli:*** تتوسط الطريق بين اللاذقيّة وعكّا، وتقع في سهل يُطل على البحر المُتوسّط،ويقال لها أيضًا أطرابلس،وهيّ مدينة بناها اليونانيّون، ويزرع بها قصب السكّر،وبينها وبين دمشق تسعون ميلًا(162كلم)،وبينها وبين بعلبك أربعة وخمسون ميلًا(97كلم)،وتبعد عن أنطرسوس بثلاثون ميلا(54كلم)، را:ياقوت الحموي،المصدر السّابق، ج1ص216،وأبوالفداء،تقويم البلدان،ص253.

[6]) ***صيدا:*** كانت سابقًا بلدة صغيرة على ساحل البحر الأبيض المُتوسّط ،وتبعد عن دمشق بــ120 كلم، را:أبوالفداء، تقويم البُلدان، ص249.

[7]) ***صور tyre:*** كانت من ثغور المسلمين على ساحل البحر المتوسّط، وهي ميناء طبيعي لأنّها شبه جزيرة يحيط بها البحر من ثلاث جهات، وعُرفت بكونها حصينة جدًّا، را:ياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج3 ص433.

[8]) ***قَدَس:*** بحيرة طولها حوالي إثنان وعشرون كيلومتر وعرضها يفوق سبعة كيلومتر، وتفصل هذه البحيرة بين حمص وجبل لبنان، وتكوّنت من تجمُّع ميّاه هذه الجبال، ومن هذه البُحيرة ينبع نهر العاصي، وهيّ كذلك بلدة على ضفّة البحيرة، را: ياقوت، المصدر السّابق، ج1ص352 و ج4 ص311.

[9]) ***قيساريّة:*** caesareaمدينة على ساحل البحر المتوسّط، من أعمال فلسطين، وبها مرسىً صغير، تبعد عن عكّا بـــخمسة وستّين كيلومتر تقريباً، وعن الرّملة بأكثر من سبعة وخمسين كيلومتر، را:أبو الفداء،المصدر السّابق، ص239.

[10]) ***ارسوف الشّام:*** artipatrisمدينة على سواحل الشّام بين قيساريّة ويافا، استولى عليها الصّليبيّون في 494هـــ/1100م، را:ياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج1 ص151

[11]) ***يافا: jaffa*** مدينة في فلسطين على ساحل البحر الأبيض المتوسّط، تتوسّط قيساريّة وعكّا، تتميّز بقلّة مواردها، را: ياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج 5 ص426.

[12]) ***عسقلان:*** مدينة ساحليّة من أعمال فلسطين، إستولى عليها الصّليبيّون في 548هـــ/1153م، را:ياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج4 ص122.

[13]) ***غزّة:*** مدينة في أقصى بلاد الشّام على الحدود المصريّة،بينها وبين عسقلان حوالي فرسخين أي أقل من إثنا عشر كيلومتر في اتّجاه الغرب،را:ياقوت الحموي ،المصدرالسّابق، ج4ص202.

[14]) إبن خرداذبة،المصدر السّابق،ص41.

فميّافارقين تتّصل بالجهات الشّماليّة بواسطة طريق يتّجه نحو مدينة تفليس[1]؛مرورًا بمدينة قالي قلا[2]،وطول هذا الطّريق حوالي حوالي مئتين وخمسة وستّون كيلومتر،ومن قالي قلا يُمكن الدّخول إلى شمال بلاد الرّوم باجتياز طريق نحو اطرابزندة[3] طوله يزيد على أربعمئة وأربعة وستّون كيلومتر[4].

وأهمُّ طريق ببلاد الجزيرة الفراتيّة هو الّذي يمُرُّ بها إنطلاقًا من مدينة بلخ[5]،مرورًا بخلاط،ثُمّ بدليس،وبعدها أرزن وصولًا إلى ميّافارقين[6]،وهيّ مسافة كبيرة جدًّا بالنّسبة لمن يريد الوصول سريعًا إلى بلاد فارس وما يُجاورها،وهوّ ما يُفسّر إلى حدٍّ ما ضآلة الإحتكاك العسكري بين القوى السيّاسيّة فيها ونظيراتها في بلاد الجزيرة مقارنة بالشّام أو العراق أوبلاد الرّوم.

وتتّصل مدينة آمد بأردبيل[7] قاعدة بلاد أذربيجان[8] عبر طريق طوله ألف وثلاثمئة وواحد وعشرون كيلومترًا تقريبًا[9]،وهيّ مسافة جدُّ طويلة،وهيّ مُعطيات سوف تُفسّرُ لنا كذلك العلاقة بين الكيانات السيّاسيّة فيها وبين نظيراتها في بلاد الجزيرة،والّتي تتأثّر بسهولة أو مشقّة إختراق الطرق والمسالك البريّة.

---

[1]) ***تفليس:***TBELISSIكان يحيط بها سوران وثلاثة أبواب،وبها حمّامات شديدة الحرارة ، كانت مدينة إسلاميّة حتى أخذها الجورجيّون (الكرج) -وكانوا يسكنون الجبال المحيطة بها-سنة515هـ/1121م ثُمّ إستعادها المسلمون سنة 623هـ/1226م ،وهيّ جُغرافيًّا في أرمينيّة الكبرى،وهيّ قصبة كرجستان(عاصمة جورجيا) ، وهيّ خصبة جدًّا كثيرة الفواكه،وترتبط جنوبًا بمدينة خلاط،را:ياقوت الحموي،المصدر السّابق، ج2 ص35-36،وأبوالفداء،المصدرالسّابق،ص403.

[2]) ***قالي قلا:*** مدينةكبيرة، حسنة، عامرة، بأرمينية قرب خلاط ، وهي على تخوم بلاد الروم، تنازع السّيادة عليها المسلمون والبيزنطيّون مرّات كثيرة، وهيّ من المدن الدينية الهامّة بالنّسبة للمسيحيين، را:الإدريسي، المصدر السّابق، ص378،وياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج4ص 299-300.

[3]) ***أطرابزندة:***trabzonمدينة كبيرة على ساحل البحر الأسود، وهي مركز لتجمع المسافرين إلى بلاد الرّوم، را:الإدريسي، المصدر السّابق، ص378

[4]) الإدريسي، المصدر السّابق، ص378.

[5]) ***بلخ:balakh***مدينة من أشهر وأغنى مدن خراسان، تبعد عن مجرى نهر جيحون بستّين كيلومترًا، را:ياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج1 ص480.

[6]) ناصر خسرو، المصدر السّابق، ص49-50.

[7]) ***أردبيل:***erdebilمدينةكبيرة من الثغور الجزرية تبعد عن مراغة بمئة وستّين كيلومترًا،كانت دار الإمارة ومقر الجيوش، أبنيتها بالطّين والآجر، ولها بساتين كثيرة وأسعارها رخيصة، أباد المغول سُكّانها عن آخرهم سنة 618هـ/1221م، ولكنّها عُمّرت في فترة لاحقة، وهي إحدى المُدُن الثلاث الكُبرى في أذربيجان في العصر الوسيط ، إضافة إلى مراغة،وتبريز، را:الحِمْيَري،المصدر السّابق، ص26.

[8]) ***أذربيجان:*** وتمتد من مدينة برذعة شرقاً إلى مدينة أرزنجان غربًا، وحدُّها من الشّرق بلاد الجبل وبلاد الدّيلم،،ومن الجنوب العراق عند "ظهر حلوان"،ومن الغرب أرمينيّة،ومن أشهر مدنها تبريز ومراغة، ومن مدنها كذلك: خوي، سلماس، أردبيل ومرند، وكان في هذا الإقليم الجبلي كثير من القلاع، ومن خصائصه الثروة الغابيّة، ، را:ياقوت، المصدر السّابق، ج1ص128،وأبوالفداء،المصدرالسّابق،ص386.

[9]) الإدريسي، المصدر السّابق، ص379.

وأمّا من النّاحيّة الجنوبيّة فترتبط منطقة شمال الشّام بجنوبها عن طريق عدد من الطرق الهامّة مثل طريق منبج-رفح[1]،والّذي يمُربحلب وحمص ودمشق وطبريّة[2] والرّملة[3]،وطوله ألف وستّين كيلومتر،ويُمكنُ الولوج إلى دمشق عبر الطّريق الرّابط بينها وبين الرقّةبمسافة قدرها أربعمئة وخمسين كيلومتر تقريبًا،وإلى بغداد عبر الموصل إنطلاقًا من نصيبيين فالمسافة بينهما لا تتجاوز مئةوأربعة وثمانين كيلومترًا،ومن الموصل إلى بغداد مئتين وأربعين كيلومتر[4].

وتتّصل بلاد الرّوم مع أعالي الجزيرة عبر شبكة من الطّرقات،فعلاوة على محورميّافارقين-تفليس-قالي قلا-أطربزندة المذكور آنفًا،هناك طريق آخرينطلق من الرقّة إلى سروج[5]،ثُمّ سميساط،ثُمّ حصن منصور ،وبعده ملطيّة،ثُمّ كماخ[6]،ومسافته أربعمائة كيلومتر وكيلومترين[7].

وعليه فإنّ المواصلات بين منطقة الجزيرة من جهة وبلاد الشّام والعراق من جهة أخرى أيسر من الإتّصال بالمناطق المُجاورة الأخرى؛وبشكل أخص عمق آسيا الصّغرى غربًا،أو الحدود الشّماليّة أين تتواجد حبال القوقاز،ولايخفى عامل سهولة أوصعوبة الإتّصال بين الأقاليم في حسم الصّراع العسكري،وفي العلاقات السّياسيّة والتّجاريّة.

ثالثًا:الثّروة المائيّة.

1)أعالي الجزيرة الفراتيّة:وهذه المنطقة تتمتّع بثروة مائيّة ضخمة مصدرها الأنهار،والّتي من أكثرها أهميّة نهرا دجلة والفرات، فالجزيرة سُميّت بهذا الإسم لوقوعها بين مجريَي هذين النّهرين فنتج عنه إحاطتها بالميّاه من كُلّ جانب[8].

أ)نهر دجلة:حدث خلاف كبير بين الرحّالة والجغرافيّين المسلمين حول منبع مياه هذا النّهر؛فرأى الزُّهري[9] أنّه ينبع من جبل

---

[1]) ***رفح***: بلدة تقع غرب عسقلان بـــمئة وواحد كيلومتر في الطّريق إلى مصر،وهيّ عامرة بها سوق ومسجد جامع وفنادق،وحصن للجُند، وأهلها عرب من لخم وجذام، را:ياقوت الحموي، المصدر السّابق،ج3 ص54.

[2]) ***طبريّة:*** tiberias مدينة كبيرة من أعظم مدن الشّام ،كانت عاصمة ولاية الأردن ، تطلّ على بحيرة باسمها، على السّاحل الغربي للبُحيرة، والنُّسبة إليها طبراني، را:القرماني، المصدر السّابق، ص462.

[3]) ***الرّملة:***مدينة هامّة في فلسطين، كان بهاحصن ورباط، معتدلة المناخ، تشتهر بزراعة الفواكه، را:ياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج3 ص69-70.

[4])إبن خرداذبه،المصدرالسّابق،ص38-41.

[5]) ***سروج***: serujهي بلدة قريبة من حرّان من ديّار مُضر، را:ياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج3 ص216.

[6])) ***كمخ***:kamcha ويُقال لها كماخ كذلك، وهيّ مدينة من مدن بلاد الرّوم، تبعد عن أرزنجان بأكثر من خمسين كيلومتر، را:ياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج4 ص479.

[7]) إبن حوقل، المصدر السّابق، ص178، و إبن خرداذبة، المصدر السّابق، ص40.

[8]) الإدريسي، المصدر السّابق،ص304، والإصطخري، المصدر السّابق، ص35.

[9]) الجغرافيّة، ص138.

في آخر خراسان[1]،أمّا القزويني[2] فله وجهة نظر مختلفة حول هذه المسألة ويُخبرنا عن تواجد ساقيّة قُرب آمد في جبل حصن "ذي القرنين"[3] تتجمّع فيها الميّاه المنحدرة من جبال ديّار بكر،ثُمّ تتّخذ مجرى عابرًا لميّافارقين،وبعدها حصن كيفا،ثُمّ يلتف حول جزيرة إبن عُمر[4]إلى أن يتّصل بمدينة الموصل.

ويرى ياقوت الحموي[5] أنّ دجلة ينبع من مكان يُسمّى:"عين دجلة"؛يبعد عن آمد بأكثر من مائة وستٍّ وعشرون كيلومترًا، وهيّ عين تقع داخل كهف مُظلم إسمه:"هلورس"،ولايستبعد ياقوت مصداقيّة رواية القزويني،والّتي يؤيّده فيها أبوالفداء[6]، الّذي يُحدّد مكان الكهف بشمالي ميّافارقين.

بوصف أقلّ دقّة من سابقيه،ذكر الإصطخري[7] تواجد منبع دجلة"فوق آمد" على الحدود مع أرمينيّة،وإذا اعتمدنا هذا الطّرح كنتيجة نهائيّة ،فإنّ هذا النّهر ينبع من مرتفعات جنوب شرق الأناضول في تركيا الحاليّة،ويلجُ العراق من بلدة "فيشخابور"[8] أين تُغذّيه الكثير من الرّوافد[9].

ونلاحظ أنّ دجلة يُحيط بمدينة آمد من جميع الجهات كالهلال إلّا من جهة واحدة[10]،ويَحدّ جزيرة إبن عمر من كلّ الجهات كماذكرنا[11]،كما أنّه يجري من الشّمال الغربي إلى الجنوب الشّرقي[12]،أين يتزوّد بميّاه روافده الفرعيّة"...حتّى يصير بقرب البحر كمدّ البصر"[13]،لأنّه يلتقي بنهر الفرات مُشكّلًا شطّ العرب الّذي يصُبّ في الخليج العربي[14].

---

[1]) ***خراسان***: إقليم واسع يمتدّ من العراق إلى الهند وتركستان، من أهمّ مدنه :نيسابور، ونسا، وطوس، وسرخس، وهراة، ومرو، والطّالقان، بلخ، وشهرستان، را: أبو الفدا، تقويم البلدان، ص440-462.

[2]) آثار البلاد وأخبار العباد، ص420.

[3]) ***حصن ذي القرنين:*** هو حصن منيع بينه وبين ميّافارقين بستٍّ وثلاثون ميلًا(خمسة وستّون كومترًا)، را:الإدريسي، المصدر السّابق، ص373.

[4]) ***جزيرة إبن عمر:***وتنسب إلى بانيها الحسن بن عمر التغلبي، ويحيط بها دجلة كالهلال إلّا من جهة واحدة، ومن أعمالها أكثر من مائة قرية، وهيّ غرب جبل الجودي، را:كي لسترنج، المرجع السّابق، ص123.

[5]) معجم البلدان ، ج2 ص440.

[6]) تقويم البلدان، ص53.

[7]) المسالك والممالك ، ص35.

[8])) ***فيشخابور***: ويقال لها فيشابور كذلك ، وهيّ بلدة صغيرة بين الموصل وجزيرة إبن عمر، را:ياقوت الحموي، ج4ص284.

[9]) محمد خميس الزّوكة، المرجع السّابق، ص75.

[10]) القزويني ، المصدر السّابق، ص420.

[11]) ياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج2ص440.

[12]) أبو الفدا، المصدر السّابق، ص53.

[13]) ياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج2ص440.

[14]) محمد خميس الزّوكة، المرجع السّابق، ص75.

وتعتمد مدن هامّة؛مثل:بلد[1]،الحديثة[2]،تكريت،والموصل على مياه دجلة في الزّراعة والشّرب والمواصلات[3]،علمًا أنّ طوله يبلغ يبلغ ألف وسبعمائة وثمانيّة عشر كيلومترًا[4].

ب)نهر الفرات: يرى ياقوت الحموي[5] أنّ أصل تسميّة هذا النّهر هوّ من كلمة"فالاذروذ"الفارسيّة المركّبة من مقطعين: فالاذ وتعني الجنيبة؛لأنّه بجنب دجلة،وروذ ومعناها بالعربيّة الماء العذب.

وكنهر دجلة إختلفت المصادر الجغرافيّة حول حقيقة منبعه،فصاحب كتاب تقويم البلدان[6] يرى أنّ بداية هذا النّهر هيّ المنطقة الواقعة شمال شرق أرزن الرّوم،والإدريسي يذكر بأنّه ينبع من جبال داخل بلاد الرّوم ثمّ يمُرّعبر ملطيّة ثُمّ سميساط، وابتداءً من هذا المقطع يُصبحُ صالحًا لملاحة السّفن[7].

ويجتهد ياقوت[8] في إيجاد مصدر آخر لمياه الفرات–وذلك على وجه التّخمين لا على وجه اليقين– فيخبرنا أنّ منبع هذا النّهرمنطقة أرمينيّة،ومنها يمُرُّ بقالي قلا،ثُمّ يتخلّل مجراه الجبال قبل أن يدخل بلاد الرّوم،وبهذا فإنّ الفرات ينبع من مرتفعات الأناضول في تركيا،ويجري في أراضيها مسافة خمسمائة وأربع وأربعون،ثُمّ يعبر سوريا فالعراق ثُمّ يلتقي بنهر دجلة أين يكون طول مجراه قد بلغ ألفان وثمانمئة وعشرون كيلومتر[9]،ويمرّ مجراه من منبعه قرب أرضروم وإلى مصبّه في الخليج العربي بكثير من مدن منطقة الجزيرة كملطيّة،وسميساط،وقلعة الرّوم[10]،وتتبعها في التّرتيب البيرة[11]،فيسيرمنها جنوبًا ويتّجه شرقًافيُحادي بالس،

---

[1]) ***بَلَد:***مدينة صغيرةعلى غربي دجلة، وبها بساتين ومزارع كثيرة، وتبعد عن الموصل بسبعة فراسخ (إثنان وأربعون كيلومتر)، را:الإصطخري، المصدر السّابق، ص36، وإبن خرداذبة، المصدر السّابق، ص39.

[2]) ***الحديثة***: بلدة صغيرة كانت على شرقي نهر دجلة وارتبطت بالموصل فسُميّت بحديثة الموصل، وهيّ عامرة ومزدهرة تجاريّاً وزراعيّاً، وبها مصبُّ نهر الزّاب الكبير، وعلى بعد عشرة أميال(ثمانية عشر كيلو مترًا) من جبل"بارَمّا"، را:الإدريسي، المصدر السّابق، ص306، وياقوت الحموي،ا لمصدر السّابق، ج2ص230.

[3]) الإصطخري، المصدر السّابق، ص36، وياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج2 ص440، وأبوالفدا،المصدر السّابق، ص53.

[4]) محمد خميس الزّوكة، المرجع السّابق، ص75.

[5]) معجم البلدان، ج4 ص 241.

[6]) أبو الفدا، ص51.

[7]) الإدريسي، المصدر السّابق، ص303.

[8]) المصدر السّابق، ج4 ص241.

[9]) محمد خميس الزّوكة، المرجع السّابق، ص75.

[10]) ***قلعة الرّوم***: صارت بعدها تُسمّى ب"عمل قلعة المسلمين"، وهي قلعة من عمل جند قنّسرين في البر الغربي الجنوبي للفرات، وتقع شمال غرب حلب على بعد حوالي 190كلم منها، وهي غرب البيرة بنحو 38 كلم، وهي من القلاع الممتنعة لشدّة حصانتها، ولها ربض وبساتين ، كما يمر بها نهر المرزبان الذي يصب في الفرات، را:القلقشندي، المصدر السّابق، ج4 ص119.

[11]) ***البيرة***:قلعة حصينة على من جند قنّسرين، تقع شمال شرق مجرى الفرات، وقلعتها على صخرة، ولها سوق، ومزارع في واديها المسمّى وادي الزيتون، وهيّ بين قلعة الرّوم، وقلعة نجم، وفي جنوبها الغربي سروج، را: أبوالفداء،المصدرالسّابق، ص268-269.

قلعة جعبر،الرقّة،ويسير بعدها شرقًا مارًّا بشمالي الرّحبة[1]،وقبل أن يدخل أرض العراق يمرُّ بعانة[2] وهيت[3]،أين يتفرّع إلى عدّة عدّة فروع[4]،ومتوسّط تصريفه المائي مع نهر دجلة يساوي واحد متر مكعّب في الثّانيّة[5].

ويرتبط بعدد من الأنهار الصّغيرة خلال مساره الطّويل منها[6]:

1) *نهر البليخ:* في نواحي الرقّة،وينبع من عيون"الهذبانيّة" في أرض حرّان،ثُمّ يجري تسعة كيلومترات تقريبًا ليَصل إلى حصن مسلمة[7]، وهناك يخرج مجرى للماء من تحت الحصن فيُسمّى"بليخ"،وتتشعّب منه مجارٍ تسقي البساتين والقرى المحاذية له،وبعدها تعود للفرات في جنوب الرقّة بحوالي كيلومترين،ومساره بين الرقّة وحصن مسلمة ستّون كيلومترًا[8]،وتبلغ مساحة حوضه أربعة عشرألف وأربعمائة كيلومتر مربّع مع متوسّط تصريف سنوي يُقدّر بحوالي مائة وخمسين مليون متر مكعّب[9].

2) *نهر سنجة:* وهو نهر كبير ذو قعر رملي فلا يُعبر بغير القوارب،ومجراه بين حصن منصور وكيسوم[10] من ديار مُضر،وعليه قنطرة كانت في زمانها من عجائب الدّنيا[11].

3) *نهر شمشاط:* وهوّ نهر يمرُّ على شمشاط[12] ثُمّ حصن زياد(خرتبرت)،وبعدها يصب في الفرات شمال ملطيّة[13].

4) نهري كيسوم وديصان[14].

5) *نهر الخابور:* تتوزّع منابعه بين تركيا وسوريا حيث يتّجه نحو الجنوب ليُصرّف مياهه في الفرات[15]،ومنبعه عيون تحت الأرض

---

[1]) ***الرّحبة***:إحدى مدن ديّاربكر،وتنسب إلى مالك بن طوق الثعلبي،وهيّ بين الرّقّة وعانة،وبينهاوبين قرقيسيا ثمانيّة عشر كيلومتر، را:أبوالفداء،المصدرالسّابق، ص280-281.

[2]) ***عانة***: anatho, في وسط الفرات كالجزيرة، وهيّ ذات نخيل وبها قلعة حصينة، را:كي لسترنج، المرجع السّابق، ص138

[3]) ***هيت***:مدينة في العراق العربي بين بغداد والأنبار، كثيرة النّخيل، را:ياقوت الحموي، المصدرالسّابق، ج5 ص420-421.

[4]) القلقشندي، المصدر السّابق، ج4ص79.

[5]) محمد خميس الزّوكة، المرجع السّابق، ص139.

[6]) ياقوت الحموي ، المصدر السّابق, ج4 ص241.

[7]) ***حصن مسلمة***:حصن بالجزيرة بين رأس العين والرقّة، يبعد عن مجرى نهر البليخ بميل ونصف(ثلاثة كيلومترات تقريبًا)، وعن حرّان تسعة فراسخ (ثمانية وأربعون كيلومترًا) على الطّريق الرّابط بينها وبين الرقّة، را: ياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج2 ص265.

[8]) إبن خرداذبة، المصدر السّابق، ص39، وياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج1 ص493.

[9]) محمد خميس الزّوكة، المرجع السّابق، ص371.

[10]) ***كيسوم***: قرية من أعمال سميساط، مزدهرة تجاريًا، ولها قلعة كبيرة، را:ياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج4 ص497.

[11]) ياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج3ص 264-265.

[12]) ***شمشاط***:arsamosata بكسر الشين المعجمة وسكون الميم وفتح الشين الثانيّة وألف وبعدها طاء ساكنة، وهي بلدة من ديار مضر وقيل من ديار بكر؛ من بلاد الجزيرة، وهي مركز الثغور الجزيرية بين آمد وخرت برت، وهي في أقصى بلاد الجزيرة، وهيّ بين بالو وخرتبرت، وإليها ينسب نهر صغير، را:القلقشندي، المصدر السّابق، ج4ص319، كي لسترنج، المرجع السّابق، ص149.

[13]) أبو الفداء، المصدر السّابق، ص52.

[14]) ياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج4ص241.

[15]) محمد خميس الزّوكة، المرجع السّابق، ص371.

حسب رواية إبن حوقل[1]،وبتفصيل أدق يذكر أبو الفداء[2] أنّه ينبع في رأس العين من منبع "عين الزّاهريّة"،ثُمّ يتّخذ مجراه نحو نحو الفرات بطول مئة وعشرون كيلومترًا،وبين مصبّه في الفرات ومنبعه في رأس العين تتكوّن أرض واسعة تدخل في إقليم بلاد الجزيرة،وعلى ضفّتيه تكثر القرى والمزارع[3]،وتتواجد مدن تنسب إليه فيقال لها"كِوَرَ الخابور"؛ومنها: قلعة الصّور،ماكسين[4]، عرابان[5]،قرقيسياء[6]،وغيرها.

ويزيد حجم ميّاه الخابور بالإضافات الّتي تُقدّمها الأنهار الأخرى في منطقة الجزيرة كالهرماس ونصيبيين[7]،وعليه فإنّ متوسّط تصريفه السّنوي حاليًّا يقارب المليار ونصف المليار من الأمتار المكعّبة،ومساحة حوضه حوالي سبعة وثلاثون ألف كيلومتر مربّع[8].

6) *نهر السّاجور:* ويرتبط بمدينة منبج[9]،ويبلغ طول مجراه حوالي مائة وثمانيّة كيلومترمع متوسّط تصريف سنوي يبلغ مائة وخمسة وعشرين مليون متر مكعّب سنويًّا[10].

7) *نهرسعيد:* ويرتبط بمدينة الرّحبة بواسطة قناة لتزويد سكّانها بميّاه الشّرب[11].

ج) أنهار أخرى في منطقة أعالي الجزيرة: بالإضافة إلى المجاري المائيّة المرتبطة بالفرات ودجلة توجد أنهار أخرى في هذه المنطقة نذكر منها:

---

[1]) صورة الأرض، ص200.

[2]) تقويم البلدان، ص52.

[3]) إبن حوقل،المصدر السّابق، ص200، والإصطخري، المصدر السّابق،ص36، و ياقوت الحموي، المصدر السّابق،ج2ص334.

[4]) ***ماكسين***: بلدة بالخابور قريبة من مدينة الرحبةفي ديار ربيعة، را:الإدريسي،المصدر السّابق،ص304، وياقوت، المصدر السّابق، ج5 ص43.

[5]) ***عرابان***: مدينة حسنة صغيرة من أعمال الخابور،را:الإدريسي، المصدر السّابق، ص ص304و307، وياقوت، المصدر السّابق، ج4 ص96.

[6]) ***قرقيسياء***: carcesiumهو إسم معرّب من كركيسيا المأخوذة من كركيس، وهوّ إسم لأرسال الخيْل، وهي بلدة على نهر الخابور قرب مدينة الرّحبة والتي تبعد عنها بست وثلاثين كيلومتر، وفيها ملتقى النهر المذكور بالفرات، ولهذه البلدة بساتين وأشجار وحولها مزارع مزدهرة، را: الإصطخري، المصدر السّابق، ص 36-37،والإدريسي، المصدر السّابق، ص305، وإبن خرداذبة، المصدر السّابق،ص39، وياقوت،المصدر السّابق، ج4 ص328.

[7]) ياقوت، المصدر السّابق، ج2 ص334.

[8]) محمد خميس الزّوكة، المرجع السّابق، ص371.

[9]) ياقوت، المصدر السّابق، ج3 ص170.

[10]) محمّد خميس الزّوكة، المرجع السّابق، ص371-372.

[11]) القلقشندي، المصدر السّابق، ج- ص115.

وادي الثرثار العظيم الّذي يزداد منسوب ميّاهه بكثرة الأمطار[1]،ويمُرّ بسنجار[2] ثُمّ تكريت وبها يجتمع بدجلة[3].

2)*نهر بارمّا:*وهوّ نهر كبير ينبع من بلاد أرمينيّة،ويصُبُّ شرق دجلة ويمرّ قرب آمد[4].

3)*نهر سابا:*قرب بلدة تل موزن[5].

4)*نهر سربط:*ويجري من جبال بارمّا إلى نهر دجلة[6].

د)أهمّيّة الثروة المائيّة في منطقة أعالي الجزيرة:

تتمتّع منطقة الجزيرة الفراتيّة بثروة مائيّة هائلة مصدرها الأنهاروالعيون المتدفّقة من باطن الأرض(الميّاه الجوفيّة)[7]،فالمناخ في جنوب تركيا وشمال العراق يتميّز بتساقط سبعين بالمئة من أمطاره خلال فصل الشّتاء[8]،وهيّ كميّة تبلغ في منخفضات بلاد الجزيرة كالموصل 406ملم،بينما في شمال الجزيرة الجبلي تفوق 1016ملم[9]، بسبب إحتكاك كتل الهواء بالتّضاريس وهوّ ما يؤدّي إلى إرتفاعها وبالتّالي خفض درجة الحرارة،فيتكاثف بخار الماء ويؤدّي إلى سقوط الأمطار،ولهذا تكون كميّاتها في الجبال غالبًا أغزر من نظيراتها في المناطق المنخفضة المجاورة[10].

وسبق وأن ذكرنا أنّ أغلب أنهار الجزيرة تنبع من الجبال سواء داخل أراضيها أو في جبال أرمينيّة أو في جبال بلاد الرّوم،وعلى هذا الأساس نفسّر غزارة ميّاهها وديمومة جريانها،وبالتّالي دورها الكبير في الإزدهار الإقتصادي لهذه المنطقة،فنُدرك مقدار ما كانت تتمتّع به من ثروة مائيّة من خلال مشاهدات وشهادات الرّحّالة كإبن جُبير[11]؛الّذي تعجّب وأُعجب بغزارة عيون وسواقي دنيسر،وبكثرة ميّاه نصيبين لدرجة تشبيهه لريفها بأرياف الأندلس،ويُزوّدنا ياقوت الحموي[12] بمعلومة مماثلة وهيّ أنّ نصيبين كانت كثيرة الأوبئة نتيجة كثرة بساتينها،وعددها أربعين ألف تُسقى جميعها بالفائض الكبير لميّاه السّقي.

وبلغ مقدار غزارة الميّاه في المنطقة السّهليّة لبلاد الجزيرة درجة أن أصبحت معها عيون المدن والأرياف مصدرًا لتكوين مجاري

---

[1]) ياقوت،المصدر السّابق، ج2ص75.

[2]) ***سنجار:***مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة ؛ بينها وبين الموصل أربعة وثمانون ميل(مئة وواحد وخمسون كيلومتر)، وهيّ في سفح جبل عالٍ، وسط بَرِّيّة ديار ربيعة وهيّ البلد الوحيد في بلاد الجزيرة الّذي فيه نخيل، را:الإصطخري، المصدر السّابق، ص36، وياقوت، المصدر السّابق، ج3 ص262.

[3]) أبو الفداء، المصدر السّابق، ص52.

[4]) الإدريسي، المصدر السّابق، ص309.

[5]) ياقوت، المصدر السّابق، ج 5ص320.***وتَلّ مَوْزَنْ:*** بلدة بين رأس عين وسروج،وتبعد عن الأولى بـــثمانيّة عشر كيلومتر، وهيّ مبنيّة بحجارة كبيرة سوداء، را:ياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج2 ص45.

[6]) الإدريسي، المصدر السّابق، ص309.

[7]) الإدريسي، المصدر السّابق، ص307، وأبو الفداء، المصدر السّابق، ص51-52.

[8]) قصي عبد المجيد السّامرائي، المناخ والأقاليم المناخيّة، ص ص309و324.

[9]) محمد خميس الزّوكة، المرجع السّابق، ص364.

[10]) قصي عبد المجيد السامرائي، المرجع السّابق، ص64.

[11]) رحلة إبن جبير، ص ص212و214.

[12]) معجم البلدان ، ج5ص288.

الأنهار مثلما هوّ الأمر بالنّسبة لرأس العين الّتي ينبع من عيونها نهر الخابور[1]،حيث يصف إبن جُبير[2] ما شاهده عن ذلك قائلًا:"...أعظم هذه العيون عَيْنان؛واحدة عُليا نابعة فوق الأرض في صُمّ حجارة كأنّها في جَوف غارٍ كبير مُتّسع،يُبسطُ الماء فيه حتّى يصير كالصّهريج العظيم ثُمّ يخرج ويسيلُ نهرًا كبيرًا كأكبر مايكون من الأنهار،وينتهي إلى العين الأخرى،ويلتقي بمائها إلى درجة أنّه يُمكن السّباحة فيه،وعلى مجرى ماء العَين الثّانيّة توجد أرحاء تتّصلُ على شطّ موضوعٍ وسط النّهر كَسد، ومن مجتمع ماء هاتَين العَينَين منشأ نهر الخابور".

وهذا الوصف ينطبق أيضًا على مُدُن:دارا،وجزيرة إبن عُمر وكفر توثا،والّتان تتمتّعان بقدرٍ كافٍ من الثّروة المائيّة[3]،وسنجار الّتي مُدحت بأنّها:" ...ذات أنهارجاريّة،وعيون كثيرة"[4].

ولا تقتصر خاصيّة الوفرة المائيّة على مدن سهول منطقة الجزيرة فقط،بل في المدن الجبليّة كآمد ويوجد بداخلها آبار عميقة وعيون كثيرة[5]، و"...ميّاه جاريّة ومطاحن على عيون مطّردة"،وميّافارقين الّتي تحيط بها الميّاه والبساتين،ووتنال نصيبها من عين ماء في شمالها الغربي تُدعى "عين حنبوص"،إضافة إلى طور عبدين التي ينشأ منها نهر الهرماس[6].

أمّا مياه الأمطار فهيّ عصب الحياة في ماردين حيث يتزوّد أهلها بالميّاه بواسطة صهاريج وبرك تجميع،وقنوات لجلب الماء من منابع خارج أسوارها،لوقوعها على جبل شاهق لا يمُرُّ به نهر[7]،وهذه الصّهاريج ليست عامّة ؛بل لكلّ دار من الدّور صهريج خاص[8]،أمّا أريافها فتُسقى من نهر صور،ومنبعه جبل طور عبدين،ومصبُّه نهر الخابور[9].

وتعليقًا على كيفيّة إستغلال الميّاه في ماردين يُمكن القول بأنّ الإعتماد على ميّاه الأمطار هوّ إجراء إحترازي الهدف منه زيّادة الإمكانيّات الدّفاعيّة وتفادي التّضرّر من قيّام أيّة جيوش تُحاصرها بسدّ القنوات الخارجيّة.

ولحسن حظ سُكانها أنّهم يتواجدون بمنطقة جبليّة كثيرة الأمطار عكس أهل حرّان القليلة الأشجار،والضّئيلة الإنتاج الزّراعي لقلّة الميّاه فيها،ولِشدّة حرارتها بسبب وقوعها "...في بطحاء وسط الصّحراء"[10]،ومع هذا فهيّ إستثناء في بلاد الجزيرة،فالرّها القريبة منها تشتهر بخصوبة أراضيها،وإزدهار زراعتها لكثرة الميّاه بها،ويُماثلها في ذلك جسر منبج،سميساط،وبلدة طور عبدين (منبع نهر الهرماس).

□
□

---

[1]) إبن حوْقل، المصدر السّابق، ص200.

[2]) رحلة إبن جُبير، ص215-216.

[3]) الإصطخري، المصدر السّابق، ص36.

[4]) إبن حوقل، المصدر السّابق، ص199.

[5]) القزويني، المصدر السّابق، ص491.

[6]) الإدريسي، المصدر السّابق، ص308.

[7]) شيخ الرّبوة، نخبة الدّهر في عجائب البرّ والبحر، ص114،و القلقشندي، المصدر السّابق، ج 4ص320.

[8]) إبن حوقل، المصدر السّابق، ص202.

[9]) ياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج5ص39.

[10]) كي لسترنج، المرجع السّابق ، ص126.

وعليه يُمكنُ تقسيم بلاد الجزيرة إلى قسمَين:قسم سهلي يمتاز بكثرة المجاري المائيّة وبالتّالي ثروة زراعيّة هامّة،وقسم جبلي يمتاز بصعوبة التّضاريس،والإعتماد على الميّاه الجوفيّة(العيون والآبار)،وميّاه الأمطار،وهوّ جغرافيًّا شمال القسم الأوّل.

2)في شمال بلاد الشّام:

أ)الأنهار: ترتبط حلب بنهر القويق الّذي يجري تحت بيوتها إلى أن يتّصل بقلعتها،وأصل تسميّة قويق تصغير كلمة"قاق" من صوت الضّفدع،وهوّ نهر صغير،قليل منسوب الميّاه،وحين يصل إلى باب حلب يُربط مجراه بها بواسطة قناة تصل إلى داخله،ولكن منسوب الماء فيه يزداد بفعل تساقط الأمطار في فصل الشّتاء،ويتضائل كثيرًا في فصل الصّيف؛فيُزوّده نهر السّاجور بالميّاه[1].

والقُويق ينبع من على بُعد إحدى عشر كيلومتر من دابق،ثُمّ تجري ميّاهه إلى حلب بما يزيد عن إثنين وثلاثين كيلومترًا[2]،وإسم هذا المنبع "إرقيق"؛وهيّ قرية بين عينتاب[3] وحلب[4]،وقيل إنّ المنبع من قرية "سنياب"[5]،والّتي يخرج منها مجرَيَين؛بينهما إثنان وأربعون كيلومتر،فالمجرى الأوّل يمُرّث بقرية الحُسَينيّة[6] قرب أعزاز[7]،فينساب في سهلها بعد أن يخترق جبلَين،والمجرى الثّاني يمُّث بقرب الرّاوندان[8]،ثُمّ يصُبُّ في ذات السّهل،ويجتمع مع المجرى الآخر مُشكّلًا القويق[9].

أمّابعد خروج هذا النّهر من حلب فهنالك قولين؛الأوّل يقول بأنّه يتّخذ مسلكًا نحو قنّسرين لمسافة ستٍّ وثلاثين كيلومتر، ثُمّ إلى المرج الأحمر[10] لمسافة أخرى تُقدّر باثنتين وعشرين كيلومترًا،وبعدها يَصُبُّ في بحيرة المطخ(؟!)[11]،والقول الثّاني يرى بأنّ هذا النّهر يجري بعد خروجه من حلب لما يفوق خمسة وسبعون كيلومترًا ثُمّ تغوص ميّاهه في جوف الأرض[12]،ويقول ياقوت[13] بناء على ما سمعه من أهلها أنّ منبع هذا النّهر يُسمّى "شناذر".

---

[1]) المقدسي، المصدر السّابق،ص15، والإدريسي، المصدر السّابق،ص302،وياقوت الحموي، المصدر السّابق،ج2ص283، وج4ص417، وإبن الشّحنة، المصدر السّابق، ص ص134و136.

[2]) شيخ الرّبوة، المصدر السابق، ص114.

[3]) ***عينتاب***:HANTAB,GAZIANTEP هي قلعة حصينة على جبل،ولها ربض وكورة ورستاق بين حلب وأنطاكيّة، وكانت تُعرف بـــ"دلوك"؛ ودلوك رستاقها، وهيّ من أعمال حلب، ونهر الساجور يمر بها، وتوجد عليه أرحية وبساتين، كما لعينتاب أرحيّة وبساتين على أنهار أخرى تمر بقربها، را:ياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج4ص176، وإبن الشحنة، المصدر السّابق، ص170.

[4]) إبن الشحنة، المصدر السّابق، ص136.

[5]) الإدريسي،المصدر السّابق،ص302،وسنياب لم أجد لها تعريفًا.

[6]) ***الحسينيّة:*** لم أجد لها تعريفًا.

[7]) ***أعزاز:*** ezaa وهيّ كذلك عزّاز، بلدة تقع شمال حلب بخمسين كيلومتر،ولها قلعة ورستاق، وهيّ طيّبة الهواء،عذبة الميّاه،ومعنى إسمها الأرض الصّلبة، را:ياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج4ص118.

[8]) ***لرّاوندان***: ravendalوهيّ قلعة حصينة،ومدينة كثيرة الأشجار والبساتين من نواحي حلب، را:ياقوت ، المصدر السّابق، ج3ص19.

[9]) إبن الشّحنة، المصدر السّابق، ص136.

[10]) ***المرج الأحمر***: موضع بين حلب وقنّسرين، را:الإدريسي،المصدر السّابق، ص302.

[11]) شيخ الرّبوة، المصدر السّابق، ص114.

[12]) الإدريسي، المصدر السّابق، ص302.

[13]) معجم البلدان، ج4 ص417.

وانفرد الرّحالة الأندلسي بنيامين التطيلّي[1] بقوله بأنّ أهل حلب يمتلكون في دورهم خزّانات لتجميع ميّاه الأمطار،لكونها تفتقر تفتقر لعيون الميّاه وهوّ قول مردود عليه؛فيشهد شاهد حلبي وهوّ إبن الشّحنة[2] على كثرة الأرحاء في مدينته،وهوّ دليل على غزارة ميّاه القويق وقوّة تدفُّقها.

وبالقرب من حلب نهر السّاجور الّذي ينبع من نواحي عينتاب شمالًا،ويمتد إلى تل باشر[3] جنوبًا،حيث يزداد غزارة قبل أن يَصُبّ في الفرات ،وقد قام واليها من المماليك أرغون الدوادار الكاملي (750-755هـــ/1349-1354م) بوَصلِه بحلب فازداد منسوب القويق[4]،ولكنّ المدينة قبل هذا التّاريخ بفترة طويلة كانت قد خرجت عن سيطرة الأراتقة وكان النّهر على حدودهم حينما سيطروا عليها[5].

و لم تدخل تحت نفوذ الأراتقة بقيّة أنهار الشّام مثل:عفرين[6]،ويُغرا[7]،والنّهر الأسود[8]،وهيّ أنهار تنبع من شرقَي جبل اللُّكام (الآمانوس)وتَصُبُّ في بحيرة أنطاكيّة[9]،والأنهار السّاحليّة لشمالَي الشّام[10]،والنّهر الكبير في شمالَي أفامية الّذي يصُبُّ في بحيرة تحملُ إسمها[11]،ثُمّ تُغذّي مياهه نهر العاصي،وعلى الرّغم من وقوعه في شمال الشّام،وقربه من حلب إلّا أنّه لم يدخل ضمن ممتلكات الأراتقة بالشّام[12].

ب) البُحَيْرات: وهذا النّوع من المُسطّحات المائيّة لم يدخُل ضمن المناطق الّتي سَيطر عليها الأراتقة في شمال بلاد الشّام باستثناء بُحَيرة أنطاكيّة على الحدود بين حلب ونواحي أنطاكيّة؛وهيّ تقع بين بغراس وحارم في شمالَي مدينة أنطاكيّة في مكان

□
□
□
□
□
□
□

---

1) رحلة إبن يونة الأندلسي، ص122.

2) إبن الشحنة،المصدر السّابق،ص135.

3) ***تل باشر: TURBENEL*** هي قلعة حصينة عامرة،وكَوْرة واسعة لها ربض وأسواق في شمالي حلب وأهلها نصارى أرمن، را:ياقوت، المصدر السّابق،ج 2 ص40 وإبن الشحنة، المصدر السّابق، ص169.

4) إبن الشحنة، المصدر السّابق، ص136.

5) زامباور، المرجع السّابق، ص344-345.

6) ***نهرعِفرين:*** وهو نهر ينبع من بلاد الروم،ويمر عبر الراوندان إلى بلدة الجومة،ثم العمق، وبعدها يختلط بالنهر الأسود، را:القلقشندي، المصدر السّابق، ج4 ص81.

7) ***نهر يغرا:*** وهو نهر يمر ببلدة يغرا قبل أن يختلط بالنهر الأسود،را:القلقشندي، المصدر السّابق، ج4 ص81.

8) ***النهر الأسود:*** وينبع من الشمال ويمر تحت بلدة دربساك، ثمّ يصب في بحيرة أنطاكية، ويخرج قسم منه يختلط بنهر العاصي، را:القلقشندي، المصدر السّابق، ج 4 ص 81.

9) يوسف الدّبس، المرجع السّابق، ص27.

10) مثال ذلك النهر الأبتر، وهونهر غزير المياه ينبع من أسفل جبل سِنِّ الدّرب، ويتّصل بجبل المرقب قرب السّاحل الشّامي، ثمّ يصبّ في البحر المتوسّط، والنهر الأبيض الذي ينبه من الجبل الأقرع ثمّ يعبر أرض صهيون، وبعدها يصُبّ عند اللاذقيّة في الساحل الشّامي للبحر المتوسّط، را: شيخ الرّبوة، المصدر السّابق، ص114.

11) أبو الفداء، المصدر السّابق، ص49.

12) ياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج1ص268وج4 ص67.

يُدعى "العَمْق"[1]،وتعتبر هذه البُحيرة من أعمال حلب حيث تبعد عنها غربًا بمسافة قدرها يومان(مئة وعشرون كيلومترًا) ،وتتزوّد بميّاه ثلاثة أنهار[2]،وطولها عشرون ميلًا(ستّة وثلاثون كيلومتر) في عرض سبعة أميال(إثنا عشر كيلومتر)[3].

أمّا بحيرة قدَس فتتواجد في ناحيّة حمص،وبحيرة أفامية ترتبط بالمدينة الّتي تحمل إسمها،وكلتيهما ليستا من أعمال حلب[4]،و كذلك بحيرة السِّلّور "اليُغرا "بين أنطاكيّة ومرعش[5].

ج)أهمّيّة الثروة المائيّة في بلاد الشّام:

تكثر في هذه المنطقة العيون المتدفّقة داخل المراكز الحضريّة،فمثلًا العَين التي تجري داخل مدينة بزاعة[6] فإنّها علاوة على قيّامها بتزويد ساكنيها بالميّاه تقوم بريّ منطقة سهليّة واسعة على أطرافها،وكذلك منبج الغنيّة بالميّاه الجَوفيّة،إذ يوجد في كلّ دار من دورها بئر أوبئران[7].

كما أنّ غزارة ميّاه حلب ساهمت في ازدهار كبير لأريافها بسبب وفرة المنتوج الزّراعي،وأعمالها من أغنى مناطق بلاد الشّام بمصادر الميّاه؛الّتي تقلُّ تدريجيًّا بها كُلّما إنتقلنا من شمالها إلى جنوبها،وما يُعزّز هذا القَول هوّ مشكلة الميّاه جنوب حلب،فمعرّة النّعمان تعتمد على ميّاه الأمطار بشكل تام[8]،وكذلك كفرطاب[9]،والوضع فيها أفضل لتساقط الأمطار فيها بكثرة[10].

---

[1]) القلقشندي، المصدر السّابق، ج4ص84.

[2]) أبو الفداء، المصدر السّابق، ص41.

[3]) ياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج1 ص351.

[4]) القلقشندي، المصدر السّابق، ج4 ص84.

[5]) ياقوت، المصدر السّابق، ج1 ص352.

[6]) ***بُزاعة:***هي بلدة وسط بين المدن والقرى في وادي "بُطنان"بين منبج وحلب؛وفيها سوق، وفي قسمهاالعلوي قلعةحصينة،را:إبن جبير،المصدر السّابق،ص223،وياقوت،المصدر السّابق،ج1ص409.

[7])إبن جبير،المصدرالسّابق،ص222-223.

[8])القزويني،المصدرالسّابق،ص ص 138و575.

[9]) نفسه، ص248، ***وكفرطاب:***kafartabبلدة بين المعرّةوحلب، في منطقة قاحلة ليس فيها آبار، ويجمع أهلها ميّاه الأمطار في صهاريج، را:ياقوت، المصدر السّابق، ج4 ص470.

[10]) الحميري، المصدر السّابق، ص400.

رابعاً:المناخ،الغطاء النّباتي والثّروة الحيوانيّة:

1)المناخ:

المناخ السّائد في شمال الشّام هو مناخ البحر البحر المتوسّط الذي يمتاز بالدِّفء مع متوسّط حرارة 17,6درجة مئويّة شتاءً، و24درجة مئويّة صَيْفاً؛مع وجود الرِّيّاح الغربيّة الممطرة والأعاصير خلال شهرجانفي[1]،ويمتد لهذا المناخ ليشمل شمال العراق وجنوب تركيا و شمال إيران[2]،والمناخ في هذه المنطقة يمتاز بكون سبعون بالمئة من أمطاره تتساقط شتاءً، مع إنعدام الأمطار خلال فصل الصّيْف،كما يصل توَغُّلَه إلى ثلاثة آلاف وخمسمئة كيلومتر شرقاً بعيداًعنِ السّواحل[3].

وتزداد البرودة في المناطق الجبليّة لأعالي الجزيرة مثلما هوّ الحال بالنّسبة لمدينة آمد[4]،وسبب ذلك هوّ أنّ المناخ يتأثّر بارتفاع المكان عن سطح البحر،وبالإبتعاد عن البحار والمحيطات[5]،فكُلّما تَمّ الإرتفاع عن سطح الأرض بمئة متر إنخفضت درجة الحرارة،فنجد أنّ المناطق الجبليّة تكون دائماً منخفضة الحرارة مقارنة بالمناطق المستويّة المجاورةلها[6] ، وتنخفض درجة الحرارة تدريجيا بالإرتفاع عن سطح الأرض إلى أن تصل إلى إنعدام الحياة النباتيّة والحيوانيّة في درجة التّجمُّد(الثّلج الدّائم)[7].

و هواء حصن كيفا،وميّافارقين فاسد،ولا سيّما المدينة الأولى التي تكثر بها الأوبئة خلال فصل الصّيف[8] ،عكس دنيسر التي تتميّز بالهواء الصّحيح[9]،كحال ماردين[10].

وبالنسبة لتساقط الأمطار يذكر إبن الوردي[11] أنّ المطر لم يسقط في نصيبين لسبع سروات متتاليّة،وهو إستثناء لأنّ نصيبين وما يجاورها من بطائح الجزيرة كثيرة الأمطار؛و دلّ على ذلك كثرة الغابات[12] ،أمّا في الجبال فيتساقط الثلج ويشتد البرد إبتداءً من أواخر شهرنوفمبر[13] ،ذلك لأنّ الجبال تعتبر دائما واحات مطريّة مقارنة بما يجاورها من سهول أو هضاب وبخاصّة إذا زاد إرتفاعها عن ألف متر[14]،كما أنّها تعتبر من مُحفّزات سقوط الأمطار حينما تصطدم الرّياح التي تحتوي على بخار الماء

---

1)محمود أبوالعلاء،المرجع السّابق،ص180-181.

2)قصي عبد المجيد السّامرائي،المرجع السّابق،ص324.

3)نفسه،ص309-310.

4)المقدسي،المصدر السّابق،ص148.

5)فتحي محمد أبوعيّانة،الجغرافيّة الإقتصاديّة،ص45.

6) قصي عبد المجيد السّامرائي،المرجع السّابق،ص ص64و81.

7) فتحي محمد أبو عيانة،المرجع السّابق،ص38

8) إبن حوقل،المصدر السّابق،ص202.

9) ياقوت،المصدر السّابق، ج2ص478.

10) إبن حوقل،المصدر السّابق،ص202.

11) خريدة العجائب،ص25.

12) الإدريسي،المصدر السّابق،ص308-309.

13) ناصر خسرو،المصدر السّابق،ص50.

14) قصي عبد المجيد السّامرائي،المرجع السّابق،ص82

بجوانب الجبال فتُسَبّبُ التّساقط[1] ،وإذا كانت شديدة الإرتفاع فإنّ قِممها لا تخلو من الثلوج في فصل الشّتاء والّتي يؤدّي ذوبانها إبتداءً من فصل الرّبيع إلى تكوين سيول مائيّة تعمل على تغذيّة الأنهار والبحيرات،وباطن الأرض،وتعمل على زيادة خصوبة التّربة[2]،إضافة إلى أنّ المنطقة هيّ جزء من نطاق شريط ضيّق يمتد من سواحل تركيا،وسوريا،ولبنان، إلى جبال غربي إيران و يتميّز بكميّة تساقط تتراوح بين مئتان وخمسون إلى ألف ملمتر مكعّب وهيّ أفضل من كميّة التساقط في الأجزاء الدّاخليّة من هضبة الأناضول (شمال غرب الجزيرة الفراتيّة) وهيّ مابين مئة وخمسة وعشرون إلى ستّمئة وثمانين ملمتر مكعّب[3]،لأنّ هذا الإقليم يبتعد عن السّاحل المتوسّطي مصدر بخار الماء بينما المنطقة الأولى تُشكّل إستثناءً لوقوعها في منطقة جبليّة مرتفعة[4].

2)الغطاء النّباتي:

تسهب المصادر في ذكر غنى جبال الجزيرة الفراتيّة بالغابات،فسميساط تحيط بها غابات أشجار الجوز ، وشجيرات الكَرْم وغيرهما،ولم تتدخل في نموّها يد الإنسان[5]،وتتمتع بالثروة الغابيّة كذلك مدن:جسر منبج، وقرقيسيا،والرّحبة[6]، ونصيبيين[7]، وأرزن[8]،والرّها[9]،والأرديس[10]،وتل[11]،ويُستثنى من ذلك سنجار والّتي تنفرد عن غيرها من مدن الجزيرة بأشجارالنّخيل[12] ،وحرّان المتواجدة في بادية قاحلة لا غابات فيها[13].

أمّا بالنّسبة لإقليم شمال بلاد الشّام ،فيتّصف بكثرة الأشجار الدّائمة الإخضرار،لوقوعه في منطقة مناخ البحر المتوسّط[14].

---

[1]) فتحي محمد أبوعيّانة،المرجع السّابق،ص38.

[2]) علي أحمد غانم،الجغرافيّة المناخيّة،ص217.

[3]) محمود أبو العلا،المرجع السّابق،ص ص182و184.

[4]) محمد خميس الزّوكة،المرجع السّابق،ص363.

[5]) الإدريسي،المصدر السّابق،ص303.

[6]) إبن حوقل،المصدرالسّابق،ص204.

[7]) إبن جبير،المصدر السّابق،ص212.

[8]) ناصر خسرو،المصدر السّابق،ص51.

[9]) الحميري،المصدر السّابق،273.

[10]) الإدريسي،المصدر السّابق،ص373،***والأرديس***:مدينة بينها وبين ميّافارقين تسعين كيلومتر،في تخوم بلاد الرّوم،را:الحميري،المصدر السّابق،ص26.

[11]) الحميري،المصدر السّابق،ص134،***وتل***:مدينة كبيرة آهلة من بلاد الجزيرةبالقرب من سميساط،أهلها أنباط،را:الحميري،المصدر السّابق،ص134.

[12]) الإصطخري،المصدر السّابق،ص36.

[13]) إبن جبير،المصدر السّابق،ص217-218.

[14]) محمود أبو العلا،المرجع السّابق،ص ص 185و231-234.

وتفصل البادية بين الجزيرة وبلاد الشّام[1]، وهي منطقة رعوية تناسب نمط حياة القبائل الساكنة فيها[2]،والعراق وشمال الشّام يدخلان في نطاق الصحاري الحارة والمعتدلة[3].

3)حيوانات الإقليمين:

تعيش في نصيبين وسنجار الغزلان و الذئاب ،والضّباع والوشق[4]،وتشتهر ماردين بحيات سريعة القتل[5]،ونصيبين بعقاربها الخطيرة جدًّا[6]، والكثيرة جدّا أيضاً،وبخاصة في جبل صغير يتوسّطها ومنه تنتشر في المدينة كُلّها[7]،وعلّق على ذلك المقدسي[8] بقوله:"نعوذ باللّه من عقاربها" ،وتعيش الأسود على إمتدادً المجاري المائية بين الموصل ونصيبين[9].

أمافي شمال الشّام فتكثر طيور الحجل،والدراج،والبازي،وطير الماء،ومن الحيوانات البرية نذكر ماعز الجبل ،والأرانب ، والثعالب ،والأراوي،والأسود،والنّمور[10] .

---

[1]) إبن جبير،المصدر السابق،ص221.

[2]) الإصطخري،المصدر السابق،ص36.

[3]) فتحي محمد أبوعيانة،المصدر السابق،ص52.

[4])أسامة بن منقذ،الإعتبار،ص193.

[5]) الإصطخري،المصدر السابق،ص35.

[6]) إبن حوقل،المصدر السابق،ص194.

[7]) ياقوت،المصدر السابق، ج5ص288.

[8]) المقدسي،المصدر السابق،ص140.

[9])إبن سعيد المغربي،الجغرافيا،ص44.

[10]) أسامة بن منقذ،المصدر السابق،ص192-198.

المبحث الثاني:الجغرافيا البشريّة.

أوّلاً:التركيبة السُّكّانيّة.

من خلال ما درسناه في المبحث الأوّل حول ماتتمتّع به منطقتي بلاد الجزيرة وشمال بلاد الشّام من غنىً بالموارد المائيّة، ومناخ معتدل ،وتربة خصبة ،وموقع إستراتيجي بما يميّزه من شبكة طرقات داخليّة وخارجيّة واسعة تربطه بمختلف أنحاء المشرق الإسلامي آنذاك؛فكُلّ هذا يستلزم بالضرورة أن تكون هاتين المنطقتين جاذبتين للسُّكّان .

وتتمثّل العناصر السّكّانيّة القاطنة في الإقليميْن المذكوريْن:

1)***الأكراد***[1]: ويقطنون مدن ديار بكر الثلاث (آمد،ماردين،ميّافارقين)-وهيّ معاقل الأراتقة-بحيث يتّخدون جبالها مكاناً للإصطيّاف ،ثمّ يترلون إلى السهول في فصل الشّتاء[2]،وهذه الطّائفة من الأكراد إسمها "المروانيّة"[3]،ويذكر إبن جبير[4] أنّهم كانوا كانوا يترلون من الجبال ويغيرون على القوافل التي تمُر عبر محور(الموصل-نصيبين-دنيسر)،وهم"...قُطّاع السّبل، ومفسدون في الأرض...وهم آفات تلك الجهات،و لم يقدر عليهم السّلاطين"،ويسكنون جبال منطقة الجزيرة الفراتيّة منذ عشرين قرناً على

[1])يُمكِن القول بأنّ أصل الأكراد هوّ من القضايا التّاريخيّة التي أثارت جدلاً واسعاً،حيث أنّ أكراد الشرق يختلفون فيزيولوجيّاً عن أكراد الغرب،فالكردي الشرقي يشبه الإنسان الفارسي في لونه الأسمر،وفي شكل جمجمته ،في حين نلاحظ بأنّ نظيره الغربي يكون –في الغالب-أشقر اللّون ،أزرق العينين،وفي الشّمال يكون هؤلاء الشُّقر طوال القامة،صغار الفم ،بنيتهم نحيفة،وجههم بيضوي و أنفهم طويل معقوف،أمّا في جنوب بلاده فيكون الإنسان الكردي أقلّ رشاقة،ووجهه أكثر عرضاً،كما يتميّز الأكراد بكوْن عظام أنوفهم بارزة،وعادة مايكون الفم والذّقن متراجعان قليلاً،والعينان سوداوتان وغائرتان على نحوطفيف،مع سرعة الحركة و يتفق معظم الباحثين على تصنيفهم ضمن المجموعة الآريّة في قسمها الهندي-أوروبي،وعن كلمة "كُرْد"فقد إختلفت حوْلها التّفاسير،وعلَيْه يرى بعض الباحثين أنّها مأخوذة من الكلمة الآشوريّة"كورتو"gurtu وهو لفظ أطلق على الأقوام الّذين سكنوا منطقة كردستان في زمانهم،وهناك نظريّة أخرى ،تربطهم بالكريتيينkyrtu ،الذين كانوا منتشرين في غرب إيران،ومناطق تواجد الأكراد حاليّاً،في حين يرى المؤرخ العربي المسعودي أنّ الأكراد من أصل عربي هاجروا من اليمن مع الغساسنة بعد إنهيّار سدّ مأرب،وبعدها إختلطوا بالمجاورة بغير العرب فتغيّرت لغتهم ،وأنّهم قوم من ربيعة أو من مضر؛من كرد بن مرد بن صعصعة بن هوازن.

كما توجد أسطورة إيرانيّة تزعم إنحدارهم من شياطين إعترضوا قافلة لجواري- إشتراهم سليمان الحكيم من أوروبا-كانت تعبر بلادهم،فتزوّجوهن وأنجبوا منهنّ الأكراد،وهناك رأي آخر يرى بأنّ كُرْد gurdالفارسيّة لها أصل مشترك مع الكلمة البابليّة كاردو gardu،وتعني المحارب الشُّجاع،والباسل،أمّا في اللّغة الأرمنيّة فتعني كلمة كُرتkurt ،الذئب،ولكن ما أجمعت عليه الآراء هوّ أنّ الأكراد هم السّكّان الأصليّون لجبال آسيا الصّغرى،والرأي الأدق هو أنّهم نتاج تزاوج سكّان جبال زاغروس الأوائل مع الموجات الأولى من الآريين التي غزتها،و يتّصفون بأنّهم قوم باديّة وخشونة وشدّة،وأقل قبولاً للحضارة من الأتراك،وهم ذو شجاعة ونجدة وعصبيّةوميل إلى الغدر ،ويتكلّمون لغة خاصّة بهم ؛تعود مع اللّغة الإيرانيّة إلى أصلٍ واحد هوّ مجموع اللّغات الهندو-أوروبيّة،ولكن عرقيّا ينتمون إلى شعوب البحر المتوسّط،را: توماس بوا،تاريخ الأكراد،ص31-32،وباسيل نوكيتين،الأكراد،ص27،ونبيل زكي ،الأكراد،ص20-21.

[2])كمال بن مارس،المرجع السّابق،ص80.

[3])***الأكراد المروانيّة:***مؤسس هذه السّلالة هوّ أبو علي بن مروان بن دوستاق،ولقد حكمت مابين(380-490هــ/990-1096م)،وكانت تبسط سَيْطرتها على أرمينيّة وديار بكر،والرّها،وكانت أوّل سلالة حاكمة في تاريخ الأكراد،وتاريخها معروف بفضل مخطوطة عربيّة موجودة في المتحف البريطاني،وانتهى حكمها على يد السّلاجقة العظام سنة 478هــ/1085م،را:باسيل نوكتين ،المرجع السّابق،ص170،ونبيل زكي،المرجع السّابق،ص31،وزامباور،المرجع السّابق،ص206ويُحدّد تاريخ نهاية سلالتهم في 478هــ/1085م.

[4])الرّحلة،ص213.

الأقل[1]،وعليه فمن الطبيعي أن يُشكّلوا نسبة كبيرة من سكّان المدن الجبليّة كماردين[2] وأرزن الرّوم،وبدليس،وفي مدن شمال العراق كمدينة أربل[3]،و في أرياف حلب في شمال الشّام[4] ،وينتظمون في حياة ذات طابع عشائري[5]،فالنَّزعة القبليّة مُترسّخة في الإنسان الكردي، وعاداته، وتقاليده، وأفكاره[6]،ومن أهمّ قبائلهم –إضافة إلى المروانيّة–نذكر:الهذبانيّة،اللاريّة،والهكّاريّة والذين ينتجعون بمواشيهم في بوادي الموصل[7].

ومع ذلك تجاوز الأكراد حياة القبيلة،وتمكّنوا من إنشاء إمارات صغيرة في آمد،ميّافارقين،وحصن كيفا،مثل السّلالة المروانيّة – سابقة الذّكر– و السّلالة الشدّاديّة[8]،أمّا علاقاتهم بالأمم المجاورة فكانت جيّدة مع العرب فصاهروهم واختلطوا بهم، وكذلك مع جيرانهم المسيحيين، بخلاف علاقاتهم بالمغول والأتراك الّتي تميّزت بكثرة الإضطّرابات والخلافات[9].

ويدين أغلبهم بالإسلام –على المذهب السُنّي– منذ القرن 1هــ/7م،وخدمه عدد كبير من أمرائهم فشيّدوا المساجد، وأسّسوا المدارس الدّينيّة، وحاربوا لأجله،وساهموا في نشره[10]،ومن المؤكّد وجود أكراد مسيحيين خلال تلك الفترة؛ إذيذكر ناصر خسرو[11] وجود كنيسة عظيمة في مدينة آمد،ووجود عدد كبير منهم في القرى الواقعة على الطريق الرّابط بين آمد وحرّان، ومسافته ثلاثمئة وستون كيلومترًا،وهذا مايدُلّ على كثرتهم،و في منطقة شيخان[12] أكراد يؤمنون بالدّيّانة الأَيْزيديّة[13]، والّتي

---

[1])نبيل زكي،المرجع السّابق،ص23.

[2])عزّالدّين بن شدّاد،المصدر السّابق،ص361.

[3])توماس بوا،المرجع السّابق،ص14-15،***وأربل***:أوأربيل؛مدينة كبيرة لها في طرفها قلعة حصينة في سهل واسع تحتوي على خندق عميق ،وسورالمدينة غير مكتمل لاستنادها على تل من تراب ،وقلعتها شبيهة بقلعة حلب،وفيها أسواق ومنازل للعامّة،وتعبر أربيل من أعمال الموصل،وبينهما مسافة قدرها ثمانون كيلومتر إلى الجنوب الشّرقي ،را:ياقوت ،المصدر السّابق،ج1ص138.

[4])القلقشندي،المصدر السّابق، ج4ص117.

[5])توماس بوا،المرجع السّابق،ص48.

[6])نبيل زكي،المرجع السّابق،ص25.

[7])إبن حوقل،المصدر السّابق،ص195.

[8])***الأكراد الشدّاديّة:***وأسّس حكم هذه الأسرة محمّد شدّاد بن قارطو سنة(340هـ/951م) ،وهو من نفس قبيلة السلطان صلاح الدّين،وانقسمت هذه السلالة إلى فرعين:فرع حكم مدينة"كنجة"،والفرع الثّاني حكم مدينة"آني"،وانتهت الحياة السّياسيّة لهذه الأسرة في سنة(481هــ/1088م)،را:باسيل نوكتين،المرجع السّابق، ص170،وكمال بن مارس،المرجع السّابق،ص80.

[9])باسيل نوكتين،المرجع السّابق،ص ص171و173.

[10])باسيل نوكتين ،المرجع السّابق،ص199،ونبيل زكي،المرجع السّابق،ص25.

[11])سفر نامه،ص54.

[12])***شيخان:***هي بلدة على جبل سنجار من أعمال الموصل،وتبعد عن هذه الأخيرة بمئة وستّين كيلومترًا،را:نبيل زكي،المصدر السّابق،ص25.

[13])***الدّيّانة الأيْزيديّة:***هي ديانة الأكراد قبل الإسلام،تعود إلى جذور وثنيّة قديمة في أرمينيّة،وأساسها عبادة الشّيطان خوفاً من أذاه،فلا يذكر أتباعها إسمه،والحرف الأوّل منه(ش) ولا يستخدمون اللّوْن الأزرق لأنّه يُذكّره بالسّماء،ويمتنعون عن التّنحنح و البصق،و تناوُلِ الخس،والقرع،والسّمك،والديوك والغزلان،ويحرُمُ عَلَيْهِم تَعَلّم القراءة والكتابة ما عدا رجال الدّين،ولا يدخلون الحمامات ولا دور المياه لأنّها مساكن الشّيْطان،ولا يستخدمون الخيول في حمل متاعهم، ويسجدون للشّمس كُلّ صباح،ويُضَحّون لها بثور أبيض،ويعتقدون بوجود إلا هَيْن:إلاه الخيْر(اللّه تعالى)،وإلاه الشّر(طاووس ملك/الشّيطان الرّجيم)،والأوّل لا يؤذي خَلْقه،أمّا الثّاني فيُعْبَد–

ينتشر معتنقوها في حلب وديار بكر وأرمينيّة[1].

2)**الأتراك:** وينقسمون إلى قسميْن:الأتراك الأوائل ؛والذين إرتبطوا بالدّولة العبّاسيّة،وسكن جزء منهم في شمال الشّام،و إستَعرب ثلاثة أرباعهم تأثّراً بالسُّكّان،وكانوا يُشكّلون الطبقة الحاكمة من رجال إدارة وجيش[2]،ويرجع تاريخ تواجدهم إلى سنة54 هـــ/ 673م،حينما تمّ إدخال ألفي مملوك منهم إلى العراق[3]،والتُّركمان[4] الّذين دخلوا إلى شمال الشّام في عهد الفاطميين كجند مرتزقة لدى أمراء العرب من بني مرداس [5] ،واستقرّوا في شمال حلب[6]،أمّا كجماعات فقد تمّ جلبهم إلى المنطقة في عهد السّلطان السلجوقي ملكشاه(464-485هـــ/1071-1092م) خلال القرن 5هـــ/11م،فسَكنوا في المناطق الجبليّة لتوَفّرها على أحسن المراعي[7]،وكانوا يتكلّمون لغتهم التّركيّة بلهجتهاالأوغوزيّة والّتي تختلف عن لهجة أتراك آسيا الوسطى(الجغتائيّة)إلى درجة عدم قدرة الطّرفين على التّفاهم إلّا بوجود مترجم[8].

وفي القرن(6هــ/12م) إزدادت قوّة الأتراك،وبالأخص العنصر التّركماني،بسبب الإعتماد عليهم في الحروب الصّليبية، فتَمّ تَوطين طائفة منهم إسمها"الإيوانيّة"،في حلب من طرف الزنكيين،ومنحت لهم أراضي الصّليبيين المهزومين[9]،وهذا ما كان سبباًفي

حسب إعتقادهم- خَوْفاً من أذاه،وأصل كلمة أيْزيديّة من "يَزْدان" الكُرديّة؛وتعني إلاه،ولهم كتابان مُقدّسان يتلوّان منهماصلواتهم،وهم يُعمّدون الذّكور ويختنونهم، ويتزوّجون بأكثر من إمرأة.

وهناك رأي يرى بأنّ هذه الدّيّانة هيّ في الأصل طائفة ضالّة من الطوائف الإسلاميّة،التي أسّسها الشيخ عُدَي بن مُسافر الأُمَوي المولود في بلاد الشّام مابين(466-471هـــ/1073-1078م)،والذي يحج الأيزيديّون إلى مقامه في مواسمهم،را:نبيل زكي،المصدر السّابق،ص25-26،وباسيل نوكتين،المصدر السّابق،ص25.

[1])نبيل زكي،المرجع السّابق،ص25.

[2])كلود كاهن،الشّرق والغرب زمن الحروب الصّليبيّة،ص118.

[3])عزيزقادر الصّمانجي،التّاريخ السيّاسي لتركمان العراق،ص42.

[4])**التُّرْكُمان**:هم فرع من الجنس التّركي،وقد إرتبطت تسميّته بقبيلتين وهما:القارلوك والأوغوز،ومعنى كلمة "تركمان"مأخوذ من الكلمة الفارسيّةْ "تُرْك – مَنَنْدَه"، وتعني أشباه التّرك؛لأنّهم كانوا أكثر الأتراك شبهاً بالإيرانيين من حيْث الملامح والسّمات الفيزيولوجيّة،وقد تبنّى هذا الرّأي؛ الكاشغري (ت466هـــ /1073م)في كتابه ديوان لُغات التّرك،والعالم أبوالرَّيْحان البَيْروني الخوارزمي(ت440هـــ/1048م)،والعالم الطّبيب الفارسي،مؤرّخ المغول(818هـــ/1318م)والملك التّركي المؤرّخ-حاكم خوارزم- أبوالغازي بهادرخان(ت1074هـــ/1663م)،وهذا الأخير وضّح في كتابه "شجرة التراكمة"(شجرة نسب التّركْمان) كيْف أنّ التاجيك الإيرانيين كانوا في البداية يُسمّون الأتراك الّذين سكنوا فيماوراء النّهر أتراكاً،ومع مرور الزّمن تغيّرت ملامحهم تدريجيّاً فصارت مُشابهةً لمن خالطوهم من تاجيك،فغيّر هؤلاء تسميّتهم لمن جاورهم من أتراك إلى "أشباه الأتراك"،وبالتالي فإنّ جميع الأتراك المتواجدين على شكل أقليّات في العراق،وبلاد الشّام،وبقيّةالبلدان العربيّة هم من الغز التّركمان،وكذلك ممّن يسكنون تركمانستان،وأذربيجان،وتُرْكيّا،وإيران من الأتراك،را:محمّد نور الدّين،الأتراك والتّركمان ،أصل كلمة تركمان ومعناها،مقال موجود في مجموعة شرطيوة الإلكترونيّة،ص2-5.

[5])**بني مرداس**:هم فرع من قبيلة بني كلاب العربيّة،والّذين قدموا من الحجازإلى بلاد الشّام في بداية القرن4هـــ/10م،إذ كانت مساكنهم في الجاهليّة حول المدينة المُنوّرة،وهم أبناء عمومة بني عقيل،وبني قشير،وبني نمير،واستولى زعيمهم صالح بن مرداس بن إدريس الكلابي أوّلًا على الرّحبة عام 399هـــ/1008م وبعدهاأسّس إمارته بحلب في 415هـــ/1024م،وبقيّت دولة قويّة لخمسين سنة،قبل أن يتراجع دورها أمام جيوش السّلاجقة،وتزول عام 474هـــ /1083م ،وكانوا شيعة ،را:محمود السيّد، العرب في أخطر المعارك الحربيّة في تاريخ العالم ،القبائل العربيّة في الشّام ودورها في عصر سلاطين المماليك،ص54-55.

[6])نفسه،ص62.

[7])كمال بن مارس،المرجع السّابق،ص80.

[8])عزيز قادر الصّمانجي،المرجع السّابق،ص33.

[9])محمود الحويري،الأوضاع الحضاريّة في الشّام خلال القرنين 12و13م:عصر الحروب الصّليبيّة،ص27.

استيطاهم للقرى المتواجدة غربيها على الطّريق الّذي يَرْبطُها بأنطاكيّة[1]،وعَلَيْهِ يرى كلود كاهن[2] أنّ من عوامل نجاح الأراتقة الأراتقة في تأسيس إمارات في شمال بلاد الجزيرة هو تمركُز القادة التركمان بعوائلهم وجنودهم فيها بعد حصولهم على إقطاعات، يُضاف إلى ذلك عامل آخر يتمثّل في الغزو المغولي لأواسط آسيا الصّغرى الّذي دفع بأعدادٍ كبيرة منهم إلى الهجرة نحوَ الأناضول، وبلاد الجزيرة،وشمال الشّام، فخدموا في جيوش هذه المناطق ،ومن ثَمّة إكتسبوا فيها نفوذاً كبيرا حتّى بعد أن إنزاح القرار السيّاسي من أيديهم، فشَكّلوا قسماً هامّا من جيش الشّام في دولة المماليك؛و كان عددهم في 674هـ/1276م مثلًا؛ثلاثين ألف فارس و عشرين ألف من المشاة[3].

وحافظ التركمان على عاداهم وتقاليدهم البدويّة،وتنظيماهم القبليّة،وكثيراً ما إصطدموا بسببهابالسّلطات الحاكمة[4]، وكان أغلبهم مُتَمَسّك للغاية بمذهبه السُنّي و مُحافظًا عليْه،ولكنّهم لم يتمكّنوا من التّخلص من كثير من عاداهم في ما قبل إسلامهم[5]،وكانت أقليّة منهم تعتنق المذاهب الشّيعيّة المختلفة،بل وهناك فئة صغيرة من التركمان المسيحيين في شمال العراق الحالي[6]،ومن المهم أن نُفرّقَ بيْنَ جيوش السّلاجقة كقُوّةٍ نظاميّة ،وبين قبائل التُّرْكمان البُدوالّذين ألفوا حياة التّمرُّد والإستقلاليّة عن أيّة سُلْطة،فكانوامن أشدّالعناصرخطورة على أمن هذه الدّولة وقوانينها، فتمّ دفع أغلبهم لاجتياح آسيا الصُّغرى[7].

3)**الأرمن**[8]:وكوّنوا قسماً هامّاً من فلاّحي بلاد الشّام[9]،وذلك منذ أن أصبحت بلادهم جزءًا من البلاد الإسلاميّة إبتداءً من سنة 35هـ/655م[10]،كماسكنوامدن: سميساط[11]، وتل باشر،وأنطاكيّة،واللّاذقيّة ، وأرتاح[12]،وأفامية[1]،وجبل جور، وأيضاً في

---

[1])القزويني،المصدر السّابق،ص249.

[2])نفسه،ص44.

[3])محمود الحويري،المرجع السّابق،ص27.

[4])محمود عبد الشّافي المُغرَبي،آسيا الصّغرى في العصور الوُسْطى،ص295.

[5])محمود الحويري،المرجع السّابق،ص27.

[6])عزيز قادر الصَّمانجي،المرجع السّابق،ص34.

[7])زبيدة عطا،بلاد التّرك في العصور الوسطى؛بيزنطة وسلاجقة الرّوم والعثمانيّون،ص45.

[8])يعود أصل التّواجُد الأرمني في المنطقة إلى ما قبل الميلاد،حيث سكن في إقليم "كيليكيا"تُجّار ومُوّظّفون وجنود منهم،ثُمّ هاجرت مجموعات أخرى من جبال أرمينيا الكُبرى إلى جبال "طوروس"قبل القرن 5هـ/10م؛حيثُ تمّ تعيين أُساقفة أرمن لمدينتي"طرسوس"و"أنطاكيّة"،وبعد تدمير عاصمتهم "آني"، واحتلال أرمينيا الكبرى عام -464هـ/1071م على يد السّلاجقة،هاجروا إلى جبال "طوروس"بأعدادٍ أكبر،وأسّسوا بها وبـ"كيليكيا" إمارةفي473 هـ/1080م،ويعود أصل هذا العنصر السّكّاني إلى امتزاج سُكّان جبال القوقاز الأصليين بالعناصر الآريّة الوافدة،را:مروان المدوّر،الأرْمن عبر التّاريخ، ص222-223،و

- Joseph-andré gatteprias, l arménie et les arméniens ,p12

[9])كلود كاهن،المرجع السّابق،ص115.

[10]) محمود السّيّد،المرجع السّابق،ص61.

[11])ياقوت،المصدر السّابق،ج3ص258.

[12])**أرتاح**:ARTASIUM_هو حصن منيع من العواصم غرب حلب في اتّجاه أنطاكيّة،را:ياقوت،المصدر السّابق،ج1ص140.

بَهَسنَى[2]،والرُّها[3]،أين شكّلوا السّواد الأعظم من أهاليها[4]، ولهم لغة خاصّة تُكتب بأبجديّة مُمَيِّزة[5]، وكنيستهم تُسَمّى "الغريغوريّة"[6]،وأبرز مُميّزات مذهبهم المسيحي هو الصّيّام لمدّة أربعين يوْماًقبل عيد ميلاد السيّد المسيح (عليْه السّلام) في السادس عشر من شهر جانفي —حسب معتقداتهم–ويُسمّونه يَوْم التّجَلّي[7]،وهذا التميّز الدّيني كان السّبب الرئيس في عدائهم الكبير للدّولة البيزنطيّة؛رغم إرتباط بعضهم دينيّاً بكنيستها[8]،كما يُشهدُ لهم بأنّهم محاربين أشدّاء ،سواء كمُشاةأو كفرسان[9]،وفي كثير من الأحيان تحالفوا مع البيزنطيين ليحاربوا بعضهم البعض بسبب خلافاتهم العشائريّة[10] .

4)***العرب:*** سكنوا منطقة الجزيرة الفراتيّة جنباً إلى جنب مع الأكراد،حيث أنّ ديّار بكر سُميّت بهذا الإسم نسبة إلى قبيلة بكر بن وائل العربيّة[11]،ولقد سكن كثير من بطون العرب القيسيين مثل:بني قُشَيْر،وبني عُقَيْل،وبني نُمَير،وبني كُلاب مُدُن شمال الجزيرة ؛ كحرّان،ومنبج،وعرابان،وقرقيسيا[12]،وكان أهل نصيبين ودارا وأرياف سنجار من قبيلة ربيعة من بني تَغلب[13].

ومن القبائل العربيّة الأخرى في الجزيرة الفراتيّة نذكر:بني مضر القيسيين في الرقّة وقرقيسيا وكِوَرَ الخابور،وبني نمير،وبني عقيل، وكُثَيْر وعجلان في حرّان،ومنبج،وعرابان،وقرقيسيا،والرّحبة،وبني أسد في رأس العين،وبني تميم في حرّان ورأس العين،وبني تغلب في وسط الجزيرة وكور الخابور،وهم من أسّسوا مدينتي الرّحبة،وجزيرة إبن عمر[14] .

كماشكّل العرب كُلّ سُكّان شمال الشّام تقريباً قبل قدوم التركمان[15]،والأدقّ أنّ المقصود بالعرب في شمال الشّام خليط بين العرب الصّرحاء مع الّذين إستعربوا من سُكّانها بعد الفتح الإسلامي وصاروا يتكلّمون العربيّة[16]،والّذين يُسمّيهم يوشع براور[17] بالشّعوب السّاميّة القديمة،وهم السّلالة الرئيسيّة للسّكّان،مع تواجد أفراد ينحدرون من تزاوج أفراد الحاميّات

---

[1])محمود الحويري،المرجع السّابق،ص92.

[2])***بَهَسْنى:*** وهيّ قلعة عظيمة حصينة ،منيعة ،لها ربض واسع حَوْلَه أنهار وبساتين تسكنه جماعة من المسلمين والأرمن،وهيّ بلد كثير الخيرات،وبه قاض ومسجد جامع،وهيّ على الحدود مع بلاد الأرمن،را:إبن الشّحنة،المصدر السّابق،ص171.

[3])ياقوت،المصدر السّابق،ج2ص ص40و101.

[4])أرنست باركر،الحروب الصّليبيّة،ص58.

[5])مروان المُدوّر،المرجع السّابق،ص300.

[6])محمود الحويري،المرجع السّابق،ص95.

[7])سهيل زكار،الموسوعة الشّاملة للحروب الصّليبيّة،ج1ص36.

[8])كلود كاهن،المرجع السّابق،ص115.

[9])محمود الحويري،المرجع السّابق،ص94.

[10])كلود كاهن،المرجع السّابق،ص115.

[11])المقدسي،المصدر السّابق،ص137.

[12])إبن حوْقَل،المصدر السّابق،ص205.

[13])الإدريسي،المصدر السّابق،ص307،و الحميَري،المصدر السّابق، ص577.

[14])كمال بن مارس،المرجع السّابق،ص29.

[15])كلود كاهن،المصدر السّابق،ص118.

[16])أرنست باركر،المرجع السّابق،ص58.

[17])يوشع براور،الإستيطان الصّليبي في فلسطين؛مملكة بيت المقدس،ص69.

بالشّعوب السّاميّة القديمة،وهم السّلالة الرئيسيّة للسّكّان،مع تواجد أفراد ينحدرون من تزاوج أفراد الحاميّات العسكريّة لمختلف الغزاة الّذين تعاقبوا على المنطقة عبر التّاريخ بهم.

وعلى سبيل المثال تمكّن حُكّام مدينة حلب من بني مرداس من تجنيد عشرة آلاف عربي من المناطق المحيطة بهافي 463هـ/1070م[1]، وكان كلّ سكّان منبج عربًا[2].كما سيطرالبدو على حصن المراغة بين رصافة الشّام[3] وسَلَمِّيَّة[4].

ويدين العرب في بلاد الجزيرة بالإسلام،وأغلبهم من أهل السّنّة،مع وجود أقليّة شيعيّة[5]،في عانة مثلًا[6]،أمّا في شمال بلاد الشّام فيزيد عدد معتنقي المذهب الشّيعي بين العرب،حيث كانوا يشكّلون في حلب مثلاً نسبة هامّة من سُكّانها[7]، وخلال القرن 6هـ/12م برزت مجموعة دينيّة شيعيّة تُسمّى"الإسماعيليّة"،إعتنق مذهبها بعض أهل حلب والجبال المجاورة لها قبل أن تستوليّ على حصون بين حماه وحمص وتنقل نشاطها إليها[8].

غير أن العرب تراجعوا لاحقًا من منطقة شمال الجزيرة إلى الصّحراء جنوبا بسبب هجرة التركمان [9].

5)مجموعات عِرْقيّة قائمة على أساس ديني:

1)المسيحيين: تزخر منطقتي أعالي الجزيرة وبلاد الشّام بالمُقدّسات المسيحيّة؛مثل:دير "مار توما"[10]،كما تتواجد كنائس كثيرة في حصن كيفا،ودير للنّصارى في رصافة الشّام[11]،ونصيبين التي توجد فيها"...دير عظيمة،وحواليها ديارات وصوامع للنّصارى كثيرة"[12]،وجزيرة إبن عمر وفيها دير "مارجرجس"[13]،و يُشكّلون الأغلبيّة في مدينة الرّها؛أينَ يوجد أكثرمن ثلاثمائة

---

[1])الحميري،المصدر السّابق،ص197.

[2])الإصطخري،المصدر السّابق،ص30.

[3])***رصافة الشّام:***SERGIOPOLIS وتبعد عن الرقّةبـــخمسين كيلومتر غرباً،وعن الرّحبة بـــمئتان وإثنان من الكيلومترات،وليس لهم عيون،ولانهر،ويشربون من ميّاه الأمطار في الصّهاريج،وفيها ديرللنّصارى،وفي 668هـ/1269م أُجْلِيّ عنها أهلها،فسكنوا حماة وسلميّة،را:ياقوت،المصدر السّابق،ج3ص47،وإبن الشّحنة، المصدر السّابق، ص161،و

[4]) الإدريسي،المصدر السّابق،ص302،***وسَلَمّيَة:***هي بلدة كانت من أعمال حمص،وبعدها صارت من أعمال حماة،التي تبعد عنها بـــثلاثة وثلاثين كيلومتر،را: ياقوت،المصدر السّابق،ج3ص240،و

[5])كمال بن مارس،المرجع السّابق،ص37.

[6])المقدسي،المصدر السّابق،ص142.

[7])إبن عساكر،تاريخ دمشق،ج57ص120.

[8])كمال بن مارس،المرجع السّابق،ص36.

[9])بنيامين التطيلّي،المصدر السّابق،ص123.

[10])***دير مار توما:***فوق قمّة جبلٍ عالٍ على بعد إثنا عشر كيلومترمن ميّافارقين،وتتواجد في أسفل الجبل منخفضات تتجمّع فيها ميّاه الأمطار،ويوجد داخل هذا الدّيرجثمان "مار توما" في خزانة خشبيّة،تفتح أبوابها أيّام أعياد المسيحيين،فيظهر للزّائرين نصفه الأعلى؛وهو في وضعيّة القيّام،وأنفه وشفته مقطوعتان،را:ياقوت المصدر السّابق،ج2ص534.

[11]) المقدسي،المصدر السّابق،ص141 ،و إبن الشّحنة،المصدر السّابق،ص161.

[12])الإصطخري،المصدر السّابق،ص36.

[13])القزويني،المصدر السّابق،ص372.

جسمه من ماء المعموديّة[1]،وفي مدينتي:مرعش،وسميساط-عشيّة الغزو الصّليبي- أغلبيّة مسيحيّة،كما كان في منطقة الجزيرة وبلاد الشّام ثلاثٍ وأربعون أسقفيّة تابعة لسلطة كنيسة أنطاكية الكُبرى،وهيّ موزّعة كالآتي:سبعُ أسقفيّات في أرزن الرّوم،و سبع في آمد،وأربع في سروج،وثمانٍ في منبج،و سبع في أفامية،و عَشْرٍ في الرّها[2]،وكان أغلب سكّان مدينة عانة مسيحيّين أيضًا[3].

ومن أهمّ المجموعات المسيحيّة في شمال الجزيرة وشمال بلاد الشّام؛ نذكر:

أ)السريان: وهم أهم طوائف المسيحيين الشّرقيين،ويُطلَق علَيْهم كذلك لفظ "اليعاقبة"[4]،ومن خصائصم المُمَيّزة أنّهم لا يتركون يتركون لحاهم تطول مثل رجال الدّين الإغريق،ولهم طقوسٌ خاصّة ،غير أنّهم في عقيدتهم ومُقَدّساتهم يُشابهون الكنيسة البيزنطيّة[5]،وهذه الطّائفة متواجدة بكثرة في الجزيرة وشمال الشّام،وهم تحت سيطرة غَيْرِهِم ،يدفعون الجزية ولا يُحاربون[6]، وساكنواالأرمن في كافّة أنحاء إمارة الرّها الصّليبيّة ،و لم يقم الغزاة الجدد بطردهم[7]،ومن مدن الجزيرة الخالصة لهم طور عبدين[8]،وعددهم كبير جدّا في شمال بلاد الشّام لأنّهم من سُكّانها الأصليين ،ويُعتبرون من العناصر المستعربة لأنّهم يتكلّمون العربيّة في حياتهم اليوميّة[9]،واللّغة اليونانيّة في طقوسهم الدّينيّة،وكانت لغتهم الأصليّة هيّ السريانيّة ذات اللّهجة الآراميّة الغربيّة[10]،ويوجدون كذلك في عدد من الأديرة مثل:دير بسّاك[11]، وديرالجودي[12]، وديرحافر[13]،وديرحشيان[14].

ب)النساطرة[15]: وهم كذلك من العناصر المسيحيّة الأصليّة في شمال بلاد الشّام ،ولسانهم العربيّة[16]،ويتركّزون بخاصّة في مدينة حلب[17].

---

[1])الحميري،المصدر السّابق،273.

[2])وليم الصّوري،الأعمال الكاملة وراء البحار،ج1ص268-270،وج2ص668.

[3])إبن سعيد المغربي،المصدرالسّابق،ص43.

[4])يوشع براور،المرجع السّابق،ص74.

[5])سهيل زكّار،الموسوعة الشّاملة للحروب الصّليبيّة،(مؤرّخ مجهول،حملة الملك ريتشارد إلى الأراضي المقدّسة)،ج37،ص36.

[6])سهيل زكّار،ج37،ص36.

[7])يوشع براور،المرجع السّابق،ص86-87.

[8])كي لسترنج،المرجع السّابق،ص124.

[9])أرنست باركر،المرجع السّابق،ص58.

[10])يوشع براور،المرجع السّابق،ص74-75.

[11])***دير بسّاك:*** وهوحصن يسكنه نصارى ،قرب أنطاكيّة،وهوّ من أعمال حلب،را:ياقوت،المصدر السّابق،ج2ص500.

[12])***ديرالجودي:*** في قمّة الجبل المذكور،وبينه و بين جزيرةإبن عمر سبعة فراسخ(إثنتان وأربعون كيلومتر)،را:ياقوت،المصدر السّابق،ج2ص504.

[13])***دير حافر:*** وهي قرية بين حلب وبالس،را:ياقوت،المصدر السّابق،ج2ص504.

[14])***دير حشيان:*** ويتواجد في نواحي حلب،ولكنّه يدخل في إقليم العواصم،را:ياقوت،المصدر السّابق،ج2ص504.

[15])***النساطرة:*** وهم طائفة مسيحيّة ظهرت بعد الجدل حول طبيعة المسيح في مجمع أفسوس سنة431م،ويرون أنّ للمسيح-عليه السّلام- طبيعتين منفصلتين الأولى إلاهيّة،والأخرى بشريّة،وكان تمركزهم الرّئيس في بلاد فارس،والرّها،والعراق،وكانوا قليلين في بلاد الشّام،را:يوشع براور،المرجع السّابق،ص75-76.

[16])أرنست باركر،المرجع السّابق،ص58.

[17])الحميري،المصدر السّابق،ص197.

ج)***الموارنة***[1]**:**شكّلوا الأكثريّة الكبرى من مسيحيي شمال بلاد الشّام،ومن المرجّح أنّهم إحتفظوا بلغتهم السّريانيّة حتّى تلك الفترة[2].

د)***الرّوم:***ويتواجدون في مدن شمال الشّام،ومرعش[3].

2)***الصّابئين:***وتذكر إحدى الرّوايات أنّهم من نسل صاب بن طاط بن خنوخ الّذي أسّس دينهم أي أنّهم ينحدرون من أهل بابل القدماء[4]،وبالتّالي هُم أقدم مجموعة سُكّانيّة في بلاد الجزيرة،ويتركّز وجودهم في مدينة حرّان،وفيهايوجد معبدهم الأكبر الّذي ينسبون بنائه للنّبي إبراهيم "عليه السّلام"[5]،ويوجد على تلٍّ داخلها،ويُشرِف عليه سبعة عشر سادناً[6]،و كان أكثرهم قد اعتنق الإسلام[7].

3)***اليهود:***تذكر المصادر تواجد اليهود في مدينة حلب[8]،وكان عددهم فيهاألف وخمسمائة،وفي جعبر ألفا يهودي،وفي نصيبيين نصيبيين كذلك،وفي الرقّة سبعمائة،و مائتي يهودي في رأس عين،و أربعة آلاف في جزيرة إبن عمر،وألفان في الرّحبة[9].

وخلاصة القول في هذا القسم من البحث؛أنّ منطقتي شمال الشّام وبلاد الجزيرة كانتا مركزين لاستقطاب كثير من الأجناس المختلفة والمتباينة في أصولها،وألسنتها،وأديانها،وثقافاتها،والّذي يُعطي الإنطباع بأنّهما تفتقران لتلاحم البنية الإجتماعيّة، والإنسجام الثّقافي،والإحساس بالإرتباط والوحدة و المصير المشترك،وهوّ العامل الّذي يُصعّب دون شك من عمليّة الإستقرارالسيّاسي فيهما.

ثانيًا:النّشاطات الإقتصاديّة.

تعتبر الزراعة ومايرتبط بها من تربيّة الحيوانات وتجارة المحاصيل الزّراعيّة النشاط الرئيس في العصور الوسطى،يضاف إليه إستخراج المعادن من باطن الأرض،وتحويلها هيّ والمزروعات إلى سلع إستهلاكيّة بواسطة الصّناعة ،وهيّ بسيطة التقنيّات ،ومحدودة الإنتاج في تلك الفترة،وعليه نذكر أهم النّشاطات الإقتصاديّة في بلاد الجزيرة ،وشمال بلاد الِشّام على النّحو التّالي:

1) ***الزّراعة وتربيّة الحيوانات:***تعتبر أراضي بلاد الشّام من أخصب الأراضي الزّراعيّة في الشّرق العربي،وما تتميّز به أساسًا قدرتها على إنتاج محاصيل متنوّعة بسبب التّباين في المناخ، وفي التّربة، وفي الموارد المائيّة[1]، والتي ساهمت في إنتشار بساتين

---

[1])***الموارنة:*** ويُنسبون إلى يوحنّا مارون،وكان بطريرك أنطاكيّة في القرن 7م،ومذهبهم التّوحيدي هوّ العقيدة المميّزة لهم،أي أنّهم اتّبعوا مذهب الإرادة الواحدةفي طبيعة المسيح،و لم يُصنّفوا كأرثوذكس،وتمتّعوا بالحكم الذّاتي في فترة السّيطرة الإسلاميّة،وكانوا محاربين أشدّاء ورماة سهام مهرة،وكان مركزهم الرّئيس جبال لبنان،را:يوشع براور،المصدر السّابق،ص76.

[2])أرنست باركر،المرجع السّابق،ص58.

[3])كمال بن مارس،المرجع السّابق،ص35.

[4])الحميَري،المصدر السّابق،ص191-192.

[5])الإدريسي،المصدر السّابق،ص309.

[6])الإصطخري،المصدر السّابق،ص36.

[7])شيخ الرّبوة،المصدرالسّابق ،191.

[8])القزويني،المصدر السّابق،ص183،والحميري،المصدر السّابق،ص197.

[9])كمال بن مارس،المرجع السّابق،ص35.

الأشجار المثمرة، وزراعة الخضر مثلما يذكره إبن جبير [2] حول مدينتي دنيسر ونصيبيين،هذه الأخيرة تشتهر بزراعة الفواكه وتجفيفها، ومن أشهر محاصيلها نوع من الفواكه الجافّة، أكبر وأطيب من البندق إسمه "الشآه بلّوط"، وكذلك الورد الأبيض،والّذي يُستخلص منه ماء مشهورومُحبّب في كلّ أنحاء المعمورة[3].

وإذا ذكرنا مدينة منبج؛ فهيّ "ذات خيرات كثيرة وأرزاق واسعة" [4]، فأرضها خصبة، كثيرة الإنتاج، وتحيط بها بساتين الأشجار المثمرة من الشّرق ومن الغرب [5]، وتعرف مدينة "تل فافان" [6] بكثرة البساتين،شأنها شأن دارا والّتي يكثر بها إنتاج الرمّان، وكفر توثا، ولكنّ زراعة الخضر ذات أهميّة أكبر فيهما[7]، أمّاسنجار فإلى جانب زراعة الأشجار المثمرة من لوز وجوز ورمّان [8]، وزيتون [9]،فإنّها أخذت نصيباً وافرا من زراعة الكُروم،وتربيّة المواشي،أمّا آمد فأهمّ ماتنتجه الأصواف لكثرة أغنامها، كما تنتج الكتّان،وتشتهر بتربيّة الخيول،وإنتاج الثّمار والأخشاب،وكلتيهما تزدهران في ميّافارقين المجاورة،ذات الأراضي الخصبة[10].

وتتميّز سميساط بإنتاجها للجوز وأشجار الكروم،ويزدهر إنتاج الفواكه، والثّمار الجبليّة في الرّحبة، وكِوَر الخابور والرّها شهيرة بتُفّاحها، وبالس كذلك، غير أنّ مَيْلَ أهلها لزراعة القمح والشّعير أكبر[11]، أمّا الرّها والحديثة فهُما أغنى مدينتين في بلاد الجزيرة من ناحيّة الثّروة الزراعيّة[12].

وتنتج أرياف بدليس ما بين ثلاثمئة وأربعئة جرّة سنويّاً من النّوع الجيّد من العسل[13]، وتتخصّص حيزان[14] في إنتاج البندق[15].

أمّا ماردين فتحيط بها المراعي الجيّدة-أساس الثروة الحيوانيّة- الّتي تستقطب التركمان والأكراد[16]، ومنطقة شمال الجزيرة الفراتيّة تعتبر جزءاً من حنوب دولة تركيا حاليّاً، وهوجزء من نطاق البراري والإستبس (حشائش الأقاليم المعتدلة)وهوّ من أهمّ مناطق

---

[1]) حاتم عبد الرحمان الطحّاوي، الإقتصاد الصّليبي في بلاد الشّام، ص187.

[2]) إبن جبير، المصدر السّابق، ص ص212و214.

[3]) إبن سعيد المغربي،المصدرالسّابق، ص44، والمقدسي،المصدر السّابق،ص135.

[4]) القزويني،المصدر السّابق،ص274.

[5]) الحميري،المصدر السّابق،ص547.

[6]) ***تل فافان:***مدينة جبليّة قرب دجلة، حولها بساتين، وبنائها من طين، وسوقها مغطاة ، را:المقدسي، المصدر السّابق، ص141.

[7])الإصطخري،المصدر السّابق، ص36، و إبن سعيد المغربي، المصدر السّابق، ص44، و المقدسي، المصدر السّابق، ص144.

[8])إبن سعيد المغربي، المصدر السّابق،ص44.

[9])كي لسترنج، لمرجع السّابق، ص128.

[10])إبن حوقل، المصدر السّابق، ص202، المقدسي،المصدر السّابق، ص135، و الإدريسي، المصدر السّابق، ص ص307و378.

[11])إبن حوقل، المصدر السّابق، ص165، و الإدريسي، المصدر السّابق، ص ص303و305،و إبن سعيد المغربي، المصدر السّابق، ص43، والحميري، المصدر السّابق، ص273.

[12]) الإصطخري، المصدر السّابق، ص36 والإدريسي، المصدر السّابق، ص306.

[13])ناصر خسرو، المصدر السّابق، ص50.

[14]) ***حيزان:*** مدينة من مدن ديّاربكر في منطقة الجزيرة، وهي بين جبال، وكثيرة الميّاه، را:القلقشندي، المصدر السّابق، ج4ص319-320.

[15])القلقشندي، المصدر السّابق، ج4 ص319-320.

[16])كمال بن مارس، المرجع السّابق، ص80.

إنتاج اللّحوم[1]، أمّا سروج فقد إكتسبت سمعة جيّدة في زراعة الرمّان والكمّثرى والخوخ والسّفرجل، وكانت "الكختا" معروفة بإنتاج العسل الجيّد[2]، وتعرف مدينة الرقّة بزراعة الزّيتون[3]، ومدينة رأس العين بزراعة القطن[4]، وهذا النّوع من الزراعة الزراعة يتطلّب شروطاً هامّة تتمثّل في: تربة طينيّة خفيفة؛تكون عادة في دلتا الأنهار، وكذلك أربع إلى خمسة أشهر من الحرارة العاليّة، ومابين 630 إلى 1100ملم مكعّب من الأمطار سنويّاً[5].

أمّا عن المحاصيل الزّراعيّة في شمال الشّام فكثيرة؛نذكر منها:الكتّان،والبطّيخ،والقثاء،والباذنجان،واللّفت، والجزر، والقنّبيط والتّين، والعنب، والرُّمّان، والبرقوق، والمشمش، والخَوْخ، والتّوت، والتّفّاح، والكُمَّثْرَى، والسَّفَرْجل، والزّيتون، والزّعرور، والجوز والبندق، والحمضيّات، والموز، والنباتات العطريّة وبخاصّة الورد،فريف قنّسرين ذو نصيب وافر من محاصيل التين، والفستق، وأشجار الكروم،كماتزخر حلب بالكثير من القرى والبساتين ذات العيون والطّواحين ، فتربة أرضها ملائمة لزراعة الأشجار المثمرة، ولهذا سُميّت بـــ"دمشق الصّغرى"لكثرة ماتنتجه من فواكه،كما يُزرع في أراضيها:القطن، والدّخن، والسمسم،والبطّيخ، والخيّار، والمشمش،والتفّاح، والتّين،وأشجار الكروم، و لكثرة إنتاج الحبوب بها تكثر الأرحيّة على نهر القويق[6]، ومن خلال ماذكرناه عنها في الدّراسة الطّبيعيّة،ندرك ملائمتها لهذا النّوع من الزّراعة،إذ أنّ زراعة القمح تتطلّب درجة حرارة معتدلة،و كميّة متوسّطة من الأمطار[7].

وتجاور حلب أرياف اعزاز المعروفة بزراعة القطن الّذي يُشحن عبر السّفن التّجاريّة إلى أقصى بلاد المغرب،و قرب حقوله أشجار الفستق كبير الحجم،وغير بعيد عنها يزرع في ريف حارم نوع جيّد ومشهور من الرّمّان،كماتزدهر تربيّة النّحل لإنتاج العسل ، وتربيّة الأغنام، والإبل، والأبقار، والخيل، والبغال، والحمير في كامل بلاد الشّام[8].

2)الصّناعة: وهيّ حرف بسيطة تستخد المواد الخام، ونذكر منها:

1) صناعة المكاييل والموازين: في حرّان ونصيبيين[9].

2)صناعة الصّابون: في كامل إقليم الجزيرة الفراتيّة[10]، وفي بالس[11]، وفي الرقّة[1].

---

1) فتحي محمّد أبوعيّانة، المرجع السّابق، ص51-52.

2) إبن سعيد المغربي، المصدرالسّابق، ص43، وإبن تغري بَردي، النّجوم الزّاهرة،ج12ص102.

3)كي لسترنج، المرجع السّابق، ص133.

4)الإصطخري، المصدر السّابق، ص36.

5) فتحي محمّد أبوعيّانة، المرجع السّابق، ص154-155.

6) إبن حوقل، المصدر السّابق، ص 164، والقزويني، المصدر السّابق، ص 183،والحميري،المصدرالسّابق،ص197، والقلقشندي،المصدر السّابق،ج 4 ص87،وإبن الشّحنة، ص136.

7) فتحي محمّد أبوعيّانة، المرجع السّابق، ص ص41و194.

8) إبن سعيد المغربي، المصدرالسّابق، ص 42-43، و القلقشندي،المصدر السّابق، ج4 ص88.

9) المقدسي، المصدر السّابق، ص135.

10) نفسه، ص135.

11) إبن حوقل، المصدر السّابق، ص165.

3)طحن الحبوب:في حماه[2]، و حلب[3]، وآمد[4]، ورأس عين[5]، وفي عينتاب[6]، وفي الحديثة، ونصيبين، والرقّة[7].

4)الصّناعات النسيجيّة: مثل صناعة الكتّان وثياب الصّوف في آمد [8]، وتطريز الثيّاب وخيّاطتها في نصيبين [9]، وصناعة المناديل بميّافارقين[10]، وصناعة ثياب الصّوف بماردين واشتهرت بنسبتها إليها[11]، وصناعة الثيّاب القطنيّة في عرابان، حيث تُحملُ منها وتُوجّه نحوالشّام، هيّ و حرّان كذلك[12].

5)تجفيف الفواكه وعصرها: يُصنع في مدينة سروج المربّى المستخلص من الزّبيب، وتصدّر نصيبين الفواكه المُجفّفة إلى المدن المجاورة، وتشتهر بالس بإنتاج حلوى الزّبيب الممزوجة بالسمسم والجوز والفستق[13].

6)صناعة النّعال: في مدينة سنجار التي يكثر بها الإسكافيّون[14].

7)صناعة الورق: وتزدهر بمدينة الرّها حيْث يُصنع بها الورق الجيّد للمصاحف[15].

8) صناعةالسلاسل والسّيور:في كامل إقليم الجزيرة الفراتيّة[16].

9)صناعة الزّجاج:في حلب ؛حيث يوجد لها سوق مشهور،ويتفنّن الحلبيّون في صناعة النّوعيّة الجيّدة منه[17].

3)***الثروات المعدنيّة*** : تُعَدّ ديار بكر من المناطق الغنيّة بمعدني الحديد والنّحاس، ويوجد معدن الحديد بمدينة نصيبين أيضاً، وتستخرج كميّات كبيرة منه من مناجم على الطّريق بيْن جزيرة إبن عمر وأرمينيّة، ويُحمَلُ في شكله الخام إلى أماكن بعيدة لتسويقه،كما يوجد في نواحي ماردين خام الزّجاج الجيّد، والّذي يُصدّر إلى مدن الجزيرة، والعراق،وبلاد الرّوم، لأنّ له

---

[1]) المقدسي، المصدر السّابق،ص141.

[2]) الحميري، المصدر السّابق، ص ص 197و199.

[3]) إبن حوقل، المصدر السّابق،ص200.

[4]) الإدريسي، المصدر السّابق،ص308.

[5]) إبن حوقل، المصدر السّابق،ص200.

[6]) إبن الشّحنة، المصدر السّابق، ص170.

[7]) إبن حوقل، المصدر السّابق، ص ص194و198.

[8]) المقدسي، المصدر السّابق، ص135.

[9]) الإدريسي، المصدر السّابق، ص308.

[10]) نفسه،ص378.

[11]) إبن بطوطة، المصدر السّابق، ص238.

[12]) إبن حوقل، المصدر السّابق، ص200،والمقدسي، المصدر السّابق، ص141.

[13]) إبن حوقل، المصدر السّابق،ص ص166و207، والمقدسي، المصدر السّابق، ص135.

[14]) المقدسي، المصدر السّابق، ص140.

[15]) الحميري، المصدر السّابق، ص273.

[16]) المقدسي، المصدر السّابق، ص135.

[17]) القزويني، المصدر السّابق، ص183.

خاصيّة مميّزة[1]، وتبرز أهميّة تواجد الحديد بكميّات كبيرة، في إزدهار الصّناعات المرتبطة به، ومن أهمّها تجهيز الجيوش بالمُعدّات بالمُعدّات الحربية، وهذا يعني أنّ هذه الصّناعة تواجدت في بلاد الجزيرة،وساهمت في سهولة تسليح جيوش المنطقة.

4)***التجارة:*** سبق وأن ذكرنا في الدّراسة الطّبيعيّة التّواجد الكثيف لشبكة من الطرقات في بلاد الجزيرة وشمال الشّام و الّتي لم تتدخّل يد الإنسان في إنجازها،ونجدها قد تأثّرت بالنّظام التّضاريسي المتّجه من الشّمال الغربي إلى الجنوب الشّرقي،فأصبحت عمليّة التنقّل أسهل في القسم الجنوبي منهما [2]،وأكثر ما نلاحظه خلال عمليّة التّعرّف فيهما كثرة الأسواق الّتي تدل على حركيّة في النّشاط الإقتصادي، وعلى كثرة الموارد الضّريبيّة،وكثرة الفنادق لإيواء المسافرين، فربض ماردين مثلًا كثير الفنادق والأسواق،وهويّماثل في ذلك ربض حصن كيفا،بخلاف أسواق تل فافان ودنيسر اللّتان تتواجدان داخل أسوارهما،والبلدة الثّانيّة تكثربها المرافق لخدمة التّجّار [3]، ومن المدن الجزريّة الأخرى المعروفة بأسواقها نذكر: ميّافارقين، والرّحبة، والرقّة، ومنبج[4]، وكيسوم[5]، وجزيرة إبن عمر،وقلعة الصّور، ودارا،وحرّان، ورأس عين، بينما أهم وأكبر حركة تجاريّة تتمركز في نصيبين، و بالس الّتي تعرف بتجّارها الأغنيّاء[6].

ويمتلك إقليم أعالي الجزيرة الفراتيّة سمعة تجاريّة جيّدة في ميدان إنتاج الثمار الغابيّة، والخيول، والصّابون، والسلاسل، والسّيور، إضافة إلى أنّ كُلّ مدينة فيه- تقريباً -تتخصّص في أنواع مُعيّنة من السّلع التّجاريّة، فميّافارقين مثلاً؛ يتاجر أهلها في كثير من البضائع، إلّا أنّهم يهتمّون أكثر بتجارة الأغنام،والدّواب،والثّياب،كما يهتم تجّار مدينة حرّان بالعسل، والقطن، والموازين، وتشتهر أسواق دنيسر ببيع الثّياب الجيّدة التي تُصنع بها، وببيع الشّاه بلّوط، والفواكه المجفّفة[7].

أمّا شمال الشّام؛فهو على قدر عظيم من الأهميّة التّجاريّة، وبخاصّة التجارة الدّوّليّة، وكانت مدينة بالس- نظراً لموقعها على الفرات-مركزاً للبضائع القادمة من مصر ومختلف مدن الشّام إلى بغداد ،أو العكس،عبر مجرى النّهر المذكور [8]،وكانت مدينة منبج تجاريًّا فهيّ ذات"...أسواق عامرة، وتجارات دائرة، وأموالٍ مُتَصَرّفة، وغلّات قائمة، وأرزاقٍ واسعة"[9].

أمّا حلب فهيّ أكبر مركز للتّجارتين الدّوّليّة والمحلّيّة في شمال بلاد الشّام، حيث يذكر إبن جبير[1] مستوى الإزدهار التّجاري الّذي بلغته زمن زيارته لها من خلال وصفه لأسواقها المُتّسعة، والمُنَظّمة، والمشابهة لأسواق حرّان، وكذلك يُثني الحميري[2] على أسواقها فقال:"...بديعة الحُسن في ظلالٍ وارفة"، وتشتهر أيضًا بسوقها للزّجاج "فالإنسان إذااجتازبه لايريد أن

---

1)إبن حوقل،المصدر السّابق،ص194،و إبن الوردي،المصدر السّابق،ص25،و الإدريسي،المصدر السّابق،ص317،وتوماس بوا،المرجع السّابق،ص14.

2) كمال بن مارس، المرجع السّابق، ص40.

3) إبن حوقل،المصدر السّابق، ص 201-202،و القزويني، المصدر السّابق،ص260، وإ بن جبير، المصدر السّابق،ص 214،والمقدسي، المصدر السّابق ص141،والحميري، المصدر السابق، ص250.

4) إبن حوقل،المصدر السّابق،ص202،و المقدسي، المصدر السّابق، ص191، والإدريسي، المصدر السّابق، ص ص303و305.

5) ياقوت،المصدر السّابق، ج4 ص497

6) إبن جبير، المصدر السابق، ص217، و الإدريسي، المصدر السّابق،ص 309، وإبن سعيد المغربي،المصدر السابق،ص 43،وياقوت، المصدر السّابق،ج3 ص434، والحميري، المصدر السابق، ص ص162و577.

7) المقدسي، المصدر السّابق، ص135، والإدريسي، المصدر السابق، ص ص308و378.

8) إبن الشّحنة، المصدر السّابق، ص159.

9) الإدريسي، المصدر السّابق، ص303.

يُفارقه"[3]، وما يدل على حجم التبادل التجاري الكبير في أسواقها مايذكره ياقوت [4] عن مجموع الجباية فيها من عشور الإفرنج، وزكاة المسلمين، وحقوق البيع والّتي بلغت في 625هـ/1227م سبعمائة ألف درهم، ويجتمع فيها تُجّار بلاد الشّام، وبلاد الرّوم، ومصر، والعراق، وتفرض عليهم ضرائب البيع والعبور لصالح حاكمها[5]، وكانت قنّسرين - قبل خرابها- تتمتع بمزايا حلب التّجاريّة[6]، كما أنّ بزاعة المُجاورة لها أهمّيّة تجاريّة وفيها أسواق ومرافق لخدمة المسافرين[7].

وكما سبق وأن ذكرنا في القسم المُتَعَلّق بالطّرق والأبعاد الجغرافيّة لبلاد الشّام والجزيرة، فإنهما تتمتعان بشبكة طرقات واسعة ومتشابكة ، الأمر الّذي أنعش التبادل التجاري على الصّعيد المحلّي، وساهم في جعلهما مركزًا هامًّا على محور الطرق الكبرى للتجارة العالميّة آنذاك؛بين مصر وجنوب الشّام من جهة،وبلاد الرّوم، والقوقاز، وبلاد فارس من جهة أخرى،و كانتا حلقة الوصل بين العراق، وموانيء البحر المتوسّط.

---

[1]) الرّحلة، ص226.

[2]) الرّوض المعطار، ص547.

[3]) القزويني، المصدر السّابق، ص183.

[4]) معجم البُلدان، ج2 ص285.

[5]) ناصر خسرو، المصدر السّابق، ص55.

[6]) إبن حوقل، المصدر السّابق، ص171.

[7]) إبن جبير، المصدر السّابق، ص223.

الفصل الأوّل

الأراتقة(النشأة والجذور،التوسّع،الضعف والإنهيّار)

اوّلًا:الدّور السيّاسي والعسكري لأرتق بن أكسك.

ثانيًّا:الدّور السيّاسي والعسكري لإبني أرتق قبل تأسيس مُلكيهما.

ثالثًا:نشأة وتوسّع إمارة أراتقة حصن كيفا(495-630هـ/1100-1230م).

رابعًا:نشأة وتوسّع إمارة ماردين الأرتقيّة500-812هـ/1100-1409م).

أوّلاً :الدّور السّياسي والعسكري لأرتق بن أكسك.

قبل التّطرّق للسّياسة الخارجيّة للأمراء الأراتقة من 495 إلى 812هـ/1101-1411م من الضروري أن ندرس البدايات الأولى لتأسيس مُلكهم وظروفه وملابساته، وكيف تمكّنوا من الإستحواذ على منطقة هامّة من إقتصاديًّا وعسكريًّا؟، وما هيّ الخدمات التي قدّمها أمرائهم الأوائل للقوى السّياسيّة الإقليميّة؟ وكيف تمّ توسيع نواة هذا الحكم من قلعة أو إثنتين إلى منطقة ديار بكر وما جاورها؟وكيف إنقسموا وضَعفوا من بعد وحدة وقوّة؟، ولماذا تراجع دورهم و حدّوا من طموحاتهم؟ ثُمَّ ماهي الظروف التي أدّت إلى إقتصار حكم نسل "أرتُق بك" على ماردين وأعمالها طيلة فترة طويلة قبل نهاية حكمهم؟ .

و ينتسب الأراتقة إلى أرتق بن أكسب(أكسك) أحد مماليك السّلطان السلجوقي ملكشاه(أنظر الخريطة رقم:3)، والّذي قام بتعيينه على مدينة حلوان[1] وأعمالها في العراق[2] تزامناً مع قيام الخليفة العبّاسي المقتدي (13شعبان467-15محرّم487هـ/4أفريل 1074- 4فيفري1094م) في 477هـ/1084م بعزل الوزير فخر الدّولة إبن جهير[3]، والّذي أرسله ملكشاه بدوره إلى ديار بكر ليستخلصها من أسرة بني مروان الكُرديّة، وذلك بعد يوم واحد فقط من قرار عزله، وتحصّل فخر الدّولة على تّجهيزات عسكريّة كبيرة، ووُضع تحت تصرُّفه كثير من الجند، وإمتيّازاتٍ أخرى[4]، وتمّ تعيين "أرتق بك" على رأس قُوّة قُوّة من التّركمان لدعمه[5]، وهاجمت هذه القوّات ديّار بكر، وضيّقت الخناق على حصون الأكراد المروانيّة[6]؛ فاستنجدوا بشرف الدّولة مُسلم بن قُرَيْش[7]؛ ووعدوه بحُكم آمد، وهيّ المدينة الّتي تحصّن بها بعد أن دحره جيش" أرتق بك"، والّذي استسلم لإغراءات خصومه النّقديّة، وتغاضى عن فرار شرف الدّولة إلى الرّقة، و م يعلم السُلطان بالجُرم الّذي إرتكبه قائده التُّركماني الّذي جهّز جيشا آخر لحصار الموصل مع قوّاتٍ سلطانيّة وبرز دوره في التّفاوض مع أمرائها وتسليمها

---

[1]) ***حلوان***: مدينة كبيرة في سفح الجبل المُطل على العراق، وهيّ في أهميّتها تأتي بعد بغداد والبصرة والكوفة وواسط، وأهم غلاّتها النّخل والتّين والرمّان، جبالها دائمة الثلوج، ومناخها غير صحّي لكثرة المياّه وردائتها لكثرة الكبريت فيها ، را: الإصطخري، المصدر السّابق، ص41، والإدريسي، المصدر السّابق، ص312، وياقوت، المصدر السّابق، ج2 ص290-291.

[2]) عصام عبد الرّؤوف الفقّي، بلاد الجزيرة في أواخر العصر العبّاسي، ص21.

[3]) ***فخر الدّولة بن جهير:***هو الوزير أبو نصر محمّد بن محمّد بن جهير الثعلبي، كان يشغل منصب حاكم حلب، ثم وزر لحاكم ميّافارقين، ثمّ للخليفتين: القائم بأمر اللّه والمُقتدي لخمسة عشر عامًا، وكان غزير العلم ذو دهاء، وكان من أسرة هامّة فيها الوزراء وكبار موظّفي الدّولة العبّاسيّة، فمدحها كثير من الشعراء، ووُلد سنة393هـ/1002م بالموصل، وتوفيّ بها سنة 483هـ/1090م، وكان في بدايات حياته فقيرًا معدماً ،را: إبن الطّقطقي، الفخري في الآداب السُّلطانيّة، ص293-295، والحنبلي، شذرات الذّهب، ج3 ص369-370.

[4]) إبن الأثير، الباهر، ص5، وإبن خلدون، العبر، مج3،ص8.

[5]) عصام عبد الرّؤوف الفقّي، المرجع السّابق، ص14.

[6]) عزّ الدّين إبن شدّاد، المصدر السّابق، ص314.

[7]) ***مسلم بن قريش***: هوّ شرف الدّولة أبو المكارم، تولّى حُكم نصيبين، سنجار، وبلد في محرّم453هـ/جانفي 1061م،ثُمّ تملّك حلب في 472هـ/1079م، وتوفيّ في 15 صفر487هـ/5مارس1094م، را: زامباور، المرجع السّابق، ص205.

دون إراقة الدّماء[1]، وغادرها سريعًا وجرت المقادير بانتقاله إلى بلاد الشّام أين دخل في طاعة حاكم دمشق السّلجوقي تاج الدّولة تتش[2]، وانشغل السُّلطان بحروبه حينها في خراسان[3].

شارك أرتق مع تاج الدّولة سنة 478هـ/1085م في حصار حلب[4]، بعد أن وعده بأن يُقطعَه بيت المقدس، لأنّ أرتق تردّد تردّد في المسير إليه خوفاً من دخول ملكشاه إليها، وأسره ومعاقبته جزاء لخيّانته في آمد[5]، ويذكر إبن واصل[6] أنّ كبير أهل حلب واسمه "إبن الحثيثي" طلب من الأمير أرتق أن يتوسّط له لدى تتش الّذي أخلف وعوده للحلبيين بتسليمها لهم،فكانوا يرغبون في أن يتسلّم السّلطان ملكشاه مدينتهم شخصيّاً و راسلوه لأجل ذلك [7]، فاضطُرَّ تُتُش لُمواجهة سليمان بن قتلمش (470-479هـ/1077-1086م) لمنعه منها،وأدّى أرتق دورًا هامًّا في الموقعة الّتي إنتهت بمقتل سلطان سلاجقة الرّوم [8]، الرّوم[8]، ثُمّ شرع السّلطان في غزو بلاد الشّام [9]، فجهّز في478هـ/1085م جيشاً فيه كبار الأمراء لاسترجاع حلب، وزحف على الموص، وحرّان ، والرّها [10]، ثُمّ أنطاكيّة[11]، وقلعة جعبر[1]، ومنبج[2]، فتركها تُتُش وغادر إلى دمشق [3]، رغم مجهودات الأمير

---

[1]) إبن الأثير، الباهر،ص5، وإبن واصل، مُفرّج الكروب،ج1، ص12، والأصفهاني، تاريخ دولة آل سلجوق، ص70، وإبن خلدون، المصدر السّابق، ص8.

[2]) ***تاج الدّولة تُتُش:*** هو السلطان أبو سعيد بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق (471-488هـ/1078-1095م)، اتّصف بالشّجاعة والقسوة، والطموح، وكاد أن يستوليّ على ممالك أخيه ملكشاه، قتل بنواحي الرّي، ثمّ تقاسم إبنيْه حلب ودمشق،را: إبن الجوزي، المنتظم، ج17 ص19 والحنبلي، شذرات الذّهب،ج3 ص384.

3) *استولى* عميد الدّولة إبن جهير على أملاك وأموال مسلم بن قريش والّذي أعاده السّلطان إلى حكم الموصل ليتفرّغ للقضاء على تمرّد أخيه تكش في خراسان، وقام فخر الدّولة بالإستيلاء على ديّار ربيعة في رمضان 482هـ/نوفمبر-ديسمبر1089م، وتوفيّ في رجب 483هـ/ سبتمبر1090م، وبقيّ عميد الدّولة في ميّافارقين حتّى أواخر484هـ/أوائل1091م،ثمّ ،وحكمها أخاه كافي الدّولة بعده إلى وفاة ملكشاه في رمضان 485هـ/ أكتوبر1092م، أمّا مسلم بن قريش فقد دخل في صراع في بلاد الشّام مع سليمان بن قتلمش حينما طالبه بجباية أنطاكية باسم السّلطان ملكشاه، فاحتقره واليها السّلجوقي وقرّر محاربته،را:إبن الأثير،الباهر،ص5،وعزّ الدّين إبن شدّاد،المصدر السّابق،ص317-318،وإبن خلدون،المصدر السّابق، مج3ص9.

[4]) إبن الأثير،الباهر،ص7.

[5]) إبن خلدون، المصدر السّابق، مج3، ص7.

[6]) إبن واصل، المصدر السّابق، ج 1ص17.

[7]) إبن الأثير، الباهر، ص7، والسّبب في التنافس من أجل حلب هوّأنّ سليمان بن قتلمش –من أمراء البيت السّلجوقي-إستولى على أنطاكيّة سنة 477هـ/1084م، وطمع في الإستيلاء على حلب ،فحارب أميرها شرف الدّولة مسلم بن قريش وقتله في صفر 478هـ/جوان 1085م،وحاصرها،فخشي أهلها قسوة وبطش جنوده التّركمان، فاستنجد بعض خاصّتهم بالأمير السّلجوقي تتش، في حين كان الوريث الشّرعي لإمارتها هوّسالم بن مالك بن بدران إبن عم شرف الدّولة المتحصّن بقلعتها، را:إبن الأثير ، الباهر ، ص6، وإبن واصل، المصدر السّابق، ج1 ص17، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج3، ص9.

[8]) إبن خلدون، المصدر السّابق، مج3، ص9.

[9]) إبن الأثير، الباهر، ص7، والّذي يذكر بأنّ ملكشاه أحسّ بأنّ أميرالرّها-وهوّ من العرب-قد قلّل من شأنه حينما باع الرّها للبيزنطيين مقابل عشرون ألف دينار، وقيّامهم بتدمير مساجدها وطرْد مسلميها، فساءت سمعة السّلطان وسخط عليه العامّة.

[10]) إبن واصل، المصدر السّابق، ج1 ص17.

[11]) خاشع المعاضيدي، الحياة السيّاسيّة في بلاد الشّام خلال العهد الفاطمي، ص114.

أرتق في حثّه على القتال، إلاّ أنّه رفض الأمر قائلاً"...لا أكسر جاه أخي الّذي أنا مستظلٌّ بظلّه، فإنّه يعود عليّ أنا بالوَهْنِ أوّلاً"[4]، وفتح السُّلطان حلب واستخلص قلعتها من سالم بن مالك بن بدران العقيلي إبن عم شرف الدّولة، وعوّضه عنها بقلعة جعبر[5]، وبعدها أخضع حكّام شيزر، واللّاذقيّة، وكفر طاب، وأفامية[6]، وبذلك حال دون رغبة أخيه في إقامة إمارة خاصّة به تشمل الشّام كُلّه[7]، والّذي كانت عمليّة السيطرة على أمرائه من طرف ملكشاه قد استمرّت زهاء نصف سنة؛ من منتصف سنة 479هـ إلى شهر ذي الحجّة من السنة ذاتها/من سبتمبر-أكتوبر 1086 إلى فيفري-مارس 1087م[8].

و لم تكن عمليّة إخضاع الشّام من طرف الجيش السّلطاني، ولا حماية تاج الدّولة للأمير أرتق المغضوب عليه-لتفسد العلاقة بين الأخوين-على الأقل ظاهريّاً-؛ذلك ما بيّنته الحوادث اللّاحقة حينما إستجاب تُتُش لأوامر أخيه ملكشاه بإخضاع سواحل الشّام[9]، وشارك مع بقيّة أمراء الشّام في الإستيلاء على حمص سنة483هـ/م1090م[10].

وبعد وفاة السّلطان في 485هـ/1092م[11]؛ إستغلّ تتش ذلك واستعاد كثيراً من مدن الشّام [12]، بما فيها حلب من قسيم الدّولة آق سنقر[13]،وأعلن الحرب على أبناء ملكشاه في شوّال 486هـ/نوفمبر1093م[1].

---

12) *قلعة جعبر*: kalogenbar وهي قلعة دوسر ثمّ ملكها جعبر القشيري، وأولاده من بعده، وكانوا من قطّاع الطرق، وهيّ مبنيّة على صخرة منيعة بين الرقّة وبالس في القسم الشّمالي من الجزيرة، را: أبوالفداء، تقويم البلدان، ص277.

[2]) إبن واصل، المصدر السّابق، ج1 ص17.

[3]) إبن الأثير، الباهر، ص7.

[4]) إبن واصل، المصدر السّابق، ج 1ص18.

[5]) إبن الأثير ، الباهر، ص8.

[6]) إبن واصل،المصدر السّابق، ج1 ص18.

[7]) خاشع المعاضيدي، المرجع السّابق، ص114، وقتها قام السّلطان بتسليم حلب وأعمالها، وحماة، ومنبج، واللّاذقيّة وما يتبعهن لقسيم الدّولة آق سنقر، فبقيّت في يده إلى 487هـ/1094م، وأقطع محمّد بن مسلم بن قريش مدينة الرّحبة وأعمالها، وحرّان، وسروج، والرّقّة، وكِوَرَ الخابور، وزوّجه أخته زليخا خاتون قبل أن يسير لأخذ الرّها من الرّوم، وسيّر آق سنقر حلب بدبلوماسية ودهاء كبير، وحسّن الأوضاع الأمنيّة، والاقتصادية، والاجتماعية، و الدّيريّة ،فاكتسب شعبيّة واسعة بينهم، وللإشارة هوّ والد عماد الدّين زنكي الّذي سيأتي ذكره لاحقاً،را: إبن الأثير، الباهر، ص8، وإحسان عبّاس، شذرات من كتب مفقودة(العظيمي، التّاريخ، ص26، وعلي بن مرشد، تواريخ مجموعة، ص135)، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج3 ص10-11.

[8]) إبن خلدون، المصدر السّابق، مج3 ص10-11.

[9]) أبو يعلى القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص87، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج3 ص13.

[10]) إحسان عبّاس، شذرات من كتب مفقودة (العظيمي،المصدر السّابق)، ص27-28.

[11]) بعد أن مات ملكشاه حُمل جثمانه إلى أصفهان ليُدفن فيها، فقامت زوجته تركان خاتون بالإستيلاء على أمواله، وما في خزائن السّلطنة، وسخّرتها لشراء ذمم الأمراء ليبايعوا إبنها محمود سلطاناً وينصروه؛ وهوّ إبن أربع سنين، وهوّ ما حدث، كما منحها الأمير" كربوغا "خاتم السّلطان مقابل حصوله على قلعة حلب، ووافق الخليفة العبّاسي المقتدي على الخطبة لإبنها على منابر بغداد مقابل حصوله على السلطة الفعليّة لمنصبه، ورأى بركياروق أنّه الأحق بخلافة أبيه ملكشاه، فوجّه عشرين ألف فارس إلى أصفهان لإخضاع أرملة أبيه وأنصارها،فحاولت شراء ذمّته بخمس مئة ألف دينار ذهبي فرفض، وأصرّ على موقفه، فاستمالت خاله إسماعيل بن ياقوتي لقتله مقابل الزّواج بها. ولكنّه هُزم وقُتل، ثمّ أصيبت تركان خاتون وإبنها بالجدَري، فماتا، وخَلُص الأمر لبركياروق وصار سلطاناً في 486هـم/1093م، را: اليزدي الحسني، العراضة في الحكاية السّلجوقيّة، ص74، وعزّ الدين إبن شدّاد، المصدر السّابق، ص318، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج3 ص16-17.

[12]) إبن القلانسي، المصدر السّابق، ص89-90.

[13]) إبن الأثير ، الباهر، ص12.

أمّا الأمير أرتق فكان خلال هذه الأحداث مهتمّاً بإقطاعه في بيت المقدس قبل وفاته سنة 483هـ/1090م، فخلفه عليها إبناه سقمان وإيلغازي[2].

ثانيًا:الدّور السّياسي والعسكري لإبنا أرتق قبل تأسيس مُلكهم.

واجه سقمان وإيلغازي أطماع الفاطميين في الإستيلاء على بيت المقدس؛ وهوّ ماحدث في شعبان 489هـ/ جويلية –أوت 1095م[3]، فغادر الأوّل إلى الرّهاو أقام بها[4]، وكان قد حارب إلى جانب قسيم الدّولة آق سنقر ضدّ تتش[5]، أمّا وجهة إيلغازي–مع عدد كبير من العساكر والأتباع– فكانت بغداد وفيها ولّاه محمّد بن ملكشاه في 495 هـ / 1101مقيّادة شُرطها(الشّحنكيّة)[6]، ومالبث أن واجه فيها إمتحانا صعبا حينما اصطدم فيها بالعامّة، بسبب قيام أحد أعوانه بقتل ملّاح من أصحاب قوارب النّقل في دجلة في رجب 496هـ/ أفريل1102م[7]، فقُتل بِدَمِه، وردّ الشّحنة بنهب الجانب الغربي من المدينة، ورفْض وساطة الخليفق المستظهر (487-512هـ/1094-1118م) والأعيان، فعُزل إيلغازي مُؤقّتًا من منصبه[8].
أمّا"سقمان"فبرز دوره بالمشاركة في الصّراع بين الأمراء التركمان في منطقة الجزيرة، حيث دخل في حرب ضدّ كربوغا[9]؛ إنهزم فيها، وأُسر "ياقوتي" إبن أخيه[10]، وشارك كذلك في محاربة جكرمش (والي الموصل من ذو الحجّة 495 إلى ربيع الأوّل 500هـ/أوت–سبتمبر1101إلى نوفمبر1106م) والذي كان يرى نفسه الأحقّ بالولاية على الموصل[11] فحاصر أميرها موسى التّركماني الّذي إستنجد بسقمان لقاء عشرةآلاف دينار والتّنازل له عن حصن كيفا[1]، فسار بعساكره إلى الموصل،

---

[1]) قرّر تتش الزّحف إلى المشرق ليضع نفسه سُلطانًا؛ فأخضع "ياغي سيان" أمير أنطاكيّة، وبوزان أمير الرّها، وسار معهما لإخضاع الشّام والموصل، والجزيرة، وأذربيجان، واتّخذ حرّان مركزاً لعمليّاته الحربيّة، ولكنّ بوزان، وآق سنقر تراجعا وانضمّا إلى بركياروق، وتصادم جيش آق سنقر بجيش تتش على نهر سبعين شرقي حلب؛ في 9جمادى الأولى487هـ/28ماي 1094م، وقُتِلَ آقسنقرو كثير من قادة جيشه، وأمراء من جيش بركياروق في المعركة، وأسر تتش بوزان وأعدمه، ثمّ غادر إلى أصفهان –عاصمة السلاجقة– ولكنّه قتل في معركة ضدّ إبن أخيه في صفر 488هـ/ فيفري1095م، را: إبن الأثير، الباهر، ص12، إبن القلانسي، المصدر السّابق، ص89-92) إحسان عبّاس، شذرات من كتب مفقودة (العظيمي، المصدر السّابق)، ص64، و(أبوغالب عبد الواحد بن مسعود، ذيل على تاريخ الطّبري)، ص6، و(علي بن مرشد، المصدر السّابق، ص135)، وعزّ الدّين إبن شدّاد، المصدر السّابق، ص319-320، والذّهبي، دوّل الإسلام، ج2 ص419 ،وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج3 ص17-19، واليافعي، مرآة الجنان، ج3ص ص108و111، وإبن العماد الحنبلي، المصدر السّابق، ج3 ص384.

[2]) إبن خلدون، المصدر السّابق، مج3 ص248.

[3]) الذّهبي، تاريخ الإسلام، حوادث ووفيّات491-500هـ، ص16.

[4]) إبن خلدون، المصدر السّابق، مج3 ص248.

[5]) إحسان عبّاس، شذرات من كتب مفقودة (إبن مرشد، المصدر السّابق)، ص135.

[6]) عصام عبد الرّؤوف الفقّي، المرجع السّابق، ص21-22.

[7]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص51، والذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات491-500هـ، ص45-46.

[8]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص51-52.

[9]) ***كربوغا:*** أمير تركماني، كان في طاعة بركياروق، أطلق سراحه من سجن حمص في 489هـ/1096م، فتملّك حرّان ونصيبيين،ثمّ كانت له حروب وتحالفات في ديار بكر، توفي في ذي القعدة 495هـ/أوت–سبتمبر1101م، را:إبن الأثير، الكامل، ج8 ص210، والباهر، ص16.

[10]) إبن الأثير، الباهر، ص16.

[11])كان الأمير الشّرعي على الموصل كربوغا في مهمّة عسكريّة بمدينة"حوي"في أذربيجان؛ أيْنَ مات في ذي القعدة 495هـ/أوت–سبتمبر1101م، وكان معه القائد"سنقرجاه"؛ فأوصى له بالمَوْصل وأعمالها، فسار إليها بعساكر كربوغا ودخلها أميراً، فعارض ذلك كبار أمرائها، وقلّلوا من شأن "سنقرجاه"، ثمّ استنجدوا بموسى التركماني–وكان نائب كربوغا على حصن كيفا–، فقدم على سنقرجاه، واغتاله أحد جنوده، ولّما استولى على المدينة راسل أتباع سنقرجاه أمير نصيبيين

أين خرج الأمير موسى لاستقباله، فاغتاله بعض الموالين لجكرمش، وكان هذا سببا في رجوع الأمير الأرتقي إلى ديار بكر؛أين استقرَّ في حصن كيفا[2]، ومالبث أن قام بدعم حاكم ماردين وهوّ أحد مماليك السّلطان بركياروق بعد أن عجز عن محاربة الأكراد المحيطين بها، فاستنجد بأراتقة حصن كيفا؛ الّذين تمكّنوا من إنجاز ما طلبه منهم حاكمها بنجاح، واكتشفوا ضعفه،وأهمّيّة المدينة، فانتزعوها منه[3]، وفضّل سقمان أن يحكمها بنفسه-لأهميّتها- فانتزعها من إبن أخيه علي وعوّضه عنها بقلعة جبل جور، لأنّه رأى كثرة الطّامعين فيها، وعلى رأسهم جكرمش، وبقي يحكمها إلى تُوُفي ّفي 498هـــ /1105 م، أمّا إيلغازي فإلتحق بأمير حلب رضوان بن تتش بعد أن عُزل عن منصب شحنة بغداد، ثمّ إختلف معه، فرحل إلى ديّار بكر، وفيها تحصّل على ماردين من أبناء أخيه سقمان[4].

ثالثاً:نشأة وتوسّع إمارة الأراتقة في حصن كيفا(495-630هـــ/1101-1232م).

كان سقمان بن أرتق يحكم مدينة سروج قبل أن يطرده منها الصليبيون في 494هـــ/1101م،فعوّضها بالحصول على حصن كيفا سنة495هـــ/1101م[5]،وبعدها ماردين،و شبختان، وحصون أخرى في 497هـــ/1103م، وتزامن مع استيلاء أمير أرتقي آخر هوّ بَلَكْ بن بُهرام من ضمّ مدينتي عانة والحديثة إلى مناطق نفوذ الأراتقة[6]، كما دخلت قوّاتهم حصن منصور في جمادى الأولى 544هـــ/ سبتمبر1149م[7].

جكرمش، وهوّ من مماليك السّلطان ملكشاه، وحرّضوه على مهاجمتها والإستيلاء عليها، را: إبن الأثير، الكامل، ج9، ص 54 -55، والذّهبي، تاريخ ، حوادث ووفيّات 491-500هـــ، ص46-47.

[1]) الذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات،491-500هـــ، ص47.

[2]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص55، أمّاجكرمش فتحصّل على إمارة الموصل صلحاً، وقتل من اغتالوا الأمير موسى التركماني، وأحسن السيرة في أهلها حتّى 500هـــ/ 1107م سنة وفاته، را: الذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات491-500هـــ، ص47.

[3]) منح بركياروق مدينة ماردين لُمغنّ إسمه"لُجا كسرى"، وبعد أن أسر كربوغا الأمير ياقوتي الأرتقي سجنه في قلعة ماردين، ولكنّ والدته نجحت في فكّ أسر إبنها الّذي أعجب بحصانة المدينة وطمع في تملُّكها، فمكث فيها متظاهراً بصداقة صاحبها، وحارب الأكراد، ثمّ قرّب إليه جندها، وحدث أن خرج معه أكثر جنودها لمحاربة الأكراد،فقبض عليهم غدراً، وساوم صاحب ماردين بتسليم القلعة، وهوّ ماحدث فعلاً، ثمّ اتّخذ ياقوتي ماردين مركزاً لمهاجمة نصيبين وجزيرة إبن عمر؛أين يمكث جكرمش وجنوده، ومالبث أن قُتل في هذه الحرب، وكان مُتزوّجاً من إبنة عمّه سقمان، فلجأت إلى والدها ، وحرّضت التّركمان على الثّأر، فساروا إلى نصيبين يقودهم سقمان من أجل ذلك، ففاوضه جكرمش ومنحه ديّة إبن أخيه، أمّا ماردين فتولّى أمرها علي أخ ياقوتي، وكان يأخذ عشرين ألف دينار من جكرمش سنويّاً كي لا يهاجم نصيبين، را: إبن شدّاد، المصدر السّابق، ص361-362، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج3 ص249.

[4]) إبن الأثير، الكامل، ج8 ص80، وعزّ الدّين إبن شدّاد، المصدر السّابق، ص350، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج3 ص250.

[5]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص43، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج3 ص248.

[6]) الأثير، الكامل، ج9 ص70، وعزّ الدّين إبن شدّاد،المصدر السّابق، ص360، ***وشبختان:*** لم أجد لها تعريفًا في المصادر.

[7]) محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب الصليبيّة، ص105.

وتجدّد التوسّع العسكري للأمراء الأراتقة خلال فترة حكم فخر الدّين أبو الحارث قرا أرسلان بن داود (539-562هـ/1144-1162م)، الّذي هاجمت قوّاته الأجزاء الشّماليّة من إمارة الرّها الصليبيّة وأخذت حصن كركر[1]، واستولت على حصن طالب[2] وقلعة شاتان[3] التّابعة للأكراد[4].

أمّا نور الدّين محمّد فقد أنجز عملاً هامّا بحصوله على آمد في 20 جمادى الأولى 581هـ/19أوت 1185م[5]، قبل أن ينشب خلاف حول الأحقيّة بعرش حصن كيفا بعد وفاته، فينفصل ناصر الدّين محمود بحصن زياد (خرت برت) سنة 581هـ/1185م[6]، وكانت نهاية هذه الإمارة على يد الأيّوبيين سنة 630هـ /1232م[7] (أنظر الجدول رقم:1).

رابعاً:نشأة وتوسّع إمارة ماردين الأرتقية(500-811هـ/1106-1409م).

كان سقمان بن أرتق قد أخد قلعة ماردين من إبن أخيه الأمير علي،وعوّضه عنها بقلعة جبل جور ، وتوفيّ في 498هـ/1104م؛ كما سبق وأن بيّنّا [8]، فآل حكم المدينة وقلعتها إلى الأمير إيلغازي بن أرتق ؛ فاستقلّ بها عن حصن كيفا[9]، ثمّ أضاف ميّافارقين إليها بعد أن أقطعه إيّاها السّلطان السّلجوقي محمّد بن ملكشاه (465-485هـ/ 485هـ/) في 14جمادى الآخرة 512هـ/ 3أكتوبر1118م [10].

كما ظفر إيلغازي بمدينة حلب وأعمالها –على أهميّتها العسكريّة و السيّاسيّة سنة511هـ/1117م[11]، وأناب عنه في حكمها إبنه حسام الدّين تيمورطاش [12]، الّذي أناب بدوره أخاه سليمان والّذي أعلن إنفصاله عن والده [13]،فسارإليه

---

[1]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص453، ***وحصن كَرْكَرْ***: هما حصنان؛ الأوّل بين سميساط وخرت برت (حصن زياد)، والثاني بين ملطيّة وآمد، وإبن الأثير يقصد في هذا الموضع الحصن الأوّل، را: ياقوت،المصدر السّابق، ج4 ص453,

[2])***حصن طالب***: هو قلعة كرديّة قرب حصن كيفا ، را: ياقوت، المصدر السّابق، ج2 ص265.

[3]) ***قلعة شاتان***: لم أجد لها تعريفًا

[4]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص453، وسهيل زكّار، موسوعة الحروب الصّليبيّة، ج 23(إبن فضل العمري، مسالك الأبصار)، ص31.

[5])إبن شاهنشاه، مضمار الحقائق وسرّ الخلائق، ص 138-139.

[6])إبن الأثير، الكامل، ج10 ص 275.

[7])الحنبلي، شفاء القلوب، ص 269، وجرجس بن العميد، أخبار الأيوبيين، ص 18.

[8])عزّ الدّين إبن شدّاد،المصدر السّابق،ص350،والحنبلي،شذرات الذّهب،ج3ص409.

[9]) زامباور، المرجع السّابق، ص345 .

[10])عزّ الدّين إبن شدّاد، المصدر السّابق، ص 350، أمّا إبن الأثير فيذكر وقوع الحادثة في 515هـ/1121م، را: الكامل، ج 9ص209 ، وكان يحكم ميّافارقين وقتها أمير خلاط سكمان القطبي (493-506هـ/1099-1112م) منذأن إنتزعها من بني مروان الأكراد في 502 هـ/1108م، وكان رغم حسن سياسته ضعيف من النّاحيّة العسكريّة مقارنة بإيلغازي، را: زامباور، المرجع السّابق، ص348.

[11]) إبن العديم، المصدر السّابق، ج2، ص 180.

[12])عزّ الدّين إبن شدّاد، المصدر السّابق، ص 350.

[13]إبن العديم، المصدر السّابق، ج2ص 198.

وعزله[1]، ثمّ عيّن سليمان بن عبد الجبّار بن أرتق عليها ولقّبه ببدر الدّولة[2]، وبقي حاكماً عليها إلى أن أخذها منه بلك بلك بن بهرام الأرتقي سنة 517هـ/1123م[3].

أمّا إيلغازي فقد إستحوذ على نصيبيين سنة 514هـ/1120م[4]،قبل وفاته في 516هـ/1122م[5]،فآلت الأمور في حلب

للأميرآق سنقر البرسقي[6] سنة520هـ/1126م[7] بعد أن قُتل بلك قرب منبج[8]،وانشغل حسام الدّين تيمورطاش بتوطيد بتوطيد حكمه في دياربكر[9]، وكان يهتم أساساً بالجانب الثقافي، وتحسين الشؤون الدّاخليّة لإمارته[10]، ولكنّه حافظ على التقاليد العسكريّة للأراتقة في الإستحواذ على الحصون، وعليه فقد إنتزع من الأكراد المروانيّة آخر معاقلهم-قلعةالهتّاخ[11]- في532هـ/1137م[12]، وظفر بسميساط والبيرة قبل وفاته في أوائل محرّم546 هـ/ 1151م[13]، ولكنّه فقد مدينة نصيبيين الهامّة والغنيّة لصالح عماد الدين زنكي سنة 521هـ/1127م[14]، والّذي أخذ كذلك عدداً من أعمال ماردين وكثيراً من حصون الأراتقة في ديّار بكر في سنة 538هـ/1184م[15].كما عجز خلفائه عن الحفاظ على ثاني أهمّ مدن إمارتهم ميّافارقين فانتزعها منهم الأيّوبيين سنة581هـ/ 1185م[16].

---

[1]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص209، وإبن العديم، المصدر السّابق، ج2 ص 200.

[2]) إبن العديم، المصدر السّابق، ج2 ص201-202..

[3]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص217، وإبن العديم، المصدر السّابق، ج2 ص 212 ، وإبن العبري، المصدر السّابق، ص351.

[4]) عزّ الدّين إبن شدّاد، المصدر السّابق، ص 350.

[5]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص 227، والذّهبي، دوّل الإسلام، ج2 ص22، وإبن العماد الحنبلي، المصدر السّابق ،ج4 ص 48.

[6]) ***آق سنقر البرسقي:*** واحد من كبار القادة العسكريين لجيوش السّلاجقة في بلاد الجزيرة والعراق، إستولى على حلب في 520هـ/1126م لحمايتها من غزو صليبي كان وشيكًا، ولكنّه أُغتيل في 8 ذي القعدة 520هـ/ 25نوفمبر 1126م، را: إبن الأثير ،الباهر، ص31، وإبن القلانسي، المصدر السّابق، ص198، وإبن العبري، المصدر السّابق، ص 346-347، وزامباور، المرجع السّابق، ص 60.

[7]) إبن العديم، المصدر السّابق، ج2 ص 229-230.

[8]) إبن كثير، البداية والنّهاية، ج16 ص 265.

[9]) إبن العديم، المصدر السّابق، ج2 ص 225-226.

[10]) إبن الأثير، الكامل، جج9ص227، وعزّ الدّين إبن شدّاد، المصدر السّابق، ص 325.

[11]) ***الهتّاخ:*** قلعة حصينة في ديّار بكر قرب ميّافارقين، را: ياقوت الحموي ، المصدر السّابق، ج5 ص 392.

[12]) إبن العبري، المصدر السّابق، ص 358.

[13]) عزّ الدّين إبن شدّاد، المصدر السّابق، ص 362.

[14]) إبن واصل، المصدر السّابق، ج1 ص 35-36..

[15]) إبن الأثير، الباهر، ص 66.

[16]) عزّ الدّين إبن شدّاد، المصدر السّابق، ص330، وكان قطب الدّين إيلغازي قد خلف والده حسام الدّين تيمور طاش على عرش ماردين حتّى سنة580هـ/1184م، فخلفه إبنه الطّفل"يولق أرسلان"، وتولّى الوصاية عليه خاله "شاه أرمن" أمير خلاط، ثمّ خلفه مملوك قطب الدّين؛ وإسمه نظام الدّين ألبقش، والّذي تحكّم في تسيير شؤون الإمارة ، كما تزوّج بأم الأمير الأرتقي، والّذي كان ضعيف القدرات الذّهنيّة، وتوفّيَ في597هـ/1200م ،وتذكر المصادر أنّ ألبقش لم يدّخر جهداً في الحفاظ على ميّافارقين، ولكنّ الخاتون إبنة قرا أرسلان ووالدة الأمير يولق أرسلان فاوضت السّلطان صلاح الدّين وسلّمته المدينة، را: إبن الأثير،

وكادوا أن يأخذوا ماردين نفسها سنة 595هـ/1198م[1]، الّتي إستسلمت للمغول في صفر 658هـ/فيفري 1260م،فخرّبوا أسوار قلعتهاالحصينة،ومنحوا لأميرها صلاحية حكم نصيبين، ودارا،ورأس عين،وكِوَرَ الخابورتحت سلطتهم المباشرة[2]، ثُمّ دخل الأراتقة تحت حماية المماليك بعد نهاية حكم مغول إيران في 736هـ/1336م[3] إلى سقوط دولتهم بشكل نهائي سنة ذي الحجّة811هـ/ماي1409م[4](أنظر الجدول رقم:2).

الفصل الثّاني:

علاقة الأراتقة بالقوى الإسلاميّة جنوب ديّاربكر حتّى الغزو المغولي(658هـ/1260م).

أوّلًا: إرتباط الأراتقة بالأحداث السيّاسيّة في العراق،والموصل،وشمال الشّام.

المبحث الأوّل:علاقة الأراتقة بالقوى الإسلاميّة جنوب ديّار بكر.

أوّلاً:قبل ظهور الزّنكيين عام 521هـ/1127م:

1. **من 496هـ إلى 511هـ/1102-1117م:**
2. **من511 إلى 521هـ/1117-1127م:**

أ. **حلب تحت إمرة إيلغازي(511-516هـ/1117-1122م):**

ب. **حلب الأرتقيّة بعد وفاة إيلغازي(516-521هـ/1122-1127م):**

ثانيًا:علاقة الأراتقة بالزّنكيين من521إلى 569هـ/1127-1173م.

1. **فترة حكم عماد الدّين زنكي(521-541هـ/1127-1146م).**
2. **فترة حكم نور الدّين محمود بن زنكي(541-569هـ/1127-1173م).**

الكامل، ج10ص134، وإبن شاهنشاه، المصدر السّابق، ص219-220، وإبن شدّاد، المصدر السّابق، ص 330، وإبن العبري، المصدر السّابق، ص381، والذّهبي، دوّل الإسلام، ج2ص48، وإبن كثير، المصدر السّابق، ج16 ص568.

[1]) إبن الأثير، الكامل، ج10 ص 260.

[2]) رشيد الدّين فضل اللّه الهمذاني، جامع التّواريخ، ج2 ص 12-13.

[3]) إبن كثير، المصدر السّابق، ج18 ص382، وأبو الفدا، المختصر، ج4 ص 118.

[4]) إبن شاهين الظّاهري، نيل الأمل في ذيل الدوّل، ق1ج1، ص 176

المبحث الثاني :علاقة الأراتقة بالأيوبيين(570-658هـ/1174-1260م):

أولًا:علاقة الأراتقة بالسُلطان صلاح الدّين(570-589هـ/1174-1192م):

ثانيًا:علاقة الأراتقة بالأيوبيين بعد وفاة السّلطان صلاح الدّين 589هـ/1192م

مدخل: إستعرضنا في الفصل السّابق مسيرة الدّولة الأرتقيّة بمختلف فروعها من النّشأة إلى السقوط، ومن المهم أن نذكر أنّ فترة حكمها ميّزها مُعاصرتها لظرفين تاريخيين هامّين؛ الأوّل: إنهيار قوّة السلاجقة وإستقواء الأمراء المحلّيين ممن تحصّلوا على إقطاعات من سلاطينها[1]، وأصبحوا شبه مستقلّين [2]، والثّاني إحتلال الصليبيين لأجزاء من بلاد الشّام والجزيرة، فأدّى ذلك إلى تكريس أغلب المجهود الحربي لطردهم منها[3]، وانطلاقًا من ذلك نتسائل؛ كيف تعامل الأمراء الأراتقة مع القوى الإسلاميّة في الجزيرة وبلاد الشّام؟، وإلى أي مدًى ألقى الغزو الصّليبي بتأثيراته على ذلك؟.

المبحث الأوّل: علاقة الأراتقة بالقوى الإسلاميّة جنوب ديّار بكر.

أوّلاً: قبل ظهور الزّنكيين عام 521هـ/1127م:

اخترنا تحديد بداية حكم آل زنكي كنهاية لهذه الجزئيّة من البحث لأنّ ظهور الأتابك عماد الدّين على مسرح الأحداث في بلاد الجزيرة وشمال الشّام كان ذو تأثير هام على نشاط القوى السيّاسيّة المحليّة فيهما بسبب تبنّيه لوجوب وحدة المنطقتين لمواجهة العدو الصّليبي المشترك [4] وبخاصّة أنّه كان مؤيّدًا في ذلك من طرف الخليفة العبّاسي والسُّلطان السّلجوقي [5].

1)من 495هـ إلى 511هـ/1101-1117م:

إرتكز الأتابكة[6] في أخذ الشّرعيّة على عاملين: الإقطاع السّلجوقي أولًا، والدّعاء للسّلطان من على المنابر ثانيًا، وكانت هاتين هاتين الرّابطتين مُتَعَلّقَتَيْن بالقدرات العسكريّة للسّلطة المركزيّة[1]، وبوصف الأراتقة منهم فإنّهم كانوا شبه مستقلّين في

[1]) كان الإقطاع واحداً من أسس التّنظيم العسكري لدولة السّلاجقة،فصاحب الإقطاع –وهوّ واحد من أمراء الجيش- كان مستقلّاً ذاتيّاً ،وله حق التّوسّع،وامتلاك ما يفتحه من مناطق،مع تزويد السّلطان بالجند وقت الحاجة والاحتفاظ بمدخول إقطاعه كاملاً، وهذا ما أضعف السّلطة المركزيّة فيها، را: عصام محمّد شبارو، السّلاطين في المشرق العربي، ج1 ص 46-47.

[2]) حسن أحمد محمود، العالم الإسلامي في العصر العبّاسي، ص 478.

[3]) محمود محمد الحويري، بناء الجبهة الإسلاميّة المتّحدة وأثره في التّصدّي للصّليبيين، ص 64.

[4]) كارل بروكلمان، تاريخ الشّعوب الإسلاميّة، ص 348.

[5]) عصام عبد الرّؤوف الفقّي، المرجع السّابق، ص 15.

[6]) ***الأتابكة:*** اتّخذ سلاطين السّلاجقة أمراء لتدريب أبنائهم على فنون القتال والحرب، وطُرق الحكم،وأساليب الإدارة، وحملوا إسم "أتا" وتعني الوالد، و"بك"وتعني الأمير أي الأمير الوالد، واستفادوا بحكم منصبهم من صلاحيّات واسعة ونفوذ كبير،كما كانوا غالباً ما يتزوّجون بزوجة السّلطان بعد وفاته، ويتزوّج الأمير السّلجوقي

علاقاتهم مع بقيّة الأتابكيّات، وإن كانوا كلّهم يدينون-إسميًا- بالولاء للسّلطان السلجوقي (أنظر الجدول رقم:3)، وهكذا كان اوّل ما استهلّوه في علاقاتهم الخارجيّة تحالفهم مع أمير الموصل شمس الدّين جكرمش الّذي طلب من سقمان بن أرتق دعمه في دفع خطر الصّليبيين عن حرّان (لاحظ الخريطة رقم4) في497هـ/1105م، فاجتمع القائدان على نهر الخابور قرب رأس العين،في أوائل شعبان من نفس السّنة/ مارس1105م، ومعهما عشرة آلاف فارس من العرب والأكراد والتركمان لمهاجمة

القاعدة الخلفيّة للقوات المُعادية مدينة الرُّها، فتمّت المُهمّة بنجاح، ولكنّ سقمان وجكرمش -إختلفا حول تقسيم الغنائم، فافترقا[2]، وعاد الثّاني على عجل إلى الموصل[3].

كما استنجد أتابك دمشق بأمير حصن كيفا ليتولّى الدّفاع عنها من نفس العدو، فالأتابك ظهير الدّين طُغُتَكين (497-511هـ/1103-1117م) تعرّض لمرض شديد خشي بسببه الرحيل عن الدُّنيا دون أن يخلفه أمير قوي، ففكر بصاحب حصن كيفا ثُم غير رأيه بعد أن حذّره بعض من مستشاريه من غدره[4].

ويمكن تفسير إستنجاد أميرَيْ دمشق والموصل بسقمان؛ بالمكانة التي حازها كقائد عسكري مُحنك في حروبه السّابقة، والإرث العسكري المأخوذ من والده أرتق بك، ناهيك عن عدم تعرض قوّاته للإستتزاف لأنّها لم تكن في مواجهة مباشرة مع القوى الصليبية فوق أراضيها أمّا إيلغازي - أمير ماردين- فقد تحالف سنة 502هـ/1108م مع جاولي سقّاووا وأمير حلب رضوان بن تتش لمحاربة سلطان سلاجقة الرّوم قلج أرسلان (485-500هـ/1092-1106م)، حينما إلتقت عساكرهم بقُوّاته على نهرالخابور، وهزموه، وغَرَقَ قلج أرسلان، ثمّ وجدت جثّته بعد أيّام؛ فدفنت في إحدى القرى القريبة، وأسر الأمير جاولي إبنه ملكشاه، وأرسله إلى السّلطان محمّد السّلجوقي (498-511هـ/1104-1117م)[5]، وكان ذلك سبباً في توقّف مشروع توسّع سلاجقة الرّوم جنوبا إلى حين[6].

من إبنة الأتابك، وهذا الأمر أدّى تدريجيّا إلى إستقلال كثير منهم بولايات في مختلف أنحاء الدولة إبتداءً من القرن 6هـ/12م، كما صار هذا اللّقَب يُمنح كلقب من ألقاب الشّرف لكبار رجال الدّولة وقادة الجيوش، وأخيرًا أصبحوا أصحاب النّفوذ الفعلي في البلاد الّتي يحكمونها، واتّخذوا لأنفسهم الألقاب الّتي إستحسنوها، وأحاطوا أنفسهم بكلّ مظاهر العظمة والسّلطان، وتسابقوا في التّوسّع على حساب جيرانهم، فسادت بذلك الفوضى في معظم أنحاء الشّرق الإسلامي، را: أرنست باركر، المرجع السّابق، ص 49، وحافظ أحمد حمدي، المرجع السّابق، ص 119.

[1]) حسن أحمد محمود، المرجع السّابق، ص 482.

[2]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص 73، و إبن القلانسي، المصدر السّابق، ص 232، و إبن العماد الحنبلي، المصدر السّابق، ج3 ص 404.

[3])كان الأمير جكرمش تابعاً للسّلطان بركياروق، وكان هذا الأخير في حرب ضدّ أخيه محمّد بن ملكشاه، الّذي هاجم الموصل وحاصرها من صفر إلى جمادى الأولى499هـ/ أكتوبر1105 ـــ جانفي1106م، وتوفيّ بركياروق أثناء الحصار، فانضوى جكرمش تحت إمرة السّلطان محمّد، ولكنّ أحد الأمراء واسمه "جاولي سقّاووا" أخذ المدينة محلّ النّزاع، بعد أن أهان أميرها الشّرعي الّذي مات متأثّراً بسوء المعاملة،ويذكر البعض أنّ مافعله "جاولي" كان بتدبير من السّلطان، را: إبن الأثير، الباهر، ص16، وإبن العبري، المصدر السّابق، ص344، والذّهبي،تاريخ، حوادث501-510هـ، ص 10.

[4]) إبن القلانسي، المصدر السّابق، ص237.

[5]) إبن الأثير،الكامل، ج9 ص107، وإبن القلانسي، المصدر السّابق، ص251، والذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات 501-510هـ، ص11، واليافعي، المصدر السّابق، ج3 ص 130.

[6])لم يجد أهل الموصل من طريقة للتّخلّص من ظلم وفساد جاولي سقاووا سوى الإستنجاد بأمير عرب العراق صدقة بن مزْيَد الأسدي، فلم يستجب لهم، فراسلوا شحنة بغداد قسيم الدّولة آق سنقر البرسقي، فقصدها ثُمّ غادر في غضب شديد لأنّ أهلها راسلوا قلج أرسلان إحتيّاطاً والّذي سارع بجيشه إلى دخولها وقام بتخفيف

ويمكن تفسير تحالف إيلغازي مع رضوان برغبة الطّرفين في الحفاظ على التّوازنات السّياسيّة في منطقة الجزيرة، لأنّ دخول قوّة كبرى مثل سلاجقة الرّوم للمنطقة، سيؤدّي إلى القضاء على سلطة الأمراء التّابعين لمحمّد بن ملكشاه، لأنّ قلج أرسلان أقوى سيّاسيًّا وأقدر عسكريّا.

ومهما يكن من أمر فقد كان جاولي أكبر من إستفاد من مصرع سلطان سلاجقة الرّوم[1]، فاستقوى بالمال والأتباع، واستصغر

أمر السُّلطان مُحمّد ، فلم يدفع الجباية المقرّرة عليه أو يدعمه عسكريّا في حروبه [2]، فأرسل إليه الأميرَ مودود بن ألتونتكين (والي الموصل من 502 إلى 507هـ/1108-1113م) فطرده من الموصل في صفر 502هـ/1108م ، فغادر إلى نصيبين وبها الأمير إيلغازي، وحرّضه على محالفته من جديد لمحاربة السّلاجقة، فتعرّض الأمير الأرتقي لموقف جِدُّ صعب، وانزوى في عاصمة مُلكه تاركا أحد أبنائه في نصيبين، ولمّا أدرك جاولي أنّه يتهرّب منه، ارتحل إلى دارا، وأرسل إليه رسولاً دون فائدة، فقصده في قلعة ماردين متذلّلاً واعتقد بذلك أنّه نال مُراده، ثُمّ أقام معه مركزاً للعمليّات في نواحي نصيبين، كما حاصرا سنجار، وفشلا في دخولها، ثُمّ غادرا إلى الرّحبة، وهناك فرّ الأمير الأرتقي في منتصف الطّريق عند بلدة عرابان، وتحصّن بنصيبين[3]، وبعدها تعرّض جاولي الانتكاساتٍ عسكريّة كبيرة اضطّرّتهُ للإستسلام للسّلطان بعد أن ضعف أمره وانفضّ عنه أغلب أتباعه[4].

المكوس، ونشر الأمن والعدل، وإسقاط إسم السّلطان محمّد بن ملكشاه من الخطبة،في حين استقرّ جاولي ّبالرّحبة الّتي إستخلصها من محمّد بن سبّاق الشيباني، را: الذّهبي، تاريخ، حوادث501-510هـ، ص11، وإبن العبري، المصدر السّابق، ص345.

[1]) إبن القلانسي، المصدر السّابق، ص270، إبن العبري، المصدر السّابق، ص346، والذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات501-510هـ، ص12، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص 47.

[2]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص124، والذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات501-510هـ، ص 12 ، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص 47، ويذكر إبن الأثير أنّ جاولي كان يهدفُ إلى التوسّع في الشّام وانتزاع حلب من رضوان بن تتش وهو السبب الحقيقي لإرسال السّلطان جيشاً لمحاربته، را: الباهر، ص 17.

[3]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص 125-126، وإبن العبري، المصدر السّابق، ص 346، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج 5 ص 47.

[4]) بعد أن ترك إيلغازي جيش جاولي، قام هذا الأخير بإطلاق سراح الكونت بالدوين في بلدة"ماكسين" من أعمال الخابور، وكان أسيراً في الموصل لخمس سنوات، واشترط عليه إطلاق ما لديه من الأسرى المسلمين ومساعدته عسكريّاً عند الحاجة، وفعلاً؛ تجسّد هذا الإتّفاق حينما أغار جوسلين–أمير الرّها–على منبج برفقة مجموعة من عساكر جاولي، والّذين أنكروا عليه عمليّة النّهب،وبعدها تحالف بالدوين مع تنكريد أمير أنطاكية،وتحالف جاولي في الرّحبة مع بدران وأبو كامل منصور إبنا سيف الدّولة صدقة بن دبيس لغزو الحلّة، ثمّ إنضمّ إليهم الأصبهذ "صباوو" والأمير بكتاش بن بكتاش بن ألب أرسلان، وتوجّهوا لغزو الشّام،وحالفهم لاحقًا سالم بن مالك صاحب قلعة جعبر ليسترجع الرقّة من جوشن زعيم قبيلة بني نمير ، وللإنتقام من حليفهم رضوان، ولكن هؤلاء نجحوا في رشوة جاولي حينما حاربهم، فانسحب سالم بن مالك من هذا التّحالف ثُمّ أرسل السّلطان الأمير حسن بن الأتابك قتلغ تكين ليفاوض الأمير جاولي الّذي طالب بعودته لحكم الموصل، فرفض مودود وتوعّده، فغادر إلى بالس في 13 صفر 502هـ/سبتمبر 1108م، وكانت تتبع إمارة حلب، فنهب، وقتل، وأحرق، وسلب، ثم دخل في مناوشات ضدّ قوّات أنطاكية وحلب، مرفوقاً بجوسلين وبالدوين، فانهزم وخذله حلفائه من المسلمين والصّليبيين على السّواء، وتفرّق عنه جنده، فغادر إلى أصفهان؛ وطلب الوساطة من أجل عفو السّلطان، فأمّنه وعفا عنه، وقبض على إبن عمّه الأمير بكتاش السّلجوقي وسجنه في قلعتها، را: إبن الأثير، الكامل، ج9 ص 126-130، والذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات 501-510هـ، ص12-13، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج 5 ص 47-49.

وفي السّنة التّاليّة (503هـ/1109م) شارك إيلغازي –برفقة عدد كبير من التّركمان-في تحالف ضدّ الصّليبيين قاده الأمير مودود، وكان معهما أيضاً الأمير سقمان القطبي "شاه أرمن"وعدد كبير من المتطوّعين، وحاصروا مدينة الرّها من شوّال إلى ذي الحجّة 500هـ/ماي-جويلية 1110م حصاراً مُحكَمًا [1]، كما راسلوا أتابك دمشق طغتكين فسار بقوّاته-مع عدد كبير من المتطوّعة- إلى سلميّة،فالرّقّة،فقلعة جعبر،ومنع الصّليبيين من عبور الفرات [2]، ولمّا قدم لنجدتهم الدّعم العسكري من مملكة بيت المقدس ،تراجع التّحالف الإسلامي إلى حرّان [3]، من أجل ملاقاة الصّليبيّين في منطقة مفتوحة بعد وصول الدّعم العسكري من دمشق،ولكنّ أعداء التّحالف تفطّنوا للمكيدة فغادروا بعد أن زوّدوا الرّها بالعساكر ومختلف الإمدادات[4]، فهاجم المسلمون مؤخّرة جيشهم حينما غادروا[5].

وفي 505هـ/1111م شارك جيش ماردين بقيّادة أياز بن إيلغازي في حملة ثانيّة على الصّليبيين -بسبب تهديدهم لحلب، واستنجاد أهلها بالسّلطان والخليفة في بغداد (أنظر الجدول رقم:3)[6].

وكانت معهم قوّات مودود، وسقمان القطبي،ومسعود بن محمّد بن ملكشاه، وأحمد يل الكردي صاحب مراغة[7]،وأبو الهيجاء الهيجاء صاحب أربل، وغيرهم[8]، وتعتبر هذه الحملة توكيلاً من قِبَلِ السُّلطان لأمراء دولته بمحاربة الصّليبيين لأنّ الخلفاء العبّاسيين كانوا يضفون الشّرعيّة على أمراء الجزيرة والشّام، ليتكفّلوا بالجهاد بصورة فعليّة وميدانيّة [9]، ولهذا فإنّ السّلطان أمركلّ من يعترف بسلطته –ولوإسميّا- بالمشاركة في هذه الحملة [10]، وهكذا إنطلقت الحملة بمهاجمة سنجار، ثُمّ فتْح حصن شخبتان وقلاع مجاورة له وقتل من بها من الصّليبيين، ثمّ كان موعد الزّحف إلى الرّها، فذُعِرَ سُكّانها ومن جاورهم، وامتنعوا بها، وخرّبت قوّات نجدة صليبيّة ضواحي حلب [11]، لكي لا يدعم رضوان القوّات الإسلاميّة[12]، وكان مودود قد توجّه بجيشه إلى تل باشر وحاصرها خمسة وأربعين يوماً، فاستغلّ ذلك الصّليبيّون ودعّموا الرّها ماديّاً وعسكريّا، فسارع جيش التّحالف إلى حلب أين خذلهم رضوان عند أسوارها [13]، و تردّد خوفاً منهم [1]، لأنهم مُرسلون من السّلطان أوّلًا، ولأنّه يعلم كره

---

[1]) محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب، ص 45، و عيسى الحسن، تاريخ العرب، ص 156-157.

[2]) إبن القلانسي، المصدر السّابق، ص 271.

[3]) عيسى الحسن، المرجع السّابق، ص 157.

[4]) محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب، ص 46.

[5]) عيسى الحسن، المرجع السّابق، ص 158.

[6]) سهيل زكّار، موسوعة الحروب الصّليبيّة،ج23 (الحريري، الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاعين)، ص 325، والذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات 501-510هـ، ص21.

[7]) ***مراغة***: مدينة كبيرة من أعمال أذربيجان، غزيرة الأنهار،كثيرة الأشجار، وبها معابد للمجوس، وحمّامات حارة يُتداوى بها، را: القرماني، المصدر السّابق، ص 488.

[8]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص 143.

[9])كلود كاهن، المرجع السّابق، ص 194.

[10]) عيسى الحسن، المصدر السّابق، ص 158 .

[11]) إبن الأثير، الباهر، ص17، والكامل، ج9 ص143، اليافعي، المصدر السّابق،ج3ص135، إبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص49.

[12]) خاشع المعاضيدي، المرجع السّابق، ص159.

[13]) إبن الأثير، الباهر، ص17، والكامل، ج9 ص143، و الذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات501-510هـ، ص23و159، ودوّل،ج2ص10.

الحلبيين لسيّاسته ولاسيّما تقاعسه عن الجهاد ثانيًأ، ولسوء سيرته فيهم ثالثًا، وبالتّالي اعتبر فتح الأبواب لقوّات مودود عمليّة إنتحار[2]، فردّ الأخير على هذا الخذلان بنقل ميدان المواجهة إلى المعرّة، وفيها جاءه المدد من دمشق [3]، للحيلولة دون استهدافها من أمراء التّحالف[4]، وفي نفس الوقت هادن طغتكين الصّليبيين سرّا[5] (أنظر الجدول رقم: 5).

وما هيّ إلّا أيّام حتّى تعرّض الأمير مودود لمواقف صعبة بانسحاب أحمد يل، ومرض سقمان القطبي ثمّ وفاته في طريق العوْدة، ومَرَض الأمير برسق بن برسق وعَجزِه عن الحركة[6]، فتفرّق الأمراء ماعدا مودود وطغتكين[7]، بينما عبر إيلغازي الفرات من جهة بالس واعترض موكب سقمان القطبي وهوّ عائد إلى ديّاره بنيّة أسْر من فيه، ولكنّه فشل في مسعاه، وخسر كثيراً من المال والعتاد[8].

ثُمّ عاد الأراتقة بقيّادة أياز بن إيلغازي إلى الشّام سنة 506هـ/1113م، ومعه مودود، وأمير سنجار تميرك، ولاقاهم طغتكين في سَلَمِّيّة، وهوّ الّذي استنجد بهم بعد أن إستنزفه الصّليبيّون عسكريّاً وإقتصاديّاً، وكان هدف الجيش الإسلامي هذه المرّة فتح بيت المقدس[9]،وكان الملك بالدوين الأوّل (495-512هـ/1100-1118م) قد عَسْكر قريبًا من نهر الأردن [10]، فاجتازه المسلمون وحاصروا طبريّة، ثمّ إندلع القتال فانتصر جيش مودود في 13محرّم 507هـ/ جوان-جويلية 1113م[11]، وتُسمّى هذه المعركة "الصَّبْرَة"[12]، والتي أُسر فيها بالدوين نفسه[13].

وبعد هذه الكارثة تلقّى الصّليبيّون نجدات من إمارة أنطاكيّة وحاكم طرابلس بونز (507-521هـ/1113-1127م) فهاجموا القوّات الإسلاميّة، ودامت الإشتباكات مدّة ستٍّ وعشرين يوماً قبل أن يغادر المسلمون إلى دمشق بعد أن خرّبوا

---

[1]) محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب، ص47، وخاشع المعاضيدي، المرجع السّابق، ص159، وعيسى الحسن، المرجع السّابق، ص159.

[2]) حامد زيّان، الصّراع السيّاسي والعسكري بين القوى الإسلاميّة خلال فترة الحروب الصّليبيّة، ص62.

[3]) إبن الأثير، الباهر، ص17.

[4]) عيسى الحسن،المرجع السّابق،ص159.

[5]) إبن الأثير، الكامل،ج9ص144.

[6]) إبن الأثير، الباهر،ص18، والكامل، ج9 ص144، وعزّ الدّين إبن شداد، المصدر السّابق، ص323، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص49.

[7]) غادر مودود وطغتكين المعرّة إلى نهر العاصي ثم ّأفامية وهناك تحالفا مع بني منقذ أمراء شيزر، وتصادموا مع قوّات صليبية، وأسروا عددا منهم، ثمّ عاد مودود إلى الموصل، وأكمل طغتكين قتالهم، وأخذ حصناً من حصونهم، را: إبن الأثير، الكامل، ج9 ص144، والذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات501-510هـ، ص24.

[8]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص 144.

[9]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص 149، ووليم الصّوري، الأعمال الكاملة في ماوراء البحار، ج1 ص547، والذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات501-510هـ، ص26، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص 50.

[10]) ***نهر الأردن***: هناك نهران يُطلق عليهما تسميّة الأردن،الأوّل نهر الأردن الكبير،وينبع من جبال وعيون، ويصب في بحيرة طبريّة بعد أن يشقي سواحل الشّام من جهة صور،والثّاني ينبع من بحيرة طبريّة ويُسمّى"نهر الأردن الصّغير"،وينحدرجنوبًا مُشكّلًا غور الأردن،وهوّ منخفض ذو تربة خصبة،وعليه قرى ومزارع كثيرة تنتج أساسًا السُكّر،ويجتمع بنهر اليرموك فيُصبحان نهرًا واحدًا يصُبُّ بدوره في البُحيرة المنتنة(البحرالميّت)،را:ياقوت الحموي،المصدرالسّابق،ج1ص147-148.

[11]) إبن الأثير، الباهر، ص18، والكامل، ج9 ص 149، ووليم الصّوري، المصدر السّابق، ج1 ص 548، والذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات 501-510هـ، ص27.

[12]) عيسى الحسن، المرجع السّابق، ص161.

[13]) وليم الصّوري، المصدر السّابق، ج1 ص 548، والذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات501-510هـ، ص27.

أراضي الصّليبيين ومحاصيلهم [1]، وفي هذه المدينة جرى اغتيّال مودود [2]، فخلفه في قيادة العمليّات العسكريّة على محور الموصل-الشّام؛الأمير آق سنقر البرسقي [3]، والّذي ناصب إيلغازي العداء، لرغبته في الإستيلاء على ماردين باسم سلطان السّلاجقة[4]، وما شجّعه على ذلك هوّ ضمّه لجزيرة إبن عمرمن جهة، وعدم إلتزام إيلغازي بالمشاركة الشّخصيّة في حروب الشّام مفضّلا إرسال إبنه "أياز"[5].

و يمكننا تفسير موقف أمير ماردين بأنّه كان يراها حقّاً من حقوقه الشّخصيّة والّتي حصل عليها الأراتقة بتضحيّاتهم بالمال والرّجال وخدماتهم الجليلة للخلفاء العبّاسيّين والسّلاطين السّلاجقة، وأنّه أثبت ولائه في غيْر ما موضع- بما فيها محاربته للصّليبيين-، وهوّ أسبق في ذلك منّ البرسقي نفسه.

ومهما يكن من أمر فإنّ آق سنقر لم يتجاوز عن إيلغازي، ولّما عاد إلى الموصل، شرع في "تأديب" الأراتقة فقبض على الأمير "أياز" في "شخبتان"، ثمّ خرّب أرياف ماردين، وتحجّج بافتقاد جيشه لخبرة إيلغازي العسكريّة في حملته على الرّها ،وامتناعه عن تزويد جيشه بالإمدادات الكافيّة من المؤونة[6].

وافتقار الأمير أياز للإنضباط اللازم أثناء فترة الحصار [7]، فردّ بمراسلة أراتقة حصن كيفا، وكان أميرهم داود بن سقمان (502-539هـ/1108-1144م)، فساندوه بعدد كبير من الفرسان هزموا جيش البرسقي في أواخر 508هـ/1114م، وحرّروا أياز، فكان لهذه الهزيمة وقع عظيم لدى السّلطان محمّد (498-511هـ/1104-1117م) فأرسل إلى الأراتقة بالتّهديد والوعيد[8]، حينها أدرك إيلغازي حجم الكارثة الّتي ستحِلّ به، وفرّ إلى دمشق لاجئًا إلى طغتكين طغتكين طالباً حمايته[9]، فهوّ الآخر كان مغضوبا عليْه من طرف السّلطان لاتّهامه بالتّدبير لعمليّة إغتيّال مودود [10]،واتّفق معه

---

[1]) وليم الصّوري، المصدر السّابق، ج1ص549، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج 5 ص50.

[2]) كان مودود قد سرّح عساكره على أمل العودة إلى الغزو في فصل الرّبيع، واستضافه طغتكين في دمشق؛أين إغتاله عناصر من طائفة الإسماعيلية بعد صلاة الجمعة في الجامع، واتّهم طغتكين بقتله،و الإتّفاق مع الإسماعيليّة على ذلك، را: إبن الأثير، الكامل، ج9 ص150، والحريري، المصدر السّابق، ص326، والذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات501-510هـ، ص28، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص50، واليافعي، المصدر السّابق، ج3 ص147.

[3]) الذّهبي، تاريخ، حوادث 501-510هـ، ص29.

[4]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص153.

[5]) إبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص50.

[6]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص153،و الذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات 501-510هـ، ص31،وإبن خلدون،المصدرالسّابق، مج5 ص257.

[7]) إبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص 50.

3) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص154، والذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات 501-510هـ، ص31، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص257.

[9]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص154، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص257.

[10]) الذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات501-510هـ، ص31، وهيّ تهمة مردود عليها، لأنّ الأتابك طغتكين كان أكبر الخاسرين حينما اغتال الحشّاشون مودود، فعلاوة على حزنه الشّديد لفقدان هذا القائد العسكري الكفء، فإنّ قدراته العسكريّة كانت ستضمن إستتراف القوى الصّليبيّة، لاسيّما أنّ لطغتكين سوابق في محاربتهم وكان في ذلك يفتقد لحليفٍ قوي، را: القرماني، المصدر السّابق، ج3 ص281، وعيسى الحسن، المرجع السّابق، ص 162-163.

على دفع بلاء السّلطان وإن تطلّب ذلك التّحالف مع الصّليبيين [1]، وهوّ ماحدث فعلاً؛ حينما عقدا معاهدة تحالف مع أمير أنطاكية روجردي سالرنو (506-513هـــ/ 1112-1118م)[2].

وبعد أن إستَوثق أمير ماردين من ضمان حليفين قويين إلى جانبه، عزم على العودة إلى ديّار بكر، واستراح في طريقه بالرّستن[3]

بالرّستن[3] مع قلّة من رجاله، فاستغلّ ذلك أمير حمص قير خان بن قَرَه جَه، وبادر إلى أسره[4]، فأدرك الأمير الأرتقي سوء العاقبة إن وقع بين يدي السّلطان ففاوضه واقترح عليه عقد مصاهرة بينهما، والإحتفاظ بالأمير "أياز" رهينة عنده[5]، أمّا طغتكين فحاصر حمص بعدأن علم بما حدث لإيلغازي، ولكنّه عاد أدراجه بعد أن هدّد قيرخان بقتل الأسرى، وأرسل إلى السّلطان طالبًا منه

التّعجيل بإرسال قوّة تحميه من طغتكين، وتؤمّن طّريق إيصال الأسرى إلى بغداد، وهو ما لم يحدث، فآثر قيرخان الحلّ الوسط بإطلاق سراح أمير ماردين مقابل الإبقاء على الأمير أياز كرهينة ومصاهرته مع ضمان حمايته من طغتكين وغيره، ثمّ سار الأمير الأرتقي إلى نواحي حلب وجمع من بها من التّركمان، واتّجه إلى حمص يطالب بتسليم ولده [6]، بعد كُلّ هذه الأحداث تحرّك الجيش السّلطاني من الموصل في رمضان 508هـــ/فيفري1118م، وفيه كبار أمراء بلاد الجزيرة [7].من أجل هدفين محدّدين: قتل إيلغازي وطغتكين ثمّ محاربة الصّليبيين وطردهم من الشّام [8]، وعبرت هذه القوّات الفرات عبر الرّقّة إلى حلب [9]،

حلب[9]، الّتي أصبحت هدفاً سهلاً[10]، من أجل إستخدامها كمركز للعمليّات في بلاد الشّام، ولكنّ لؤلؤ الخادم وجيش حلب

حلب رفضوا تسليمهاوإستنجدوابإيلغازي وطغتكين فجدّا في المسير إليها ودخلاها في ألفي فارس، ومنعاها عن جيش السّلطان،فانسحب إلى حماه-وكانت لطغتكين- واقتحمها، وسلّمها الأمير برسق لقير خان، لأنّ السّلطان أمر بتسليمه أيّ مدينة يستولي عليها جيشه، وتسلّم برسق بدوره الأمير أياز، فرأى طغتكين وإيلغازي وأمير جيش حلب شمس الخوّاص

[1]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص154.

[2]) الذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات 501-510هـــ، ص31.

[3].) *الرّستن:* بلدة قديمة على نهر العاصي بين حماه وحمص في منتصف الطّريق، را: ياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج3 ص43

[4]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص154، وإبن القلانسي، المصدر السّابق، ص141، والّذي يذكر أنّ إيلغازي نزل بقلعة من قلاع حمص وثمل فيها، ومكث نائماً لأيّام فعلم بذلك الأمير قيرخان وأرسل من يلقي القبض علَيْه.

[5]) الذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات501 -510هـــ، ص32.

[6]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص154، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص51.

[7]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص158.

[8]) محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب، ص48.

[9]) إبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص51.

[10]) ضعف مركز القرار السيّاسي في حلب بعد وفاة الملك رضوان سنة 507هـــ/1113م، حيث خلفه إبنه ألب أرسلان الأخرس بعد أن إغتال أخويه مبارك شاه وملكشاه، قبل أن يغتال من طرف لؤلؤ اليايا في ربيع الآخر 508هـــ/سبتمر1114م، ويُنصّب أخاه سلطان شاه-وعمره سِتُّ سنوات- ولكن إسميّاً لأنّ الحاكم الفعلي كان الخادم لؤلؤ إلى أن قُتِل ببالس في أواخر 510هـــ/1116م، را: إبن عساكر،تاريخ دمشق، ج9 ص205، إبن الأثير، الكامل، ج9 ص158، وإحسان عبّاس، شذرات من كتب مفقودة (تاريخ العظيمي)، ص67، والذّهبي، حوادث ووفيّات 501-510هـــ، ص30.

ضرورة الإستعانة بحليف قوي،فقصدوا أنطاكية ليستنجدوا بروجر، وأرسل طغتكين إلى ملك بيت المقدس هدايا ثمينة ودعاه للتّحالف عارضًا عليه الإحتفاظ برهائن، ثُمّ رابض الجيش الصّليبي –الإسلامي في قلعة أفامية منتظراً نهاية فصل الشّتاء للشروع في عمل عسكري ضخم ،وبالتزامن مع ذلك تمكّن جيش الجزيرة من دخول كفرطاب،فتفرّق من كان في القلعة لّمارأوا عناد وصمود قوّات برسق طيلة فترة البرد [1]، وعاد إيلغازي وطغتكين إلى ماردين ودمشق على التّوالي [2]، ثمّ قصد طغتكين السّلطان في ذي القعدة 509هــ /مارس1116م، وطلب منه العفو فكان له ذلك [3]، وسار إيلغازي على خطاه أيضًا[4].

□

كانت هذه نهاية آخر حملة يرسلها السّلاجقة إلى الشّام لمحاربة الصّلبيين، فتمتّعت كياناتهم السيّاسيّة بالهدوء إلى حين [5]، وبخاصّة أنّ السلطان محمّد بن ملكشاه توفيّ في ذي الحجّة511هــ/أفريل1118م[6]، و لم يبادر الأراتقة إلى القيّام بعمل عسكري في الموصل أو الشّام إلى أن أرسل إليهم أهل حلب في 511هــ/1117م[7].

---

[1]) إبن الأثير،الكامل، ج9 ص158، وإبن منقذ، الإعتبار، ص90، وإبن العديم، المصدر السّابق، ج2 ص174-175، ووليم الصّوري، المصدر السّابق، ج1ص 555، والذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات501-510هــ،ص34، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص51.

[2]) الظّاهر أن إيلغازي كان على علم بما يدور داخل جيش الجزيرة، وعلم أنّ برسق ركّز كلّ مجهوداته على محاربة الصّليبيين فتعرّض للهزيمة على يد روجر أمير أنطاكيّة وأدّى هذا إلى فوضى في معسكره فقتل الجنود من حاول الفرار من الأسرى ومنهم الأمير أياز، وارتفعت معنويّات جيش روجر فخرّبوا أراضي المسلمين وأخذوا رفنيّة؛ إحدى قلاع طغتكين، فجزع لغدرهم، وهم الّذين إستعادوا كفرطاب أيضاً، ويعود سبب إنهزام برسق وأخاه زنكي لوقوعهما في فخ التوّغل في أراضي إمارة أنطاكية فقطع عليه جيشها طريق العودة إلى المعرّة، فتحوّل إنتصارهما إلى هزيمة كارثيّة، را: إبن الأثير، الكامل، ج9 ص159،ووليم الصّوري، المصدر السّابق، ج1 ص557-558، وإبن العديم، المصدر السّابق، ج2 ص176، والذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات501-510هــ، ص34-35، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص51-52.

[3]) إبن الأثير، الكامل، ج 9ص161.

[4]) عصام عبد الرّؤوف الفقّي، المرجع السّابق، ص148.

[5]) نفسه، ص148، قام السّلطان محمّد بعزل برسق عن إمارة الموصل واستخلافه بالأمير جيوش بك، مع احتفاظ برسق بإقطاعه في الرّحبة وأعمالها، ثمّ مات السّلطان في24ذي الحجّة511هــ/19 أفريل1118م فخلفه نجله محمود ذو الأربعة عشر عاماً،ويعود سبب تعيين جيوش بك أميراً على الموصل لكونه القائد الوحيد الّذي حقّق نتيجة جيّدة خلال الحملة السّابقة باستيلائه على بلدة بزاعة، وانحدار سمعة الأخوين زنكي وبرسق في الوسط العسكري السّلجوقي نتيجة الهزيمة الكارثيّة في بلادالشّام،را:إبن الأثير،الكامل،ج9ص ص 159و161و167،وإبن القلانسي،المصدر السّابق،ص 198،ووليم الصّوري،المصدر السّابق، ج1ص558،والذّهبي،تاريخ،حوادث ووفيّات511-520هــ،ص ص35و270،وإبن خلدون، المصدر السّابق،مج5ص51-52.

[6]) إبن الجوزي، المصدر السّابق، ج17 ص159.

[7]) في سنة 511هــ/1117م اغتيل لؤلؤ الخادم من طرف غلمان أتراك، فخلفه في منصب أتابك حلب مقدّم جيشها شمس الخوّاص لمدّة شهر، ويذكر إبن الأثير أنّ شمس الخوّاص يسمّى كذلك ياروقتاش، في حين يجعله إبن العديم شخصاً آخر غير مُقدّم الجيوش الآنف الذّكر، وأنّ بنات رضوان استخد منه للإنتقام من قتلة لؤلؤ، ثمّ راسل آق سنقر البرسقي المقيم في بالس بتاريخ 1محرّم511هــ/ماي1117م، ولكنّ الحلبيين رفضوا أن يحكمهم، فطلب ياروقتاش النّجدة من إيلغازي، وهاجم الأمير روجر ما يجاوره من أعمال حلب، فهادنه ياروقتاش بحصون وأموال، ثمّ عُزل،وعيّن مكانه إبن الملّحي، والّذي عُزل كذلك وصودرت أمواله، وكان إيلغازي طوال هذه المدّة يراقب الأحداث ويتحيّن الفرصة لدخول المدينة، را: إبن الأثير، الكامل، ج9 ص170-171، وإبن القلانسي، المصدر السّابق، 198، وإبن العديم، المصدر السّابق، ج2 ص177-179، والذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات511-520هــ، ص270، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص258.

1)من511 إلى518هـ/1117-1124م:

أ)حلب تحت إمرة إيلغازي(511-516هـ/1117-1122م):

كانت مدينة حلب متاخمة لإمارة أنطاكيّة الصّليبيّة؛فكان أي ضعف عسكري أو سيّاسي يصيبها يعني وقوعها في أيدي الصّليبيّين،بما يعنيه ذلك من تداعيّات على إستراتيجيّة المقاومة الإسلاميّة،وعليه فإن المُتنفّذين فيها إستبقوا الأمور وقبلوا بتسليمها لأمير ماردين، وبعد أن دخلها الأمير الأرتقي تولّى منصب الأتابكيّة لسلطان شاه، ثم شرع في البحث عن أموال ليدفعها للصليبيين مقابل هدنة قصيرة؛ فصادر أموال بعض الخدم، ثُمّ عاد إلى بلاده ليجمع العساكر، وترك إبنه حسام الدّين تيمورطاش نائباً عنه [1]، امّا إبن العديم[2] فيذكر أنّ أمير ماردين عاد إلى بلاده لنفوره من خاصّتها وترك إبنه رهينة عندهم.

بعد أن غادر إيلغازي رفض أهل حلب الإستنجاد بأمير الرّحبة آق سنقر البرسقي، والأتابك طغتكين، ولكنّهم وافقوا على المساعدة الّتي قدّمها قير خان أمير حمص، الّذي حصّنها، وهيّأها لمواجهة الصّليبيين، وكان خطرهم وشيكًا بعد أن استعادوا بزاعة، وهزموا فيها عساكر دمشق وحلب[3]، وتثاقل أمير الموصل والخليفة عن إرسال المدد، فصار الحلبيّون يتوقّعون ويخشون الأسوأ[4].

في هذه الأثناء كان نجم الدّين إيلغازي يستعد لحملة كبيرة على شمال الشّام، فأرسل يطلب المساعدة والدّعم من الخليفة العبّاسي المسترشد باللّه (512-529هـ/1117-1134م)، وجهّز عشرين ألف من العساكر والمتطوّعين، وقيل أربعون ألفاً وكان معه أمير العرب أسامة بن المبارك بن شبل الكلابي، ودوغان أرسلان الأحدب أمير أرزن وبدليس (ت522هـ/1127م)[5]، أمّا أتابك دمشق وبني منقذ في شيزر فلقد كانا في صفّه منذ أن دخل حلب [6]، واصطدمت قوّات قوّات هذا التّحالف مع الصّليبين في معركة البلاط في 17ربيع الأوّل 513 هـ /6 أوت1119م، فانتصروا وأسروا وقتلوا الكثيرين وفيهم الأمير روجر، و افتتحوا عدّة حصون قبل أن يعود إيلغازي إلى ماردين، ويترك إبنه سليمان عاملا له على حلب[7].

نلاحظ أنّ إيلغازي إستفاد كثيرا من هذه الحملة، فعلاوة على ترسيخ سلطته في حلب،فإنّه نجح في اكتساب احترام أهاليها باعتباره مجاهدا في سبيل اللّه[8]، ونجح في جمع كثير من الحلفاء إلى جانبه فبالإضافة إلى من قدم معه من الجزيرة، صار في صفّه

---

1) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص171.

2) زبدة الحلب ،ج2 ص180.

3) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص185، وإبن العديم، المصدر السّابق، ج2 ص180و181، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص258

4) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص185، وتذكر مصادر أخرى أنّ إيلغازي تحالف مع طغتكين وعقد معه إتّفاقاً في قلعة دوسر (جعبر) قبل إرسال الرّسل إلى الموصل والعراق، را: إبن العديم، المصدر السّابق، ج2 ص186، والذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات 511-520هـ، ص278.

5) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص ص179و185، وإبن العديم، المصدر السّابق، ج2 ص ص187و189، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص258.

6) محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب، ص50.

7) إبن الأثير،الكامل، ج9 ص186، وإبن العديم، المصدر السّابق، ج2 ص188-189، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص258-259.

8) إبن العديم، المصدر السّابق، ج2 ص187-188.

أمير شيزر أسامة بن مبارك بن منقذ الكناني (ت584هـ/1188م)، ونجم الدّولة مالك صاحب قلعة جعبر، والأتابك طغتكين[1]،علاوة على تحالفه القائم مع صهره دبيس بن صدقة الأسدي (501-529هـ/1107-1134م)[2].
أرسل الخليفة المسترشد إلى إيلغازي يطالبه بتسليم دبيس، ولكنّه خالفه وأكرم صهره وأغدق عليه بالأموال، وبقي في ماردين ينتظر نتائج المفاوضات التي أجراها الأمير منصوربن صدقة، والّذي قبل البقاء رهينة لدى السّلطان محمود (511-525هـ/1116-1130م) مقابل الدخول في طاعته من جديد في 515هـ/1121م[3].

وفي هذه الفترة لجأ أمير طرابلس أبوعلي بن عمّار(494-501هـ/1100-1107م) إلى الأمير إيلغازي، حينما إنضمّ إلى جيش الأتابك طغتكين سنة 514هـ/1119م ليحاربا الصّليبيين، بعد أن هزمهم جيش دمشق قرب حلب، والّتي حدث فيها أمر خطير يتمثّل في تمرّد حاكمها الأمير سليمان الأرتقي، وطرده لأبناء رضوان وحاشيّتهم منها، ونهبه وظلمه لأهلها، ومصادرته لأموالهم بتدبير من إثنين من مقرّبيه[4].
ويذكر إبن العديم[5] أنّ إيلغازي كان يرغب في التّنازل عن المدينة لدبيس مقابل مائة ألف دينار، ومساعدته في فتح أنطاكية، أنطاكية، وأنّه اصطنع مع إبنه هذه الأحداث كي لا يفيَّ بوعده، وهيّ رواية تُضعّفها بقيّة الأحداث فأمير ماردين هبّ مسرعاً إلى حلب، وقبض على من حرّضا على الفتنة، وأعدمهما، وكاد أن يقتل ولده لولا فراره إلى طغتكين طالباً وساطته دون جدوى[6].

---

[1]) إبن العديم، المصدر السّابق، ج2 ص186، والذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات 511-520هـ، ص278، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج 5 ص258.

[2])كان دبيس في حرب مع السّلاجقة والعبّاسيين، وفرّ إلى قلعة جعبر فاستضافه صاحبها، ثمّ وجّهه إلى إيلغازي لأنّه أقدر على حمايته، وكانت علاقتهما جيّدة، فأرسل الأمير الأسد يقاضي الكوفة أبي جعفر عبد الواحد بن أحمد الثّقَفي إلى الأمير الأرتقي ليخطب إبنته، فوافق وسيّرها إلى دبيس زوجة، وتعود جذور الخلاف بين بني مزيد –زعماء قبيلة أسد في العراق– والسّلاجقة إلى دعم صدقة بن مزيد لمحمّد بن ملكشاه في حربه ضدّ بركياروق، وحصوله مقابل ذلك على واسط والبصرة، ولكنّ حاشية السّلطان أفسدت ما كان بينهما من علاقة جيّدة، لاسيّما بعد أن أوى بني مزيد أميراً تمرّد على السّلاجقة، وردّوا على تهديدات السّلطان بتجهيز خمسين ألف عربي لقتال جيشه، وقتل صدقة بن مزيد في إحدى المعارك وأسر إبنه دبيس سنة 501هـ/1107م، ولمّا تولّى الأمير محمود السّلطنة عيّن أخاه مسعود أميراً على الموصل مع الأتابك جيوش بك، والّذي حرّض الأمير السّلجوقي على التّمرّد في 514هـ/1120م بدعم من دبيس والّذي كان يهدف إلى إضعاف السّلاجقة إنتقامًا لأبيه، فتفرّقت العساكر عن محمود وخطب بالسّلطنة لمسعود، ولكنّه فشل في مسعاه ميدانيًّا، واستفاد من العفو وأُبعد جيوش بك إلى أذربيجان، أمّا دبيس وأخاه منصور فقد تعرّضا للملاحقة من طرف الأمير آق سنقر البرسقي قائد جيش السّلطان محمود، فتحالفا مع سلطان سلاجقة أصفهان "سنجر"والخليفة العبّاسي المسترشد باللّه في 26 جمادى الأولى 513هـ/10سبتمبر1118م، وقاما بتخريب العراق ونهبه، ثمّ توعّدا الخليفة والسّلطان بالقتل، ولكنّهما فشلا في، ففرّ دبيس من العراق.
را:إبن الأثير ، الباهر،ص23، والكامل، ج9 ص ص113-119و190و 192 -193،وإحسان عبّاس ، شذرات من كتب مفقودة (تاريخ العظيمي)، ص68، وإبن الجوزي، المصدر السّابق،، ج17 ص ص111و303،وإبن العديم، المصدر السّابق، ج2 ص217، والذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات 501-510هـ، ص23، واليافعي، المصدر السّابق، ج3ص 129-130، إبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص258.

[3]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص193، وإبن العديم، المصدر السّابق، ج2 ص198، والذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات 511-520هـ، ص289، إبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص259.

[4]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص194-195، و إبن العديم، المصدر السّابق، ج2 ص200، وإبن العبري، المصدر السّابق، ص351، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص259.

[5]) زبدة الحلب، ج2 ص200.

[6]) إبن العبري، المصدر السّابق، ص351، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص259.

فلم يكن إيلغازي ليفسد العلاقة بينه وبين طغتكين من أجل قصّة مصطنعة، كما أنّه لم يكن يدين للأمير دبيس بشيْء كونه كان يتمتّع بنفوذ كبير وقتها، و لم يكن في حاجة لأيّة تنازلات تجاه أيّ كان، وعليه قام بتصفيّة من لا يثق بهم من الخاصّة مثل: مكّي بن قرناص وأقربائه، وناصر الحاجب، وطاهر بن الزّائر، وأعاد أبناء رضوان، ثمّ عاد إلى ماردين في 515هـ/1121م، بعد أن إستناب عنه إبن أخيه سليمان بن عبد الجبّار بن أرتق ولقّبه ببدر الدّولة[1].

وفي ماردين عاد الأمير الأرتقي إلى شؤون العراق والجزيرة، وقرّر أن يتكفّل بحل قضيّة دبيس بن صدقة، فأرسل إبنه حسام الدّين تيمور طاش –وعمره سبعة عشر عاماً– مع القاضي بهاء الدّين أبو الحسن علي بن القاسم الشهرزوري إلى السّلطان محمود ليتشفّع في خصمه مقابل الكثير من الأموال والخيل، مع ضمان مدينة الحلّة [2] كلّ يوم بألف دينار وفرس، فرفض السّلطان الصّفح رغم كلّ الإغراءات والتوسّلات، وقرّر إسكات إيلغازي بمنحه ميّافارقين، فعاد إيلغازي إلى حلب في 516هـ/1122م، وهاجم مع طغتكين الأمير يوسف بن ميرخان في مدينته الأثارب وخرّب أريافها ، وحاصر قلعتها حصارا شديداً دون نتيجة[3].

كان الأراتقة يطمحون للظّفر بميّافارقين –المدينة الهامّة جدًّا في بلاد الجزيرة–منذ أن كان سقمان بن أرتق يحكم حصن كيفا، حيث كان بين الحين والأخير ينتزع ضيّاعاً من أعمالها إلى أن بلغ مائة ضيعة، كما أخذ إيلغازي لإمارته ثمانين ضيعة أخرى، وهيّ التي كانت على أهميّتها مجرد عمَلٍ من أعمال إمارة خلاط وحُكّامها بني سقمان القطبي،فلمّاصارت من أعمال ماردين، أظهر إيلغازي الأمن والعدل فيها، وخفّف الضرائب، وعمّر أريافها[4]، وبلغت مكانتها لديه أنّه كان كثيراً ما يقيم

□

فيها؛إلى أن وافاه أجله قربها في رمضان 516هـ/نوفمبر1122 م[5]، كما كانت ندّاً لماردين؛ فكان معيار تقسيم تركة إيلغازي المدينتين: ماردين وكانت لحسام الدّين تيمورطاش، وميّافارقين وكانت لأخيه سليمان[6].

ب)حلب الأرتقيّة بعد وفاة إيلغازي(516-521هـ/1122-1127م)

ظهرت على مسرح الأحداث شخصيّة مميّزة تمثّلت في بلك بن بهرام الّذي كان مكلّفا بحماية بعض قلاع الأراتقة المتاخمة لملطيّة، فاستدعاه إيلغازي ليساعده في حروبه، وأبلى البلاء الحسن، بدءًا باستيلائه على مدينة حرّان في ربيع الأوّل 516هـ/ 19نوفمبر 1123م، ثمّ أدرك حجم الفراغ الّذي تركه إيلغازي بموته، فاستهدف إنتزاع حلب من يد سليمان بن عبد الجبّار بن أرتق، وضيّق عليها بالحصار الشّديد، وتخريب أريافها، مستغلّا إنشغال جيشها بمحاربة الصّليبيين في البيرة، وخسارته لقلعة الأثارب في 10 صفر 517 هـ /9 أفريل 1123م بعد أن عوّض نائبه فيها الحاجب جبريل بتعيينه شحنة في حلب[7]،

---

[1]) إبن العديم، المصدر السّابق، ج2 ص202، وإبن العبري، المصدر السّابق، ص351.

[2]) *الحلّة*: مدينة بالعراق بين بغداد والكوفة، بناها سيف الدّولة صدقة بن دبيس الأسدي في 495هـ، را: القرماني، المصدر السّابق، ص447.

[3]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص209، وإبن العديم، المصدر السّابق، ج2 ص204، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص259.

[4]) عزّ الدّين إبن شدّاد، المصدر السّابق، ص324، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص259.

[5]) إبن العديم، المصدر السّابق، ج2 ص205-206، وإبن العبري، المصدر السّابق، ص351.

[6]) إبن العبري، المصدر السّابق، ص351.

[7]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص221، وإبن العديم، المصدر السّابق، ج2 ص ص203و209، وإبن العبري، المصدر السّابق، ص351.

ونجح بلك في مسعاه، إذ تسلّم المدينة من بدر الدّولة، ودخلها، ثمّ تزوّج بإحدى بنات رضوان، ولكنّه مالبث أن شكّ في ولاء سلطان شاه –الأمير الشّرعي- فنفاه إلى حرّان[1]، واتّخذ حلب مركزاً لعمليّاته ضدّ القوّات الصّليبيّة[2]، كما قام بطرد داعيّة الإسماعيليّة وأتباعه منها، ثمّ تحالف مع آق سنقر البرسقي، وطغتكين، وحاصروا بجيوشهم أعزاز لاستعادتها من الصّليبيين، ولكنّهم إنهزموا في ذي الحجّة 517هـ/ جانفي- فيفري1124م، ومعنى هذا أنّ الأمير بلك مزج ما بين تحقيق طموحه الشّخصي في تكوين إمارة جديدة، والسّير على نهج إيلغازي في جهاد الصّليبين وتأديب أعداء الأراتقة، فحارب أمير منبج حسّان البعلبكي، وأخذ مدينته ماعدا قلعتها في صفر518هـ/مارس1124م[3]، تأديباً له على القدح فيه، واستعان في في أسره بأمير ماردين حسام الدّين تيمورطاش الّذي إستدرجه بالحيلة وقبض عليه وسلّمه لابن عمّه؛ فسجنه هذا الأخير بقلعة "بالو"[4]؛ بعد أن عذّبه، فراسل عيسى البعلبكي الصّليبيين، ووعدهم بتسليمهم القلعة إن هم نصروه، فسارعوا لمهاجمة قوّات بلك خوفاً من إستقوائه عليهم إن أخذها، فسارع إلى قتالهم ونجح في هزيمتهم، ثمّ عاد إلى قلعة منبج يحاصرها[5]؛ "فبينما هوّ يقاتل من بها أتاه سهم، فقتله واضطّرب عسكره وتفرّقوا..."[6]، وكان تيمورطاش مشتركاً معه في الحصار، فحَمل جثمانه إلى حلب في 20 ربيع الأوّل 518 هـ / 8 ماي1128م ، ودفنه بها ،واستولى على مقاليد الحكم، وتفرّقت عساكر بلك من التركمان، واستولى أمير ميّافارقين سليمان بن إيلغازي على خرت برت وخمسين حصناً آخر من أعمالها، وأخذ أمير

حصن كيفا حصنًا، وأطلق سراح حسّان البعلبكي، أمّا حسام الدّين فلم يكن كأبيه قائداً قويّا ومحنّكاً فترك نائباً يدير شؤون حلب، وفرض الإقامة الجبريّة على سلطان شاه بن رضوان في دارا[7]، فظهر من جديد دبيس بن صدقة بعد أن نجا من الموت والأسر في حربه ضدّ المسترشد[8]،وحاول إستغلال تواجد عدد كبير من العرب الشّيعة في حلب ليُغري الصّليبيين بمهاجمتها على أن يقوموا بتعيينه نائباً عنهم فيها، وجمع أعواناً وأنصار من الخاصّة فاكتشف أمرهم حسام الدّين وعاقبهم، وكان وراء

---

[1]) إبن العديم، المصدر السّابق، ج2 ص212 والذّهبي، تاريخ ، حوادث ووفيّات 511-520هـ، ص300.

[2]) عيسى الحسن، المرجع السّابق، ص174.

[3]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص227، وإبن العديم، المصدر السّابق، ج2 ص216.

[4]) إبن العديم ،المصدر السّابق، ج2 ص218، ***وبالو***: بلدة لها قلعة حصينة بين أرزن الرّوم وخلاط، تشتهر ضواحيها بإنتاج معدن الحديد، را: ياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج1 ص330.

[5]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص227، وإبن العديم ، المصدر السّابق، ج2 ص216، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص ص60و260.

[6]) إبن العبري، المصدر السّابق، ص352.

[7]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص227، وإبن العديم، المصدر السّابق، ج2 ص220، والذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات، 511-520هـ، ص302، وإبن كثير، ج16 ص265، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص260.

[8]) في 516هـ/1122م جمع المسترشد عددًا من كبار أمرائه ومعهم أمير الرّحبة آق سنقر البرسقي للقضاء على دبيس بن صدقة الأسدي، فهزموه هزيمة ساحقة في 1محرّم517هـ/1مارس 1123م، ليطلب بعدها العفو؛ ويلجأ إلى الحديثة عند أمرائها العرب، ثم كرّر عصيانه فهزمه المسترشد مرّة أخرى، فانتقم بإكثار القتل والتّخريب في العراق، قبل أن يتحالف مع طغرل بك أخ السّلطان محمود-وكانا في خلاف- فاتّفقا على مهاجمة بغداد، وهاجماها سنة 519هـ/1125م وعادا خائبين بسبب سوء الأحوال الجويّة، وفرّا إلى السّلطان سنجر في أصفهان، ثمّ تحالف دبيس مع عرب نجد وقبيلة بني المنتفق وهاجم البصرة وقتل أميرها، ثمّ فرّ من أمام جيش آق سنقر إلى قلعة جعبر فأجاره صاحبها، را: إبن الأثير، الباهر، ص25-26، والكامل، ج9 ص ص219-221 و301، وإبن العديم، المصدر السّابق، ج2 ص221، والذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات511-520هـ، ص292-299، وإبن كثير، المصدر السّابق، ج16 ص267، وإبن واصل، المصدر السّابق، ج1 ص 30-31، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص ص60و62.

فكرة التّحالف مع الصّليبيّين صاحب قلعة جعبر مالك بن سالم، وساروا جميعًا إلى حلب وأحكموا حصارهم عليها، وأعدّوا خطّة محكمة وصمّموا على دخولها مهما طالت مدّة الحصار، لا سيّما بعد أن إنضم إليهم سلطان شاه مطالباً باستعادة ملكه وملك آبائه، ومعه عيسى أخ مالك بن سالم بجموع من العربان[1].

وهكذا غلّب دبيس مصلحته الشّخصيّة على حساب عمليّة الجهاد ضدّ الإحتلال الصّليبي لبلاد الشّام، من دون أن يضمن وفاء الملك بالدوين الثّاني (512-526هـ/1118-1131م) بوعده، ولكنّه ضمن استنفاد عساكر حلب لمجهوداتهم في محاربته وحلفائه[2]، ولم يكن حسام الدّين ليترك حلب تسقط في يد أعدائه، فهزمهم وسار إلى ديار بكر في 25 رجب 518هـ/8سبتمبر1124م، وجمع الجند من ماردين وميّافارقين[3] ومعهم جند بالس بقيّادة ياغي سيّان بن عبد الجبّار الأرتقي[4]، ونجح التّحالف في تجويع أهل حلب[5]،فبدئوا يتذمّرون من عجز وقلّة تجربة حسام الدّين، الّذي غادر إلى ديّار بكر ثانيّة بسبب وفاة أخيه سليمان في رمضان 518هـ/أكتوبر-نوفمبر1124م، وترك سليمان بن عبد الجبّار يدافع عنها بخمسمائة فارس، فبدأ خاصّتها في البحث عن من يلتمسون فيه الجدّيّة في إنقاذهم، وراسلوا آق سنقر البرسقي[6]، ولبّى أمراء الجزيرة نداء الحلبيين ،وأرسلوا سبعة آلاف فارس كاملي التجهيز، مرفقين بمؤونة، وراسل البرسقي طغتكين وقيرخان طالبًا دعمًا، وأوفد نوّابه لتسلّم قلعة المدينة كشرط جوهري من شروط المساعدة، حتّى يجد جنده ملاذا في حالة الهزيمة، فكان له ذلك وخرج أهلها للقائه، فتراجعت قوّات الصّليبيين وأذناهم من دون قتال [7]، وتحصّنوا بالأثارب قبل أن يعودوا لديّارهم،ويتفرّق الحِلْف[8]، ثمّ عمل البرسقي على تقويّة التحصينات وتزويد العساكر والأهالي بالمؤونة اللّازمة، وتعيين إبنه مسعود نائبا عنه في تسيير شؤونها[9].

ثُمّ هادن الصّليبيين قبل عودته إلى الموصل [10]،ويُستنتج من خلال سَيّر الأحداث أنّ الأراتقة بقوا في حلب يراقبون ما تسفر عنه التّطوّرات الجديدة، وقام الأمير سليمان بن عبد الجبّار وإبن عمّه شهرياربك بوضع الأسرى الصّليبيّين في قلعتها بعد أن انتصروا في المعرّة وقتلوا مائة وخمسين صليبي[1].

---

[1]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص230، وإبن العديم، المصدر السّابق، ج2 ص220-224، والذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات511-520هـ، ص304، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص63، وإحسان عبّاس، شذرات من كتب مفقودة (تاريخ العظيمي)، ص ص 42و68.

[2]) حامد زيّان، المرجع السّابق، ص74.

[3]) إبن العديم، المصدر السّابق، ج2 ص223.

[4]) إحسان عبّاس، شذرات من كتب مفقودة (تاريخ العظيمي)، ص42، ويذكر أن صاحب بالس كان حليفاً لدبيس.

[5])عيسى الحسن،المرجع السّابق،ص176.

[6]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص230، وإبن العديم، المصدر السّابق، ج2 ص225.

[7]) إبن الأثير، الكامل، مج9 ص230، وإبن العديم، المصدر السّابق، ج2 ص228 -229 ، ووليم الصّوري، المصدر السّابق، ج2 ص629.

[8]) وليم الصّوري، المصدر السّابق، ج2 ص629، غير أنّ البرسقي انتزع كفرطاب من القوّات الصّليبيّة المتحصّنة فيها، وردّوا عليه بانتصار ساحق حاصر عليه حينما حاصر أعزاز، را: إبن الأثير، الكامل، ج9 ص233.

[9]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص234.

[10]) إبن العديم، المصدر السّابق، ص231-232، وبعد أن غادر البرسقي الشّام؛ هاجم الصّليبيّون قلعة رفنيّة وكان فيها شمس الخوّاص فاستنجد بأمير الموصل، والّذي سار إلى الشّام، وحارب الصّليبيين ثمّ هادنهم باقتسام الضّيّاع الّتي بين حلب وأعزاز، كما تحالف مع طغتكين، ثمّ عاد إلى الموصل، أين أغتيل في يوم الجمعة 9ذي القعدة

و لم تلبث الأحداث أن تطوّرت لصالح الأراتقة مرّة أخرى ،حينما عادت الفوضى والإضطرابات إلى حلب، فاستنجد بهم خاصّتها في شوّال 521هـــ/أكتوبر1127م[2]،ورتّب سليمان بن عبد الجبّار مع زعيمهم فضائل بن بديع خطّة لمباغتة عساكر طومان باي، فهاجمهم العامّة في عيد الفطر وهم يتزاورون ويشربون ثمّ حبسوهم في القلعة[3]، واستغلّ ذلك إبنا كمشتكين البعلبكي؛ حسّان أميرمنبج وحسن أميربزاعة لمهاجمة المدينة[4]، وتفاوضا مع قتلغ أبه ليغادرها فأَبى، واستمسك بالبقاء في قلعتها أين كان محاصراً من طرف عساكر بدر الدّولة، وأهالي حلب، وقوّات الأمير إبراهيم بن رضوان إلى15ذي الحجّة521هـــ/23ديسمبر1127م[5]، حينما حلّ بحلب جيش قوي من قوّات السّلاجقة يقوده كبار الأمراء، ومعهم توقيع السّلطان بمنح الموصل والجزيرة والشّام للأتابك عماد الدّين زنكي بن قسيم الدّولة آقسنقر، واشترطوا أن يغادر بدر الدّولة وقتلغ أبه حلب إلى الموصل، وتوسّط زنكي بينهما، فلم يحكم بأحقيّة أحد واعتبر نفسه أولى بها، وأرسل حاجبه صلاح الدّين محمّد الياغيسيّاني في مجموعة من الجند لاحتلال القلعة، قبل أن يحلّ بها في 14جمادى الآخرة 522هـــ/جوان1128م ويجري بها بعض الإصلاحات، ووزّع أعمالها على بعض أعوانه، ثمّ ألقى القبض على قتلغ أبه وسلّمه إلى إبن بديع الّذي حبسه في منزله وعذّبه فمات في15رجب522هـــ/ 9سبتمبر1128م، ففرّ رئيس حلب إلى قلعة جعبر[6].

كان زنكي يعتبر نفسه من أهل حلب لأنّه وُلد بها،فكان أهلها يحبّونه ويميلون إليه، ويعرفونه منذ أن كان طفلاً، فراسلوه ليضُمّ مدينتهم إلى دولته[7].

520هـــ/27نوفمبر 1126م، را: إبن الأثير، الباهر، ص31 والكامل، ج9 ص236، ووليم الصّوري، المصدر السّابق، ج2 ص638، وإبن العديم، ج2 ص ص232و234، وإبن العبري، المصدر السّابق، ص347، وإبن واصل، المصدر السّابق، ج1 ص31.

[1]) إبن العديم، المصدر السّابق، ج2 ص232.

[2]) طلب الأمير مسعود بن آق سنقر البرسقي من السّلطان محمود أن يمنحه إقطاع أبيه – الرّحبة وحلب والموصل- فكان له ذلك، وأرسل أحد غلمان السّلطان وهوّ "قتلغ أبه" إلى حلب ليتسلّمها، فمنعه من ذلك الأمير "طومان باي"، وشكّ في كتاب التّسليم، قائلاً له"...إنّ بيْني وبيْن عزّ الدّين علامة لم أرهاو لا أسلّم إلا بها."، وهيّ صورة غزال، فعاد غلام السّلطان إلى الرّحبة، فوجد عزّ الدين مسعود قد قضى نحبه، فعاد مسرعاً إلى حلب، وقاتل طومان باي وانتزع القلعة منه، ووافق خاصّة حلب ومقدّمي جيشها على ذلك، ولكنّ "قتلغ أبه" قام بمصادرة تركات النّاس بغير وجه حق، وأثار سخط الجميع بهذا الفعل، را: إبن الأثير، الباهر، ص32، والكامل، ج9 ص ص 242و246، وإبن العديم، المصدر السّابق، ج2ص237، وإبن واصل، المصدر السّابق، ج1 ص37.

[3]) إبن واصل، المصدر السّابق، ج1 ص38، وإحسان عبّاس، شذرات من كتب مفقودة (تاريخ العظيمي)، ص71.

[4]) إبن العديم، المصدر السّابق، ج2 ص238، وهنا تتضارب الرّوايات حول قدوم أميري الرّها وأنطاكية إلى حلب، أين فرضا عليها حصاراً ثمّ تراجعا بعد نيل أموال، ويرى إبن العديم أنّ الأميرين الصّليبيين هاجما حلب قبل قدوم صاحبي منبج وبزاعة، بخلاف ما يذكره إبن الأثير والعظيمي، را: إبن الأثير، الكامل، ج9 ص246، وزبدة الحلب ، ج2ص238، وإحسان عبّاس، شذرات من كتب مفقودة (تاريخ العظيمي)، ص71.

[5]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص246، وإبن العديم، المصدر السّابق، ج2 ص238، و إبن واصل، المصدر السّابق، ج1 ص38-39، وإحسان عبّاس، شذرات من كتب مفقودة (تاريخ العظيمي)، ص71.

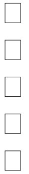
[6]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص247، إبن واصل، المصدر السّابق، ج1 ص39، والذّهبي، دوّل، ج2 ص25، وإبن كثير، المصدر السّابق، ج16 ص278، واليافعي، المصدر السّابق، ج3ص174، وإبن خلدون،المصدر السّابق، مج5 ص67، وإحسان عبّاس، شذرات من كتب مفقودة، (تاريخ العظيمي)، ص71-72، و(تاريخ مختصر لإبن الدّهّان البغدادي)، ص146.

[7]) سهيل زكّار وأمينة بيطار، تاريخ الدّولة العربيّة في المشرق، ص132.

وبذلك إنتهى الدّور السيّاسي للأراتقة في شمال الشّام، وتفرّغوا لتسيير علاقاتهم الخارجيّة إنطلاقا من حصن كيفا وماردين، فأصبح هدفهم تطويع الحراك السيّاسي والعسكري في ديار بكر ليكون في صالحهم ويضمن حمايتهم.

ثانيًا: علاقة الأراتقة بالزّنكيين من521إلى569هـ/1127-1173م.

تولّى عماد الدّين زنكي إمارة الموصل (أنظر الجدول رقم:6)، ونصيبيين وغيرهما من بلاد الجزيرة في 521هـ/ 1128م خلفًا لآقسنقر البرسقي [1] ،فقام بتدعيم نفوذه في الموصل[2]، وبلاد الشّام بانتزاع الأثارب من الصّليبيين[3]، ثمّ ضمّ إلى إمارته جزيرةإبن عمر[4]، وإربل[5]، قبل أن تصطدم توسّعاته بردّة فعل الأراتقة في 524هـ/1130م؛ حينما تحالف أمير ماردين حسام الدّين تيمورطاش بن إيلغازي مع إبن عمّه الحصكفّي ركن الدّولة داود بن سقمان، ضدّ زنكي بسبب إستيلائه على واحدة من أهم مدن دولته(نصيبيين) بالحيلة، عندما أرسل تيمورطاش رسالة بالحمام الزّاجل إلى عساكره المحاصَرة فيها يُعلمهم بإرسال المدد



إليهم في غضون ثلاثة إلى خمسة أيّام، فوقعت الرّسالة في يد الأتابك؛ فغيّر المدّة إلى عشرين يوم، فانحطّت معنويّات الحاميّة واستسلموا[6]، وانضمّ إلى هذا الحلف أمير آمد سعد الدّولة أبو منصور إيكلدي (503-536هـ/1109-1142م) وكثيرمن التركمان [7]، فاجتمع لهذا الأمر عشرون ألفًا؛ فيذكر صاحب الباهر [8] أن داود بن سقمان كان يتمتّع بتأثير كبير لديهم؛ فيقول"...حتّى أنّ نشّابته كانت إذا وصلت حلّة منهم، تبرّك بها رجالهم ونساؤهم، فاستمدّهم واستنجدهم، فجاءوه على الصّعب والدّلول..."، وبادر أمير الموصل باحتلال سرجى [9] بعد حصارٍ وانتصار، فانتقم الأمير الحصكفّي بتخريب

---

[1]بعد وفاة عزّ الدّين مسعود بن آق سنقر البرسقي تولّى أمور الموصل مملوكه جاولي كَوَصِيٍّ على أخيه، وراسل السّلطان في ذلك، طالباً تعيينه بشكل رسمي فاقترح مستشاروه أن يُولّيَّ شؤونها من يكون قادراً على الجهاد مثل آق سنقر البرسقي، فكان الأمر من نصيب عماد الدّين زنكي، وعيّن بدلا عنه في شحنكيّة بغداد أمير تكريت مجاهد الدّين بهروز؛ وكان الأتابك قد أظهر كفائته في تسيير شؤون واسط والبصرة، ثمّ كشحنة على بغداد، را: إبن الأثير، الباهر، ص ص 24-25و28-29و32-34، والكامل، ج9ص243، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص66.

[2] بعد تعيينه على الموصل ضمّ زنكي بلدة البوازيج، ووزّع أعوانه على أعمال الجزيرة، قبل مهاجمته لجزيرة إبن عمر، را:إبن الأثير، الباهر، ص35-36، والكامل، ج9 ص243، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص66.

[3] إبن الأثير، الكامل، ج9 ص254، وأبوالفداء، المختصر في أخبار البشر، ج3 ص3-4، واليافعي، المصدر السّابق، ج3 ص175.

[4] إبن واصل، المصدر السّابق، ج1 ص34-35.

[5] سهيل زكّار، موسوعة الحروب الصّليبيّة، ج23 (إبن قاضي شهبة، الكواكب الدريّة)، ص201.

[6] إبن الأثير، الباهر، ص35-36، والكامل، ج9 ص ص 244و255، وإبن واصل، المصدر السّابق، ج1 ص35-36.

[7] إبن الأثير، الكامل، ج9 ص524.

[8] إبن الأثير، الباهر، ص38.

[9] ***سرجى:*** حصن بي نصيبيين ودارادونيسر، را: ياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج3 ص207.

أرياف جزيرة إبن عمر، وردّ زنكي بالزّحف على حصن كيفا، ولكنّه لم ينل مراده لصعوبة التّضاريس، فأنهى الأمر بضمّ دارا[1].

كان زنكي يهدف إلى الإطمئنان على أراضي إمارته في بلاد الجزيرةمن أي هجوم محتمل من الأراتقة ،فعمل على إخضاع ديار بكر سواء بإضعاف جيوش أمرائها أوتحييدهم باتّفاقيّات صلح هدفها الرّئيس ردعهم عن مهاجمة إمارةالموصل [2]، وكذلك وكذلك كانت حروبه في الجزيرة تهدف إلى إنشاء جبهة قويّة للجهاد قبل التّفرُّغ لأمر الشّام [3] والعمل على إلهاء إمارة الرّها الصّليبيّة عن التّوسّع في بلاد الجزيرة وتهديد الموصل[4]، فحروب زنكي كانت حروباً هجوميّة، في ظاهرها دفاعيّة في جوهرها، جوهرها، فالهدف من مهاجمة الأراتقة هوّ إظهار سطوته كأمير للموصل يختلف عن سابقيه، فكان رجل حرب لا يرضى إلاّ بالهيمنة على جيرانه من صغار الأمراء،وبالتّالي رسّخ قاعدة الولاء لأمير الموصل الّذي يحمل على عاتقه محاربة الصّليبيين، وفي نفس الوقت عَمَدَ إلى تكريس قاعدة "دونيّة" أمراء الجزيرة حيال الموصل، بعد أن كان الأراتقة ولا سيّما في عهد إيلغازي يعتبرون أنفسهم مسؤولين فقط أمام السّلطان والخليفة.

وعاد أمير الموصل إلى الإهتمام بديّار بكر في أوائل جمادى الآخرة 528هـ/1133م حينما تحالف مع حسام الدّين ضدّ إمارتي آمد وحصن كيفا، ولكنّهما منيّا بهزيمة كبيرة عند باب آمد، وفشلا في دخولها، فخربّت عساكرهما أريافها، ثمّ غادر زنكي إلى الحرب قرب دمشق، بعد أن نزل على قلعة الصّور وافتتحها في رجب من نفس السنة/ماي 1133م[5]، ويدخل حصار زنكي لآمد في إطار إستراتيجيّة إخضاع أمراء ديّار بكر، وتدعيم نفوذه فيها بضمّ الكثير من قلاعها إلى إقطاعاته[6].

□

تحالف الأراتقة مع عماد الدّين في حربه ضدّ البيزنطيين [7]،ردًّا على طلبه ذلك من داود بن سقمان فأتاه بكثير من التّركمان وهم الّذين كان قادة الصّليبيين يقصدونهم بقولهم:"...أتظنّون أن ليس معه من العسكر إلاّ ماترَوْن؛ إنّما هوّ يريد أن تلقونه

---

[1]) إبن الأثير، الباهر، ص39، والكامل، ج9 ص255.

[1]) السيّد الباز العريني، الشّرق الأدنى في العصور الوسطى، ج1: الأيوبيّون، ص21-22.

[3]) كمال بن مارس، المرجع السّابق، ص142.

[4]) إبراهيم بيضون، تاريخ بلاد الشّام، ص319.

[5]) إبن الأثير، الباهر، ص48، الكامل، ج9 ص274، وإبن القلانسي، المصدر السّابق، ص385، وإبن واصل، المصدر السّابق، ج1 ص54، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص274.

[6]) إبن كثير، المصدر السّابق، ج16 ص300.

[7]) قام الإمبراطور البيزنطي حنا الثّاني كومنين (512-538هـ/1118-1143م) بالمسير إلى الشّام بعد أن إستنجد أهل أنطاكية به، فوصلها بجيوشه برًّا، واتّخذها واتّخذها قاعدة لمهاجمة سلاجقة الرّوم، وعقد معاهدة صلح مع أميرها ريموند دي بواتييه (531-544هـ/1136-1149م)، وصار تابعًا له، واشترط منحه حلب وحماة وحمص وشيزر لأمير أنطاكيّة إذا ما آلت للجيش البيزنطي الّذي هزم إبن ليون الأرمني وأخذ منه أضنة، والمصيصة، وتل حمدون، وعين زربة، وبغراس، ونال منه أموالًا مقابل الهدنة وإعلان التّبعيّة ، وبعدها هاجم الإمبراطور بزاعة سنة 532هـ/1136م، ثمّ حاصر حلب، فاستغاث أهلها بزنكي وهوّ يحاصر الأمير قيرخان في حمص، كما استنجد به أهل شيزر، فعبر الفرات، ونزل سلميّة ليقطع أيّة مساعدات لجيش الإمبراطور الّذي لم يتوقّع أن يهاجمه زنكي فشيزر ليست من أملاكه، واستنزفت إمكانيّات البيزنطيين بقطع المؤن والإمدادات، كما عمل على إضعاف معنويّاتهم ببثّ جواسيس يعملون على زرع الفتنة وجوّاللّاثقة بينهم وبين الصّليبيين، فغادروا شيزر بعد أربعة وعشرين يوم من الحصار، فنهبهم جيش المسلمين وهاجم مؤخّرة الجيش، را: إبن الأثير، الباهر، ص55-56، والكامل، ج9 ص299-302، ووليَم الصّوري، المصدر السّابق، ج2 ص701-726، وإبن واصل، المصدر السّابق، ج1 ص76-78، وأبو شامة، الرّوضتين في أخبار الدّولتين، ج1

فيجيئه من نجدات المسلمين مالاحدّ له..." [1]، أمّا حسام الدّين فكان في خلاف معه بعد أن إنتزع من أراضيه في رمضان 532هـ/ماي-جوان1137م رأس العين، وجبل جور، وحصن ذي القرنين، وهاجم مدينة دارا[2].

ثُمّ تجدّد الصّراع بين الموصل وحصن كيفا، وأخذ زنكي حصن بهمرد[3] في سنة535هـ/1141م[4]، واستمال إليه أمير آمد المتحالف مع داود بن سقمان[5]، ثُمّ واصل إنتصاراته وتوسّعاته في ديّار بكر[6].

واستولى على جملين[7]، والموزر[8]، وتل موزر[9]، وهيّ ممّا أخذته إمارة الرّها الصّليبيّة من ممتلكات أراتقة ماردين[10]، فردّوا تجاه أعمال زنكي العدائيّة بالتّحالف مع أمير الرّها جوسلين الثّاني، ومنحوه حصن بابولا[11] التّابع لكركر كمقابل[12]، ولكنّهم

انشغلوا بأحداث ديّار بكر[13]، فنجح زنكي في منعهم من دعم جوسلين الّذي غادر الرّها [14]، ليقوم زنكي بمباغتة حاميّتها في جمادى الأولى 529هـ/فيفري-مارس 1134م[15]، ويستولي عليها[1].

ص189-192، وأبو الفداء، المختصر، ج3 ص12-13، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص279، وسهيل زكّار، الموسوعة الشاملة للحروب الصّليبيّة، ج23 (إبن قاضي شهبة، الكواكب الدريّة)، ص213.

[1]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص302، وأبو شامة، المصدر السّابق، ج1 ص189.

[2]) إبن العديم، المصدر السّابق، ج2 ص271، وإبن واصل، المصدر السّابق، ج1 ص83 .

[3]) ***بهمرد:*** لم أجد لها تعريفًا.

[4]) إبن واصل، المصدر السّابق، ج1ص89، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص281.

[5]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص324، وإبن واصل، المصدر السّابق، ج1 ص90.

[6]) في 536هـ/1142م هزم زنكي الأكراد الهكّاريّة في ديّار بكر، وبنى قلعة العماديّة، وفي 538هـ/1144م ضمّ إلى ممتلكاته كُلّاً من؛ طترة، وأسعرد، وحاني، وحرّان، والمعدن، وحصون: الزّوق، وباتاسا، وقطليس، را: إبن الأثير، الباهر، ص66، والكامل، ج9 ص324، وأبو الفدا، المختصر، ج3 ص16، وإبن كثير، المصدر السّابق، ج16 ص334، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص281، وسهيل زكّار، الموسوعة الشّاملة للحروب الصّليبيّة، ج23 (إبن قاضي شهبة، الكواكب الدريّة)، ص218.

[7]) ***جملين:*** لم أجد لها تعريفًا.

[8]) ***المُوَزَّر:*** كورة بالجزيرة من أعمالها نصيبيين الرّوم، را: ياقوت الحموي، المصدر السّابق،ج5 ص221.

[9]) ***تل الموزر:*** لم أجد لها تعريفًا.

[10]) إبن الأثير، الباهر، ص66، والكامل، ج9 ص329، وأبو الفدا، المختصر، ج3 ص16، وسهيل زكّار، موسوعة الحروب الصّليبيّة، ج23 (إبن قاضي شهبة، الكواكب)، ص218.

[11]) ***بابولا:*** لم أجد لها تعريفًا.

[12]) سهيل زكّار، الموسوعة الشّاملة للحروب الصّليبيّة، ج5 (المؤرّخ الرهاوي المجهول)، ص61.

[13]) رفض زنكي الدّحول في الخدمة المباشرة للسّلطان مسعود السّلجوقي (527-547هـ/1133-1152م) في بغداد بحجّة إنشغاله بالحروب ضدّ الصّليبيين في الشّام، فاشترط عليه فتح الرّهاإن أراد البقاء في منصبه، ولاسيّما أنها إستقوت، وبلغت إغاراتها آمد، ونصيبيين، ورأس العين، والرقّة، وسيطرت قوّاتها على مابين ماردين والفرات، وعمل أميرها على تحصينها ماديًا وتقويّتها "إستخباراتيًا"، را: إبن الأثير، الباهر، ص67، والكامل، ج9 ص331، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص67.

[14]) وليم الصّوري، المصدر السّابق، ج2 ص737.

[15]) كان زنكي يرسل الجواسيس باستمرار لاستطلاع الوضع العسكري للمدينة، وعلى رأسهم رئيس حرّان فضل اللّه، الّذي إستغلّ مغادرة جوسلين إلى تل باشرو أرسل من يخبر زنكيبذلك، فباغت هذا الأخير المُكلّفين بحراستها- ممن تطوّع من أهلها الأرمن والسّريان- بأن سار مسرعاً إليها بواسطة الإبل الخفيفة والسّريعة الحركة، وإنضمّ إليه عدد كبير من فرسان الموصل و الجزيرة والشّام، والمُتطوّعة،وبعد حصارها لثمان وعشرين يومًا فُتحت في 16جمادى

أمّا الأراتقة فقد إستفادوا من عداء الصّليبيين لزنكي،وتحصّل حسام الدّين على مدينة البيرة التّابعة لإمارة الرّها [2]، بسبب تمتّعها بموقع إستراتيجي هام،وتحصينات هامّة ،فكان من الضّروري منعها عن زنكي لكي لا يتقوّى بها في بقيّة حروبه ضدّ الأمراء الصّليبيين[3]،وبعدها قُتل زنكي في6ربيع الآخر541هـــ/26سبتمبر1146م[4]،فتخلّص الأراتقة من خصمٍ واظب على محاربتهم وغزو أراضيهم مرّة كلّ عام على الأقل[5].

ثُمّ خلفه في الحكم إبناه: نورالدّين محمود في حلب وشمال الشّام[6] ،وإهتمّ بشكل رئيس بمحاربة من جاوره من الصّليبيين[7]، وسيف الدّين غازي في الموصل، وبلاد الجزيرة[8]، والّذي كان في مواجهة الأراتقة، إذ إستغلّ حسام الدّين تيمور طاش وفاة

□
□
□

زنكي لينقضّ على دارا سنة 541هـــ/1146م[9]، فكان له سيف الدّين بالمرصاد،واستعادها في العام الموالي، وأضاف معها كثيرًا من أعمال ماردين [10]،كما قام بعمليّة تخريب واسعة لأريافها وأعمالها، فاستنزف قدراتها الإقتصّاديّة، وهوّ ما لم يعهده حسام الدّين من زنكي في غزواته لديّاربكر [11]، فعلّق على ذلك:"...كُنّا نشكو من أتابك الشّهيد وأين أيّامه،فلقد كانت

الآخرة539هـــ/25جانفي1144م، را: إبن الأثير، الباهر،ص67-68، وسهيل زكّار،موسوعة الحروب الصّليبيّة،ج 5 (المؤرّخ الرّهاوي المجهول)، ص62، ووليم الصّوري،المصدر السّابق،ج2 ص738،وإبن واصل،المصدرالسّابق،ج1ص94،وأبوشامة،المصدرالسّابق،ج1ص194،وإبن كثير،المصدرالسّابق،ج16ص336،واليافعي،المصدر السّابق، ج3ص207، وإحسان عبّاس،شذرات من كتب مفقودة،(مختصر إبن الدهّان البغدادي) و(إبن سلامة الحرّاني،تاريخ حرّان)،ص ص147و171.

[1]) إبن القلانسي،المصدر السّابق،ص436-437،وإبن واصل،المصدر السّابق،ج1 ص94.

[2]) غادر زنكي الرّها بعد أن ترك بها حاميّة عسكريّة، وفتح بعدها سروج، وكل ماكان تابعاً لإمارة الرّها في شرقي الفرات، ماعدا قلعة البيرة، والّتي تخلّى عن حصارها لوقوع إضطّرابات عسكريّة في الموصل أجبرته على العودة، فسارع أهلها إلى مراسلة أمير ماردين وسلّموها لجنوده خوفًا من قسوة زنكي، را: إبن القلانسي، المصدر السّابق،ص437، وإبن الأثير، الباهر، ص70-71، والكامل، ج9 ص ص332و334، وإبن واصل، المصدر السّابق، ج1ص94، وإبن العديم، المصدر السّابق، ج2 ص281، وأبو شامة، المصدر السّابق، ج1 ص194، وأبو الفداء، المختصر، ج1 ص17، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص282-283.

[3]) محمود سعيد عمران، تاريخ الحروب، ص69.

[4]) إبن الجوزي، المصدر السّابق، ج18 ص48، وإبن العديم، المصدر السّابق، ج2 ص281، وأبوشامة، المصدر السّابق، ج1 ص195-196، وإحسان عبّاس شذرات من كتب مفقودة، (إبن الدهّان البغدادي) و(إبن سلامة الحرّاني)، ص ص 147و172، وسهيل زكّار، الموسوعة الشاملة للحروب الصّليبيّة ج23 (إبن فضل العمري)، ص10.

[5]) إبن الأثير، الكامل، ج 9ص341.

[6]) أبو الفداء، المختصر، ج3 ص18، والذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات541-550هـــ، ص63.

[7]) السيّد الباز العريني، الشّرق الأدنى، ج1 ص24-25.

[8]) إبن الجوزي، المصدر السّابق، ج 18ص48، وإبن العبري، المصدر السّابق، ص359، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص248، واليافعي، المصدر السّابق، ج3 ص292.

[9]) إبن الأثير، الباهر، ص90، والكامل، ج9 ص349، وإبن خلدون، مج 5ص285، سهيل زكّار، موسوعة الحروب الصّليبيّة (ج5، ميخائيل السرياني)، ص 189.

[10]) إبن الأثير، الباهر، 90، والكامل، ج9 ص349، والذّهبي، تاريخ، ج2 ص11، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص285.

[11]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص349، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص285.

أعيادًا،قد حصرنا غير مرّة،فلم يتعدّ هوّ وعسكره حاصل السّلطان،ولا أخذوا كُفًّا من التّبن بغير ثمنه" [1]،وتفسير ذلك أنّ عماد عماد الدّين كان يهدف إلى زجر الأراتقة وتخويفهم بهدف التّفرّغ لحروبه ضدّ الصّليبيين في شمال الشّام أين كان له مجال واسع للتّوسّع على حسابهم، وعلى النّقيض كان الأمير غازي مُلزماً بالإكتفاء بأراضي الموصل والجزيرة،لأنّ الشّام كانت لأخيه نور الدّين محمود[2].

ومهما يكن من أمر، فإنّ تيمور طاش لم يبقَ مكتوف الأيدي، فسار إلى غازي بجيشه ينوي قتاله، فتوسّط القضاة بينهما للحيلولة دون تصادم الطّرفين، وتمّ الإتّفاق على أن يأخذ غازي دارا نهائيًّا،ويعيد ما أخذه سابقًا من أعمال ماردين، وتحالف بزواجه من إبنة الأمير الأرتقي ، فمات قبل أن تُزفّ إليه، فتزوّجها قطب الدّين مودود (544-564هـ /1149-1170م) بن زنكي آلت إليه الإمارة، فكان كُلّ أبنائه منها[3].

أمّا بالنّسبة لعلاقة الأراتقة بنور الدّين محمود بن زنكي أمير حلب، فضروري أن نعلم أنّ هذا الأمير تفرّغ لمسألتين هامّتين: الإستيلاء على دمشق، ومحاربة الصّليبيين[4]، كما أن إمارة الموصل كانت حاجزًا بين مناطق نفوذه من جهة وأراضي الأراتقة من جهة أخرى[5].

وعليه فإنّ العلاقة بينهما تبرز بشكل أدق من خلال حادثة إستيلائه على سنجارفي544هـ/1149م بعد وفاة أخيه سيف الدّين، حيث أرسل بعد دخوله إليها مبعوثين إلى أمير حصن كيفا فخر الدّين قرا أرسلان يعرض عليه التّحالف مقابل منحه قلعة الهيثم[6]، فلبّى طلبه وجائه بالعساكر، وكان هذا الإتّفاق قد إنعقد ضدّ الأمير قطب الدّين مودود الّذي سار بجيشه إلى

تل أعفر لقتالهما، غير أنّ القتال لم يتم وتصالح الأمراء وفق شروط محدّدة [7]،فتفرّغ نور الدّين لحروب الشّام وإستعان في سنة 559هـ/1163م بفخر الدّين وأمير ماردين نجم الدّين ألبي (547-575هـ/1152-1179م) في حصار قلعة حارم [8]

---

1) إبن الأثير، الباهر، ص91.

2)كمال بن مارس، المرجع السّابق، ص144.

3) إبن الأثير، الباهر، ص91، والكامل، ج9 ص349، وأبو شامة، المصدر السّابق، ج1 ص218، وأبو الفدا، المختصر، ج3 ص21، وإبن كثير، المصدر السّابق، ج 16ص345، والذّهبي، حوادث ووفيّات541-550هـ، ص203، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص ص285و287، وسهيل زكّار، موسوعة الحروب الصّليبيّة، ج23 (إبن فضل العمري)، وج5 (ميخائيل السرياني)، ص ص14و189.

4) إبراهيم بيضون، المرجع السّابق، ص335-336، ومحمّد مؤنس عطا، في الصّراع الإسلامي-الصّليبي: السيّاسة الخارجيّة للدّولة النّوريّة، ص110، والسّيّد الباز العريني، الشّرق الأدنى، ج1 ص25.

5) كمال بن مارس، المصدر السّابق، ص144.

6) إبن الأثير، الباهر، ص96، والكامل، ج9 ص360.

7)كان من شروط الصّلح بين الطّرفين تسليم حمص والرّحبة وكل ما يتبع مودود من حصون وقلاع في الشّام لإمارة حلب مقابل تنازل نور الدّين عن سنجار لإمارة الموصل،لأنّه في حاجة لمدن الشّام ليستغلّها في حربه ضدّ الصليبيين، عكس أمراء الموصل الّذين تثاقلوا عن محاربتهم منذ سقوط الرّها، را: إبن الأثير، الباهر، ص96، إبن واصل، المصدر السّابق، ج1 ص 120، وإبن كثير، المصدر السّابق، ج 16 ص354، وإبن خلدون، مج5 ص287.

8)***حارم:*** ديّ بلدة صغيرة من أعمال حلب،لها قلعة وربض به بساتين وعيون، وهيّ كثيرة المياه لوجودها على نهرٍ أيضًا، تبعد عن حلب بست وسبعين كيلومتر تقريبًا غربًا، وعن أنطاكيّة بحوالي ثمانية وثلاثون كيلومتر شرقًا، را: أبوالفداء، تقويم البلدان، ص258-259.

الصّليبيّة[1]، وشارك معهما قطب الدّين مودود، وكان فخر الدّين قد إستثقل الخروج لهذه الحرب، ثمّ تراجع خوفا من إنتقام نور الدّين، أمّا"ألبي" فأرسل جيوشه و لم يشارك بنفسه[2].

وكان أمير حلب قد إستعان بالأمراء المسلمين بالتوسّلات، والوعود، والمكافآت، فجمع آلاف الفرسان، من أجل التّصدّي لجيوش أنطاكيّة وطرابلس الشّام وقوّات جوسلين الثّاني صاحب تل باشر وعينتاب وأعزاز، وإستولى على حصن حارم، بعد أن تمكّن من تطبيق خطّة محكمة مستعينا فيها بجيش حصن كيفا، والّذي أبلى أميرها جيّدًا في هذه الحرب[3].

وما يبرز بشكل أوضح عمق العلاقة بين نور الدّين محمود وفخر الدّين الأرتقي؛ هوّوصيّة هذا الأخير له بأن يتكفّل بحماية وريثه وتدبير شؤونه بعد وفاته (وهوّ ماحدث في 562هـ/1166م)، وتحذير أمير حلب بدوره لقطب الدّين مودود من مغبّة الإستيلاء على أعمال إمارة حصن كيفا، كما نذكر مساعدة صاحب قلعة البيرة الأمير شهاب الدّين إلياس بن إيلغازي بن أرتق بمساعدة نور الدّين في حصاره لبعلبك [4]حينما أباد ثلاثمائة فارس صليبي كانوا بصدد فكّ الحصار،وكذلك ساعده الأراتقة عندما كان يتأهّب لمهاجمة مصر في مرحلة خلافه مع السّلطان صلاح الدّين، و لم يُكتب لهذه الحملة أن تتم بسبب وفاته في 11شوّال569هـ/ 15ماي 1174م[5].

أمّا في بلاد الجزيرة فقد وقف الأمير قطب الدّين محمد صاحب حصن كيفا إلى جانب نور الدّين محمود في صراعه ضدّ أمير الموصل في 12 شوّال 565هـ/16ماي1170م،بسبب قيّام الخاتون إبنة حسام الدّين تيمور طاش بتدبير إنقلاب ضدّ عماد الدّين زنكي بن قطب الدّين مودود، الّذي خلف والده في ذي الحجّة 565 هـ/أوت 1170م، فقام نور الدّين بإعادته إلى عرشه بمساعدة كبيرة من أراتقة حصن كيفا، لأنّ أغلب قوّاته كانت منشغلة بالجهاد في الشّام[6]، واستغلّ ذلك للقيّام بإجرائين

---

[1]) سبب هذه الحرب قيام نور الدّين بحملة على طرابلس، فباغتته مجموعة من الفرسان الصّليبيين في منطقة البقيعة، وأسروا وقتلوا الكثير ن جنده، ونجا هوّ بأعجوبة، وكان يستهدف حصن الأكراد، فحوّل هدفه إلى حارم، را: إبن الأثير، الباهر، 123، والكامل، ج9 ص467، وليم الصّوري، المصدر السّابق، ج2 ص888، وأبو شامة، المصدر السّابق، ج1 ص269.

[2]) إبن الأثير، الباهر، ص122-123، والكامل، ج9 ص467، وأبو شامة، المصدر السّابق، ج1 ص269، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص293.

[3]) إبن الأثير، الباهر، ص124، والكامل، ج9 ص468-469، ووليم الصّوري، المصدر السّابق، ج2 ص888-90، والذّهبي، دوّل، ج2 ص63، واليافعي، المصدر السّابق، ج3 ص258، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص294.

[4])***بعلبك:*** مدينة قديمة جدًّا فيها آثار عظيمة،تبعدعن دمشق إلى جهة ساحل البحر الشّامي بستّة فراسخ(إثنتان وسبعون كيلومتر)،را:ياقوت الحموي،المصدرالسّابق،ج1ص453.

[5]) إبن واصل، المصدر السّابق، ج1 ص ص153-154و259، والذّهبي، دوّل، ج2 ص74، واليافعي، المصدر السّابق، ج3 ص291، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص298، وسهيل زكّار، الموسوعة الشاملة للحروب الصّليبيّة، ج23 (إبن فضل العمري)، ص36.

[6])إبن الأثير، الباهر، ص ص 146و152-153، وسهيل زكّار، الموسوعة الشّاملة للحروب الصّليبيّة، ج5 (ميخائيل السّرياني)، ص230، وإبن كثير، المصدر السّابق ، ج16 ص443، وإبن العبري، المصدر السابق، ص371، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص298-299.

بإجرائين هامّين؛ الأوّل إعادة سيف الدّين غازي الثّاني (564-572هـ/1170-1176م) بن مودود إلى عرشه [1]؛ مع تعيين أخيه زنكي حاكمًا على سنجار، والثّاني؛ الإستيلاء على عدد هام من حصون إمارة ماردين لأنّها السّبب في هذه الحرب بدعمها لإبنة أميرها السّابق في هذا الصّراع، وكان هذا الإجراء كافيًّا لدخولها في صفّه فشارك عساكرها مع الأرمن، وجيش الموصل، وأراتقة خرتبرت في حملته على بلاد الرّوم في 568هـ /1169م[2].

ويمكن تحليل العلاقة بين الأراتقة ونور الدّين محمود آل زنكي؛ بأنّها قامت على مبدأ التحالف والّذي أدّى إلى تدعيم نفوذه في بلاد الجزيرة[3]، ولاسيّما بعد الإجهاز على ماتبقّى من إمارة الرّها الصليبيّة [4]، وتكَرّست هذه الرّابطة بشكل أوثق حينما تحصّل على التّقليد الرّمزي من الخليفة العبّاسي سنة 568هـ/1169م، والّذي أقرّ بشرعيّة حكمه لمصر والشّام والجزيرة والموصل وديار بكر وخلاط وبلاد الرّوم [5]،ويُلاحظ أنّ قائمة الولاة وأصحاب الإقطاعات في دولته لم تكن تضم الأمراء الأراتقة لأنّهم حلفاء لا أتباع[6].

المبحث الثّاني :علاقة الأراتقة بالأيوبيّين(570-658هـ/1174-1260م):

أوّلًا:علاقة الأراتقة بالسُلطان صلاح الدّين(570-589هـ/1174-1192م):

يبرز دور الأراتقة في سيّاسة صلاح الدّين الخارجيّة من خلال مجهوداته في إخضاع بلاد الجزيرة إبتداءً من سنة 570هـ/1174 م[7]، (لاحظ الخريطة رقم :6) حينما لبّى أراتقة ماردين وحصن كيفا نداء أمير الموصل سيف الدّين غازي

---

[1]أبوشامة، المصدر السّابق، ج1 ص306، ويذكر إبن العبري أن سبب قيام نور الدّين بحملته على الموصل هوّ تحكّم فخر الدّين عبد المسيح بأميرها الجديد، واستيّائه من ذلك لكونه مسيحي الدّيّانة، فكان هدفه من مهاجمة الموصل إبعاده عن التّحكم في شؤون مدينة هامّة، وكان فخر الدّين مقرّباً من الخاتون، وهوّ من أشار عليها بتغيير وصيّة قطب الدّين لصالح إبنها سيف الدّين غازي بدلا من الإبن الأكبر عماد الدّين زنكي الثّاني، والّذي كان نور الدّين مقرّبًا منه ومبغضًا للوصيّ المسيحي، را: تاريخ مختصر الدوّل، ص371-373.

[2]) إبن الأثير، الباهر، ص154، وسهيل زكّار، موسوعة الحروب الصّليبيّة، ج5 (ميخائيل السّرياني)، ص230.

[3])كلود كاهن، المرجع السّابق، ص187.

[4]) محمود سعيد عمران، تاريخ، ص106.

[5]) إبن خلدون، المصدر السّابق ، مج 5 ص302 .

[6]) عماد الدّين خليل، نور الدّين محمود وتجربته الإسلاميّة، ص64-66.

[7]) هاجمت قوّات صلاح الدّين دمشق واستولت عليها في ربيع الأوّل 570هـ/أكتوبر1174م، وعمل على إستمالة أهلها إلى صفّه، وحافظ على الخطبة للملك الصالح إسماعيل بن نور الدّين محمود، وأعاد في المدينة سيرة هذا الأخير من عدل وأمن، وقام بعدها بالاستيلاء على حمص، وحماة، وبعلبك لقطع الطّريق أمام توسّع

غازي (541-544هـ/1146-1149م) لدعمه في حربه ضدّ سُلطان مصر، فاجتمع لهذا التّحالف ستّة آلاف فارس، وساروا جميعًا إلى نصيبيين في ربيع الأوّل 571هـ/سبتمبر-أكتوبر1175م، أين قضوا الشّتاء، ثمّ شدّوا رحالهم إلى حلب، وهناك إنضمّ إليهم أتابك الملك الصّالح إسماعيل سعد الدّولة كُمُشتكين برفقة قوّاتٍ حلبيّة، وكان مُعسكر السّلطان مُتمركزًا قرب حلب فأرسل يطلب المدد من مصر [1]، ثمّ تصادم الجيشان في تلّ السّلطان-من أعمال حلب- وانتصر الأيوبيون (أنظر الجدول رقم:7) في 10شوّال571هـ/12أفريل1176م[2]، وفرّ أمير الموصل إلى حلب ثمّ عبر الفرات هاربًا، واستولى جيش مصر على منبج وبزاعا وأعزاز، وعاد إلى معقل الصّالح إسماعيل في نهاية 572هـ/ ماي1177م، وهناك فاوضه صلاح الدين ومنحه قلعة أعزاز[3]، كما تعرّض لمحاولة إغتيّال أخرى من طرف الإسماعيليّة[4].

وهكذا إعتبر أمراء الشّام والجزيرة صلاح الدين منافسًا يهدفُ إلى توسيع مُلكه على حسّابهم، وأنّى لهم قراءة أفكاره المُتَمَحْورة حول تقويّة الجبهة الإسلاميّة وتوحيدها لمحاربة الكيانات الصليبية [5]، بالرّغم من قيّامه بإعلان هدفه من خروجه من مصر، وهوّ: القيّام بتوحيد جيوش الشّام ومصر والوفاء لنهج سيّده نور الدّين محمود؛ لا لأجل تحقيق طموحه الشّخصي، وبسبب ذلك أرجأ مواجهة القوّات الصّليبيّة في طريقه [6]، ولاسيّما أنّ سيف الدّين غازي (541-544هـ/1146-

إمارة الموصل الزّنكيّة في الشّام، ثمّ حاصر حلب، فمنعه أهلها من دخولها بتحريضٍ من الملك الصّالح، واستعان بعضٌ من حاشيّته بالإسماعيليّة لاغتيال السّلطان الأيّوبي، ثمّ إستغاثوا بالأمراء الصّليبيين، حيث قام كبير أمراء حلب سعد الدّين كُمشتكين بإطلاق سراح الكونت ريموند دوسان جيل مقابل مائة وخمسين ألف دينار وألف أسير مسلم، فلمّا عاد الكونت إلى بيت المقدس، جمع قوّاته ليُحاصر حمص، فغادر السُّلطان النّاصر حلب،وفي نفس الفترة هاجم ملك بيت المقدس بلدوين الرّابع أرباض دمشق ونهبها في موسم الحصاد،أمّا الملك الصّالح إسماعيل فلقد أرسل إلى إبن عمّه سيف الدّين غازي يطلب مدّه بالمساعدة اللّازمة من جند وسلاح، فوافق، وأرسل بدوره إلى أخيه أمير سنجار عماد الدّين زنكي الثّاني (566-594هـ/1170-1197م)، ولكنّه فضّل الدخول في صفّ الأيّوبيين، ثمّ جهّز غازي أخاه الآخر عز الدّين مسعود في معظم جيش الموصل،وأرسله إلى الشّام، فحاصر في طريقه سنجار دون فائدة، ثمّ سار إلى حماة أين دحره الجيش الأيّوبي، فأسر صلاح الدّين كبار قادة الموصل، ثمّ أطلق سراحهم، وحاصر حلب ثانيّةً، وقطع الخطبة عن الملك الصّالح وأزال إسمه من السكّة، ثمّ صالح آل زنكي في صلح عام،وعاد إلى حماة في شوّال 570هـ/أفريل1175م، فجاءته رُسُل الخليفة العبّاسي المُستضيء بأمر اللّه ومعهم الهدايا وشعارات الدّولة العبّاسيّة وكتاب السّلطنة بمصر والشّام، وكان هذا الأمر بالنّسبة لأمراء تلك الفترة مجرّد إجراء شكلي، ولكنّه إكتسى أهمّيّة كبرى بالنّسبة لصلاح الدّين لأنه كان يُحارب باسم إقامة الشّريعة الإسلاميّة والجهاد، وإزالة الظّلم عن رعاياه، وإعادة توحيد الجبهة الإسلاميّة كحالها خلال فترة حُكم نور الدّين محمود من الفرات إلى النّيل، ثمّ قام بانتزاع حصن "بارين" من الصّليبيين، ووزّع كثيرًا من أعماله بالشّام على أتباعه من الأمراء، وعاد إلى دمشق أواخر 570 هـ/جوان1175م، را: إبن الأثير، الباهر، ص177 والكامل، ج9 ص404-411، ووليم الصّوري، المصدر السّابق، ج2 ص984-985، وأبوشامة ،المصدر السّابق، ج2ص ص6و10، وإبن كثير، المصدر السّابق، ج 16ص506، وإبن العبري، المصدر السّابق، ص375-376، والذّهبي، دُوّل، ج2ص77، والمقريزي، السّلوك لمعرفة دوّل الملوك،ج 1، ص 168-169، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص306-307، وسعيد عبد الفتّاح عاشور، الأيّوبيّين والمماليك في مصر والشّام، ص42-43، وقاسم عبده قاسم، الأيّوبيّون والمماليك في التّاريخ السّياسي والعسكري، ص40.

[1]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص415، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج 5 ص307.

[2]) الذّهبي، دوّل،ج 2 ص77، والمقريزي، المصدر السّابق، ج1 ص171.

[3]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص417-419، وأبو شامة، المصدر السابق، ج2 ص26، وإبن العبري، المصدر السّابق، ص376، والمقريزي، المصدر السابق، ج1 ص171.

[4]) وذلك يوم الثلاثاء 14ذي الحجّة571هـ/24جويلية1176م، وهوّ خارج حلب، فهاجمها، را: أبو شامة، المصدر السّابق،ج2 ص 26، والمقريزي، المصدر السّابق، ج1 ص172.

[5]) قاسم عبده قاسم، الأيّوبيّون والمماليك ، ص39.

[6]) سعيد عبد الفتّاح عاشور، الأيّوبيّون والمماليك، ص42.

1149م) إعتبر نفسه أميرًا على كامل ممتلكات الزنكيّين ممّا يستلزم أنّ حلب حقٌّ وجب الحرص على عدم التّنازل عنه [1]، أما الأراتقة فقد إستجابوا للصّلح العام بين الأطراف المتحاربة، وأن يكونوا"...كُلُّهم عَوْنًا على النّاكث الغادر"[2]

وما لبثوا أن عادوا للتّحالف مع السّلطان صلاح الدّين بعد وفاة الملك الصّالح سنة 577هـ/1181م[3]، حينما قام الأمير شهاب الدّين محمّد بن إلياس الأرتقي إبن عم أمير ماردين قطب الدّين إيلغازي (575-580هـ/1179-1184م) بغزو أعمال قلعة البيرة،بموافقة أمير الموصل عزّ الدّين مسعود(572-589هـ/1176-1193م)[4]، ولكنّه لم ينجح في الإستيلاء عليها، فطلب الإنضواء تحت راية صلاح الدّين- وكان في طريقه لغزو حلب-والذي حاول بدوره إستمالة قطب الدّين إيلغازي ليُحاكي تصرف قريبه؛ فرفض[5].

ولا يخفى أنّ السّلطان النّاصر كان يستهدف إضعاف إمارة الموصل بالتّحالف مع الأراتقة، والّذين شكّلوا بقوّاتهم نصف القوّات المُحاربة له في أعالي الفرات، إضافة إلى إظهار سيّادته الفعليّة على منطقة ديّار بكر بما يُضعف موقف أخطر منافس له فيها[6]، وبخاصّة أنّه في تلك السنة (578هـ/1182م) غزا بلاد الجزيرة،وأقام معسكره غربي البيرة، واستسلمت له كُلٌّ من:

---

[1]) أحمد الشّامي، تاريخ العلاقات بين الشّرق والغرب، ص159.

[2]) وبعدها قُتل الملك الصّالح إسماعيل سعد الدّين كمشتكين في 577هـ/1181م، وانشغل صلاح الدّين بحروبه ضدّ الصّليبيين، را: إبن الأثير،الباهر،ص ص 178و181-182، والكامل، ج9ص ص 419 و428-441و430-431و454، والمقريزي، المصدر السّابق، ج1ص172-188، وإبن خلدون ،المصدر السّابق، مج 5ص 308 -309.

[3]) قام الملك الصّالح بأخذ إلتزام من أعوانه ومقرّبيه بتسليم حلب لإبن عمّه أمير الموصل عزّ الدّين مسعود، لأنّ عماد الدّين زنكي أمير سنجار-وهيّ الأقرب إلى حلب-كان يميل للأيّوبيين، وأرسل رُسُلًا تطلب تسليم حلب لجيشه وإلّا فإنه سيُسلّم سنجار للجيش الأيّوبي، فأخذ عزّ الدّين مافي الموصل من أموال، ووافق على مبادلة حلب بسنجار، را: إبن الأثير، الباهر، ص183، والكامل، ج9 ص454-456، وإبن شاهنشاه، المصدر السّابق، ص60، وإبن العبري، المصدر السّابق ص380، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج 5ص 309.

[4]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص456، وإبن شاهنشاه ، المصدر السّابق، ص103.

[5]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص ص 456و 458-461، ومحمّد راغب الطبّاخ الحلبي يذكر أنّ هذه القلعة كانت من أوّل الأمر لشهاب الدّين الأرتقي، وأنّه كان تابعًا لنور الدّين محمود، ثمّ أصبح إبنه تابعًا لأتابك الموصل عزّ الدّين مسعود، والّذي سمح لأمير ماردين بانتزاعها منه،فاستنجد حاكم البيرة بالسلطان صلاح الدّين سنة 577هـ/ 1181م، على أن يدخل في طاعته، ثمّ أرسل صلاح الدّين يتوسّط لصاحب البيرة لدى أمير ماردين ،ولكنّ هذا الأخير رفض ذلك، وبقيّ مُحاصرًا للقلعة المذكورة، فغادر إبن شهاب الدّين الأرتقي إلى الشّام فمكث فيها منتظرًا إنتهاء السّلطان من حربه ضدّ الصّليبيين،إلى أن عبر معه الفرات لمهاجمة بلاد الجزيرة، را: أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشّهباء، ج2، ص121.

[6]) هاملتون جب، المرجع السّابق، ص133.

من: الرّها، وحرّان، والرقّة،ونصيبين[1]، واستولى عسكريًا على سروج، ورأس العين، وماكسين ومثيلاتها من أعمال الخابور[2]. وسبب ذلك ما أشاره عليه بعض حلفائه بالسّيطرة على أعالي الجزيرة لتطويق حلب من جميع الجهات، ومنع المدد عنها في حالة الحصار[3]، وهو ما تكرس في سعيِهِ لاستمالة أمرائها تارة بالمال وتارة أخرى بالإقطاعات ومنهم أمير حصن كيفا نور الدّين محمّد بن قرا أرسلان، الّذي وافق على الطّاعة مقابل حصوله على مدينة آمد [4]، فشارك فرسان من جيشه في حصار الموصل في 11رجب578هـ/10 أكتوبر 1182م[5]،ثمّ في فتح سنجار في17شعبان/16ديسمبر[6]، وبعدها قام الجيش الأيوبي بفتح دارا، وقلعة الحديد-قرب نصيبين- وسلّمها هيّ وما يتبع حصن الهيثم لنور الدّين محمّد الأرتقي[7].

وعلى النّقيض من قريبه الحِصْكَفي إتّجه أمير ماردين قطب الدّين إيلغازي الثاني (575-580هـ/1179-1184م) إلى السّير في طريق معاداة الأيّوبيّين فعقد في ذي الحجّة 578هـ /مارس1183م تحالفًا مع إبن أخته شاه أرمن، وإبن خاله وحماه عزّ الدّين مسعود (3صفر572-شعبان589هـ /11أوت1176 -أوت1193م) وأمير أرزن وبدليس، وعساكر أخرى من بلاد الجزيرة للإطاحة بصلاح الدّين[8]، إذ أن تصميم أمير الموصل على الإنتصار على قائد عسكري بأهمية سلطان مصر والشام جعله يبحث عن الحلفاء في كلّ اتّجاه[9].

سارت القوّات المُتحالفة إلى ماردين ونزلوا بإحدى ضيّاعها [10]، فسيّر السّلطان جيشًا كثيفا إلى حلب[11]، وسار بنفسه إلى رأس العين بعد عيد الأضحى فانفضّ الحلف،وعاد قطب الدّين الأرتقي أدراجه، فعسكر هناك جيش الأيّوبيين، ومكث أخ

---

[1]) أبوالفداء، المختصر، ج3 ص64-65، المقريزي، المصدر السّابق، ج1 ص189-190.

[2])) إبن الأثير، الكامل، ج 9ص463، وإبن شاهنشاه، المصدر السّابق، ص105-106، وأبو شامة، المصدر السّابق، ج2 ص83، وإبن خلدون، المصدر السّابق، ج5 ص310

[3]) وكان من بين هؤلاء الأمراء: مظفّر الدّين كوكبوري صاحب حرّان، وكان معاديًا لعزّ الدّين مسعود، را: إبن الأثير، الكامل، ج9 ص462، وإبن شاهنشاه، المصدر السّابق، ص102-103، وأبو شامة، المصدر السّابق، ج2 ص83، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص310.

[4]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص464، وإبن شاهنشاه، المصدر السّابق، ص106-107، وأبو شامة، المصدر السّابق، ج2ص87، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص310.

[5]) توجّه السّلطان لحصار الموصل بعد أن تردّد في ذلك، حيث كان يفضّل البدء بسنجار أو جزيرة إبن عمر، ولكنّ أمير إربل "كوكبوري" أشار عليه بأخذ أهمّ مدينة ببلاد الجزيرة، فضرب صلاح الدّين حصاره عليها ومعه جيوش حلفائه كجيشي إربل وحصن كيفا، فأرسل عزّ الدّين إلى بغداد يطلب توسّط الخليفة النّاصر لدين اللّه، فأرسل بدوره شيخ الشّيوخ صدر الدّين، ومعه بعض من حاشيّته و أميري أذربيجان وخلاط للوساطة، فانعقدت مفاوضات بين جميع الأطراف تمحورت بالأساس حول مدينة حلب، إذ اشترط السّلطان عدم تدخّل أمير الموصل في شؤون الشّام وبخاصّة حلب، فرفض الثّاني، وغادر إلى سنجار، را: إبن الأثير، الكامل، ج9 ص462-465، وإبن شاهنشاه، المصدر السّابق، ص106-109، وأبوشامة، المصدر السّابق، ج2 ص87، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص310-311.

[6]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص466، وإبن العبري، المصدر السّابق، ص380، والمقريزي، المصدر السّابق، ج1 ص190.

[7]) أبو شامة، المصدر السّابق، ج2 ص87.

[8]) إبن الأثير، الكامل، ج 9ص467، وأبو شامة، المصدر السّابق، ج2 ص87، ووإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص311.

[9]) هاملتون جب، المرجع السّابق، ص136.

[10])إبن الأثير، الكامل، ج9 ص467، وأبو شامة، المصدر السّابق، ج2 ص87، وإسم الضّيعة "حرزم".

[11])إبن شاهنشاه، المصدر السّابق، ص113.

السّلطان تاج الملوك بوري مقيمًا في قصر الضيعة[1]، في حين قام هوّ بحصار ماردين دون طائل، ثُم سلك طريق "البارعيّة" نحو آمد؛ لأن الأمير نور الدّين محمّد الأرتقي ألحّ على فتحها وتسليمها له [2]،فظهرت قوّات الأيّوبيين قرب أسوارها في 17ذي الحجّة 578هــ/ مارس1183م، ونَصبت آلات الحصار، وعَرضت على أهلها التّسليم والأمان، فتمسّك حاكمها[3]؛ بالقتال بالقتال عكس العامّة الّذين مالوا إلى الدخول في طاعة بني أيوب؛ فضَعُفَ موقفه وأرسل نساء الخاصة ليتشفّعوا له، فوافق السّلطان؛ ومنحه حق أخذ ثرواته قبل أن يرحل [4]، فسلّمها في 1محرّم579هــ/26أفريل1183 م[5]، وتنازل عن ثرواتها وذخائرها لأمير حصن كيفا، والذي أقام وليمة فخمة للجيش الأيّوبي، وأخذ منه السلطان إلتزامات بـــ"رعاية العهد والمتابعة له، والمسارعة إلى ما يدعوه، واشترط عليه إقامة العدل وإظهار السّيرة المحمودة في الرّعيّة"[6].

ويفسّر هاملتون جب [7] إستسلام آمد لتبعيتها—ولو بشكل إسمي-لخليفة بغداد، ولهذا فتح حاكمها أبوابها أمام القوّات الأيّوبيّة،كما أنّ صلاح الدّين كان يهدف من وراء ذلك إلى أن يُكرمه الخليفة الناصر لدين الله(575-622هــ/ 1179-1225م) بتولّي أمور الموصل أيضًا، فمن أجل الحصول على مُسوّغٍ شرعي للإستيلاء عليها عمل على اتّهام أميرها بالتّحالف مع الصّليبيين، وأرسل بذلك للناصر؛ الّذي اكتفى بالعمل على التقريب بين الخَصمين [8]، ثمّ جاءته الرسل من أمراء آخرين يطلبون الدّخول في طاعته كأمير ماردين قطب الدين إيلغازي، وحاكم ميّافارقين من الأسرة الأرتقيّة[9]، و أخيرًا تسلّم حلب في 18صفر579هــ/12جوان 1183م[10].

وبهذه الطّريقة تمكّن صلاح الدّين من إخضاع الأراتقة، مستمرّا بذلك في اتّباع منهج سلفه في الشّام الأتابك نور الدّين محمود في توحيد الجبهة الإسلاميّة لمحاربة الصّليبيين، ولاسيّما أنّه تفادى القيّام بتدمير القدرات العسكريّة لإمارة حلب لدورها في تقوية الصف الإسلامي، كما رأى في قادتها رفاق السّلاح الّذين لا غنًى عنهم في تحرير بلاد الشام [11]، وحظيَ الأيوبيين

---

[1])إبن الأثير، الكامل، ج9 ص467، وإبن شاهنشاه، المصدر السّابق، ص114، وأبو شامة، المصدر السّابق، ج2 ص87.

[2])إبن الأثير، الكامل، ج 9ص470. وإبن العبري، المصدر السّابق، ص381

[3])حاكم المدينة هو بهاء الدّين مسعود بن علي بن نيسان، وحكم ما بين 573-579هــ/1177-1183م، وهوّ الحاكم الثّالث من آل نيسان حجّاب قصر آمد، وكان أوّلهم مؤيّد الدّين أبوعلي الحسن بن أحمد وحكم مابين 530-551هــ/1135-1156م، ثمّ جمال الدّولة كمال الدّين أبو القاسم علي بن الحسن (551-573هــ/1156-1177م)، را: زامباور،المرجع السّابق، ص211.

[4])إبن الأثير، الكامل، ج9 ص470، إبن شاهنشاه، المصدر السّابق، ص136-137.

[5])أبوالفداء، المختصر، ج3 ص65، المقريزي، المصدر السّابق، ج1 ص193.

[6])إبن الأثير، الكامل، ج9 ص471، وإبن شاهنشاه، المصدر السّابق، ص138-139، وأبو شامة، المصدر السّابق، ج2 ص96، وأبو الفداء، المختصر، ج 3 ص 66.

[7])دراسات في التّاريخ الإسلامي:صلاح الدّين الأيّوبي، ص137.

[8])سعيد عبد الفتّاح عاشور، الأيّوبيّون والمماليك في مصر والشّام، ص48.

[9])أبوشامة، المصدر السّابق، ج2 ص96، والمقريزي، المصدر السّابق، ج1 ص193.

[10])غادر السّلطان آمد إلى تل خالد من أعمال حلب، وتسلّمها مع عين تاب، ثمّ سلّمه عماد الدّين زنكي حلب مقابل حصوله على سنجار ونصيبيين والخابور والرّقّة وسروج، مع إرسال جيوشه كلّما احتاج الأيّوبيّون لذلك، را: إبن الأثير، الكامل، ج9 ص471-473، وإبن شاهنشاه، المصدر السّابق، ص140-143، وإبن العبري، المصدر السّابق، ص381، وأبو الفداء، المختصر، ج3 ص66.

[11])هاملتون جب، المرجع السّابق، ص138.

بالسّيطرة على كامل الأراضي الكرديّة وبالتالي ضمان تزويد جيشهم بالتعداد البشري اللّازم للتّحديّات القادمة وعلى رأسها الجهاد مع الحيلولة بذلك دون إتّحاد إمارة الموصل وسلاجقة الرّوم ضدّهم[1].

توفيّ نور الدّين محمود بن قرا أرسلان بن داود الأرتقي-أمير حصن كيفا- في سنة 581هـ/1185م ؛فخلفه إبنه قطب الدّين سقمان[2]، وكان الأوّل قد أرسل -في مرض موته -أخاه عماد الدّين أبو بكر على رأس قوّاتٍ من آمد إلى صلاح الدّين حينما كان في دارا-التّابعة للأراتقة- كتعبير منه عن الولاء فأحسن صاحب مصر والشّام وفادته بكثير من المال في ربيع الثّاني581هـ/جويلية1185م[3]، وعامله كحليف ذو ثقة قبل حملته على الموصل [4]، ولاحقًا شارك قطب الدّين -بعد وفاة والده- في حصار ميّافارقين بمعية الجيش الأيّوبي، ووقتها كافئه صلاح الدّين بالإعتراف بسيّادته على آمد وكامل أعمال إمارة حصن كيفا[5].

كان السّلطان الأيّوبي قد استهدف أخذ ميّافارقين لوجودها في طريقه إلى خلاط إنطلاقًا من منطقة ديار بكر [6]، من أجل تكريس هدفه الأكبر المتمثّل في تطويق إمارة الموصل[7]، وكانت وقتها من أعمال إمارة ماردين يسيّر شؤونها نائب عن المُتوفّى المُتوفّى شاه أرمن أمير خلاط [8]، قبل أن تؤول إلى أتابك أذربيجان باعتباره صهرًا لأميرها الراحل [9]، فاستغلّ صلاح الدّين ذلك وسارع لحصارها، فردّ نظام الدّين ألبقش -الوصي على عرش ماردين- بإرسال أسد الدّين يرنقش إليها والّذي تولّى بدوره السّيطرة على خزائنها، وتوزيع الأموال على الجند، ووضع آلات الدّفاع على الأسوار؛ فاشتدّ القتال بين الجيشيْن وسقط منهما الكثير من القتلى، وكان ألبقش وصيًّا على الأمير حسام الدّين يولق بن قطب الدّين بعد وفاة خاله والوصي عليه شاه أرمن[10].

كانت الخاتون إبنة قرا أرسلان وزوجة قطب الدّين -أمير ماردين-وأخت نور الدّين محمّد -أمير حصن كيفا- تقيم بميّافارقين ؛فراسلها صلاح الدّين؛ وطلب منها ترك المدينة مقابل حصولها على جزء من تركة أخيها، وعَقْد مصاهرة مع الأيّوبيّين، فوافقت ،وانفضّ القتال ضدّ أتباع أسد الدّين فدخلها جيش السّلطان في 20 جمادى الأولى 581هـ /19أوت

[1])كلود كاهن، المرجع السّابق، ص187.
[2])إبن الأثير، الكامل، ج10 ص8.
[3])إبن شاهنشاه، المصدر السّابق، ص213.
[4])بهاء الدّين بن شدّاد، المصدر السّابق، ص117.
[5])عزّ الدين بن شدّاد، المصدر السّابق، ص350.
[6])إبن الأثير، الكامل، ج10 ص8.
[7])إبن شاهنشاه، المصدر السّابق، ص217.
8)سهيل زكّار، الموسوعة الشّاملة للحروب الصّليبيّة، ج 23 (إبن فضل اللّه العمري)، ص69.
[9]) وكان شاه أرمن توفيّ في ربيع الآخر 581هـ/جويلية1185م، فتولّى أمورها غلامه بكتمر، وطلب الحماية من السّلطان السّلجوقي سنجر حاكم أصفهان فرفض، ثُمّ بأتابك أذربيجان بهلوان بن ألدكز ، را: بهاء الدّين بن شدّاد، المصدر السّابق، ص117، وأحمد بن إبراهيم الحنبلي، المصدر السّابق، ص133.
[10]) بهاء الدّين بن شدّاد، المصدر السّابق، ص118، وإبن شاهنشاه، المصدر السّابق، ص219، وعزّ الدّين إبن شدّاد، المصدر السّابق، ص329.

1185م، ووفى صلاح الدّين بعهده فمنح قلعة الهتّاخ للخاتون، وقلعة جبل جور ليرنقش [1]،وإستخدم سلطان مصر والشّام الحيلة في ذلك حيث أرسل إلى خاصّة ميّافارقين الكتاب الّذي أرسله إليه سُكّان خلاط يطلبون فيه الإنضواء تحت حكمه، وقام مبعوثه بحثّ أسد الدّين يرنقش على الإ ستسلام طالما أن خلاط صارت للأيّوبيين[2].

وبعد أن وطّد السّلطان نفوذه في ميّافارقين، وفي خلاط، وأعمالهما،ركّز جهوده لإخضاع إمارة الموصل [3]، في حين تهيّأ نظام الدّين ألبقش لأي هجوم مفاجيء من الجيْش الأيّوبي على ماردين، فتشدّد في تحصينها–وهيّ التي يُضرب المثل في حصانتها أصلًا–وهوّ نفس الإجراء الّذي إتّخذه نور الدّين محمّد بعد أن وصلته الأخبار بإشارة بعض خواص السّلطان له بالإستيلاء على آمد[4].

ومهما يكن من أمر فإنّ صلاح الدّين تمكّن من إخضاع أمراء الجزيرة والموصل، وتحقيق هدفه في دمج قوّاهما في حركة الجهاد، وتأمين الخطوط الخلفيّة لجيوش الشّام المشاركة في تحقيق هذا المسعى لأن قوّات دمشق لم تكن كافية لهذه المُهمّة فجيش مصر بالكاد يتولّى الدّفاع عنها بعد أن صارت هدفًا هي أيضًا، كما أدرك أنّ الجهاد في بلاد الشّام لا بُدّ أن يتدعمّ بقوات الجزيرة–وهو ما حدث– وعلى رأسها جيش الموصل [5]، فعمليّة إخضاعها كانت أكثر من ضروريّة لأنّها مثلّت منذ بدايات الغزو الصّليبي المركز الرّئيس لمقاومته، وعليه وَضَع آل زنكي تحت تصرّفه ألفَي جندي نظامي، أمّا بقية أمراء الجزيرة–بما فيهم الأراتقة– فقد زوّدوه بأربعة آلاف رَجل[6].

ثمّ خلف قطب الدّين سقمان والده نور الدّين في حكم إمارة حصن كيفاو أعلن تبعيّته الإسميّة للأيّوبيين، فعيّن صلاح الدّين أحدأتباعه المُسمّى"الصّلاح"[7] للوصاية على الأمير الأرتقي القليل الخبرة بشؤون الحُكم، وتمثيله في ما يُقرّرفي آمد[1].

---

[1])بهاء الدّين بن شدّاد،المصدر السّابق، ص118، والنويري، المصدر السّابق، ج28 ص258، أحمد بن إبراهيم الحنبلي، المصدر السّابق، ص133.

[2])إبن الأثير، الكامل، ج10 ص9، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص362، وكانت خلاط موضع تنافس بعد وفاة أميرها شاه أرمن دون ترك وريث،فاستبدّ بأمورها مملوكه بكتمر و لم يعترف به الأمراء المجاورين مثل مظفّر الدّين كوكبوري–أمير إربل–وشمس الدّين البهلوان محمّد بن إيلدكز أتابك أذربيجان وناصر الدّين محمّد بن شيركوه الأيّوبي وهدّدوه، فكاتب وزيرها السّلطان صلاح الدّين مرّتين، آخرها في حصاره لميّافارقين حينما جاءه عرض من خلاط؛ فحواه بقائها منطقة محايدة بين ممتلكات إمارة أذربيجان،ومناطق نفوذ الأيّوبيّين؛ مع تبعيّتها إسميًّا للإمارة الأولى، ورحيل الجيش الأيّوبي عنها، را:الذّهبي، تاريخ،حوادث ووفيّات581–590هـــ،ص6–8.

[3])تردّدت المراسلات بين صلاح الدّين وأمير الموصل عزّ الدّين مسعود، والّتي تزامنت مع مرضٍ شديد أصاب الأوّل، فمكث بحرّان للتّداوي بعد أن وافق عزّ الدّين على أن تكون الخطبة للسّلطان الأيّوبي على جميع منابر ديّار بكر، وأعمال الموصل، وتُقطع عن السّلاجقة، وتُضرب السكّة باسم سلطان مصر والشّام، ويُمنح شهرزور وحصونها، را:إبن الأثير، الكامل، ج10 ص9–10، وعزّ الدّين إبن شدّاد، المصدر السّابق، ص118، وأبو شامة، المصدر السّابق، ج2 ص123، وأبو الفدا، المختصر، ج4ص69، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص362، واليافعي، المصدر السّابق، ج3 ص317.

[4])إبن شاهنشاه، المصدر السّابق، ص218، وكان لمرض صلاح الدّين ومكوثه في حرّان أثر في تغيير سيّاسته، إذ قام بتقسيم ممتلكات الدّولة الأيّوبيّة على أبنائه، وعيّن أخاه العادل وصيًّا على الأيّوبيّين بعد موته، ثمّ عاد إلى دمشق في محرّم 582هـــ/مارس–أفريل1186مم، وفيها تعافى من مرضه–عكس ما كان متوقّعًا– وكان قد نذر أن لا يحارب مسلمًا إذا شفاه اللّه، وأن يُوجّه كلّ مجهوده الحربي لاستخلاص القدس من أيدي الصّليبيين، ولوكلّفه ذلك كلّ ما يملك، را: إبن الأثير، الكامل، ج10 ص10، وأبو الفداء، المختصر، ج3 ص69، وإبن كثير، المصدر السّابق، ج16 ص570، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص362

[5])محمود محمّد الحويري، بناء الجبهة الإسلاميّة المتّحدة وأثره في التّصدّي للصّليبيين، ص187.

[6])هاملتون جب، المرجع السّابق، ص ص137و169.

[7]) عزّ الدّين إبن شدّاد، المصدر السّابق، ص350، والذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات581–590هـــ، ص131.

ويذكر عماد الدّين الأصفهاني [2]-والّذي كتب عقد زواج إبنة العادل الأيّوبي بقطب الدّين سقمان بن نور الدّين محمّد أمير آمد-حصن كيفا-أنّ هذا الأخير أرسل الصّلاح "قتلغ أبه" ليأخذ من سُلطان مصر ميثاقًا بالتّنازل عنها، وأحضر معه الشّهود من قضاة ديّار بكر، فأراد الثاني ضمان ولاء أراتقة آمد-حصن كيفا برابطة المصاهرة، وكوْنِهِ تفرّغ لقتال الصّليبيين، فإنّه قام في محرّم 583هـ/مارس-أفريل1187م باستدعاء أمراء الموصل، وبقيّة الجزيرة-ومنهم الأراتقة-وإربل، والشّام، ومصر للمشاركة في العمل العسكري المُوجّه ضدّ رينالد دي شاتيون "أرناط"renaud de chatillon (ت583هـ/1187م) صاحب الكرك[3]،حيْثُ تمكّن جيش التّحالف الإسلامي-والمُقَدّر بإثنا عشر ألف فارس- من الإنتصار على خمسين ألف من الصّليبيين،بعد أن إلتقوهم قرب بحيرة طبريّة في "حطّين" في 14ربيع الآخر/ 22 جويلية 1187م[4]،قبل قيّامهم بعمليّات عسكريّة على مستوى الجبهة الشّماليّة لبلاد الشّام، فاستولوا على عدد هام من حصون منطقتي العواصم و طرابلس الشّام، وانتهت كُلُّ ذلك بهُدنة مع إمارة أنطاكيّة في584هـ/ 1188م[5].

وفي سنة 586هـ/1190م شارك الأمير عماد الدّين محمود بن بهرام الأرتقي في حصار عكّا [6]، وكان مرفوقًا بأمير سنجار عماد الدّين زنكي الثاني (566-594هـ/1170-1197م)، وأمير الموصل علاء الدّين بن عزّ الدّين مسعود الثاني نائبًا عن أبيه[7].

ويُستنتج من كُلِّ هذا أنّ الأراتقة كانوا يساهمون في تلبيّة احتيّاجات الجيش الأيّوبي العسكريّة لتفادي عقوبة النّاصر صلاح الدّين من جهة، والمحافظة على رابط الولاء والثّقة والتّبعيّة له من جهة أخرى، وبخاصّة أنّه وإن كان قد تفرّغ للجهاد في الشّام

---

[1]) يذكر إبن شاهنشاه-وهوّ الأكثر إطّلاعًا على أحوال الأيّوبيين-أنّ الصّلاح المذكور لم يكن سوى أحد أمراء آمد، والّذي سيطر على شؤونها واستضعف أميرها، وقبض على الوزير قوّام الدّين أبو محمّد عبد اللّه بن سماقة، وأنّ هذه المستجدّات لم تُطمئن السّلطان، ولا سيّما بعد مقتل الوزير المذكور من طرف أمراء الجيش، والّذين حبسوا الصّلاح في السّجن ثمّ أخرجوه، وأنّ صلاح الدّين لم يتدخّل في شؤون آمد الدّاخليّة لكي يفيَّ بنذره وهوّ المعروف بتديّنه، كما أنّ خاصّتها حافظوا على ولائهم للأيّوبيّين، و لم تظهر عليهم بوادر التمرّد، را: مضمار الحقائق، ص228.

[2]) الفتح القسّي في الفتح القدسي، ص117.

[3])إبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص364، ***والكرك***: kerak وهيّ بلدة صغيرة مشهورة على طرف البلقاء، دأب الأمراء على نفي كلّ سلطان أو أمير متمرّد إلى سجنها، وبها حصن عالٍ على قمّة جبل بناه البيزنطيّون، وأسفل البلدة واد فيه بساتين كثيرة، ويقاللها كذلك "كرك الشّوبك" تمييزًا لها عن كرك البقاع، را: القرماني، المصدر السّابق، ص473.

[4]) المقريزي، المصدر السّابق، ج1 ص207.

[5]) إبن الأثير، الكامل، ج10 ص ص48و51-58، ومن هذه الحصون: صهيون، بلاطنس، الجماهرتين، وبُكاس، والشّغر، وبرزيّة، ودير بسّاك، وبغراس، والعيذو، ومدينتي سَرْمَنيّة، واللّاذقيّة.

[6]) حمدي عبد المنعم محمّد حسين، دراسات في تاريخ الأيّوبيين والمماليك، ص83.

[7]) إبن الأثير، الكامل، ج 10ص80.

ومصر فإنه ظلّ مهتمّا بأوضاع الجزيرة، من خلال تعيين إبن أخيه تقيّ الدّين عمر أميرًا على حرّان والرّها [1]، وتكليفه بفتح حاني ،وخلاط التّي توفيّ قبل الإستيلاء عليها في 9رمضان587هــ/30سبتمبر1191م [2].

وفي صفر 588هــ/فيفري-مارس1192م أرسل السّلطان أميرًا أيّوبيًّا آخر إسمه الأفضل نور الدّين أبو الحسن علي (أمير دمشق 582-592هــ/1186-1195م) لغزو أراضي سلاجقة الرّوم بسبب إتّخاذها معبرًا إلى بلاد الشّام من طرف الصّليبيين وحلفائهم [3]، وأرسل إلى أمراء الموصل،وسنجار، والجزيرة-ومنهم الأراتقة-يأمرهم بإرسال الدّعم العسكري للجيش للجيش الأيّوبي [4].

ثانيًا:علاقة الأراتقة بالأيّوبيين بعد وفاة السّلطان صلاح الدّين 589هــ/1192م:

كان لموت النّاصر صلاح الدّين تأثير هام على الحياة السيّاسيّة في بلاد الشّام والجزيرة، لأنّ المسلمين في تلك النّواحي فقدوا "رجُلًا بحجم أمّة" [5]،وهوّ ما أثبتته الأيّام؛ إذ عاد الإنقسام للمنطقة مباشرة بعد 589هــ/1193م (سنة وفاة السّلطان) فابتدأ فابتدأ التّنازع بين أفراد البيت الأيّوبي أوّلًا ثمّ أتباعهم من صغار الأمراء [6]، و لم يكن من خلفائه ممّن يملك الحنكة السيّاسيّةسوى السيّاسيّةسوى إثنين:

---

[1]) إبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص385.

[2]) إبن الأثير، الكامل، ج10 ص92-93، والمقريزي، المصدر السّابق، ج1 ص220.

[3]) كان السّلطان قد هادن الصّليبيين في شعبان588هــ/أوت-سبتمبر1192م، وتفرّغ لفتح خلاط لأنّه وعد الأمير العادل الأيّوبي بإقطاعها له إذا عادت إليه، وكانت تعاني من الفراغ السيّاسي بعد اغتيّال حاكمها بكتمر على يد الإسماعيليّة، وضعف خليفته تقي الدّين-وهوّ إبنه ناصر الدّين محمّد وكان طفلًا- فسيّر السّلطان جيشًا إليها بالتزامن مع إرساله لجيش إلى بلاد الرّوم بقيّادة الأمير الأفضل، ثمّ منح لإبن تقيّ الدّين إقطاع أبيه بالشّام، وأقطع الأفضل ما كان لتقي الدّين بالجزيرة،وأخذ منه دمشق، ثمّ سلّم للعادل حرّان،الرّها،سميساط،ميّافارقين،وحاني،وتوفيّ في صفر589هــ/3مارس1193م، بعد أن وسّع دولته لتشمل الحجاز، واليمن، ومصر، ودمشق، وبعلبك وحمص، وحماه، وحرّان، والرّها، والرقّة، ورأس عين، وشهرزور، ونصيبين، وميّافارقين، وآمد، وديّار بكر، وكثير من حصون الجزيرة، فكانت دولته أعظم وأوسع من دولة نور الدّين محمود بن زنكي، را: إبن الأثير، الكامل، ج10 ص109، والذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات 581-590هــ، ص89، ودوّل، ج2ص97، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص392-393، وأحمد بن إبراهيم الحنبلي، المصدر السّابق، ص 187.

[4]) إبن الأثير، الكامل، ج10 ص109.

[5]) أحمد الشّامي، صلاح الدّين والصّليبيّون، ص162.

[6]) تولّى الحكم في مصر الملك العزيز عماد الدّين عثمان بن صلاح الدّين، وفي دمشق السّلطان الأفضل نور الدّين علي بن صلاح الدّين، وفي حلب الملك الظّاهر، غيّاث الدّين غازي بن صلاح الدّين، وسيطر على الرّها وحرّان وماجاورهما من أعمال الملك العادل سيف الدّين أبو بكر، وصارت منبج، وحماة، والمعرّة، وسلَمّيّة بيد الملك المنصور محمّد بن تقيّ الدّين عمر، وكان على بْعَلْبك الأمجد بهرام شاه بن فرخشاه، وعلى حمص الملك المجاهد أسد الدّين شيركوه الثّاني، وكان يتبع هؤلاء أمراء صغار مثل: سابق الدّين عثمان بن الدّاية أمير شيزرو أبي قبيس التّابع لحاكم حمص، وكان يتبعها أيضًا؛ ناصر الدّين بن منكورس حاكم صهيون وبرزيّة، وحاكم تل باشربدر الدّين دلدرم، وعزّ الدّين أسامة حاكم حصني كوكب وعجلون، وعزّ الدّين بن المُقدّم حاكم بارين وأفاميه وكفرطاب، وكان ناصر الدّين شحنة حلب حاكمًا على عينتاب، را: الذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات 581-590هــ، ص95-96، وأحمد بن إبراهيم الحنبلي، المصدر السّابق، ص 196.

إبنه الظّاهر أمير حلب (582-613هـ/1186-1216م) وشقيقه العادل أمير الجزيرة وديار بكر والأردن (وسُلطانًا من 596إلى 615هـ/1199-1218م) وكان يتمتّع بالذّكاء والنّشاط وقوّة الشّخصيّة، ولولاه لضاعت كلّ مجهودات مؤسّس الأسرة الأيّوبيّة في بناء وحدة الجبهة الإسلاميّة المقاومة للغزو الصّليبي [1]، وهيّ الّتي ميّزها جوّ من عدم الثّقة والتّنازع بين أمرائها،وتكرّرت إعتداءات عساكرهم على أراضي بعضهم البعض [2]، فاستغلّ أعداء صلاح الدّين بالأمس-والّذين خضعوا له خوفًا ومداراة-الوضع لبعث أطماعهم من جديد، وكان على رأسهم أمير الموصل عزّ الدّين مسعود؛ والّذي خطّط للإطاحة بالملك العادل، والإستيلاء على أملاكه في الجزيرة [3]، فتحالف مع إمارات سنجار و ماردين، ونصيبين، فدشن الأمير الأرتقي حسام الدين يولق أرسلان بن إيلغازي الثاني (580-597هـ/1184-1200م) المُخطط بغزو بعض أعمال الأيّوبيين المجاورة لأراضيه، وتحالف مع "بك تيمور"حاكم خلاط والّذي كان أوّل من أعلن العصيان، وعزم على إسترجاع حصن الموزّر، وكان قد أخذه منه السّلطان الرّاحل تأديبًا له، فهزمه جيش الأفضل، ثمّ تفرّقت القوّات المتحالفة لسببين: زحف جيش أيّوبيي الشّام، ووفاة الأتابك عزّ الدّين مسعود –أمير الموصل- في 29 شعبان 589 هـ /30 أوت 1193 م، فـ"...تذرّع صاحب ماردين وتضرّع وتشفّع بالأمراء والأكابر، وخضع فعُفي عنه صاغِرًا"[4].

مّ تجدّدت "حرب الوراثة الأيّوبيّة"في 591هـ/1195م بسبب تهوّر سُلطان مصر العزيز عثمان (589-595هـ/1193-1198م) وقلّة تجربته[5]، وبخاصّة أنّه كان يَملك سُلطة القرار على مجموعة من الأمراء ممّن كانوا قد أدّوا أدوارًا هامّة هامّة في حروب

صلاح الدّين وساهموا في كثير من إنتصاراته، وكانوا يفوقونه في حسن السّياسة والتّدبير [6]، ثُمّ توقّفت هذه الحرب في593هـ/1197م[7]، فحاصر الملك العادل قلعة ماردين في رمضان 594 هـ /جويلية 1198م، ونهبت قوّاته ربضها وانتقمت من سكّانه، وقطعت الطرقات، ومنعت المُؤن[8] بسبب إستنجاد أمير سنجار الجديد قطب الدّين محمّد بن عماد الدّين الدّين زنكي به لينصره ضدّأمير الموصل نور الدّين أرسلان شاه (شعبان589-2رجب602هـ/ أوت1193-

---

[1]) حسين محمّد عطيّة، إمارة أنطاكية، ص235.

[2]) أحمد الشّامي، المرجع السّابق، ص162.

[3])كان أخ المؤرّخ إبن الأثير مجد الدّين المبارك أبو السّعادات قد أشار على أمير الموصل بذلك، وحرّضه على مكاتبة أمراء إربل،وسنجار،ونصيبين،وجزيرة إبن عمر ليساعدوه، ولكنّ الأيّوبيين علموا بالأمر فتحالف العادل مع الأفضل والعزيز، را: إبن الأثير، الكامل، ج10 ص121، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص393.

[4]) إبن الأثير، الكامل، ج 10ص122-123، عماد الدّين الكاتب الأصفهاني، المصدر السّابق، ص331-332، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص393

[5]) كان الملك العزيز يشعر بضعفه مقارنة بالأفضل، وبأنّه عاجز عن الإشراف على الدّولة الأيّوبيّة إنطلاقًا من القاهرة مثلما كان يفعل والده صلاح الدّين، فزحف بجيشه على دمشق بعد أن أرسل إليه أنصار والده من أهلها، ولكنّ الأفضل نجح في استمالة أيّوبيي الشّام والجزيرة إلى صفّه، را: إبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص394، والمقريزي، المصدر السّابق، ج 1ص237-251، وسعيد عبد الفتّاح عاشور، الأيّوبيّون والمماليك، ص75.

[6]) محمّد ماهر حمادة،وثائق الحروب الصّليبيّة والغزو المغولي للعالم الإسلامي، ص40.

[7]) المقريزي، المصدر السّابق، ج1 ص251.

[8]) إبن الأثير، الكامل، ج10 ص156، والذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات591-600هـ، ص20، وإبن العبري، المصدر السّابق، ص392، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص398، والمقريزي، المصدر السّابق، ج1 ص254.

11مارس1205م) بن عزّ الدين مسعود الّذي تحالف مع إمارة ماردين، وانتزع من إمارة سنجار نصيبيين، وكان العادل على عِلم بعجز أرسلان شاه عن محاربته لشدة مرضه، فانتهز الفرصة وقرر الإستيلاء على معقل آل نجم الدين إيلغازي[1].

وما يثبت إصرار العادل على فتح ماردين هوّ تركه للملك الكامل يستخلفه في حصارها بعد أن غادر مضطرًّا إلى دمشق لوفاة العزيز عثمان في 27محرّم595هـ/نوفمبر1198م، رغم أنّه تثاقل في إجابة دعوة أمراء مصر بالحضور إليها بسبب إصراره على امتلاك ماردين،ولكنّه تدارك ذلك بعد أن وصلته الأخبار بدخول الملك الأفضل للقاهرة، وتنصيبه أتابكًا للمنصور بن العزيز عثمان،وأدّى ذلك إلى قتال بينهما في دمشق،فانتهز حسام الدين ذلك واستنجد بأرسلان شاه (589-607هـ/1193-1210م) الّذي طرد قوّات الكامل نَحْوَ آمد، ثمّ حرّان، فأراتقة ماردين لم يكونوا في عُزلة بل كانوا مؤيّدين سِرًّا من طرف أمراء الجزيرة بزعامة أرسلان شاه، لأنّ استيلاء العادل على أحصن مُدن ديار بكر يُهدّد وجودهم، وفي نفس الوقت كانوا عاجزين عن الوقوف في وجهه بشكل مباشر كي لا يجتمع بني أيوب ضدهم [2]،ولكنّ ماردين وغيرها من مدن الجزيرة لا تساوي في أهميّتها مصر الّتي صارت في يد العادل بعد أن هزم الأفضل، وعوّضه إيّاها بحكم ميّافارقين، وحاني، ورأس العين، والخابور، وسميساط، وجبل جور[3].

تزامن ذلك مع قيّام أقوى أمراء الجزيرة: قطب الدّين محمّد أمير سنجار؛ ومُعزُّ الدّين سنجر شاه صاحب جزيرة إبن عمر، ونور الدّين أرسلان شاه صاحب الموصل (589-607هـ/1193-1211م)، بالتّحالف مع إمارة ماردين، وإجتمعوا في بدليس، أودنيسر وعسكروا في ضيعة أسفل جبل ماردين، بالتنسيق مع نظام الدّين ألبقش الذي خطط لاستدراج الجيش الأيّوبي بالتّظاهر بقبوله تسليم مدينته مقابل تزويدها بالمؤونة لمدّة معيّنة لكي يتجهّز الأمراء والخاصّة لمغادرتها قاصدًا من وراء ذلك إختيار ميدان المعركة المدروس بعناية لتدمير قوّات الكامل، والّذي قام بتزويدها بالمؤونة الكافيّة كل يوم على حدة، فأظهر قلّة تجربته أمام أمراء الجزيرة، إذ كان عليه من باب أولى أن يشدّد الخناق عليها حتّى يضجر أهلها من الجوع والأمراض،ولا سيّما أنّ أكثرهم عجز عن الوقوف ناهيك عن القتال، ثُمّ هاجمه جيشا سنجارو الموصل فانسحب بقوّاته إلى الرّبض وهناك كَبَسته قوّات ألبقش، ففرّ الكامل في من تبقّى من فرسانه إلى ميّافارقين، ودفعت قواته ثمن تردده واضطرابه نتيجة هجوم مُفاجيء، وشرع الحلفاء في استعادة ما كان للعادل في أعالي الجزيرة وكانت البداية بحرّان، وأراد أمير حلب الملك الظّاهر استمالة أمير الموصل إلى صفّه، فأرسل إليه يطلب منه الولاء في الخطبة والسكّة، فرفض، وعاد إلى الموصل بسبب مرضه، ثُم استعاد أبناء العادل حرّان، ولكنّه واجهوا في سنة597هـ/1200م التّحالف المُوجّه مرّة أخرى للإستيلاء على

---

[1]إبن الأثير، الكامل، ج 10ص151-152، والذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات591-600هـ، ص20.

[2]إبن الأثير، الكامل، ج10 ص163، وإبن نظيف الحموي، التّاريخ المنصوري، ص31-32، والذهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات591-600هـ، ص24، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5،ص399، و المقريزي، المصدر السّابق،ج1 ص257.

[3]إبن نظيف الحموي، المصدر السّابق، ص 33، وكان العادل قد جمع عربان فلسطين والشّام، ومن والاه من الأمراء النّظاميين، وسار إلى القاهرة، وقوّات الأفضل تتراجع إلى أن استسلم في 18ربيع الآخر596هـ/7فيفري1200م، ثمّ خلع المنصور وخطب للعادل بالسّلطنة في 11شوّال/25جويلية ، ثمّ استدعى إبنه الكامل محمّد وجعله نائبًا عنه في مصر، وأقطعه أعمالها الشّرقيّة، را: المقريزي، المصدر السّابق، ج1 ص263-265.

حرّان والرّها من أملاك العادل، غير أنّ الأمراض فتكت بعساكرهم في رأس العين لشدّة الرطوبة، فتصالحوا مع الفائز بن العادل أمير حرّان[1]، غيرأنّ والده كان يتحيّن الفرصة الملائمة لإخضاع الجزيرة نهائيًّا؛ فجهّز سنة 599هـ/1202م جيشًا كبيرًا بقيّادة إبنه الأشرف موسى للإستيلاء على ماردين [2]، وجائته رُسُلُ أميري الموصل وسنجار تعرض عليه مشاركته حصارها رفقة الأفضل أمير سميساط[3].

ويذكر النويري[4] أنّ سبب هذه الحملة هوّ أنّ شاعرًا إسمه "الكمال"نظم أبياتًا يُحرّض فيها الأيّوبيين على غزوها، وفتح قلعتها الشّهيرة، فاعتقله الأراتقة فأستنجد بالعادل، وخلال الحصار قطعت قيّادة جيش ماردين خطوط الإمداد بالمؤونة عن جيش الأيّوبيين وأحلافهم، وخرّبت الحقول والمزارع، فانتفض سكّانها من التّركمان وضايقوا الجيش الأيّوبي بعد أن إنهزمت قوّات الأراتقة بما يعنيه ذلك من إستمرار لمعاناتهم،ثمّ أمر ألبقش أصحاب القلاع التّابعة له بإفساد الطرق في المنطقة، فسار قسم من الجيش المُحاصِر إلى رأس العين-والّتي كان الأشرف قد فتحها مع الخابور-وسلّمها للأفضل[5].

ومرّة أخرى تنتصر حصانة عاصمة أحفاد إيلغازي حينما توسّط الملك الظّاهر بين الأطراف المتحاربة، فوافق العادل على رفع الحصار مقابل مائة وخمسين ألف دينار،مع الدُعاء له في الخطبة والسكّة، وأن يكون جيشها طَوْعَ أمره في أيّ وقت، ونال أمير حلب مكافأة قدرها عشرين ألف دينار، وقرية "القرادي" من أعمال حصن شبختان[6].

تزامن ذلك مع قيّام أقوى أمراء الجزيرة:قطب الدّين محمّد أمير سنجار؛ ومُعزُّ الدّين سنجر شاه صاحب جزيرة إبن عمر، ونور الدّين أرسلان شاه صاحب الموصل (589-607هـ/1193-1211م)، بالتّحالف مع إمارة ماردين، وإجتمعوا في بدليس، أودنيسر وعسكروا في ضيعة أسفل جبل ماردين، بالتنسيق مع نظام الدّين ألبقش الذي خطط لاستدراج الجيش الأيّوبي بالتّظاهر بقبوله تسليم مدينته مقابل تزويدها بالمؤونة لمدّة معيّنة لكي يتجهّز الأمراء والخاصّة لمغادرتها قاصدًا من وراء ذلك إختيار ميدان المعركة المدروس بعناية لتدمير قوّات الكامل، والّذي قام بتزويدها بالمؤونة الكافيّة كل يوم على حدة، فأظهر قلّة تجربته أمام أمراء الجزيرة، إذ كان عليه من باب أولى أن يشدّد الخناق عليها حتّى يضجرأهلها من الجوع والأمراض ،ولاسيّما أنّ أكثرهم عجز عن الوقوف ناهيك عن القتال، ثُمّ هاجمه جيشا سنجارو الموصل فانسحب بقوّاته إلى الرّبض وهناك كَبَسته قوّات ألبقش، ففرّ الكامل في من تبقّى من فرسانه إلى ميّافارقين،ودفعت قواته ثمن تردده واضطرابه نتيجةهجوم مُفاجيء،وشرع الحلفاء في استعادة ما كان للعادل في أعالي الجزيرة وكانت البداية بحرّان،وأراد أمير حلب الملك الظّاهرإستمالة أمير الموصل إلى صفّه،فأرسل إليه يطلب منه الولاء في الخطبة والسكّة، فرفض، وعاد إلى الموصل بسبب مرضه، ثُم استعاد

---

[1]) إبن الأثير، الكامل، ج10 ص ص165و179، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص400-401.

[2]) الذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات591-600هـ، ص48، وإبن العبري، المصدر السّابق، ص393، والنويري، المصدر السّابق، ج29ص21.

[3]) إبن الأثير، الكامل، ج10 ص188، وإبن نظيف الحموي، المصدر السّابق، ص48، المقريزي، المصدر السّابق، ج1 ص273.

[4]) نهاية الأرب، ج29 ص22.

[5]) إبن الأثير، الكامل، ج10 ص188، وإبن نظيف الحموي، المصدر السّابق، ص48، والذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات591 -600هـ، ص48.

[6]) إبن الأثير، الكامل، ج10 ص188، والذّهبي، تاريخ، حوادث591-600هـ، ص48، وإبن العبري، المصدر السّابق، ص393، وإبن خلدون، المصدر السابق، مج5 ص403، والمقريزي، المصدر السّابق، ج 1ص273، والنويري، المصدر السّابق، ج29 ص21-22.

أبناء العادل حرّان، ولكنّه واجهوا في سنة 597هـ/1200م التّحالف المُوجّه مرّة أخرى للإستيلاء على حرّان والرّها من أملاك العادل، غير أنّ الأمراض فتكت بعساكرهم في رأس العين لشدّة الرطوبة، فتصالحوا مع الفائز بن العادل أمير حرّان[1]، غيرأنّ والده كان يتحيّن الفرصة الملائمة لإخضاع الجزيرة نهائيًّا؛ فجهّز سنة 599هـ/1202م جيشًا كبيرًا بقيّادة إبنه الأشرف موسى للإستيلاء على ماردين [2]، وجائته رُسُلُ أميري الموصل وسنجار تعرض عليه مشاركته حصارها رفقة الأفضل أمير سميساط[3].

ويذكر النويري[4] أنّ سبب هذه الحملة هوّ أنّ شاعرًا إسمه "الكمال" نظم أبياتًا يُحرّض فيها الأيّوبيين على غزوها،وفتح قلعتها قلعتها الشّهيرة، فاعتقله الأراتقة فأستنجد بالعادل، وخلال الحصار قطعت قيّادة جيش ماردين خطوط الإمداد بالمؤونة عن جيش الأيّوبيين وأحلافهم، وخرّبت الحقول والمزارع ، فانتفض سكّانها من التّركمان وضايقوا الجيش الأيّوبي بعد أن إنهزمت قوّات الأراتقة بمايعنيه ذلك من إستمرارٍ لمعاناتهم، ثمّ أمر ألبقش أصحاب القلاع التّابعة له بإفساد الطرق في المنطقة، فسار قسم من الجيش المُحاصِر إلى رأس العين -والّتي كان الأشرف قد فتحها مع الخابور-وسلّمها للأفضل[5].

ومرّة أخرى تنتصر حصانة عاصمة أحفاد إيلغازي حينما توسّط الملك الظّاهر بين الأطراف المتحاربة، فوافق العادل على رفع الحصار مقابل مائة وخمسين ألف دينار،مع الدُعاء له في الخطبة والسكّة، وأن يكون جيشها طَوْعَ أمره في أيّ وقت، ونال أمير حلب مكافأة قدرها عشرين ألف دينار، وقرية "القرادي" من أعمال حصن شبختان[6].

ثُمّ قام بعض أمراء الشّام (لاحظ الجدول رقم: 9)بتحريض نور الدّين على مهاجمة الأشرف(أمير ميّافارقين بين 607و617هـ/1210-1220م) بعد أن غادر ماردين، فأرسل هذا الأخير يشاور الملك الأفضل في محاربته؛ فردّ عليه :"...إن قصدكم صاحب الموصل فلا تلاقوه، اللّه اللّه، ولا تغترّوا بقول صاحب سنجار وآمد والجزيرة"[7].

وهو ما يدُلّ على تفطّنه لما يُدبّرهُ له أمراء الجزيرة من استنزاف لقوى الأيّوبيين بغية إضعافهم، ثمّ طردهم منها، وعليه فقد تحالف الأشرف مع أخيه الأوحد،وسارا إلى دارا فانهزما أمام جيش الزنكيين وأراتقة حصن كيفا في أوائل 600هـ/

---

[1]) إبن الأثير، الكامل، ج10 ص ص165و179، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص400-401.

[2]) الذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات 591-600هـ، ص48، وإبن العبري، المصدر السّابق، ص393، والنويري، المصدر السّابق، ج29 ص21.

[3]) إبن الأثير، الكامل، ج10 ص188، وإبن نظيف الحموي، المصدر السّابق، ص48، المقريزي، المصدر السّابق، ج1 ص273.

[4]) نهاية الأرب، ج29 ص22.

[5]) إبن الأثير، الكامل، ج10 ص188، وإبن نظيف الحموي، المصدر السّابق، ص48، والذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات591 -600هـ، ص48.

[6]) إبن الأثير، الكامل، ج10 ص188، والذّهبي، تاريخ، حوادث 591-600هـ، ص48، وإبن العبري، المصدر السّابق، ص393، وإبن خلدون، المصدر السابق، مج5ص403، والمقريزي، المصدر السّابق، ج1 ص273، والنويري، المصدر السّابق، ج29 ص21-22.

[7]) إبن نظيف الحموي، المصدر السّابق، ص49.

سبتمبر1203م[1]، فنهبا أعمالها، ثمّ عقدا إتّفاق صلح وتحالف [2] في أواخر شوّال 600هـ/جوان1204م مع أراتقة حصن كيفا، و أمير سنجار ونصيبيين قطب الدّين محمّد بن زنكي الثّاني (594-616هـ/1197-1217م) ، وأمير إربل مُظفر الدين كوكبوري (563-630هـ/1162-1234م)، وصاحب جزيرة إبن عمر مُعزُّ الدّين سنجر شاه بن غازي الثّاني (576-605هـ/1180-1208م)، من أجل قتال نور الدين آرسلان شاه الزنكي ومنعه من التّوسّع في بلاد أيٍّ منهم، بعد أن قام بالإستيلاء على كفرزمّار[3]، وتل أعفر[4]، وبوشرى[5]، ونصيبيين –ماعدا قلعتها– قبل أن يهزمه التّحالف، ويفرضون ويفرضون عليه هدنة في 601هـ/1204م[6].

ويتّضح دخول أراتقة ماردين في طاعة الأيّوبيين من خلال مشاركتهم في محاربة الكرج سنة 602هـ/1206م؛ بعد أن استنجد أهل خلاط بناصر الدّين أرتق بن إيلغازي [7]، غير أن الأشرف موسى كان يخطّط لإزالة مُلكهم بقيّامه بفتح دنيسر وتقسيم أراضي الإمارة، فلمّا بلغه ذلك عاد من حربه ضدّ الكرج، وانسحبت قوّاته من خلاط، ودفع للأشرف مائة ألف دينار، وسبب إستنجاد الخلاطيين بأمير ماردين هوّقلّة خبرة أميرها محمّد بن بكتمر (594-603هـ /1198 -1207م) بشؤون الحُكم والحرب[8].

وكان أراتقة آمد قد تحالفوا مع العادل في حربه ضدّ أمير الموصل مقابل دعمهم عسكريًا في إستعادة حصن زياد (خرت برت) من الأمير الأرتقي المنشق عماد الدّين أبي بكر(600-631هـ/1204-1233م) والمتحالف بدوره مع سلاجقة الرّوم ضدّ الأيّوبيين، فسار معه الأشرف على رأس قوّة من عساكر سنجار، وجزيرة إبن عمر، والموصل، وغيرها من مختلف قلاع الجزيرة إلى خرت برت في شعبان 601هـ/مارس-أفريل1205م، ونزلوا بربضها، فجهّز سلطان الرّوم غياث الدين كيخسرو الأول (601-607هـ/1205-1211م) ستّة آلاف فارس يعضدهم جيش الأفضل-أمير سميساط- لنجدة

---

[1]) إبن نظيف الحموي، المصدر السّابق، ص49، والمقريزي، المصدر السّابق، ج1 ص275.

[2]) إبن نظيف الحموي، المصدر السّابق، ص50، وما يفسّر تحالف الأشرف مع أمير الموصل، هوّ عودة متنافس آخر على المنطقة؛ وهوّ سلطان سلاجقة الرّوم ركن الدّين بن قلج أرسلان، والّذي دخل في طاعته الملك الأفضل، الّذي خطب لركن الدّين على منابر سميساط، وضرب السكّة باسمه، وأعلن تبعيّته له، بعد أن إنتزع منه العادل رأس عين، وسروج ومنحهما للأشرف، ومنح قلعة نجم للملك الظّاهر، وترك له سميساط فقط، وأهان والدته لّما قصدت دمشق تتوسّط لإبنها في599هـ/1202م، را: إبن الأثير، الكامل، ج 10ص191، والمقريزي، المصدر السّابق، ج1 ص273-274.

[3]) ***كفرزمّار:*** قرية من قرى الموصل، را: ياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج4 ص469.

[4]) ***تل أعفر:*** بلدة صغيرة بين حصن مسلمة والرقّة في أعالي الجزيرة أو قلعة بين سنجار والموصل، را: ياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج2 ص39.

[5]) ***بوشَرَى:*** لم أجد لها تعريفًا.

[6]) إبن الأثير، الكامل، ج10، ص199-200، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص404.

[7]) هاجم الكرج أذربيجان في 601هـ/1205م، ثمّ تسرّبوا إلى خلاط وهاجموا أعمالها، فجمع أميرها العساكر وتحالف مع طغرل شاه أمير أرزن و بدليس، وانتصر عليهم، ثمّ كرّروا الهجوم في السّنة المواليّة؛ فقتلوا، وأسروا ونهبوا في الكثير من أعمال هذه المدينة، فاستنجد أهلها بكثير من الأمراء المسلمين المجاورين فلم ينجدوهم، فجمعوا المتطوّعين، وحاربوا الكرج وقتلوا منهم الكثير، ثمّ تدخّل أمير أذربيجان أبو بكر بن البهلوان، فتفاوض مع ملكهم، وصاهره لإيقاف الهجوم على بلاده، را: إبن الأثير، الكامل، ج10 ص236-237، والذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات601-610هـ، ص ص8و10، ودوّل، ج2 ص109.

[8]) إبن الأثير، الكامل، ج10 ص247-248، وإبن تغري بردي، المصدر السّابق، ج6 ص189.

حليفهم الأرتقي، غير أنّ قوّات الأشرف باغتتهم واخترقت الجبال ونزلت قرب ملطيّة، وأخذ أمير آمد حصنًا من أعمال خرت برت في 2 ذي الحجّة/21جويلية، ثمّ تحصّن فيه بعد أن توقّف القتال وعاد الكلّ إلى أدراجه[1].

وفي سنة 602هـ/1206م قبض أمراء خلاط على الأمير محمّد بن بكتمر ووصيه المملوك بلبان، وتحجّجوا بأنّ قطب الدّين إيلغازي يُعتبر وريثًا شرعيًا لشاه أرمن بوصفه ابن أخته والأولى بِحُكمِها [2]، وتزامن ذلك مع توسّعات أمير ميّافارقين الملك الأوحد الأيّوبي (596-607 هـ /1200-1211م) في بلاد الجزيرة واستهدافه لها بعد أن أخذ من أعمالها موش [3]، وردّ عليه بلبان-قبل القبض عليه- بانتزاع ملازكرد [4]، ثمّ تحايل في دخول خلاط، وانتزعها من قوّات الأراتقة وهدّد أمير ماردين بحبسه إن لم يتنازل عن حكمها، ثمّ دحرت قوّاته جيش الأوحد فأُنجده والده العادل بالمدد، وضيّق على بلبان الذي لجأ إلى عاصمة ملكه مُتحصّنًا فيها[5]، قبل اغتياله لاحقًا[6].

بالتّزامن مع إنشغال أراتقة ماردين بحرب خلاط كان أراتقة آمد وحصن كيفا يشاركون في حرب العادل ضدّ الصّليبيين، حيث أرسلوا في 603هـ/1207م الوزير ضيّاء الدّين بن شيخ السّلاميّة يستحلف لأميرهم الملك الصّالح ليأتيّ شخصيًّا من أجل المشاركة في هذه الحرب إلى جانب الملك الأمجد صاحب بعلبك (578-627هـ/1182-1229م)، والملك الأشرف أمير الكرك (592-624هـ/1195-1226م)، والملك المنصور أمير حماه (587-617هـ/1190-1219م)، والملك المعظّم حاكم دمشق (597-615هـ/1200-1217م) (لاحظ الجدولين 5و6)، وجيش سنجار[7].

كان العادل يتمتّع بمكانة كبيرة وسط الأسرة الأيّوبيّة؛ إذ كان المستشار الرّئيسي لصلاح الدّين خلال حكمه، وكان كذلك الشّخصيّة الأكفأ والأقدر على قيّادتها بعد وفاته فكان عامل توازن أفرادها،وبخاصّة صغار السّن وقليلي التّجربة منهم[8]،

---

[1]) إبن الأثير، الكامل، ج10 ص206-207.

[2]) إبن الأثير، الكامل، ج10 ص247، وإبن العبري، المصدر السّابق، ص398.

[3]) إبن الفرات، التّاريخ، ج5 ص59، والذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات591-600هـ، ص19، و***موش:*** بلدة صغيرة غير مُسوّرة، تتواجد في وادي أسفل جبل، وتُشْرِفُ على منطقة سهبيّة رعويّة لمسافة مائة وواحد كيلومتر،وتبعد عن ميّافارقين بأكثر من خمسة وسبعون كيلومتر، وعن خلاط بـأكثر من مئة وثلاثة عشر كيلومتر، را: أبوا لفداء، تقويم البلدان، ص393.

[4]) ***ملازكرد:***بلدة تماثل خلاط حجمًا، بها عيون وأشجار، وبناؤها بالحجر الأسود، وتقع شمال أرزن الرّوم، ومن جنوبها الشّرقي بدليس، تبعد عن الأولى بأكثر من مئة وستّ وعشرون كيلومتر، وعن الثّانيّة بما يزيد عن خمس وسبعون كيلومتر، را: أبو الفداء، تقويم البلدان، ص395.

[5]) إبن الأثير، الكامل، ج10 ص247-248، والذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات591-600هـ، ص19، وإبن الفرات، المصدر السّابق، ج5 ص59.

[6]) في 604هـ/1208م إستنجد بلبان بمغيث الدّين طغرل شاه بن عزّ الدّين قلج أرسلان السّلجوقي أمير أرزن الرّوم، فأغاثه وهزمت قوّاتهما الملك الأوحد، ثمّ حاصرا بلدة موش، فرأى الأمير السّلجوقي ضعف أمير خلاط، فاغتاله، وأسرع إليها، فمنعه أهلها، وأهل ملازكرد وموش كذلك خوفًا من قسوته، فغادر إلى أرزن، أمّا الأوحد فتسلّم خلاط، وهوّ ما أغضب الأمراء المجاورين لأنّ الأيّوبيين صار لهم معقل قوي في أرمينيّة، را: إبن الأثير، الكامل، ج10 ص262 والذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات 591-600هـ، ص19، وإبن العبري، المصدر السّابق، ص398، وإبن الفرات، المصدر السّابق، ج5 ص59.

[7])إبن نظيف الحموي، المصدر السّابق، ص56، في السّنة المذكورة كثرت تحرّشات الصّليبيين بأراضي الشّام، فسار العادل إلى دمشق ثمّ حمص، وانتظر العساكر من الأمراء المتحالفين، فاجتمع له عشرات الألاف، واستهدف محاربة إمارة طرابلس، بعد أن قام صليبيّو طرابلس الشّام وحصن الأكراد باستضعاف أسد الدّين شيركوه بن محمّد بن شيركوه وغزو أراضيه في حمص، را: إبن الأثير، الكامل، ج10 ص262-267، والمقريزي، المصدر السّابق، ج1 ص281.

[8]) هاملتون جب، المرجع السّابق، ص203.

وسبق له أن سخط على أحد وزرائه وهوّ صفيّ الدّين عبد اللّه بن شكر،فخرج من مصر غاضبًا بعدما أُعفيّ من مهامّه سنة609هـ/1212م، ولجأ إلى آمد حاملًا جميع ممتلكاته على ثمانين جمل، فأقام عند الملك الصّالح بن أرتق إلى أن تولّى الكامل حكم مصر في 615هـ/1218م؛ فأرسل يطلبه للوزارة سنة 616 هـ/ 1219م، وتدلُّ هذه الحادثة على كفاءة إبن شكر، وعلى عُلُوِّ مكانة الملك الصالح، فالعادل لم يتزعج من دخول وزيره في خدمة الأراتقة لحسن علاقة الطرفين، ولو أنّ الملك الصّالح خذله حينما تحالف مع سلطان سلاجقة الرّوم عز الدين كيكاوس الأول (607-616هـ/1210-1219م) في حملته على الشّام في أوائل 615هـ/مارس1218م[1]، مستغلًّا وفاة الظّاهر أمير حلب،وأستنجاد مُظفّر الدّين كوكبوري أمير إربل به ضدّ الأشرف وأمير الموصل عز الدين مسعود الثاني بن آرسلان شاه(607-615هـ/1210-1218م)[2]، فاستدعى كيكاوس الأفضل أمير سميساط –وكان من أتباعه–وزوّده بالمال والخيل والسّلاح، مقابل أن يُشاركه في غزو مملكة حلب وينال ما يُفتح منها، ويُقيم له الخطبة والسكّة ثمّ يسيران معًا للإستيلاء على الرّها وحرّان وغيرهما من ممتلكات الأشرف، فهاجما قلعة بهسنى المتاخمة لبلاد الروم وقتلا نائبها، ثمّ سارا إلى رعبان، فأخذاها وتسلم الأفضل قلعتها فلقيّ ترحيبًا من أهلها لِمَقْتِهِم للسّلاجقة،فلمّا سيطرا على تل باشر؛ لم يُسلّمها السّلطان السّلجوقي للأفضل وعيّن نائبًا له علَيْها، فاستوحش حليفه الأيّوبي من هذا الإجراء وارتاب في الأمر، وكان الأراتقة قد إشتركوا في هذه الحرب إلى جانب كيكاوس والأفضل ودخلا في طاعة الأول وخطبا له تفاديا لأن يتجه بجيشه إلى ديار بكر[3].

إستنجدت إبنة العادل –وكانت في حلب– بالملك الأشرف، كما استاء أهل الشّام من قسوة الجيش السّلجوقي ووعدوه بتسليمه حلب مع إمتيّاز الخطبة والسكّة، كما إنسحب الكثير من حلفاء كيكاوس في جوٍّ اللاّثقة، فسار الأشرف من بحيرة قدس –وكان في قتالٍ ضدّ الصّليبيين– وجمع أعراب الشّام، ثمّ التقى بالقوّات الغازيّة قرب منبج فقتل وأسر أكثرهم وإسترجع رعبان[4] وتل باشر، وعزم على ملاحقتهم والتّوغّل في الأناضول، لا سيّما وأنّ ملكهم فرّ إلى بلاده في حالة معنويّة سيّئة بعد أن أُثخِنَ بالجِرَاح، ولكنّ الأشرف تلقّى خبر وفاة والده الملك العادل (توفيّ يوم 7 جمادى الآخرة615هـ/31أوت1218م) فأجّل مشروعه العسكري إلى أجل غير معلوم، وكان قبلها قد عيّن نُوّابًا له على رعبان وتل باشر، ومنح حلب وبهسنى للملك العزيز عثمان[5].

ويمكن تحليل موقف الأراتقة بالتّحالف مع سلاجقة الرّوم؛بالرّغبة في مساومة الأيّوبيين بموالاة أعدائهم، وأيضًا كان هذا الفعل بمثابة إجراء وقائي ضدّ توجيه كيكاوس لأطماعه صوب أراضيهم –وكان لأسلافه سوابق في ذلك–بعد أن يستولي على

---

[1])إبن نظيف الحموي، المصدر السّابق، ص69، والمقريزي، المصدر السّابق، ج1 ص309.

[2])إبن الأثير، الكامل، ج10 ص320، وجرجس بن العميد، المصدر السّابق، ص10، وإبن نظيف الحموي، المصدر السّابق، ص69، واليافعي، المصدر السّابق، ج4 ص24، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص412، والمقريزي، المصدر السّابق، ج1 ص309.

[3])إبن الأثير، الكامل، ج10 ص320، وجرجس بن العميد، المصدر السابق، ص10، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص412، والمقريزي، المصدر السّابق، ج 1ص ص309و317.

[4]) ***رعبان:*** مدينة بمنطقة الثغور بين حلب وسميساط قرب الفرات ولها قلعة، را: ياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج3 ص51-52.

[5]) جرجس بن العميد، المصدر السّابق، ص10، وإبن نظيف الحموي، المصدر السّابق، ص69، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص413.

حلب وحرّان والرّها، وكذلك رغبتهم الدّائمة في إزالة أي حالة من الخضوع للسّلطة الأيّوبيّة في بلاد الجزيرة، والّتي أضحى لها مركز عظيم لدى السُكّان ولا أدلّ على ذلك من فشل سلاجقة الرّوم بسبب إلتفاف الأهالي حولهم وهوّ يعني أنّها صارت جزءًا راسخًا لدى أهل البلاد كالأراتقة تمامًا، وهوّ ما يُفسّر إلحاح كيكاوس على الأفضل بمرافقته في غزو حلب، ويُفسر كذلك إلتفاف القبائل العربيّة البدويّة حوْلَ جيش الأشرف ضدّهما[1].

و لم يَمُر إنتصار الأشرف دون أن يؤثّر على علاقاته بجيرانه وعلى رأسهم أمير إربل الذي حرض مجموعة من أمراء الأشرف على التّمرّد،فتمركزوا بدنيسر للقاء قوّات آمد الأرتقيّة ومنعه من عبور الفرات نحو حلفائه في الموصل، ثُم انضمّ لكوكبوري أمير ماردين ناصر الدين أرتق أرسلان (597-637هـ/1200-1239م)، فلجأ الأشرف إلى التّفاوض مع أمير آمد، وأغراه بمنحه حاني، وجبل جور، ودارا-إن حصل عليْها- مقابل ترك القتال فكان ذلك[2]، فعوّضه الأمير إبن المشطوب-التّابع للأيّوبيين- ولجأ إلى إربل، فتعرّض لكمين في نصيبيين فقد على أثره كلّ عساكره، وانتهى به المطاف إلى الركون لطاعة أميرميافارقين[3]، فأمّنه ومنحه رأس عين والخابور، ولكنّ إبن المشطوب إستسلم لإغراءات أمير ماردين الّذي منحه "أرجيش"[4] إقطاعًا، وقلعة "زليبا"[5] مُلكًا، مقابل رأس العين في 617هـ/1220م،فعاقبه الأشرف بحبسه في حرّان إلى وفاته [6]، وتجدّد بسبب ذلك التوتّر في العلاقات مع أرتق أرسلان، ولكن هذه المرّة بالتّحالف مع أراتقة آمد، وتحرك الأمير الأيّوبي بقوّاته من حرّان إلى دنيسر، وشدّد الحصار على ماردين، فأرسل أميرها يطلب الصّلح موافقًا على شروط الأشرف؛ ومنها: إعادة رأس العين، ومنَح المُوزَّر لأراتقة آمد، ودفَع ثلاثين ألف دينار[7].

ولكي يستميل أرتق أرسلان الأشرف ويضع حدًّا لِلُغة السّلاح المُتكرّرة بينهما صاهره سنة 620هـ/1223م في أخيه أمير دمشق المُعظّم شرف الدين عيسى(615-624هـ/1218-1227م) والّذي لم يكّن بِدَوره عند حسن الظنّ حينما تحالف في 621هـ/1224م مع أميرإربل، وأمير خلاط وأرمينيّة –المُتمرّد على الأشرف-شهاب الدّين غازي،فشدّ الأشرف الرّحال إلى دنيسر، واجتمع مع جميع الأمراء الأراتقة فجدّدوا له الولاء و دعموه عسكريًّا، وأنجده الكامل سلطان مصر (615-635هـ/1218-1227م) بالجُند وهدّد المُعظّم بانتزاع دمشق منه إن حارب الأشرف (أنظر الجدول رقم:8)، فراسل أميرها بدَوْرِه

---

[1]) إبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص412.

[2]) إبن الأثير، الكامل، ج 10ص320، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص414.

[3]) إبن خلدون، المصدر السّابق ،مج5 ص414.

[4]) ***أرجيش:***بلدة صغيرة لا يحيط بها سوربين السّهل والجبل، تبعد عن خلاط شرقًا مسافة مئتي كيلومتر وكيلومترين، تشتهر ببحيرتها، را: أبو الفدا، تقويم البلدان، ص395.

[5]) ***زليبا:*** لم أجد لها تعريفًا.

[6]) إبن نظيف الحموي، المصدر السّابق، ص71، ويذكر إبن الأثير أنّ الوَصِيّ على أمير الموصل بدر الدّين لؤلؤ أخذ إبن المشطوب من صاحب سنجار، ثمّ أخذه الأشرف وأودعه سجن حرّان أين مات في ربيع الآخر 619هـ/ماي1222م، والأرجح هيّ رواية إبن نظيف قيّاسًا بما فعله الأشرف مع صاحب آمد، وكذلك لأنّ إبن نظيف يذكر عن الأيّوبيين معلومات أكثر دقّة وأكثر تفصيلًا ، را: الكامل، ج10 ص321.

[7]) إبن الأثير، الكامل، ج10 ص321، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص414.

جلال الدّين مَنْكوبَرْتي خوارزم شاه —وكان وقتئذٍ يُحاصر خلاط– وحرّضه على محاربتهما، فردّ بمهاجمة شهاب الدّين في خلاط وطرده منها إلى ميّافارقين، بالرّغم من من محاولات أمير إربل في إنقاذه بمهاجمة الموصل [1].

وفي السّنة المواليّة (622هـ/1225م) أرسل الملك المُعظّم إبنه الملك النّاصر داود إلى أمير إربل ليكون رهينة مقابل التّحالف بينهما، كما تحالف في 623هـ/1226م مع جلال الدّين خوارزم شاه وجميع الأراتقة من أجل القضاء على الأشرف واقتسام ممتلكاته، الّذي ردّ بمهاجمة ماردين ونهب أعمالها، فسار الملك المُعظّم من دمشق إلى حمص وحماة وترك جزءًا من جيشه يُحاصرهما، وأرسل إلى الأشرف يساومه في سحب جيوشه من ماردين وحلب فكان له ذلك [2].

لم يقتصر تحالف الأراتقة مع الأيّوبيين على الملك المُعظّم فقط بل تعدّاه إلى أمراء آخرين من نفس الأسرة كالملك الحافظ نور الدّين الذي توجّه في 623هـ/1226م إلى آمد للتّصدّي لحملة سلطان سلاجقة الرّوم علاء الدّين كيقباذ (616-634هـ/1219-1236م) والتي نال فيه حصنَيْ أَلْكَخْتين ومنصور، ودانت له ماردين بالطّاعة والخطبة في 624هـ/1227م، وكانت خاضعة إسميًّا للأشرف الذي كان وراء التّحالف مع كيقباذ لتشكيل جبهة تتصدّى لتحالف آمد وخوارزم شاه والمُعظّم (تُوُفيّ في 1ذي القعدة624هـ/13أكتوبر1227م وخلفه إبنه النّاصر داود)، فرأى ركن الدين مودود (619-629/1221-1231م) أنّه فقد سَنَدًا قويًّا بوفاة حاكم دمشق فاختار الخضوع للأشرف مقابل حمايته من هجمات سلطان قونية، والّذي جسّد وعوده بأن أمر فرقة من جيشه بمهاجمة حصن ألكختين واسترجاعه من الحاميّة السّلجوقيّة المرابضة فيه [3].

لم تكن علاقات إمارة آمد مع جيرانها مثاليّة بالنّسبة لدوْلةٍ قليلة الإمكانيّات مثلها، فقد حاربت إمارة ماردين، وكانت منبوذةً من تُركمان ديّار بكر الّذين هزموا جيشها في تمرُّدات شوّال 624هـ/سبتمبر-أكتوبر1227م؛ فتوسط المُعظّم في الصّلح بينهما [4].

كان جيش سلطنة قونية نشطًا على حدودها الشّرقيّة مُتّخِذًا إيّاها منطقة توسّع ونفوذ،فألقى فيها بكُلِّ ثِقَلِهِ الحربي وسَيطر على أرزنجان وحصن الكمّاخ، واستهدف أرزن الرّوم أكثر من مرّة، فاستوحش الأشرف من تمركزه على مقربة من خلاط، وجمع حلفًا من أمراء الشّام والجزيرة مثل: الملك الحافظ ،والناصر داود حاكم دمشق (624-637هـ /1227-1239م)، وركن الدين مودود الأرتقي، ونجح في طرده بخلاف أمير ماردين والّذي كان مُستاءً من الأشرف لتركه جزء من جيشه في قلعة دارا حينما سلّمه نصيبيين ورأس العين، وأعمال الخابور والمُوَزّر [5].

---

[1] إبن الأثير، الكامل، ج10 ص385-386، وإبن نظيف الحموي، المصدر السابق، ص ص82و86-87، ووإبن كثير، المصدر السّابق، ج17 ص128،و إبن خلدون، المصدر السّابق، ص417.

[2] إبن الأثير، الكامل، ج 10ص410-411، وإبن نظيف الحموي، المصدر السّابق، ص89، وإبن كثير، المصدر السّابق، ج17 ص147.

[3] إبن الأثير، الكامل، ج10 ص415، وإبن نظيف الحموي، المصدر السّابق، ص101-102، وجرجس بن العميد، المصدر السّابق، ص15.

[4] إبن نظيف الحموي، المصدر السّابق، ص113.

[5] إبن الأثير، الكامل، ج10، ص431، وإبن نظيف الحموي، المصدر السّابق، ص116-117.

كان الصّراع بين المُعظّم والأشرف سببًا في اضطّراب المنطقة وإنهاك جيوشها عشيّة الغزو المغولي (أنظر الجدول رقم: 10)، فلقد جرّا قِوًى كانت قادرة على التّصدّي لجحافل هؤلاء الغزاة مثل: جيش جلال الدّين خوارزم شاه، وسلاجقة الرّوم نحو صِراع عبثي إنتهى برضوخ المُعظّم للأشرف والعودة إلى نقطة البداية [1]، وكان أساس هذاالخِلاف استغلال الملك المُعظّم لاستنجاد الأشرف به من غزو جَيْش خوارزم شاه لإمارته لتحقيق مكتسبات إقليميّة، ثُمّ قبض عليه بعد أن رفض ابتزازه، وتماديه في أطماعه إلى الرّغبة في حكم مصر واستعداء سُلطانها الكامل [2]، وعليه هاجم الأشرف دمشق وانتزعها من النّاصر داود –الضّعيف والعاجز- في شعبان 626هـــ/ جويلية 1229م، وأعاد بذلك قوّته وهيبته بعد أن فقد خلاط لصالح خوارزم شاه، وأضاف دمشق إلى ما استولى عليه من مُدُن الجزيرة كحرّان وسنجار والرّها والخابور، ثمّ تنازل عن كُلّ ذلك للكامل مقابل دمشق وقلعتها، حينما قام بحملة على الشّام لتثبيت نفوذه وتجاوز الفرات طائفًا بألفي فارس مُدُنِ الجزيرة كقلعة جعبر، والرّها، والرقّة، وحرّان أين وافدته الرُّسل من أمرائها تطلب ودّه ورضاه كأصحاب آمد، وماردين، والموصل، وإربل، وكان الأشرف وقتها متحالفًا مع أراتقة آمد وماردين، ولكنّ أمير هذه الأخيرة أرسل إلى سلطان سلاجقة الرّوم قوّات لدعمه في غزو ممتلكات الأشرف والّذي ردّ بجَيْش مُدعّم بقوات من النّاصر داود والحافظ، وما زاد من شناعة ما قام به الماردييِ هُوَّ تزامنه مع إقامته للخُطبة وضربه للسكّة باسم الكامل في أرجاء دولته [3].

وفي السّنة التّاليّة (627هـــ/1230م) تحالف الأشرف مع علاء الدّين كيقباذ ضدَّ جلال الدّين منكبرتي واستعاد خلاط [4]، وشارك في هذا الّتحالف جيش ماردين مثلما يذكر وزير الحافظ وكاتبه المُؤرّخ إبن نظيف الحموي [5]؛ حينما حضر رسولاً مع مع أمير من أمراء الحافظ، وشهد غدر الأمير الأرتقي بالأشرف وتنصّله من وعوده .

وتزامن ذلك مع حدث هام جدًّا حدث في منطقة الجزيرة يتمثّل في الغزو المغولي،الّذي أزال دولة خوارزمشاه،وضمّ خلاط وبقيّة أرمينيّة،فرأى الأيّوبيّون ضرورة تعويض خلاط بمدينة تماثلها في الأهميّة؛فوقع اختيّارهم على آمد إذ أنّ الأشرف لم يكن يثق في أميرها ،وزار الكامل في مصر وأغراه بضمّ أعمالها لُملك بني أيّوب كمادلّه على نقاط ضعف جيشها [6]، أمّا صاحب الأعلاق [7] فيورد لنا سببًا آخرلاستيلاء الأيّوبيين على آمد؛ وهوّأنّ والد الملك المسعود الأرتقي كان مُتَزوّجًا بإبنة العادل،فلمّا تُوُفيّ والده أساء إليْها،فغادرت ماردين نحو أخيهاالملك المُظفّر شهاب الدّين غازي في ميّافارقين(لاحظ الجدول رقم7)،

---

[1])هاملتون جب، المرجع السّابق، ص214.

[2])سهيل زكّار وأمينة بيطار، تاريخ الدّولة العربيّة، ص255.

[3])إبن الأثير، الكامل، ج10 ص435، وإبن نظيف الحموي،المصدر السّابق،ص ص 120و122،وجرجس بن العميد، المصدرالسّابق،ص15، واليافعي، المصدرالسّابق، ج4 ص52، والمقريزي، المصدر السّابق، ص357-358.

[4])إبن الأثير، الكامل،ج 10ص440، وإبن العبري، المصدر السّابق، ص429-430، وإبن كثير، المصدر السّابق، ج17ص180-181، واليافعي، المصدر السّابق، ج4ص52.

[5])إبن نظيف الحموي، المصدر السّابق، ص ص127و130و135.

[6])إبن الأثير، الكامل، ج10، ص448-450، وإبن نظيف الحموي، المصدر السّابق، ص161، وجرجس بن العميد، المصدر السّابق، ص17-18، والقزويني، المصدر السّابق ،ص492، وابن دقماق، المصدر السّابق، ص50، والذّهبي،دوّل، ج2، ص140، والمقريزي، المصدر السّابق، ج1، ص365.

[7]) عزّ الدّين بن شدّاد، ص351.

واشتكت إليه، فأعلم بالموضوع الأشرف والكامل، وهوّ ما يذكره صاحب شفاء القلوب [1] بشيءٍ من التّلخيص؛ قائلًا : "...وكان قد أساء السّيرة،وتعرّض لنساء الأكابر، وشُكيّ ذلك للكامل".

كما استطلف بعض المُؤرّخين[2] رواية تُظهرُ الأيّوبيين مُلوكًا مُتديّنين حريصين على الفضيلة والأخلاق والعفّة، ويذكرون أنّ سبب إستيلاء بني أيّوب على آمد هوّ إنشغال أميرها باللّهو والطّرب وشُرْبِ الخمور، وعثورهم في قصره على خمسمئة حرّة إنتهك أعراضهن[3]، وهيّ رواية روّجها الأشرف بقوله"...وجدنا في قصره خمسمائة حرّة من بنات النّاس يأخذهنّ قهرًا"[4]، فنجح بذلك الأيّوبيّون في بثّ ما يُنفّر العامة من التّعاطف مع خصمهم المغلوب على أمره، وبخاصّة أنّهم تجهّزوا بقيّادة الكامل من أجل الرّدّ على استيلاء المغول على خلاط وقيامهم بالقتل والتّدمير في بلاد الجزيرة وأرمينيّة، بعد أن استنجد الخليفة العبّاسي المُستنصر بالله (623-640هـ/1226-1242م) بالأشرف، وعرب الشّام، وأخرج الأموال لدعمهم، وأرسل مَن ألبَسَ الكامل خِلَع السّلطنة، فغادر جيش المغول عاصمة شاه أرمن والكامل لا يزال بحرّان،فانتهز فرصةانسحابهم وتواجد رُسُل الخليفة فأرسل إليه يقدح في أمير آمد، واتهمه بالتعرُّض لنساء رعاياه، وسأله الإذن في غزوه فكان له ذلك[5]، كماأرسل الخليفة كاتبه إبن الجوزي إلى حرّان، وسار الكامل إلى الرُّها وأرسل جيشه إلى آمد أين نصب آلات الحصار في 25 ذي الحجّة 629 هـ /12 سبتمبر1232م، فأرسل الأرتقي وزيره شرف العُلا إلى الكامل ليستعطفه ويَطلب العفو، فرفض الأشرف طلب الوزيروأجبره على البقاء في حرّان[6]، وهوّ مايُناقض ماذكره إبن العميد[7]، وإبن دقماق[8]، والنُّويري[9]؛ والّذين والّذين ذكروا أنّ وزير الملك المسعود خانه، وكشف أسراره، ونقاط ضعف جيشه، وسوء سيرته، وفساده، فازداد سخط الكامل،في حين يقول المقريزي[10] بأنّ الأمير الأرتقي عرض على الكامل مائة ألف دينار، وعشرين ألفًا أخرى على الأشرف مقابل رفعهم الحصار، كما استمرّت هداياه تصل تِبَاعًا للمُعسكر الأيّوبي، ولكنّ الكامل صمّم على إنهاء الأمر كما خطط له، وبخاصّة بعد أن جائه المددالعسكري من النّاصرداود، وألف فارس وخيّم فاخرة من أمير ماردين ، أمّا الملك المسعود فلم ييأس من إنقاذ مُلكِه، فأرسل إلى أمير حمص الملك المُجاهد وأغراه بكميّة من الذّهب، و إلى سُلطان سلاجقة الرّوم

---

[1])أحمد بن إبراهيم الحنبلي، ص269.

[2])جرجس بن العميد، المصدر السّابق، ص18، وابن دقماق، المصدر السّابق،ص50، والنُّوَيْري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج29ص111.

[3])أحمد بن إبراهيم الحنبلي، المصدر السّابق، ص269، وإبن كثير، المصدر السّابق، ج17ص202، والنويري، المصدر السّابق، ج29ص112.

[4])الديّار بكري، تاريخ الخميس، ج2، ص371.

[5])عزّ الدّين إبن شدّاد، المصدر السّابق، ص351، و المقريزي، المصدر السّابق، ج1 ص365.

[6])إبن نظيف الحموي، المصدر السّابق، ص161، وجرجس بن العميد، المصدر السّابق، ص18، وإبن دقماق، المصدر السّابق، ص51، والنويري، المصدر السّابق، ج29 ص111، و المقريزي، المصدر السّابق، ج1 ص365.

[7]) تاريخ الأيّوبيين، ص18.

[8]) نزهة الأنام، ص51.

[9]) نهاية الأرب، ج29 ص111.

[10]) السلوك، ج 1ص365.

الّذي أوفد بدَوْره رسولًا يُبَشّرُه بالمسير لنجدته [1]، ومن المُحتمل أنّ هذا ماحفّزه على رفض وعود الكامل له بالإقطاعات الكبيرة والكثيرة في مِصر إن إستسلم دون قتال، فأمر الكامل بـــالهجوم ونقب الأسوار، وإخافة الأهالي بالقرع الكثيف لطبول الحرب، فطلبوا الأمان، واستسلم الملك المسعود بعد وساطة من شمس الدين صواب أحد قادة جيش مصر ومعه الملك المظفّر أمير حماة في أوائل محرّم 630هـــ/أكتوبر1232م، وتنازل للكامل عن كُلّ أموالها وذخائرها، وأمر بتسليمه بقيّة حصون الإمارة فخرّب أكثرها[2].

وهنا تختلف الرّوايات حول معاملة الكامل لغريمه،فهناك من يذكر أنّه إعتقله وعذبه إلى أن سلّمه بقيّة الحصون إلى درجة تعليقه على أسوار حصن كيفا كي يتنازل عنها [3]، وهذاما يُجمله المقريزي[4] بقَوْله: "...فوكّل به حتّى سلّمه جميع حصونها"، بينما يذكر إبن نظيف الحموي [5] أنّ الكامل عامل الملك المسعود معاملة الأمراء وسمح له بالإحتفاظ بجميع خدمه وحشمه، كما يروي عزّ الدّين إبن شدّاد [6] أنّه أمّنه على أمواله، وأهله،وأقطعه أراضي في مصر بدلًا عن ملكه السّابق، والرّاجح في هذه الرّوايات ماذكره إبن نظيف لأنّه أمدّنا بتفاصيل غاية في الدقة بشكل يُوحي بأنّه إمّا كان شاهد عيان،أو أخذ معلوماته عمّن حضروا الحادثة، كما أنّ مقاومة الملك المسعود تصبح غير ذات جدوى أمام قوّة الكامل واستيلائه على عاصمته الأكبر والأغنى بالمال والجند من حصن كيفا، فتعنّته كان سيدفع السّلطان إلى حبسه وتجريده من ثرواته وليس الإحسان إليْه،ولعلّ ما أوقع هذا اللُّبس والتّضارب في الرّوايات هوّ تشبت نائب الملك المسعود بحصن كيفا ورفضه تسليمها بتحريض من سلطان قونية بل وتمادى في شتم أميره السّابق وقاضيه حينما أرسل الكامل ألف فارس لتسلُّم الحصن، و لم تكن من حيلة للتّأثير فيه سوَى إظهار معأناة أميره السّابق بأنّه يُعذّب من أجل ذلك، فاستسلم أمرائه الأربعة في صفر630هـــ/نوفمبر-ديسمبر1232م، وقيل في محرّم/أكتوبر-نوفمبر، وسلّموا ذخائره وما يتبعه من حصون لجيش الكامل[7]،فأصبحت أملاك أراتقة حصن كيفا وآمد من حصون وقلاع ومدن وضياع وقرى وإقطاعات تابعة رسميًّا للأيّوبيين في القاهرة[8]، أمّا الملك

---

1) إبن نظيف الحموي، المصدر السّابق، ص162، وإبن العماد الحنبلي، المصدر السّابق، ص269.

2) إبن نظيف الحموي، المصدر السّابق، ص162-163، و جرجس بن العميد، المصدر السّابق، ص18، و وإبن دقماق، المصدر السّابق، ص51، وعزّ الدّين إبن شداد، المصدر السابق، ص351، والنّوَيْري، المصدر السّابق، ج29 ص111.

3) جرجس بن العميد، المصدر السّابق، ص18، وإبن دقماق، المصدر السّابق، ص52.

4) المقريزي، المصدر السّابق، ج1 ص365.

5) إبن نظيف الحموي، المصدر السّابق، ص163.

6) عزّ الدّين إبن شدّاد، المصدر السّابق، ص351.

7) إبن نظيف الحموي، المصدر السّابق، ص164-165و168، و إبن شدّاد، المصدر السّابق، ص351، و النّويري، المصدر السّابق، ج29 ص112.

8) عيّن الكامل إبن أخيه شمس الملوك سيف الإسلام أحمد بن الملك الأعز شرف الدّين يعقوب بن الملك النّاصر صلاح الدّين يوسف نائبًا عنه في آمد، فحكمها إثنا عشر يومًا فقط قبل وفاته، فعيّن السّلطان الأيّوبي بدلًا عنه-بصفة إسميّة- إبنه شمس الدّين غازي، و جعل الأميرين شمس الدّين صواب، ومعين الدّين بن الشّيخ الوزير مُدبّرَيْن لعساكر آمد وحرّان والرّها وبقيّة الجزيرة، ورتّب بحصن كيفا إبنه الملك الصّالح نجم الدّين أيّوب وكان بدون ولاية منذ أن أخرجه أبوه من الدّيّار المصريّة، را:جرجس بن العميد، المصدر السّابق، ص18، وإبن دقماق، المصدر السّابق، ص52، وإبن شدّاد، المصدر السّابق، ص351، والنّويري، المصدر السّابق، ج29 ص112، والمقريزي، المصدر السّابق، ج1 ص367.

المسعود الأرتقي فغادر إلى دمشق أين اشترى بعض العقارات-بنيّة الإستقرار فيها- فجرّده الأشرف من أعوانه، ليُغادر نحو مصر مع من رافقه من خاصة آمد وحاشيته،فاستعمل الكامل بعضهم، ومنحه إقطاعات كبيرة بمصر[1].

كشف موقف إمارة ماردين في هذه الفترة عن ديبلوماسيّة فائقة،إذ علاوة على ما ذكرناه من دعمها للعساكر الأيّوبيّة في حصار آمد فإنّ أميرها ناصر الدين أرتق أرسلان أرسل إبنيه -وفيهم وليٌّ عهده-لتهنئة الكامل بضمّه لأملاك إمارة آمد-حصن كيفا فقابلهما بترحاب ورِضًى[2].

وهوّ موقف لايختلف عن موقف بقيّة أمراء الجزيرة [3]، وحتّى علاء الدّين كيقباذ كان من بين من حضروا لتهنئة الكامل في آمد، وفي نيّته تقويض الإنتصار الأيّوبي عمّا قريب [4]، إذ استهدف الإستيلاء على خلاط والرّها وحرّان — وهيّ من أملاك الأيّوبيين- بعد مقتل خوارزمشاه في 628هـــ /1231 م[5]، فظفربالمدينة الأولى من جيش الأشرف في 630هـــ/1233م[6].
630هـــ/1233م[6].

بعد سقوط إمارة آمد- حصن كيفا وخضوع إمارة ماردين بقيّ من الأراتقة أمير خرت برت نظام الدين إبراهيم بن أبي بكر (600-631هـــ/1203-1233م) فدخل في طاعة الكامل أثناء حربه مع سلاجقة الرّوم ووضع قلعته في خدمته،فوضع الملك المُظفّر صاحب حماة و شمس الدّين صواب قوّاتيهما فيها،وتتمثّل في ألفان وخمسمائة فارس واجهوا فَتْكَ إثنا عشر ألف فارس سلجوقي فلجئوا إلى حصن زياد وأميرها تزامُنًا مع مهاجمة جند كيقباذ لمن بقي من العسكر الأيّوبي في الرّبض فأسروا وقتلوا منهم الكثير،وبعدها وصل السّلطان السّلجوقي إلى مشارف الحصن ونصب تسعة عشر منجنيقًا قصفت القلعة أربعة وعشرين يوْمًا،فلم يصمد من فيها طويلًا واستسلم المُظفر مع نظام الدين إبراهيم في 3ذي القعدة631 هـــ/1أوت 1234م،

---

[1]) إبن نظيف الحموي، المصدر السّابق، ص168، والنّوَيْري، المصدر السّابق، ج29 ص112.

[2]) إبن نظيف الحموي، المصدر السّابق، ص163.

[3]) إتّصل أميرا الموصل وإربل بابن الجوزي – مبعوث الكامل–وطلبا منه التوسّط لهما لدى رئيسه خوفًا من أن يلقيا مصير الملك المسعود، ولكنّ أمير إربل توفيّ بعد أيّام قلائل في رمضان630هـــ/جوان1233م، فانتزعها جيش الأيّوبيين وصارت تابعة مباشرة لهم، را:إبن نظيف الحموي،المصدر السّابق، ص164، وجرجس بن العميد، المصدر السّابق، ص18، وابن دقماق، المصدر السّابق، ص52-53.

[4])كانت أطماع سلطان سلاجقة الرّوم كبيرة في منطقة الجزيرة، فاشترى قلعة كركر من أمير آمد — قبل حملة الكامل- بمليون وخمسين ألف درهم، ورأى أنّه المستهدف من ضمّها للأيّوبيّين والّذي يحدُّ من عمليّات توسّعه في المنطقة،فقام بمهاجمة خلاط وبعض حصون دياربكر، وأخذها، و هاجم ميّافارقين، وأرزن الرّوم، فخرج الكامل بجيش من القاهرة في 5شعبان631هـــ/6ماي1235م، وجمع من أقربائه ثمانيّة عشر أميرًا على رأسهم الأشرف موسى، وكل أمراء مصر والشّام، وعبر الفرات، ونزل شرق البيرة، فمنع السّلطان السّلجوقي القبائل التّركمانيّة من تزويد الأيّوبيين بالمؤونة، ثمّ حاول جيش الكامل العبور إلى بلاد الرّوم ولكنّه فشل بسبب صلابة تحصينات السّلاجقة للمعابر المؤدّيّة إلى الأناضول، كما انتشرت أقاويل حول سوء نيّة الكامل من وراء هذه الحرب، باستهدافه إزالة حكم السّلاجقة، وتقسيم أراضيهم إلى إقطاعات؛ توزّع بدورها على أمراء الشّام والجزيرة، ثمّ يحتفظ حاكم القاهرة بهذين الإقليمين؛ ويحكمهما بطريقة مباشرة، فتخاذل أمراء الحملة،وتراجعوا، وفيهم من تحالف مع علاء الدّين كيقباذ، فلم يظفر الكامل سوى بحصن منصور،فهدمه، را:إبن نظيف الحموي، المصدر السّابق،ص ص 164-165و173و175، وجرجس بن العميد، المصدر السّابق، ص18-19، وإبن دقماق، المصدر السّابق، ص ص52-53و57-58 ، وأبوالفداء ، المختصر، ج4 ص154، واليونيني، ذيل مرآة الزّمان، ص65، والمقريزي، المصدر السّابق، ج1ص369، وأحمد بن إبراهيم الحنبلي، المصدر السّابق، ص270.

[5]) محمود الحويري، الصّراع السيّاسي بين القوى الإسلاميّة، ص119.

[6]) إبن العبري، المصدر السّابق، ص435.

مع عدد من الأمراء الأيّوبيين فعاملهم بالحُسنى وأطلق سراحهم [1]، وبلغ خبر الهزيمة الكامل فاشتدّ به الغضب وحنق على عدد من أمراء البيت الأيّوبي [2]،وعلى الملك المسعود الأرتقي الّذي راسل كيقباذ وتعاون معه،فألقى عليه القبض حينما وصل إلى مصر مع أهله يوم الإثنين 12جمادى الأولى632هـــ /2فيفري1235م وسجنه في جُبّ قلعة القاهرة الشهيرلفترة، ثُم غادر إلى المشرق بأمواله،فقتله ونهبه المغول[3].

عاد علاء الدّين كيقباذ إلى غزو أراضي الأيّوبيّين بلاد الجزيرة إنتقامًا من استقوائهم على أمير ماردين وتخريبهم لبلاده، فتجدّدت الحرب بينهما[4]، ولاسيما أنهم أُرهقوا بحروبهم الدّاخليّة في الشّام لتبدّد الثقة بينهم [5]، وبسبب الفوضى الّتي أحدثها أحدثها من تبقّى من فرسان خوارزمشاه في ديار بكر وبالأخص في أرياف ماردين؛ فانشغل أرتق أرسلان بمحاربتهم لإنقاذ إقتصاد مملكته [6] .

أحدث الخوارزميون فوضًى واضطرابات كبيرةفي بلاد الجزيرة والعراق والشّام مابين 638-644هـــ/1240-1246م، وكانت لهم حروب كثيرة ضدّ الأيّوبيين[7]، ففكّر شهاب الدّين غازي في نقلهم إلى الشّام؛ وعقد معهم تحالُفًا لمهاجمة حلب رفقة

---

[1]) جرجس بن العميد،المصدر السّابق، ص19، وإبن دقماق،المصدر السّابق، ص58-59، والذّهبي، دُوّل الإسلام، ج2 ص142، واليونيني، المصدر السّابق، ج3 ص65، وأحمد بن إبراهيم الحنبلي، المصدر السابق، ص270.

[2]) وهم الملك المجاهد صاحب حمص، والملك الأشرف موسى، وابن أخيه الملك النّاصر، را:جرجس بن العميد، المصدر السّابق، ص19، وإبن دقماق، المصدر السّابق، ص59، واليونيني، المصدر السّابق، ص65، والمقريزي، المصدر السّابق، ج1 ص369.

[3]) جرجس بن العميد، المصدر السّابق، ص19، وإبن دقماق، المصدر السّابق، ص59، والمقريزي، المصدرالسّابق، ج1ص371، وابن تغري بردي، المصدر السّابق، ج6ص250.

[4]) هاملتون جب، المرجع السّابق، ص219.

[5]) غزت جيوش السّلاجقة في سنة 632هـــ/1234م بلاد الجزيرة، واستولت على حرّان والرّها، ووضع كيقباذ نائبين له عليهما، ثمّ حاصر بجيشه آمد، فسار إليه السّلطان الكامل واسترجعهما، وأسر عساكر الحاميّتيْن السّلجوقيّتيْن، وأرسلهم سَيْرًا إلى مِصْر، وكان عددهم ثلاثة آلاف، فمات أكثرهم في الطّريق، ثمّ حاصر مع الأشرف دنيسرو خرّباها،ثمّ عادا إلى دمشق بعد أن وصلتهما أخبار من أمير الموصل- بدر الدّين لؤلؤ- تفيد بعبور المغول دجلة في خمسين ألف فارس ومهاجمتهم لسنجار، ثمّ إنشغل الأيّوبيّون بمحاربة بعضهم البعض في الشّام سنة 634هـــ/1236م، وتوفيّ علاء الدّين كيقباذ في شوّال من نفس السّنة وهوّ يتجهّز لغزوها بعدما راسله الأشرف ووعده بالتّحالف معه ضدّ الكامل، ولكنّ هذا الأخير تصالح مع سلطان السّلاجقة الجديد غيّاث الدّين كيخسرو، وتوفيّ بعدها الأشرف موسى في 635هـــ/1237م،وانشغل أمراء الجزيرة والعراق بطرد العصابات الخوارز مشاهيّة والصّدام مع طلائع المغول،ث مّ مات الكامل في 21رجب635هـــ/8مارس1238م،وخلفه العادل الثّاني،ثمّ عُزل وخلفه الملك الصّالح نجم الدّين أيّوب في 23شوّال 637هـــ/17 ماي1240م، را:جرجس بن العميد، المصدر السّابق، ص ص19-23و26، وإبن دقماق،المصدر السّابق، ص ص59-60و80-81و85و89-90و97، وعزّالدّين إبن شدّاد، المصدر السّابق، ص352، وإبن العبري،المصدر السّابق، ص436، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص422-424، والمقريزي، المصدر السّابق، ج1ص ص371و373و377-379، وإبن تغري بردي، المصدر السّابق، ج6ص ص287و293و297، وأحمد بن إبراهيم الحنبلي، المصدر السّابق، ص271.

[6]) الذّهبي، دُوّل، ج 2ص154، و إبن تغري بردي، المصدر السّابق، ج 6ص293.

[7])كان الخوارزميّة قد فقدوا قوّة سيّاسيّة يحتكمون إليها بعد مقتل قائدهم جلال الدّين منكوبرتي، وهم بعيدون عن بلادهم الّتي إكتسحها المغول، فاستغلّوا قوّتهم وكثرتهم للسّلب والنّهب، فأغاروا في 638هـــ/1240م على بالس وقلعة جعبر وقتلوا ونهبوا، وتحالفوا مع أمير الموصل، وهاجموا حلب وهزموا جيشها، ثمّ أغاروا على منبج وارتكبوا فيها الفضائع، وأشاعوا أنّهم مأمورون من طرف سلطان مصر لتأديب من تمرّد عليه من أمراء الشّام، فهزمهم أمير حمص قرب الرّها، ثمّ هاجموا آمد، وأعمال الموصل، وميّافارقين، ونصيبيين سنة 639هـــ/1241م،وفي 641هـــ/1243م أرسل إليهم سلطان مصر الملك الصّالح نجم الدّين أيّوب ليحاربوا إلى

قوّات من إمارة ماردين وأغراهم بالأموال والغنائم، فاجتمعوا في عشرين ألف فارس مع خمسين ألف من التّركمان وزحفوا إلى الفرات،والتقوا بجيش حلب على نهر الخابور في 1محرّم644هـ/19ماي1246م،وانهزموا بعد معركة طاحنة [1]،"...وتمّ كُلُّ قبيحٍ من القتل والأسر في الخوارزميّة؛حتّى بيع الفرس بخمسة دراهم والشّاة بدرهم" [2]،وكانت هذه الواقعة في 1محرّم644هـ/19ماي1246م[3].

وفي رجب 655هـ/جويلية 1257م هاجم أمير ميّافارقين والرّها الملك الكامل ناصر الدّين محمّد بن الملك المُظفّر شهاب الدّين غازي آمد لانتزاعها من نوّاب سلطان سلاجقة الرّوم،بعد أن أخبره أحد خاصّتها أنّ أمير الموصل بدر الدّين لؤلؤ(631-657هـ/ 1233-1258م) يستهدفها،وأرسل إلى الملك السّعيد –أمير ماردين-يدعوه إلى مساعدته في حصارها،فكان له ذلك[4].

وفي سنة 658هـ/1260م إستولى المغول على ماردين، وقتلوا أمرائها، وخرّبوا أسوار قلعتها [5]،فصارت علاقات إمارة الأراتقة الخارجيّة بيدهم [6]،واستولوا على ميّافارقين وقتلوا أميرها الكامل بن المظفّر الأيّوبي [7]،بعد أن حاصروها لسنتين، وقاومهم أهلها وجندها، وصبروا على الجوع والقتال حتّى عجزوا عن الإستمرار[8].

وهكذا أثبت أراتقة ماردين مرونة سيّاستهم الخارجيّة فقد زالت قوّة الأيّوبيّين من ديّار بكر بقدوم الغزاةالجدد، وانْضَوَت الإمارة الصغيرة تحت جناح دولتهم،وأثبتوا صمودًا وقدرةً على البقاء مقارنة بمن كان قد أزال إمارة آمد- حصن كيفا ؛وعجز عن التّعامل مع التحوّلات الطّارئة على منطقة الجزيرة الفراتيّة.

جانبه في الشّام،فعبروا الفرات في عشرة آلاف فارس في أوائل 642هـ/جوان1244م، وأغاروا على سهل البقاع، وأعمال دمشق، والقدس،وغزّة،وهزموا أمراء الشّام من الأيّوبيين ومعهم الصّليبيين قربها،فانتصر الخوارزميّة،واستعاد بهم سلطان مصر السّيْطرة الفعليّة على فلسطين،وفي 643هـ /1245م أمر بإقطاعهم سواحل الشّام فلم يرضوا بذلك، وطالبوا باقتسام أراضيها، فهدّدهم نجم الدّين أيّوب،فغادروا دمشق إلى الجزيرة، را:جرجس بن العميد، المصدر السّابق، ص32، وإبن دقماق، المصدر السّابق، ص148، والذّهبي، دوّل الإسلام، ج2 ص153، وإبن خلدون، مج5ص425، والمقريزي، المصدر السّابق، ج1ص ص406-407و412و418-421و423-427.

[1]) جرجس بن العميد،المصدر السّابق،ص 32،و وإبن دقماق،المصدر السّابق،ص 149، والذّهبي،دُوّل،ج 2ص154. الذّهبي،دُوّل،ج2ص154. المقريزي،المصدر السّابق،ج1ص427. عزّ الدّين إبن شدّاد،المصدر السّابق، ص352. عزّ الدّين إبن شدّاد،المصدر السّابق،ص366،والمقريزي،المصدر السّابق،ج1ص513. عصام عبد الرّؤوف الفقّي،المرجع السّابق،ص 201. إبن خلدون،المصدر السّابق،مج 5ص434،والمقريزي،المصدر السّابق،ج 1ص523. العيني،عقد الجمان في تاريخ أهل الزّمان،ص70.إبن دقماق،المصدر السّابق،ص149.

[2]) الذّهبي،دُوّل،ج2ص154.

[3]) المقريزي،المصدر السّابق،ج1ص427.

[4]) عزّ الدّين إبن شدّاد،المصدر السّابق، ص352.

[5]) عزّ الدّين إبن شدّاد،المصدر السّابق، ص366، والمقريزي، المصدر السّابق، ج1ص513.

[6]) عصام عبد الرّؤوف الفقّي، المرجع السّابق، ص201.

[7]) إبن خلدون، المصدر السّابق، مج5ص434، والمقريزي، المصدر السّابق، ج1ص523.

[8]) العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزّمان، ص70، وإبن دقماق، المصدر السّابق، ص149.

الفصل الثّالث:

علاقة الأراتقة بالقوى الإسلاميّة في بلاد الجزيرة حتّى الغزو المغولي(495-658هـ/1100-1260م).

أوّلًا:سيّاسة الأراتقة تجاه التوسّعات الشّرقيّة لمملكة سلاجقة الرّوم.

ثانيًا:علاقة الأراتقة بالدولة الخوارزمشاهيّة.

ثالثًا:علاقة الأراتقة ببقيّة القوى الإسلاميّة في منطقة الجزيرة.

1-الأراتقة والدّانشمنديّون.

2-الأراتقة وأمراء شاه أرمن حُكّام خلاط.

3-سيّاسة الأراتقة تجاه الإمارات المحليّة في أعالي الجزيرة.

أوّلًا:سيّاسة الأراتقة تجاه التوسُّعات الشّرقيّة لمملكة سلاجقة الرّوم.

بلغت دولة السّلاجقة أقصى إتّساعٍ لها في عهد ملكشاه الأوّل (465-485هـ/1072-1092م) فأصبحت حدودها مابين خوارزم شمالاً إلى اليمن جنوبًا،ومن حدود الصّين غربًا إلى سواحل البحر المتوسّط غربًا، وكان من بين الأمراء الّذين ساهموا في ذلك؛سليمان بن قتلمش (470-479هـ/1077-1086م)أحد أمراء البيت السّلجوقي والّذي تمكّن من السّيطرة على ثلاثة أرباع أسيا الصّغرى تقريبًا [1]،حيث كان والده قتلمش قد استولى على مدينتي قونية [2] وأق سراي [3] وأعمالهما،ونازع الأمراء السّلاجقة في طلب السّلطنة الكُبرى وتسبّب ذلك في مقتله، ثمّ أقرّ السّلاجقة لسليمان بحقّه في حكم ملك أبيه، وبذلك تأسّست مملكة سلاجقة الرّوم في 480هـ/1077م[4] (لاحظ الخريطة رقم7).

وبالنّسبة للأراتقة فقد تحالفوا مع أميري حلب والموصل ضدّ قلج أرسلان في سنة 502هـ/1108م حينما زحف بجيشه على الموصل وبقيّة بلاد الجزيرة [5]، وبغد موته خلفه إبنه رُكن الدّين مسعود (510-551هـ/1116-1156م) الّذي إنشغل بصراعه مع الدّانشمنديين تزامنًا مع حروب الأراتقة ضدّ عماد الدّين زنكي [6]، وعليه فإنّ بروز قوّة الدّانشمنديين [7] في شرق الأناضول عمل على الوقوف كحاجز بين سلاجقة الرّوم وبين قيّامهم بحملات جديدة على بلاد الجزيرة، وبخاصّة بعد أن كان الأراتقة في صراع دائم معهم بما يمكن تسميّته بـــ"حرب حدود"، و هدفهم : ملطيّة[8].

---

[1]) محمود الحويري، تاريخ الدّولة العثمانيّة، ص28.

[2]) ***قونية***: مدينة مشهورة في إقليم قرمان غنيّة بمواردها، وفيها نهر يخترقها من الجبال، وبها قبر الصّوفي الكبير جلال الدّين الرّومي، را:القرماني، المصدر السّابق، ص471.

[3]) ***آق سراي:*** أو أقصرا،مدينة كبيرة في الأناضول، كثيرة الأشجار والبساتين، و في وسطها قلعة، وتبعد عن قونية بثلاث مراحل (ستٌ وثلاثون كيلومتر)، را:القرماني، المصدر السّابق، ص425.

[4]) إبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص192.

[5]) يمكن الرّجوع إلى تفاصيل وظروف هذه الحرب في المبحث الأوّل من الفصل الثّاني من هذه الدّراسة ص51-58.

[6]) إبن الأثير، الباهر، ص36-39.

[7]) يمثّل الدّانشمنديّون التّركمان غير النّظاميين من العشائر البدويّة والّذين رفضوا تنظيمات سلاجقة الرّوم، فسيطروا على الطرق التي تجتاز شمال آسيا الصّغرى، وأسّس دولتهم أحمد غازي دانشمند في 474هـ/1084م؛ وهو من قادة جيش سليمان بن قتلمش، فاستغلّ وفاته وسيطر على ملطيّة ، سيواس، أماسيا، نكسار، قيصريّة، سينوب، أنقره، وكركر، وأعلن ولائه لسلطان السّلاجقة العظام وناصب العداء لسلاطين نيقيّة، را:زبيدة عطا، المرجع السّابق، ص ص54و66.

[8]) علي بن صالح المحيميد، الدّانشمنديّون وجهادهم في بلاد الأناضول، ص149-150.

دخل الأتابك نور الدّين محمود سنة 568هــ/ 1172م في صراع ضدّ سلاجقة الرّوم[1]، وأرسل إلى حليفه الأمير محمّد نور الدّين بن قراأرسلان الأرتقي (562-581هــ/1166-1185م) ليرسل عساكر لدعم جيش الزّنكيين في الأناضول؛ فاستجاب له،وبخاصّة أنّ الدّانشمنديين أرسلوا في طلبه قبل سلطان الشّام[2].

قامت القوّات المتحالفة بالإستيلاء على مرعش، وبهسني [3]،وسيواس[4]، قبل أن يرسل عزّ الدّين قلج أرسلان بن مسعود(551-588هــ/1156-1192م) في طلب الصّلح؛فوافق نور الدّين لانشغاله بمحاربة الصّليبيين [5]، ثمّ عاد الوضع إلى ماكان عليه بعد وفاة أتابك حلب في السّنة التّاليّة[6].

كان بسط سيّادة زنكيّي حلب على أراضي سلاجقة الرّوم؛ خطوة بالغة الأهميّة في حماية الأراتقة من السّلاجقة من جهة،ومن جهة أخرى إظهارهم في صورة حلفاء لنور الدّين محمود، ولاسيّما بعد أن منحه الخليفة العبّاسي المُستضيء بأمر اللّه(566-575 هــ/1170-1179م) شرعيّة حكم خلاط وديار بكر وبلاد الرّوم باسمه[7].

كان أوّل من تضرّر من وفاة أتابك حلب في 569هــ/1173م من كان في حمايته من الأمراء الصّغار، فقد كانت قوّة التّنظيمات الحربيّة لجيوشه وحدها من كانت قادرة على الوقوف في وجه جيش قلج أرسلان، والحيلولة دون توسّعاته العسكريّة[8]، وسرعان ما وجد الأراتقة النّجاة في حلٍّ كثيرًا ما لجئوا إليه وهوّ الزّواج السّيّاسي فتزوّج أمير حصن كيفا وآمد نور الدّين محمّد بابنة قلج أرسلان فاشترط عليه أن لا يتزوّج عليها مقابل حصوله على عدد من الحصون، فوافق، ثمّ تراجع بعد فترة وتزوّج بمغنيّة من جواريه سَيْطَرَت على شؤون إمارة آمد- حصن كيفا[9].

كان ردّ ملك الرّوم قاسيًّا تجاه استهتار صهره،فهدّده وتوعّده [10]،فأخذ نور الدّين محمّد وعيده على محمل الجِد،وأرسل يستنجد بالسّلطان النّاصر صلاح الدّين،والّذي أرسل بدوره إلى قلج أرسلان يطلب منه إعادة ما أخذه من حصون الأراتقة،

---

[1])إبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص197.

[2]) إستنجد ذو النّون بن الدّانشمند-حاكم ملطيّة- بنور الدّين بعد أن أخذ السّلاجقة أغلب أراضي دولته، ورفضوا وساطة الأراتقة، كما أنّ الدّانشمنديين إعترفوا بمسعودبن قلج أرسلان الأوّل سلطانًا،فطالب بأراضي كونتيّة الرّها الصليبية حينما أخذها الزّنكيّون، و معهامدن شمال الشّام،رافضًا تقديم المساعدة لهم في حروبهم ضدّ الصليبيين و البيزنطيين،را:إبن واصل، المصدر السّابق،ج1ص233، وزبيدة عطا،المرجع السّابق،ص96-97.

[3]) إبن كثير،المصدر السّابق،ج16ص464.

[2]) إبن واصل،المصدر السّابق،ج1ص233، وإبن خلدون، المصدر السّابق،مج5ص197، ***وسيواس:*** مدينة كبيرة من مدن الأناضول، بها قلعة صغيرة، ولكنّها حصينة جدًّا، لذلك تعتبر من المدن الهامّة عسكريًّا وسيّاسيًّا وأهلها مسلمون تركمان ونصارى،وهيّ كثيرة المزروعات والحّركة التجاريّة بها نشيطة، را:القرماني، المصدر السّابق، ص456.

[5]) سهيل زكّار،الموسوعة الشّاملة للحروب الصّليبيّة،ج 23 (إبن فضل اللّه العمري)، ص49، وإبن واصل، المصدر السّابق، ج1ص233، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص197.

[6]) بقيت سيواس في يد نوّاب نورالدّين محمود؛ والّذي أعادوا ملطيّة إلى الدّانشمنديين، وبعد وفاته سنة 569هــ/1173م برحتها الحاميّة الزّنكيّة إلى الشّام فعاد قلج أرسلان إلى سيواس وتملّكها، را:إبن الأثير، الباهر، ص161، وسهيل زكّار، الموسوعة الشّاملة للحروب الصّليبيّة، ج 23 (إبن فضل اللّه العمري)، ص49.

[7]) إبن خلدون، المصدر السّابق، مج5ص197.

[8]) حسين محمّد عطيّة، إمارة أنطاكية الصّليبيّة، ص178.

[9]) إبن الأثير، الكامل، ج10ص101، و إبن خلدون، المصدر السّابق، مج5ص197.

[10])سهيل زكّار، الموسوعة الشّاملة للحروب الصّليبيّة ،ج 23(السّبكي، طبقات الشّافعيّة الكبرى)، ص139.

و لم يكترث برسالة السّلطان الأيّوبي الّذي كان منشغلا بدورهً بحرب الصّليبيين،فهادنهم،وزحف على بلاد الرّوم،والتقى بجيش الأراتقة في رعبان،عاقدًا العزم على إزالة دولة سلاجقة الرّوم نهائيًّا إن لم يُصالح ملكها أمير آمد [1].

دخل سلاجقة الرّوم بعد وفاة سلطانهم قلج أرسلان الثّاني (شعبان588هـ/أوت-سبتمبر1192م) في فوضًى واضطّرابات داخليّة؛سببها التّنافس حول منصب السّلطان [2]، وكان من بين المتنافسين علاء الدّين كيقباذ الذي عمل على تحسين علاقته بأمير الجزيرة الأشرف من خلال تحالفهما ضدّ إمارة آمد ومهاجمة أراضيها، فاستولى كيقباذ على ملطيّة لاتّخاذها قاعدة لجيوشه قبل أن يبسط سيطرته على الكختين وحصن منصور، وكان الأشرف يهدف من وراء ذلك إلى معاقبة الملك المسعود الأرتقي بسبب تحالفه مع حاكم دمشق الملك المُعظّم وجلال الدّين خوارزم شاه، وما لبث الأمير الأرتقي أن بادر بالإعتذار وإعلان خضوعه للأشرف الذي قام بمراسلة سلطان قونية ليُعيد للملك المسعود ما انتزعه من حصون؛ فأبى واستكبر، فلم يجد الأشرف والمسعود حلًا غير القتال وهاجما قوات السلاجقة المرابضة بألكختين ولكنهما إنهزما في 23شوّال 623هـ / 17 أكتوبر 1226م[3]، الأمر الذي زاد من ضعف الموقف العسكري لأمير آمد، فقرّر التشبُثَ بجلال الدّين

---

[1]) إبن الأثير، الكامل، ج10ص101-102، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص197.

[2]) قام قلج أرسلان الثّاني في 587هـ/1191م بتقسيم دولته بين أولاده؛ فمنح لغيّاث الدّين كيخسرو قونية وأعمالها، ومنح آق سراي وسيواس لقطب الدّين وكان من نصيب ركن الدّين سليمان مدينة "توقات"، ومُنحت أنقرة لمحيي الدّين، وملطيّة لعزّالدّين قيصر شاه وأخيه مغيث الدّين، أمّا قيصري فكانت لصالح نور الدّين محمود، ونكسار وأماسيا لابني أخ قلج أرسلان الثّاني، وتذكر المصادر أنّه أنجب عشرة أولاد من الذّكور؛ وزّع ولايات مملكته عليهم، وكان أكبرهم قطب الدّين ملكشاه الّذي إعتبر نفسه الأحقّ بالمملكة من بقيّة إخوته لعامل السّن ؛ فهاجم قونيّة-وفيها مقرّ حكم والده-وأجبره على توليّته العهد، وتوجّه بعدهالمحاربة أخيه نور الدّين أمير قيصري، وأثناء ذلك تمكّن السّلطان-الوالد من الهروب من أسر إبنه إلى ولده أمير قيصري- وكان يعتقد أنّ ما قام به ملكشاه كان بأمره- فسارع قطب الدّين لتنصيب نفسه سلطانًا في قونية، وبقي قلج أرسلان يتنقّل بين أبنائه، حتّى نصره إبنه غيّاث الدّين وسار معه بجيش كبير واستعاد عاصمة المملكة ومدينة آق سراي، ثمّ توفيّ السّلطان فجأة في شعبان 588هـ /أوت-سبتمبر1192م بطريقة مشكوك فيها، ثمّ مات قطب الدّين بعد أبيه بقليل، فاستقرّ كيخسرو بقونيّة وأعلن نفسه سلطانًا،فحاربه ركن الدّين سليمان وطرده من العاصمة،ففرّإلى حلب،ومالبث ركن الدّين أن مات في 600هـ/1203م،بعد أن أخذ أنقرة وقضى على أمرائها، فرجع كيخسرو إلى الأناضول،وانتزع منصب السّلطان من قلج أرسلان الثّالث بن سليمان -وكان صغير السّن- في601هـ/1204م، ثمّ قُتل وخلفه إبنه عزالدّين كيكاوس، فاستعان بالأرمن لمحاصرة سيواس وانتزاعها من عمّه طغرل شاه -أمير أرزن الرّوم-والّذي تحالف مع الأيّوبيين للإنتصار على الأرمن وكيكاوس، وبعد كيكاوس تولّى منصب السّلطان علاء الدّين كيقباذ بن كيخسرو، والّذي أعاد لدولة سلاقة الرّوم الهيبة المفقودة،فأقرّ النظام فيها، وقوّى جيشها، واكتسب إحترام وخوف جيرانه،كما تأثّر بعضهم بسيّاسته في الحكم،فتمكّن بذلك من بناء ماخرّبه أبناء قلج أرسلان الثّاني، اتّخذ سيّاسة توسّعيّة طيلة سنوات حكمه الثّمانيّة عشر حتّى لُقّب ب"ملك العالم"، ودخل في خدمته كثير من جند خوارزمشاه بعد سقوط دولته، توفيّ في 634هـ/1237م، بعد أن حكم 24عام، وخلفه إبنه غيّاث الدّين، را:إبن العبري،المصدر السّابق، ص388، والذّهبي، دُوّل، ج2ص97، وإبن الفرات،المصدر السّابق،ج5ص ص14-15 و28و128، وأبو الفداء، المختصر، ج3ص84، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5ص 199-201، ولقرماني، المصدر السّابق، ص294، و

-Histiore universelle : depuis le commencent du monde jusqu à présent ,composée en anglais ,Tome :45,Mautard éditions ,paris ,1779-1791,p.326

[3])إبن الأثير، الكامل، ج10 ص425و466، وإبن واصل، المصدر السّابق، ج4ص203، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص201.

خوارزمشاه من خلال مُفاتحته في موضوع غزو الأناضول للإستقواء بها على جحافل المغول، ووعده –وعدًا لم يُحقّقه أبدًا– بدعمه بأربعة آلاف فارس مُستهدفًا من وراء ذلك دحر قوة مملكة سلاجقة الروم [1].

كانت سيّاسة علاء الدّين السّلجوقي التّوسّعيّة مثيرة لقلق وحيطة جيرانه،وذلك ما تكرّس حينما بسط سيطرته على خلاط وغدر بحليفه الأشرف [2]، مُكرسًا سياسة أسلافه في اعتماد الحروب الحدودية كأحسن وسيلة للدفاع عن أراضي مملكته [3]، فردّ الأشرف بطلب دعم أخيه الكامل –سلطان مصر– من أجل غزو بلاد الجزيرة والقضاء على تهديدات سلاجقة الرّوم [4]،فجمعا الكثير من جُند الأيّوبيين،وساروا أولًا إلى حصن منصور فخرّبوه، وهناك إنضمّ إليهم أمير خرت برت نظام الدين إبراهيم بن أبي بكر الأرتقي (600-630هـ/1203-1233م)؛ فأرسل إليه الكامل ألفان وخمسمائة فارس بقيادة أمير حماة الملك المُظفّر الأيّوبي الذي لاقى حصارًا قاسيًا من إثنا عشر ألف فارس سلجوقي بعد أن كبدوه هزيمة شنعاء،وما لبث أن إستسلم المُظفر ونظام الدين،ودخل الثاني مُرغمًا تحت السّلطة المباشرة لعلاء الدّين كيقباذ بعد أن أخذ منه سبعة حصون ووعده بتعويضه عنها لاحقًا ولم يفي بذلك [5].

كانت فترتي حكم علاء الدين كيقباذ، وسلفه عز الدين كيكاوس (607-616هـ/1210-1219م) تمثّل مرحلة ازدهار وقوّة بالنّسبة لسلاجقة الرّوم،فلقد أخضعوا القبائل التركمانيّة في الأناضول،وصارت دولتهم تتمتّع بثراء كبير بسبب التّجارة مع بلدان غرب أوروبّا، وبالتّالي صارت لهم موارد ماليّة كافية للتدخل العسكري في منطقة الجزيرة وبلاد الشّام إعتمادًا على قوات من المرتزقة [6].

بعد أن توفيّ كيقباذ في 634هـ/1236م؛خلفه إبنه غيّاث الدّين كيخسرو الثّاني (634-644هـ/1236-1246م)، والّذي كان في مواجهة الغزو المغولي [7]، فاستنجد بالأيّوبيين،و جيرانه التركمان [8]،وهوّما يجعلنا نستنتج أنّه استنجد بأراتقة ماردين،وهوّ أمر وارد جدًّا لأنّ القوّات المغوليّة قامت بغارات كثيرة على ديار بكر ،وميّافارقين، وسروج وبلاد الأكراد في مابين650-653هـ/1252-1255م [9]،والّتي تُسيطر إمارة ماردين على أجزاء متفرّقة منها،كما كانت في كثيرًا ما تلجأ إلى اتّباع سيّاسة التّحالفات عند وجود خطر داهم أو عدو مشترك، مثلما رأينا في ظروف وملابسات مقتل جلال الدّين

---

[1])إبن خلدون،المصدر السّابق، مج5ص170.

[2])نفسه،مج5ص202.

[3])كلود كاهن،المرجع السّابق، ص233.

[4]) جرجس بن العميد،المصدر السّابق، ص19.

[5]) أبوالفداء، المختصر، ج3ص155 ، وإبن العماد الحنبلي، المصدر السّابق، ص270 و271.

[6]) حسين محمّد عطيّة، إمارة أنطاكيّة، ص310.

[7]) إبن دقماق، المصدر السّابق، ص227.

[8]) إبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص203.

[9]) إبن دقماق، المصدر السّابق، ص ص212و226.

خوارزم شاه[1]، فلم يكن هناك ما يمنع من محالفة سلاجقة الرّوم؛ ولاسيّما أنّ المغول ضيّقوا على سُلطانهم الخناق فعلًا حينما أصبح للغزاة الجدد نائب في قونية يتحكّم في قراراته[2].

تزامن غزو المغول لبلاد الرّوم مع ظهور قوّة جديدة في مصر والشّام؛ وهيّ دولة المماليك[3]؛ الّتي أخذ على سلاطينها على عاتقهم جهادهم، فحرص الغزاة القادمين من شمال آسيا أن ترافقهم قوّات إسلاميّة في حروبهم ضدّها [4]، لاختبار إخلاصهم وولائهم[5].

فنلاحظ أنّ قوّات من إمارة ماردين الأرتقيّة مُرفقة بخمسة عشر ألف جندي سلجوقي شاركوا في الهجوم المغولي الفاشل على البيرة في 674هـ/1275م، وفي معركة الأبلستين (9ذي القعدة 675هـ/14أفريل1277م) والّتي كانت سببًا في اكتشاف تواطؤ حاشيّة السلطان السّلجوقي مع المماليك فقرّر المغول إحكام قبضتهم على مملكة قونيّة ،وبذلك انقضى دورها السّياسي والعسكري نهائيًّا، بعد أن أصبحت تابعة مباشرة لإمبراطوريتهم[6].

---

[1]) إبن خلدون، المصدر السّابق، مج5ص170.

[2])جاء المدد منكلّ جانب لسلطان سلاجقة الرّوم في حربه ضدّ المغول سنة 641هـ/1243م،حيث جمع اليونانيين، والكرج، والأرمن، والعرب، واصطدمت هذه القوّات بالجيش المغولي في أرزنجان بمكان يُسمّى"كوسا داغ"، فانهزم التّحالف الإسلامي- المسيحي وفرّ السّلطان مع حاشيّته إلى مدينة "أنقورا"وتحصّن بها، و لم يلاحقه المغول لاعتقادهم بأنّه كمين، فتوقّفوا وحاصروا سيواس، ثمّ دخلوها بالأمان،وأخذوا قيصري كذلك، وكان للسلاجقة في المعركة المذكورة 4000 فارس فقط، أمّا العرب فكانوا من جند إمارة حلب الأيّوبيّة، ثمّ إستولى الغزاة على خلاط وآمد، فأرسل إليهم غيّاث الدّين كيخسرو يطلب الإستسلام؛ فوافق قائد المغول على أن يمنحه سلطان الرّوم كلّ يوم ألف دينار ومملوك وجارية وفرس وكلب صيد،وقال إبن دقماق قرّروا عليه 400ألف دينار في السّنة،وقال أبوالفداء انّ معركة "كوسا داغ"هيّ نقطة النّهاية لحكم سلاجقة الرّوم،وأنّهم لم يحكموا بعدها إلّا إسميًّا فقط،وأنّ بلادهم كانت في الحقيقة تابعة للمغول، را:نزهة الأنام، ص149، والمختصر في أخبار البشر، ج4 ص85، وإبن العبري، المصدر السّابق، ص 440، وإبن خلدون، المصدرالسّابق، مج 5ص203، واليافعي، المصدرالسّابق، ج 4ص81، والعيني، المصدر السّابق، ص45-46.

وتسمّي الدكتورة زبيدة عطا مرحلة حكم سلاطين قونية بعد المعركة المذكورة ب ـــ:"مملكة سلاجقة الرّوم كإمارة تابعة للمغول"، بحيث تدخّل هؤلاء في الخلافات الدّاخليّة للأسرة الحاكمة، وفي إدارة الدّولة عن طريق قائد عسكري يقيم بصورة دائمة في عاصمتهم- أي مدينة قونية-، وتذكر أيضًا أنّ حالة الضّعف الدّاخلي كانت سببًا في سهولة غزو المغول لأراضي هذه الدّولة، را:التّرك في العصور الوسطى، ص ص131و134.

أمّا محمود محمّد الحويري فيذكر أنّ مملكة سلاجقة الرّوم بعد المعركة آنفة الذّكر ؛ لم تعد أبدًا إلى عصر القوّة والسّيطرة،فتعرّضت لاستقلال أمراء "الأطراف" والتّمرّدات الدّاخليّة واستفحال نفوذ رجال الطرق الصّوفيّة حتّى زوالها في 700هـ/1302م، را:تاريخ الدّولة العثمانيّة، ص33.

[3]) اليونيني، ذيل مرآة الزّمان، ص39.

[4]) زبيدة عطا، المرجع السّابق، ص137.

[5]) الذّهبي، تاريخ، حوادث661-670هـ، ص27.

[6]) إبن كثير، المصدر السّابق، ج17ص519 ، و إبن خلدون، المصدر السّابق، مج5ص207، و القرماني، المصدر السّابق، ص294.

ثانيًا:علاقة الأراتقة بالدّولة الخوارزمشاهيّة.

كانت منطقة الجزيرة الفراتيّة تخضع بين حين وآخر إلى نفوذ قوًى سيّاسيّة متعدّدة سواءً كانت محليّة أم خارجيّة؛أو آسيا الصّغرى أو أرمينيّة أو أذربيجان،وفي هذا الفصل سوف ندرس علاقة الأراتقة بهذه الكيّانات السيّاسيّة،ولكن قبل الغزو المغولي ،والّذي كان مَعلمًا لتاريخ المنطقة،أدّى إلى تغيير كبير فيها على جميع الأصعدة،وأثّر تأثيرا كبيرا على دولة الأراتقة، وعليه كان هناك احتكاك بين الأراتقة و الدّولة الخوارزمشاهيّة [1]،و لم يكن الموقع الجغرافي لديّار بكر(كما سبق وبيّنّاه في الدّراسة الطّبيعيّة) يؤهّل الأراتقة

---

[1]) توالت على حكم خوارزم العديد من الأسر الحاكمة غير أنّ أهمهم كانت أسرة "أنوشتكين"لسببين: الأوّل؛ صراعهم مع الخلافة العبّاسيّة بعد أن تمكّنوا من حسم حربهم ضدّ السّلاجقة في أصفهان لصالحهم، والثّاني؛ تحدّيهم للمغول، وما كابدوه من مشقّة واستنزاف لقواهم في هذا الصّراع، ولاسيّما من طرف آخر شاهاتهم جلال الدّين منكوبرتي (منكبرس) (617-628هـ/1220-1230م) بن علاء الدّين محمّد. وكان أنوشتكين من أحفاد مملوك تركي بيع لأمير سلجوقي، فدرّبه وجهّزه للقتال والإمارة وأنجب-أي أنوشتكين- إبنه محمّد الّذي قرّبته الأسرة السّلجوقيّة،فصار من عمّال الأقاليم، وأظهر كفاءة في هذا المنصب، ثمّ شارك في الصّراعات الّتي كانت تحدث بين الأمراء السّلاجقة، فتولّى ولاية خوارزم أين نال رضى السّلطان سنجر (ت551هـ /1156 م) لحسن سيّاسته تجاه الرّعيّة،ونشره للأمن وتحقيقه للعدل، وبعد وفاته خلفه إبنه "أتسز"الّذي تمرّد على سنجر، بعد أن جمع ثلاثمئة ألف مقاتل، وانتزع منه ولاية خراسان في 536هـ/1141م، وقطع الخطبة له، ثمّ تراجع عن ماحقّقه بعد سنتين،ولكنّه استغل ضعف السّلاجقة، ولاسيّما بعد موت سلطانهم، فأخذ يجمع الأموال والعساكر وقام خليفيه أرسلان شاه (551-568هـ/1156-1172م) وسلطان شاه محمود (568-589هـ/1172-1193م) بالتوسّع على حساب السّلاجقة في عراق العجم والرَّي وأصفهان،ثمّ أزالوا دولتهم في 589هـ/1193م، على يدعلاء الدّين تكش والّذي قتل آخر سلطان من سلاجقة أصفهان طغرل بن أرسلان بن طغرل، و توفيّ في 596هـ/1199م، فخلفه علاء الدّين محمّد ملكشاه، والّذي وسّع دولته لتشمل أجزاء من الهند،والسّند، وماوراء النّهرشرقًا إلى خراسان فبغداد غربًا، ومن بحر آرال وشمال بحر قزوين شمالًا إلى الخليج الفارسي والمحيط الهندي جنوبًا،ووصل تعداد جيشه إلى مائة ألف فارس، كمادخل في صراع مع الخليفة العبّاسي وخطّط لغزو العراق،وكان شاهات خوارزم سنّيين أحناف متعصّبين،وتسبّب إتّسا ع دولتهم في الإصطدام بجيرانهم المغول،فغزت جيوش المغول أراضي دولتهم، واستولوا على مدن: بخارى،وسمرقند ،ونيسابور ، والرّي، ومازندران، وهمذان،فاشتبك جيش خوارزمشاه معهم نيّف وثمانين مرّة،ثمّ طاردت جحافلهم علاء الدّين بعساكره إلى أن بلغ بلاد الجبل،ثمّ فرّ مع مقرّبيه إلى جزيرة وسط بحر قزوين ، أيْن توفيّ في 617هـ/1220م، بعد أن حكم لمدّة واحد وعشرين عامًا،واستخلف لولده جلال الدّين منكوبرتي (منكبرس)،والّذي جمع سبعة عشر ألف محارب وهزم المغول عدّة مرّات،فانتقموا بإبادة أمراءأسرة خوارزمشاه وكلّ سكّان مدينة خوارزم،ففرّ الأمير المذكور إلى الهند،قبل أن يعود إلى كرمان سنة 621هـ/1224،في أربعة آلاف وثلاثمئة جندي، واستعاد شيراز وأصفهان،واستغاث بمن نجا من أسرته؛وهوّ أخوه غيّاث الدّين في الرّي، وجمع أمراء عراق العجم وخراسان مستغلًا إنشغال المغول بحروبهم في شمال القوقازوالبحر الأسود وروسيا؛قبل إستئنافهم لغزو مملكة خوارزمشاه من جديد في 622هـ/1225م، را: اليزدي الحسيني، المصدر السّابق، ص ص99و113، وإبن أبي الحديد المدائني، حملات الغزو المغولي للمشرق،ص ص 48-49و52-55،

للاحتكاك المباشر بالقوى السيّاسيّة في بلاد فارس،غير أنّ قيام جلال الدّين منكبرتي خوارزم شا ه بغزو أذربيجان في 622هـ/1225م واستعادة بلادفارس، وأصفهان، وعراق العجم[1]، جعله جارًا خطيرًا وهامًّا لأمراء الجزيرة،وأرمينيّة، وحتّى الشّام وآسيا الصّغرى[2] (أنظر الخريطة رقم:8).

ونتيجة لذلك سارع بعض أمراء هذه المناطق لعقد تحالفات معه ؛على غرار الملك المسعود الأرتقي الّذي إستعان به حينما تحالف مع الملك المعظّم حاكم دمشق(615-624هـ/1218-1227م) ضدّ الملك الأشرف (607-617هـ/1210-1220م)،والّذي عقد إتّفاق مماثل مع سلطان سلاجقة الرّوم علاء الدّين كيقباذبن كيخسرو بن قِلِج أرْسلان (610-634هـ/1213-1236م)لأجلِ مهاجمة آمد (التابعة للأراتقة وقتها)[3]، و لم يتباطىء علاء الدّين في تنفيذ الخطّة المُتّفق عليها، فاتّخذ مدينة ملطيّة قاعدة عمليّات عسكريّة، وأرسل فرقتين من جيشه للإستيلاء على الكختا [4]، وحصن منصور، فأدرك الملك مسعود تورّطه في معاداة جيرانه الأقويّاء-سلاجقة الرّوم- فقرر التفاوض مع الأشرف وطلب منه التوسّط لدى السّلطان علاء الدّين ليعيد ما أخذه من حصونه؛ فردّ بالرّفض قائلاً:"لم أكن نائبًا للأشرف يأمرني وينهاني..."[5].

أمام تعنّت سلطان سلاجقة الرّوم؛ لم يكن أمام الملك الأشرف من حلّ أنجع من الرّدّ العسكري، فسيّر إلى آمد فرقة من جيشه لمعاضدة عساكرها، ثمّ إنطلقوا لاسترجاع الكختا، ولكنّ السّلاجقة أعادوهم خائبين بهزيمة نكراء في شوّال 623هـ/ أكتوبر1126م، أضاعت الحصن المتنازع عليه نهائيًّا من يد الأراتقة، بعد أن تكبدّوا عددًا كبيرًا من الأسرى والقتلى والجرحى[6].

ولكنّ الأشرف عاد وتحالف مع علاء الدّين كيقباذ ضدّ جلال الدّين خوارزمشاه في حربه لاستعادة مدينة خلاط، وتمكّنا من كسر جيشه في 29 رمضان627هـ/12أوت 1230م[7]، بخلاف الملك المسعود الّذي إحتفظ بعلاقات حسنة مع خوارزم شاه، وهوّ أمر يمكن إستنتاجه من خلال المُعْطَيات التّاليّة: أوّلاً؛بعد أن هزمته جيوش المغول، قام جلال الدّين بإرسال رسائل نجدة إلى أميرَيْ آمد وماردين من بني أرتق قبل بقيّة الأمراء، ولمّا يئس من إستجابتهما لندائه، أرسل يطلب العون والنّصرة من

والذّهبي، دوّل،ج2ص113، وإبن كثير، المصدر السّابق، ج16 ص331، وج17 ص132،وإبن خلدون، المصدر السّابق مج5 ص ص106-107و115و133-134و140و144-155، واليافعي، المصدر السّابق، ج3ص36.

[1]) ***عراق العجم:***وتسمّى إصطلاحًا بلاد الجبل، وتحدها شمالًا قزوين والرّي، وغربًا أذربيجان، وجنوبًا الأهواز وعراق العرب، وشرقًا صحراء خراسان،وتشمل مدن: همذان، ساوة، زنجان، نهاوند، أصفهان، والدّينور، وقاشان، را:أبوالفداء، تقويم البلدان، ص408-409.

[2]) إبن واصل ، المصدر السّابق، ج4ص143، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5ص150-152.

[3]) إبن الأثير، الكامل، ج10 ص425، و إبن واصل، المصدر السّابق، ج4، ص202.

[4]) ***الكختا:*** ويقال لها "ألكختين"أيضًا، وهي قلعة عاليّة البناء ، شديدة التّحصين، لهابساتين ونهر، وبينها وبين ملطيّة غربًا مسافة مئة كيلومتر، وهيّ في طرف الحدّ الشّمالي من بلاد الشّام ، وكانت من ثغور المسلمين، وتبعد بحوالي ثمانيّة وثلاثين كيلومتر عن حصن منصور غربًا، را:أبو الفدا، تقويم، ص283.

[5]) إبن الأثير، الكامل، ج10 ص466، و إبن واصل، المصدر السّابق، ج4 ص203.

[6]) إبن الأثير، الكامل، ج10 ص466، وإبن واصل، المصدر السّابق، ج 4 ص203.

[7]) إبن واصل، المصدر السّابق، ج4 ص175-176، وإبن العبري، المصدر السّابق، ص429، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص ص154و165، واليافعي، المصدر السّابق، ج4ص52، وإبن العماد الحنبلي، المصدر السّابق، ص255.

خصمه الأشرف، وثانيًّا؛لّما فرّ من المغول نزل اعند أسوار آمد، وهناك تعرّض لهجوم مباغت من طرف فرقة من جيش أعدائه، إذ لم يأذن الملك المسعود بدخوله خوفًا من إنتقامهم[1].

والمُرجّح أنّ خوارزم شاه إستنجد بالأراتقة لأنّهم حلفائه في حروبه السّابقة في أعالي بلاد الجزيرة، ولكنّهم خذلوه، فلجأ إلى الخيارالأخير،وهوالإستنجاد بالأشرف لحسن علاقته بالأراتقة أيْضًا، وذلك ما يدُلُّ عليه عرْض الملك المسعود بغزو بلاد الرّوم ليسهل على الخوارزميين الإتّصال بملك القبجاق (القوزاق)[2]، فيدعمهم بفرسان جُدُد، وأنّه سوف يُساعده بأربعة آلاف فارس إن عزم على ذلك، وهدفه من وراء ذلك الإنتقام من سلاجقة الرّوم بقوّة جيش خوارزم شاه، وإنهاء تهديدات سُلطان قونية لصغار أمراء أعالي الجزيرة[3]. ويرتبط كُلُّ هذا بحادثة مقتل جلال الدين [4]، فيذكر إبن العبري[5] أنّ قتلة خوارزم شاه دخلوا إلى آمد من أجل بيع ماسلبوه منه، فاكتشف أمرهم أحد مماليكه، وأخبر الملك المسعود بذلك، فأحضرهم وقتلهم لشدّة غضبه من فعلتهم،في حين يذكرإبن كثير[6] أنّ من إنتقم لخوارزمشاه هوّ أمير ميّافارقين شهاب الدّين غازي الأيّوبي (617-628هــ /1220-1230م) الّذي إستدعى الفلّاح الكردي القاتل واسترجع منه ماسلبه من السُّلطان المغدور،والرّاجح بين الرّوايتين هوّماذكره إبن خلدون [7] الّذي كان ينقل عن كتاب "سيرة السّلطان جلال الدّين"للنّسائي الكاتب الشّخصي لخوارزمشاه ،فيقول أنّ السُّلطان نزل في قرية من قرى ميّافارقين منتظرًا ردًّا من شهاب الدّين الّذي كان متواجدًا أنذاك في حلب، ولكن فاجئته طلائع مغوليّة؛ففرّ إلى جبال الأكراد أين لقيّ حتفه.

ومهما يكن من أمر فقد تضرّر الأراتقة من مقتل حليفهم ،فتعرّضوا لهجوم المغول الّذين نهبوا أرياف آمد، وميّافارقين، وأرزن الرّوم[8]، و تعرّض الملك المسعود الأرتقي لهجوم من طرف الأيوبيين سنة 630هــ/1233م،حينما حاصر الكامل (615-

---

[1]) إبن واصل، المصدر السّابق، ج4 ص321، واليافعي، المصدر السابق، ج4 ص52، وإبن خلدون، المصدر السابق، مج5 ص170.

[2]) ***القفجاق:*** كان جيش الدّولة الخوارزميّة يعتمد بالأساس على أتراك من السّهول الأورو-آسيويّة يُسمّوْن"القفجاق"، را:كلود كاهن، المرجع السّابق، ص237.

[3]) إبن خلدون، المصدر السّابق، مج 5ص170.

[4])تذكر المصادر أنّ جلال الدّين بعد أن هزم قرب آمد تفرّقت قوّاته العسكريّة، ولجأ إلى جبالها، فقامت مجموعة من الأكراد بقتله طمعًا في ماله وجواهره وسلاحه وهيّ رواية إبن العبري، وهناك من يقول بأنّ كرديًّا أواه في منزله ثم ّغدر به وهيّ رواية اليافعي، وهناك رأي يذكر أنّ فلّاحًا كُرْديًّا من قرية بنواحي ميّافارقين قتله بدافع الثّأر من الخوارزميّة قتلة أخيه، وأنّ ماسلبوه منه كان" منفعة وليس هدفًا في حدّ ذاته،را:تاريخ مختصر الدُوّل،ص 431،والبداية والنّهاية،ج17 ص192،ومرآة الجنان، ج4 ص654.

[4])تاريخ مختصر الدوّل، ص431-432.

[5])البداية والنهاية، ج17 ص192.

[6])العبر، ج5 ص171.

[8])إبن واصل، المصدر السّابق، ج4 ص325.

635هـ/ 1218-1237م) والأشرف عاصمة مُلكه، ثمّ وعداه بإقطاع في مصر، فسلّمها مع بقيّة أعمال إمارته بما فيها حصن كيفا، وسبب ذلك فساد سيرته الذي جلب له سُخط رعاياه[1].

كانت العلاقة الأرتقيّة -الخوارزمشاهيّة، علاقة مصالح قائمة على رغبة أمراء آمد وماردين في الإستنجاد بطرف قوي يكون ندال لأيوبيين وسلاجقة الرّوم، وفي نفس الوقت كان جلال الدّين يبحث عن موضع قدم في بلاد الجزيرة لأهمّيّتها من النّاحيّة الإستراتيجية وسلاجقة الرّوم، غير أنّ الدّولة الخوارزميّة كانت دولة توسّعيّة عسكريّة سخّرت كُلّ مواردها للحروب، فكان من الطّبيعي أن يكرهها رعاياها وجيرانها فيتمنّون زوالها، فكان أكثر من تضرّر من ذلك حلفائها[2].

ثالثًا:علاقة الأراتقة ببقيّة إمارات الجزيرة حتّى الغزو المغولي658هـ/1260م.

1-علاقة الأراتقة بالدّانشمنديين[3]:

كان الدّانشمنديين يُمثّلون الهجرات المُبكّرة للتّركمان صَوْبَ آسيا الصّغرى، والّذين إستقلّوا في سيواس، وحرصوا على السّيْطرة على كلّ الطرق الّتي تجتاز شمال الأناضول،وأيضًا على محاربة غير المسلمين بدعوى الجهاد[4]، كما اشتهروا بانتصارهم بانتصارهم على الصّليبيين في ذي القعدة 494هـ/سبتمبر1100م[5]، وكان أوّل صِدام لهم مع الأراتقة في 506هـ/1113م حينما إستنجدت والدة سلطان ملطيّة السّلجوقي طغرل أرسلان ببلك بن بهرام لمدّها بقوّات دعم ضدّ أمير سيواس

---

[1])إبن العماد الحنبلي، المصدر السّابق، ص269.

[2]) حافظ أحمد حمدي، المرجع السّابق، ص226.

[3]) أوّل من ملك من أمراء هذه الأسرة هوّ الدّانشمند غازي،والّذي كان عالمًا جليلًا نبذ نفسه لمحاربة البيزنطيين في الأناضول، ورافقه في ذلك الأمير طورستان بن علي بن جعفر البطّال صاحب ملطيّة،فغزا إلى جانبه السواحل الجنوبيّة للبحر الأسود، وكان معهما أربعين ألف فارس،وقتل طورستان في هذه الحرب في رجب460هـ/ماي1068م، فسار الدّانشمند شمس الدين بمن تبقّى من العساكر(عشرين ألف)، وفتح سيواس،وجعلها مقرًّا لحكمه، ثمّ قُتل في حصار قلعة نيكسار، فخلفه إبنه محمّد الغازي والّذي إشتهر بانتصاره على الصّليبيين في 528هـ/1133م، وتوفيّ في537هـ /1142م، فخلفه إبنه نظام الدّين أبو المظفّرياغي سيّان إلى سنة562هـ/1166 م، فخلفه الملك إبراهيم ثمّ إسماعيل ثمّ ذوالنّون محمّد وهوّ آخر ملوكهم،حيث بقيّ يحكم سيواس تحت حماية نور الدّين محمود بن زنكي،إلى وفاة هذا الأخير فقضى سلاجقة الرّوم على ملك الدّانشمنديين سنة 573هـ/1177م، را:إبن واصل، المصدر السّابق، ج1 ص234، القرماني، المصدر السّابق، ص292، وزامباور، المرجع السّابق، ص219-220.

[4]) زبيدة عطا، المرجع السّابق، ص54.

[5]) إصطدمت قوّات الدّانشمنديين بقوّات بوهيموند قرب ملطيّة وعددها خمسةآلاف، فأبادهم التّركمان، وأسروا الأمير الصّليبي، فردّ الصّليبيّون بهجوم من جهة البحر، إستولوا به على قلعة أنكورية، فقام إسماعيل بن الدّانشمند بتعقّبهم، وإبادتهم، وفتح ملطيّة، ثمّ هزم قوّات من أنطاكيّة مرّة أخرى، را:إبن الأثير ، الكامل ج9 ص29، والذّهبي، العبر، ج2 ص367.

غازي،ثمّ تحالف الثّلاثة ضدّ أمير كماخ إسحاق بن منكوجك [1]، وأغاروا على بلاده في 512هـ/1118م، ثمّ دبّ الخلاف بينهم بسبب إطلاق الأمير غازي لسراح أحد أفراد أسرة الأميرإسحاق[2]،لمصاهرة كانت بينهما[3].

كان الأمير غازي يطمح للإستيلاء على ملطيّة-والّتي كانت موضع تنافس بين أمير حصن زيّاد سليمان بن إيلغازي (516-518هـ/1122-1124م) والسّلطان السّلجوقي طغرل أرسلان- فحاصرها لمدّة شهر دون طائل، ثمّ حاول الإستيلاء على خرتبرت بعد أن إستولى على ملطيّة في 518هـ/1124م، فوجد مقاومة شديدة من أمير حصن كيفا داود بن سقمان فاكتفى بنهبها،وأخذ بعض الحصون[4].

ثُمّ ظفر بملطيّة بعد أن كانت تابعة لبلك بن بهرام لزواجه بوالدة الأمير طغرل [5]، ثُمَّ هزم الصّليبيين في 528هـ /1133م[6]، /1133م[6]، وحاو ل إستغلال نصره للتّوسُّع على حساب الأراتقة في أعالي الفرات[7].

فرّ الأمير الدّانشمندي عين الدّين بن كُمُشتكين(ت 545هـ/1150م) من أخيه محمّد إلى قلعة هتريط [8] التابعة للأراتقة سنة532هـ/1137م، وطلب الدّعم العسكري من داود بن سقمان الأرتقي، فأمره بالإلتحاق ببني ينال حلفاء الأراتقة في آمد؛ أين سيكون في مأمن من أيّ هجوم آت من سيواس البعيدة،فاشترى بذلك عداوة الدّانشمنديِّين؛ ففي 558هـ/1162م تحالفوا مع بني منكوجك،وأمير آمد جمال الدّين محمود بن إينال (536-579هـ/1141-1183م) لتخليص الثّانيّة من قوّات أمير حصن كيفا قراأرسلان بن داود الأرتقي (539-562هـ/1144-1166م)،فهاجم نظام الدّين ياغي سيان (550-562هـ/1155-1166م) خرتبرت لتخفيف الضّغط العسكري المفروض على إمارة بني إينال،وهاجم من أعمالها حيزان، وقراصان، وشومشكي[9].

---

[1]) مؤسّس هذه الأسرة هوّ الأمير منكوجك غازي من أمراء جيش ألب أرسلان السلجوقي(455-465هـ/1063-1073م) والّذي منحه كماخ وأرزنجان إقطاعًا سنة 464هـ/1172م، واستمرّ خُلفائه في حُكم أرزنجان إلى 615هـ/1218م، ونقلوا بعدها عاصمتهم إلى ديوركي، حتى 650هـ/ 1252م، حينما قضى سلاجقة الرّوم على دولتهم نهائيًّا، را:زامباور، المرجع السّابق، ص 219-220.

[2]) علي بن صالح المحيميد، المرجع السّابق، ص149-150.

[3])ستيفن رنسيمان، المرجع السّابق، ج2ص336 .

[4]) علي بن صالح المحيميد، المرجع السّابق، ص82-83وص150-151.

[5])ستيفن رنسيمان، المرجع السّابق، ج2 ص336.

[6]) أبوالفداء، المختصر، ج3 ص8.

[7]) علي بن صالح المحيميد، المرجع السّابق، ص151.

[8]) ***هتريط:*** من الثّغور الرّوميّة، را:ياقوت الحموي، المصدر السّابق، ج5، ص418.

[9]) علي بن صالح المحيميد، المرجع السّابق، ص151-153.

وعلى الرّغم من علاقة المصاهرة بين قرا أرسلان وأمير سيواس، فإنّ أمير ماردين نجم الدّين ألبي (547-575هـ/1152-1179م)،و أمير أرزن وبدليس فخر الدّين دولت شاه بن دوغان أرسلان الأحدب زوج نورة خاتون إبنة حسام الدّ ين تيمورطاش هاجما ملطيّة وسيواس في 559هـ/ 1163م، فطلب الدّانشمنديّون دعم نورالدّين محمود بن زنكي، الّذي أرسل إلى الأراتقة يأمرهم بترك الحرب ففعلوا،ثُمّ تجدّدت العلاقات الحسنة وروابط المصاهرة بين أفراد البيتين؛ الأرتقي والدّانشمندي وبخاصّة خلال فترة حكم محمّد بن قرا أرسلان (562-581هـ/1166-1185م) الّذي صار وصيًّا على أمراء ملطيّة وتدخّل في تعيينهم [1].

ثُمّ إستنجد ذي النّون بن الدّانشمند(537-569هـ/1142-1173م) بنور الدّين محمود أثناء صراعه ضدّ السُّلطان السُّلجوقي عزّ الديّن قلج أرسلان(551-588/1156-1192م) [2]، فبادرمع حلفائه من الأراتقة، وبقيّة أمراء الجزيرة إلى مهاجمة قيصريّة، ولّما سقطت ملطيّة في يد سلاطين قونية سنة 573هـ/1177م لجأ آخر أمراء الدّانشمنديين إلى منفاه الإختيّاري في خرتبرت[3].

2-علاقة الأراتقة بأمراء خلاط(شاه أرمن):

كان الأمير سقمان القطبي قد استولى على ميّافارقين في شوّال 502هـ/1108م[4]، وهوّ ما تسبّب في وقوع خلاف بينه وبين إيلغازي أمير ماردين- المجاورة لميّافارقين-، وتجسّد ذلك في حملة الجيش السّلطاني على الرّها(شوّال 503-محرّم504هـ/ماي-أوت1110م)[5]،حينما قام القُطبي بالقبض على بلك بن بهرام بن أرتق،وحَمْلِه مُقَيّدًا إلى بلاده[6].

وفي حملة جيش الموصل على شمال الشّام (محرّم-صفر505هـ/جويلية-أوت1111م)[7]،قام الأمير نجم الدّين إيلغازي باعتراض موكب عودة سقمان القطبي إلى مملكته بسبب المرض للقبض عليه ،ولكنّه تكبّد هزيمة فادحة [8]، ولتحسين العلاقات مع حُكّام خلاط قام نجم الدّين ألبي (547-575هـ/1152-1179م) بن حسام الدّين تيمورطاش بالزّواج بواحدة من بنات إبراهيم شاه أرمن بن سقمان[9].

---

[1])نفسه،ص153.

[2]) محمد مؤنس أحمد عوض، المرجع السّابق، ص130.

[3]) علي بن صالح المحيميد، المرجع السّابق، ص153

[4]) إبن القلانسي، المصدر السّابق، ص263.

[5]) راجع تفاصيل هذه الحملة في المبحث الأوّل من الفصل الثّاني ص 49-68.

[6]) إبن القلانسي، المصدر السّابق، ص272.

[7]) راجع تفاصيل هذه الحملة في المبحث الأوّل من الفصل الثّاني ص 49-68.

[8]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص144.

[9]) زامباور، المرجع السّابق، ص348.

وفي سنة578هـ/1182م راسل عزّالدّين مسعود أمير الموصل شاه أرمن للإستنجاد به ضدّ الجيش الأيّوبي بقيّادة السّلطان صلاح الدّين، فقام أمير خلاط بالوساطة بين الطّرفين، وأرسل مملوكه"بكتمر"يطلب من سلطان مصر رفع الحصار عن سنجار، فأبى هذا الأخيرذلك،وأصرّ على موقفه حتّى بعد أن أرسل شاه أرمن كتابًا آخر، فاتّجه من خلاط إلى ماردين، وعقد تحالفًا مع أميرهاوإبن أخته قطب الدّين إيلغازي بن نجم الدّين ألبي ، وهوّإبن خال عزّ الدّين وحموه بعد زواج إبنته به، ثُمّ انضمّ للحِلف أمير أرزن وبدليس "دولت شاه"،وأمير الموصل عزّالدّين والّذي قدم في جيش كامل العُدّة والعتاد [1].

3-علاقة الأراتقة بصغار أمراء الجزيرة من495إلى660هـ/1101-1258م.

كانت ميّافارقين تابعة لأمير دمشق شمس الملوك دقّاق(488-497هـ/1094-1103م) وكان سقمان بن أرتق من أتباعه،ومعه أمير أسعرد[2] قزل أرسلان ،وأمير أرزن وبدليس حسام الدّولة ألتمش تكين[3]، وأمير آمد إبراهيم بن ينال[4] ،

ولّماتوفيّ تتش في 497هـ/1103م،إستقلّ كلّ أمير منهم، وقام سقمان بن أرتق باستخلاص حصن كيفا من الأمير موسى التركماني سنة 495هـ/1101م،وأسّس ملك الأراتقة [5]،وبعدماتوفيّ شمس الملوك دقّاق بن تاج الدّولة تتش في 12محرّم497هـ/ 17أكتوبر1103م، كاتب الوزير ضيّاء الدّين محمّد قلج أرسلان بن سليمان بن قتلمش (485-500ه /1091-1107م) وهوّ بملطيّة[6]؛ ليتسلّم مدينته[7]،فدخلها في 27جمادى الأولى 498 هـ /14 فيفري 1104م، وحضر وحضر إلى خدمته كلّ أمراء ديّار بكر،فولّى شؤونها للأتابك خمرطاش السليماني، وغادر إلى ملطيّة ليستعدّ لغزو الموصل [8]، بعد أن عيّن الوزير ضيّاء الدّين على الأبلستين [9]، ولكنّ السُّلطان غرق في الخابور،فاستقلّ خمرطاش بميّافارقين في499هـ/1105م[10]، وبعد فترة تحالف أمير خلاط سقمان القطبي مع أمراء ديّاربكر-ومنهم سقمان بن أرتق- وهاجموها

---

[1]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص467.

[2]) ***أسعرد:*** أوسعرت ، يعتبرها أبوالفداء من ديّار ربيعة، قرب دجلة جنوب ميافارقين وآمد، وشمال الموصل، را:تقويم البلدان، ص288-289.

[3]) توفيّ سنة532هـ/1137م، وهوّ جد بني دوغان أرسلان أمراء أرزن وبدليس، را:زامباور، المرجع السّابق، ص350.

[4]) بدأ حكم أسرة بني ينال في آمد سنة490هـ/1096م، ثمّ خلفه إبنه فخر الدّولة إبراهيم في 493هـ1099م، فسعد الدّولة أبو منصور أيكلدي في 503هـ/1109م ، وفي 536هـ/1141م خلفه جمال الدّين شمس الملوك محمود والّذي عزله السّلطان صلاح الدّين في 579هـ /1183م، را: زامباور، المرجع السّابق، ص211.

[5]) الفارقي، التّاريخ، ص268-269.

[6]) إبن تغري بردي ،المصدر السّابق، ج5 ص190.

[7]) بهاء الدّين بن شدّاد، المصدر السّابق،ص322.

[8]) الفارقي، المصدر السّابق، ص272-273.

[9]) إبن تغري بردي، المصدر السّابق، ج5 ص190

[10]) بهاء الدّين بن شدّاد، المصدر السّابق، ص322.

في 20جمادى الأولى 502 هـــ / 26 جانفي 1109 م، وحاصروها سبعة أشهر إلى أن استسلم أميرها في شوّال 502هـــ/ماي1109م[1].

شارك الأميران التُركمانيّان:محمّد بن جبق–صاحب خرت برت– وإبراهيم بن ينال –صاحب آمد– في حملة قلج أرسلان بن سليمان بن قتلمش السّلجوقي على الموصل سنة 500هـــ/1107م[2]، كما تحالف الأراتقة في ماردين مع أمراء آمد عن طريق المصاهرة[3]، حينما تزوّج سعد الدّولة أبو منصور أيكلدي (503-536هـــ/1109-1141م) يُمنى خاتون إبنة نجم الدّين إيلغازي[4].

استولى قرا أرسلان –أمير حصن كيفا– على قلعة شاتان في 556هـــ/1160م، وهيّ لعشيرة الجونيّة من الأكراد، فخرّبها وأضاف أعمالها إلى حصن طالب[5]، كما تدهورت الأوضاع بميّافارقين أثناء فترة حكم الرّزبيكي، فأخذ الأراتقة كثيرًا من أعمالها، حيث ضمّ سقمان بن أرتق لإمارته مائة ضيعة،ونجم الدّين إيلغازي ثمانين أخرى، وحاكاهم في ذلك السّناسنة وأمراء أرزن والهتاخ وحاني ونالوا ثلاثين قرية[6].

أمّا أمراء بني مروان الأكراد فقد دخل أمرائهم في خدمة نجم الدّين إيلغازي وخلفائه، وبعضهم دخل في خدمة أراتقة حصن كيفا، وبعضهم صاروا من أتباع بني ينال في آمد وهم من حلفاء الأراتقة، في حين كانت خرتبرت تابعة للأمير جبق التركماني، وفي حوزته ثلاثمائة فارس،بعد أن منحه إيّاها فخر الدّولة بن جهير إقطاعًا، لتُصبح تابعة لإمارة حصن كيفا الأرتقيّة، وأصبح أبناء جبق وأحفاده من أتباعهم[7].

---

[1]) الفارقي، المصدر السّابق، ص274-275.

[2]) إبن الأثير، الكامل، ج9 ص105.

[3]) هاملتون جب، المرجع السّابق، ص55.

[4]) زامباور، المرجع السّابق، ص211.

[5]) إبن الأثير، الكامل، ج9ص290، العمري، المصدر السّابق، ص31.

[6]) الفارقي، المصدر السّابق، ص283.

[7]) نفسه، ص212-213و253-256.

الفصل الرّابع

علاقة الأراتقة بالقوى الإسلاميّة الإقليميّة (658-812هـ/1260-1409م).

أوّلاً:علاقة إمارة ماردين بدولة المماليك في مصر والشّام(658-812ه‍ـ/1260-1409م).

1-فترة حُكم المماليك البحريّة(658-784هـ/1260-1382م):

2)فترة حكم المماليك البرجيّة(784-812ه‍ـ/1382-1409م):

ثانيًا:علاقة إمارة ماردين ببقيّة القوى الإسلاميّة في الجزيرةوالأناضول بعد الغزو المغولي. (658-812هـ/1260-1409م) .

أوّلًا:علاقة إمارة ماردين بدولة المماليك في مصر والشّام(658-812هـ/1260-1409م).

1-فترة حُكم المماليك البحريّة(658-784هـ/1260-1382م):

يصف أحد المؤرّخين [1] دولة المماليك بأنّها دكتاتوريّة عسكريّة حافظت على وحدة مصر والشّام (أنظر الخريطة رقم: 9)؛ وفق إدارة حازمة وقويّة ومعتمدة في ذلك على جيش قوي ونظام عسكري صارم يسير بشكلٍ دقيق، ولقد عاصرهما في بداياهما الإمارات الأيّوبيّة في بلاد الشّام والجزيرة [2]، والّتي عانت من الضّعف والتّنافس في ما بينها [3]، ومن الخطر المغولي أيضًا [4]؛ هم وأراتقة ماردين [1].

---

[1]) إدوارد بروي، القرون الوسطى، ص550-551.

[2]) في تلك الفترة كانت العلاقات بين الملك النّاصر صلاح الدّين يوسف بن العزيز -سلطان دمشق وحلب- والمماليك تتسم بالتوتر وانعدام الثقة، بعد قيامهم بالسّيطرة على مصر وتوليّة الملك المعز أيبك التركماني (648-655هـ/1250-1257م)، ثمّ إنه نور الدّين علي المنصور (655-657هـ/ 1257- 1259م) في منصب السّلطان،ثمّ أسرالمغول النّاصر واستولوا على دولته سنة 658هـ/1260م، را:إبن كثير، البداية والنّهاية، ج17ص386، والعيني، المصدر السّابق،ص94-97، والعصامي، سمط النّجوم العوالي في أخبار الأوائل والتّوالي، ص846-847.

[3]) قاسم عبده قاسم، الأيّوبيّون والمماليك، ص125.

[4]) تولّى قطز منصب سلطان مصر في أوائل ذي الحجّة 657 هـ/نوفمبر1259م، وتعهّد بنجدة الملك النّاصر قبل أن يأسره الجيش المغولي جنوب دمشق، ويحتلّها، فسارع جيش المماليك إلى استرجاعها بعد أن هزمهم في معركة عين جالوت يوم15رمضان658هـ/24أوت1259، ثُمّ تحالف مع الملك المنصور الأيّوبي أمير حماة.

ويعتبر عهد المماليك في مراحله الأولى (أنظر الجدول رقم:8) إمتدادًا لإنجازات العهد الأيّوبي على الصّعيدين السيّاسي والعسكري، ولاسيّما أنّهم حطّموا أسطورة الجيش المغولي الّذي لا يقهر، فهزموه أكثر من مرّة، كما أعادوا لمصر والشّام الوحدة السيّاسيّة[2]، ويتّضح ذلك جليًّا حينما قام سلطان المماليك الظّاهر بيبرس (658-676هـ/1260-1277م) بإخضاع أمراء الشّام ومُحاربة القوّات المغوليّة المرابضة على الجانب الشّرقي من الفرات، حينما إستغلّوا مقتل السّلطان قطز (657-658هـ/1259-1260م) لمهاجمة حلب وحمص سنة 659 هـ/1261م في ستّة آلاف فارس منهم ألف وأربعمائة من أتباعهم المسلمين،كما تعرّضوا لهزيمة أخرى في 5 محرّم 659هـ/11ديسمبر1260م على يد جيش من فرسان حماة وحمص وحلب[3]، والظّاهر أنّ الفرسان المسلمين الّذين شاركوا في المعركة الأخيرة ليسوا من جيش ماردين، لأنّها أميرها قرا أرسلان بن نجم الدّين إيلغازي إستسلم للمغول بعدها بأكثر من شهر، وصار من أتباعهم فـ:"لا يملك بجانبهم أمْرًا"[4]، ولكنّه كان مجبرًا على تجسيد ولائه لهم في حصار البيرة سنة 674هـ/1275م، فشاركهم بقسم من جيشه إلى جانب قوّات من إمارة الموصل، ومملكة سلاجقة الرّوم،والأكراد بما مجموعه خمسة عشر ألف فارس؛ شكّلوا نصف الجيش وشكّل المغول النّصف المُتبقّي ونزلوا قرب البيرة في 8 جمادى الآخرة /1نوفمبر1275م، ثُمّ نصبوا ثلاثة وعشرين منجنيقًا أحرقها أهل البلدة ليْلًا، فمكثت القوّات المتحالفة إلى 19من الشّهر نفسه/11نوفمبر، قبل أن تغادر خائبة، بعد أن بلغتهم الأخبار بمسير السّلطان الظّاهر بيبرس لقتالهم في جيش ضخم[5].

وفي السّنة التّاليّة إشتبك المماليك مع جيش المغول وأتباعه من الكرج وقوّات مملكة قونية في معركة الأبلستين[6] ذي القعدة 675هـ/14أفريل1277م[1]، وهيّ معركة لم يشترك فيها جيش ماردين[2]، وبالتّالي تجنّب مصير سلاجقة الرّوم حينما

وأمراء العربان في الشّام،وعيّن أتباعه على مدن الشّام، وقسّم بينهم الإقطاعات في دمشق وحمص وحلب، وكان من أسباب انهزام جيش المغول هوّأنّ هولاكو اتّبع ماذكره الملك النّاصر عن ضعف جيش مصر،ولم يكن يعتقد أنّ عرب الشّام ومصر من المتطوّعة سيشاركون في المعركة،فأخذ السّلطان الأيّوبي وإبنه وغادر الشّام؛بعد أن ترك فيها إثنا عشر ألف فارس مغولي فقط، ولمّا إنهزموا في المعركة السّابقة وقتل قائدهم "كتبغا"، إتّهم الملك النّاصر بتضليله فأمر بإعدامه،أمّا في مصر فقد دبّ الخلاف بين قطز وأمرائه، فاغتالوه وولّوا مكانه بيبرس في 6 ذي القعدة 658هـ/25أكتوبر1259م، را:إبن دقماق، المصدر السّابق، ص ص226و228و238و259-260و263-264و266و274-275، واليونيني، المصدر السّابق، ج ص236، وأبو الفداء، المختصر، ج4 ص199، وإبن كثير، المصدر السّابق، ج17 ص422، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5ص450-452، والعيني، المصدر السّابق،101 -107، وإبن تغري بردي، المصدر السّابق، ج7 ص51، والعصامي، المصدر السّابق، ص847.

[1]) إبن دقماق، المصدر السّابق، ص259.

[2]) محمّد ماهر حمادة، المرجع السّابق، ص57.

[3]) إبن كثير، المصدر السّابق، ج17ص422، و العيني، المصدر السّابق، ص113، و إبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص455-457.

[4]) رشيد الدّين فضل اللّه الهمذاني، المصدر السّابق، ص12-13.

[5])الذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات671-680هـ،ص17، ووإبن كثير، المصدر السّابق، ج17ص519، و الديّار بكري، المصدر السّابق، ج2 ص379، والعيني، المصدر السّابق، ص238-239.

[6])كان الظّاهر بيبرس في اتّصالات دائمة مع المُوالين له في مملكة قونية، ومن هؤلاء معين الدّين البرواناه، والّذي اتّفق معه سرًّا على إرسال قوّات دعم من الشّام ومصر إلى الأناضول لتخليص سلاجقة الرّوم من سيطرة الغزاة الجدد، ولاسيّما أنّ معنويّات المسلمين قد قويّت بعد انكسار المغول في البيرة، ثم إيقاف جيش حلب لهجوم كتائب مغوليّة في ذي القعدة 675هـ/أفريل1277م، وهوّ ما تسبّب في جو من اللّاثقة بين المغول وأمراء سلاجقة الرّوم، فقسّموا جيشهم إلى قسمين منفصلين، وقُتل من جيش السّلاجقة في المعركة أربعة من أهم أمرائه، وأُسر أكثر من خمسة عشر من أعيانهم، وأكمل جيش الماليك نصره بفتح قيصري ،ولمّا عاد السّلطان من المعركة توفيّ مريضًا في محرّم 676هـ/جوان1277م، أمّا المغول فقد انتقموا من أهلها بالقتل والنّهب والسّبي، بالرّغم من قيّام البرواناه-والّذي فرّ إلى إقطاعه في توقات-

عاقبهم أباقا خان المغول (663-680هـ/1264-1281م) بسبب خيانتهم وتواطؤهم مع جيش المماليك فيها، ثُمّ قرّر الإستعانة بقوّات ماردين في حصار الرّحبة في سنة 680 هـ / 1280م، فردّ سلطان مصر المنصور قلاوون (678-689هـ/1279-1290م) بإرسال ثلاثة آلاف فارس لفكّ هذا الحصار، لم يكونوا كافين بسبب وصول مدد لجيش المغول من بقيّة حُلفائه في الأناضول، فنزل مرعش فحارم، ثمّ شرع في محاصرة حلب، أمّا جيش المنصور قلاوون فتموقع بحمص،وجمع خمسون ألفًا من حلفائه، في حين كان تعداد جيش الخان يقدّر بخمسين ألف فارس مغولي، وثلاثين ألف فارس من حلفائهم من المُسلمين، والبيزنطيين،والأرمن، والفرنج (الصّليبيين) وخمسة آلاف من الكرج (الجورجيين)، أمّا جيش السّلطان فكان يتكوّن من خمسين ألف جندي تقريبًا[3].

كانوا أساسًا من العرب، والتركمان، والجند النّظامي من المماليك[4]، وأحرزوا النَّصر قرب حمص، وهوّ ما أدّى إلى تصفيّة الخان لعدد كبير من حلفائه المسلمين قبل وفاته في 681هـ/1282م[5].

ما لبث جيش الشام المملوكي أن هاجم ماردين سنة 684 هـ/1285م،وهوّ ما يدُلّ على حقيقة موقفهم من الأراتقة وإعتبارهم أعداء بعد مشاركة جيشهم في موقعة حمص، وكرّروا هجومًا آخر في 698هـ/1298م؛ فردّ عليهم الخان "غازان" سنة 699 ه/1299م، بسبب ارتكابهم الفضائع من قتل وسبي وانتهاك للمحارم في أرياف ماردين؛ والّتي شاهد أميرها ما حدث رأي العين، فسار إليه-وكان ذو مكانة خاصّة عند أمراء المغول- وأخبره -باكيًّا مُتذلّلًا- بشنيع أفعالهم في عزّ أيّام شهر رمضان، فجهّز جيشًا مؤلّفًا من عشرة آلاف تركماني وخمسة وعشرين ألف مغولي لغزو الشّام[6]، مستغِلًّا

بمراسلة الخان "أباقا"وإخباره بقدوم جيش المماليك لفتحها،ولكنّ الأخير قبض على البرواناه وأعدمه في آخرذي الحجّة 675هـ/ماي1277م، را:الذّهبي، تاريخ، حوادث661-670هـ، ص ص 27و30و65، وحوادث671-680هـ، ص ص 17-18و 25و27-28، ودوّل، ج2 ص196، وإبن العبري، المصدر السّابق، ص440-442، والعيني، المصدر السّابق، ص247-252، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص466.

[1]) الذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات671-680هـ، ص23-24، وإبن كثير، المصدر السّابق، ج17ص524، والعيني، المصدر السّابق، ص247، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص466، وإبن تغري بردي، المصدر السّابق، ج7 ص168-169.

[2]) العيني، المصدر السّابق، ص247-248، وإبن تغري بردي، المصدر السّابق، ج7ص168.

[3]) إبن العبري، المصدر السّابق، ص504، والذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات 671-680هـ، ص58، ودوّل، ج2ص203، وبيبرس المنصوري، مختار الأخبار، ص73، الديّار بكري، المصدر السّابق، ج2 ص379، واليافعي، المصدر السّابق، ج5 ص144، والعيني، المصدر السّابق، ص298-299، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص473.

[4]) الذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات671-680هـ، ص58، تجدر الإشارة أنّ جيش المماليك كان يتكوّن من خليط من الأجناس كالترك،والروم،والشركس، والأكراد، ولم يكن من العناصر المصريّة أو الشّاميّة سوى ما كان يلحق به في الحملات الحربيّة من الفقهاء، والمقرئين، والصنّاع، را:علي إبراهيم حسن، المرجع السّابق، ص347.

[5]) الذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات671-680هـ، ص57، ودوّل، ج2 ص203، وإبن خلدون، المصدر السّابق،مج5ص473.

[6]) أبوالفداء، المختصر، ج4 ص42، والتّبرالمسبوك في تواريخ الملوك، ص86، والذّهبي، حوادث ووفيّات 681-690هـ، ص6، والعيني، المصدر السّابق، ص 563، وإبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص489-490.

الصّراع الدّاخلي لأعدائه وسقوط هيبتهم فيها [1]، واحتلّ دمشق، فأطاعه أهلها وخطبوا له على منابرها، وهوّ الّذي كان قد إعتنق الإسلام في 694هـ/1294م[2].ولا يخفى ما لهذا الأمر من أهمّيّة بالنّسبة للأراتقة، فإسلام غازان خان [3]؛ أزاح عن كاهلهم تهمة الردّة والّتي لازمتهم منذ أن اختاروا التّبعيّة للمغول على محاربتهم، وما يدلّ على الطابع الجديد لدولة مغول فارس هوّ أنّ غازان تحمّس بشدّة لهذه الحرب بعد أن أخبره أمير ماردين بما ارتكبه جيش المماليك في بلاده في رمضان واستنكاره ذلك، وجمعه للقضاة وعلماء الدّين ببلاده من أجل الخروج بحلّ شرعي يجيز له محاربة إخوانه المسلمين[4].

لم يمكث الخان طويلًا في الشّام، فإن كان نجح في احتلال دمشق وترك حاميّة فيها، فإنّه عجز عن الإستيلاء على قلعتي حلب فغادر الأراضي الشّاميّة سنة 700هـ/1300م، وصالَح سُلطان المماليك النّاصر محمّد بن قلاوون (698-708هـ/1298-1308م)، ثمّ عاد في تسعين ألف فارس؛ واستولى على حلب وحماة، وحاصر حمص وبعلبك[5]، فسيّر السلطان لطرده جيشًا من مصر[6]، وانضمّ إليه الكثير من المتطوّعة العرب والتركمان وجيش الشّام، ودحره في موقعة شقحب غُرّة رمضان 702هـ/19أفريل1303م[7]، بعد أن أعاقت الظروف المناخيّة جيش غازان[8]، و لم يفتر أراتقة ماردين من خدمة

دولة المغول، ومعاداة سلاطين مصر بسبب ذلك، ففي سنة 710هـ/1310م، أحسن أميرهم المنصور نجم الدّين إيلغازي الثّاني (693-712هـ/1293-1312م) لمجموعة من أمراء الشّـــام تمرّدوا ضدّ السّلطة المركزيّة في القاهرة [9]، فمنحهم تسعين ألف درهم، وخصّص لهم رواتب إلى حين التحاقهم بخدمة الخان المغولي[10].

وفي سنة 715هـ/1315م سيّر خان المغول"خربندا"(703-716هـ/1302-1316م) إلى الشّام الأمير التركماني قراسنقر وأمر حُلفاء المغول في ديّار بكر والعراق بمدّه بما يحتاجه من فرسان ومؤونة، فهاجم مدينة الرّحبة وحاصرها لثلاثٍ

---

[1]) علي إبراهيم حسن، تاريخ المماليك البحريّة، ص147.

[2]) الذّهبي، تاريخ، حوادث ووفيّات691-700هـ، ص ص70-74و80، والعيني، المصدر السّابق، ص590-592.

[3]) الذّهبي، دوّل، ج2 ص221.

[4]) العيني، المصدر السّابق، ص563.

[5]) إبن كثير،المصدر السّابق، ج18ص22-23، وإبن خلدون،المصدرالسّابق،مج5ص ص492-493و495و648.

[6]) إبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص495.

[7]) إبن كثير،المصدر السّابق، ج18ص25.

[8]) الذّهبي، دوّل، ج2 ص231.

[9]) كان المماليك يقسّمون دولتهم إلى أقاليم أو مديريّات،كلٌ منها يُسمّى مملكة،وتُسمّى الدّولة كلُّها الممالك الإسلاميّة،وكان نائب دمشق أهم نوّاب الأقاليم،حتّى أنّ رتبته كانت تساوي رتبةنائب السّلطنة في القاهرة، وكان يطلق عليه لقب "كافل الممالك الشّاميّة"، ويصدر بتعيينه في وظيفته تقليد خاص،وينوب عن السّلطان بشكل مباشر في إدارة شؤون نيّابته،ويتمتّع بنفس صلاحيّاته ونفوذه؛ولكن على مستوى بلاد الشّام فحسب،ويتم اختيّاره غالبًا من السّلك العسكري، ولكنّ السّلطان يحرص على مراقبته بتعيينه لكبار موظّفي مملكة دمشق وبخاصّة ديوان الإنشاء، أمّا بقيّة نيّابات الشّام فهيّ: حلب، صفد، الكرك، قلعة دمشق، غزّة،حمص، الشوبك، والحصون السّاحليّة، را: علي إبراهيم حسن، تاريخ المماليك البحريّة، ص282-283.

[10]) إبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص505، وهؤلاء الأمراء هم: قرا سنقر المنصوري نائب دمشق وبعدها حلب، ومعه آقوش الأفرم نائب طرابلس الشّام، وأمير العرب مهنّا بن عيسى وغيرهم.

وعشرين يومًا، ثمّ هادن أهلها مقابل دخولهم في طاعة الخان [1]، ولكنّ الفترة الّتي امتدّت من وفاته عام 716هـ/1316م إلى إلى وفاة الخان أبوسعيد في 736هـ/1335م شهدت تحسّنًا وسلامًا في العلاقات المغوليّة-المملوكيّة [2]، بسبب إنشغال الخانات بمحاربة تمرّدات الأمراء المحليين من التركمان، وظهور بوادر الضعف والإنحلال في إمبراطوريّتهم ، وبالأخص بعد وفاة الخان أبوسعيد في 736هـ/1335م حينما إستقلّ الأمراء بولاياتهم كالشيخ حسن الكبيربالعراق،وحسن الصّغير بن دمرداش في أذربيجان، والتركمان في الموصل وأعالي الجزيرة، وعملوا على التّحالف مع مماليك مصر، وحدثت بينهم حروب راح ضحيّتها عدد كبيرمن أمراء الجيش المغولي[3].

2)فترة حكم المماليك البرجيّة(784-812هـ/1382-1409م):

تعرّضت إمارة ماردين في سنة 789هـ/1387م لهجوم جيش تيمورلنك (أنظر الخريطتين رقمي: 10و11)، بسبب مُراسلة أميرها مجد الدّين عيسى (778-809هـ/1376-1406م) للسّلطان الظّاهر برقوق (784-801هـ /1372-1398م) من أجل مساعدته في تأديب أحد الأمراء المتمرّدين في 784هـ/1382م فسار بقوّاته إلى الخابور، وعرض عليه أن يدخل أراضي دولته، لقمع تمرّدٍ قام به نائب الشّام إيل بغا النّاصري، فلم يأذن له السُّلطان في ذلك، فهذا يدلّ على أن إمارة ماردين كانت تبحث عن إنشاء علاقة جديدة مع المماليك ،قوامها التبعيّة لهم مقابل الحصول على حمايتهم فمجد

الدّين كاتب الظّاهر برقوق في 26رمضان792هـ/7سبتمبر1389م يطلب رأيه حول تلبيّة دعوة أرسلها له تيمورلنك فحواها إجباريّة حضوره إلى تبريز[4].

كما استمرّ التّحالف بينهما من خلال عمليّات القضاء على تمرّدات نوّاب الشّام، ففي 793هـ/1390م ؛ألقى أمير ماردين القبض على ثلاثة عشر أميرًا بمماليكهم حينما لجئوا إلى قلعته،ثمّ أرسل سلطان مصر فرقة عسكريّة لإحضارهم، فسلّمهم الأمير الأرتقي الأسرى في بلدة رأس العين وأرسل اعتذارًا للسّلطان حول تعذّر مجيئه إلى القاهرة وتسليمهم بنفسه [5]، فكان مجد الدّين يسعى للحفاظ على علاقات جيّدة مع سلطان المماليك بسبب تعرّضه لضغوطات تيمور لنك الكبيرة؛ والّذي أرسل إليه مرّة أخرى مبعوثيه مرفوقين بالخلعة والصّلة والأمر بالحضور إلى تبريز في شوّال 795هـ /1392م، فأرسلها

---

1) أبو الفداء، المختصر، ج4 ص42، والذّهبي، دوّل، ج2 ص246.

2) حمدي عبد المنعم، دراسات في تاريخ الأيّوبيين والمماليك، ص221.

3) الذّهبي، دوّل، ج2 ص ص257و281، و إبن خلدون، المصدر السّابق،م ج5 ص650-652.

4) إبن تغري بردي، المصدر السّابق، ج11 ص264 وج12 ص43، وإبن قاضي شهبة، المصدر السّابق، مج1ج3، ص ص216و269.، ***وتبريز:*** كانت قرية حتّى القرن الثّالث الهجري(التّاسع الميلادي)،وأصبحت في القرن السّابع الهجري(الثّاني عشر ميلادي)أكبر وأهم مدينة في إقليم أذربيجان،وعُرفت منذ تأسيسها بصناعة النّسيج،و لم يُخرّبها المغول حينما دخلوها سنة 618هـ/1221م،وأصبحت من عواصم دولتهم في إيران،را:كي لسترنج،المرجع السّابق،ص195-198.

5) إبن قاضي شهبة، المصدر السّابق، م1ج3 ص385-386.

الأمير الأرتقي بدوره إلى القاهرة، وكرّر مرارًا رسائل الإستنجاد، غير أنّ مدينته سقطت في يد الجيش التيموري في أوائل 796هـ/نوفمبر1393م، واعتصم الأراتقة بقلعتها الحصينة، ثمّ غادر تيمورلنك إلى بلاد الرّوم، فبغداد ،فخلاط،فالمشرق، وتجدّدت المراسلات بين ماردين والقاهرة، حيث أرسل الأمير الأرتقي إلى سلطان مصر رسولًا يجدّد الولاء في ذي الحجّة 796 هـ / أكتوبر1394 م،فعاد مرفقًا بتقليد بالولاية وخلعة وسيف،وتأتي هذه الخطوة من جانب الأراتقة ردًّا على أخبار وصلت القصر الملكي في القاهرة فحواها خضوع الأراتقة للدّولة التيموريّة، وإرسالهم كتب الطّاعة والأموال والهدايا إلى تبريز[1].

وعاد أمير ماردين لإقامة الخطبة وضرب السكّة باسم سلطان المماليك في 801هـ/1399م، كتعبير عن نقض قيّامه بذلك في798هـ/1396م لتيمورلنك بعد أن عفا عنه،وأحسن معاملته حينما أسره، وقام نائب ماردين ألتون بغا بتحصينها وحمايتها من القوّات التيموريّة المحاصِرة، وتنصيب الملك الصّالح أحمد بن إسكندر على العرش الأرتقي[2]،بعدأن ذكر الملك الظّاهر مجد الدّين عيسى للخان المغولي أنّه لا يملك أمرًا في تسليم القلعة،وأنّه لا يملك إلّا نفسه فسلّمها إيّاه[3]، وبعد أن رحل تيمورلنك؛ فرّ علاء الدّين ألتون بُغا نائب المماليك في ماردين إلى القاهرة من مجد الدّين عيسى، لأنّ تيمور توعّده بالإنتقام فخشيّ على نفسه من الغدر[4]، ولاسيّما حينما حاصر ماردين ثانيّة، غير أنّه لاقى رفضًا وتمنّعًا من جانب أميرها مجد الدّين عيسى ؛فندم على إطلاق سراحه[5]، وغادر إلى بلاد الرّوم، ثم عاد لاحقًا لتدمير تحصينات عاصمة الأراتقة في 10رمضان

803هـ/24أفريل1401، ولكنّه غادر خائبًا إلى غير رجعة[6]، والحقيقة أنّه لم يلتقي أبدًا مع جيش المماليك في معركة حاسمة تُختَبَر فيها موازين القوى بين الطّرفين[7].

وكان أتابك حلب سودون الظّريف من جملة من أسرهم تيمور في حملته على الشّام، ولكنّه نجح في الفرار، ولجأ إلى مجد الدّين عيسى فأرسله إلى القاهرة في ذو القعدة 803هـ/جوان 1402م[8]،ثمّ قام أطلمش –أحد أمراء الجيش التيموري- بإرسال كتاب كتاب إلى أمير ماردين ليقوم بإرساله عن طريق أحد الثّقات إلى مصر وهوّ البدر محمّد بن التّاج حسين بن البدرحسن الكيلاني من وجهاء المدينة، وتضمّنت الرّســالة تهديدابغزومصر،وتقليدًا لسلطانها بحكمها – نيّابة عن تيمورلنك- إن أطاعه[9].

---

[1]) إبن خلدون، المصدر السّابق، مج5 ص604، وإبن عربشاه، المصدر السّابق، ص98-99، وإبن قاضي شهبة، المصدر السّابق، م1ج3 ص ص472 و 502 و 508.

[2]) إبن قاضي شهبة، المصدر السّابق، م1ج3 ص ص588و604، و إبن شاهين الظّاهري، المصدر السّابق، ج3 ص13.

[3]) إبن عربشاه، المصدر السّابق، ص41.

[4]) إبن قاضي شهبة، المصدر السّابق، ص604.

[5]) إبن عربشاه، المصدر السّابق، ص70.

[6]) إبن تغري بردي، المصدر السّابق، ج12 ص264-265.

[7]) محمود سليم رزق، المرجع السّابق، ص254.

[8]) الصّيرفي، المصدر السّابق، ج2 ص116.

[9]) السخّاوي، المصدر السّابق، ج1 ص426-427.

في سنة 804هـ/1401م حدثت فتنة داخليّة في دولة المماليك بين أمراء الشّام وأمراء القاهرة، وقاد التمرّد في الشّام الأميرين جكم(تشكم)[1]؛ ونوروز وتحالفا مع تركمان الشّام وزعيمهم خليل بن قره جه بن دولغادر، فأعلن جكم إستقلاله بحلب، وحماه ،وطرابلس، وجمع حوله الفقهاء، والقضاة، والأعيان، والعساكر، واشترى لنفسه ألف مملوك، ونصّب نفسه سلطانًا بدعم من الفقهاء وأعيان حلب، ولقّبوه بالعادل، وضُربت السكّة باسمه، وخُطب له على منابر الشّام، وخضع له أغلب أمرائها، ثمّ دخل في هذا الحلف قرا يوسف التركماني، وهزموا جيش السّلطان في الرّستن في 5 ذي الحجّة 808هـ/24ماي1406م[2].

ولكنّ جكم وحليفه الأمير نوروز تقهقرا بقوّاتهما هربًا من جيش قاده السّلطان بنفسه على دمشق وحلب، فاستعادهما في ربيع الآخر 809 هـ / سبتمبر-أكتوبر 1406م، ورأى جكم أنّه من الضّروري إخضاع أمير التركمان "قرايلوك" ليتمكّن من الإطمئنان على قواعده الخلفيّة حين يزحف بجيشه على مصر[3].

أمّا مجد الدّين عيسى فلم يكن يملك من حلّ سوى التّحالف مع جكم لقيّامه بحملة شرق الفرات، هاجم فيها البيرة وقتَل حاكمها، وعَسْكَرَ قرب ماردين وأرسل في طلب أميرها فشارك إلى جانبه في معركة ضدّ أمير ديار بكر عثمان بن طورعلي بن قرايلوك التركماني في 27 ذو القعدة 809هـ/6أفريل1407م، فانتصر جكم ومن معه أوّلًا، وأخذوا كلّ قلاع دياربكر إلّا آمد، فأرسل أميرها يطلب الصّلح، فرفض جكم، وقتل إبنه الأمير إبراهيم بيده، فاستدرجهم إبن قرايلوك إلى آمد، وفتح الميّاه من الصّهاريج في ربضها فأعاقت الميّاه تحرّكات فرسان جكم وحلفائه، فأبادهم التركمان، وقتلوا كثيرًا من أكابر أمراء الشّام، وأوّلهم جكم، ومعهم مجد الدّين عيسى، وحاجبه زين الدّين فيّاض،ووصل الخبر إلى القاهرة فسُرَّ أمرائها بذلك،و أرسل قرايلوك رأس عدُوّه إلى السّلطان النّاصر فرج[4].وكان هذا تمهيدًا لاستيلاء قرايلوك على ماردين في 811هـ/1408م، بعد أن بقيت دون حليف قوي، فانتهى بذلك حُكم أراتقة ماردين[5] .

ثانيًا:علاقة الأراتقة بالقوى السيّاسيّة في الجزيرة والأناضول بعد الغزو المغولي.

دمّر الغزو المغولي النّظام الإقطاعي لسلاجقة الرّوم لصالح تركمان الحدود [6]، الّذين هاجروا بسببه إلى منطقة الأناضول واستقرّوا في المناطق الرّعويّة مُتخذين دولة سلاجقة الرّوم نموذجًا يُحاكونه لإنشاء كيّاناتهم السيّاسيّة[7]، ولكنّ المغول مالبثوا أن أن اتّخذوا النّظام الإقطاعي لتسيير شؤون دولتهم المتراميّة الأطراف إذ أنّ احتلالهم لهذه المناطق لم يترك أثرًا يذكر من النّاحيّة

[1]) **جكم:** هوسيف الدّين بن عبداللّه بن عوض الظّاهري، من عتقاء الملك الظّاهر برقوق، ثمّ ترقّى إلى أمير ألف فارس، وكان عادلًا في ولايته، حتّى صارت إحدى المقولات فيه مثلًا (حكم جكم فما ظلم)، ولو توجّه إلى القاهرة، لاستولى على منصب السّلطان بسهولة، لسمعته الحسنة وسط رعاياه وجند المماليك في بلاد الشّام، ومصر، وكان عفيفًا، متديّنًا، خيّرًا، ذا هيبة،و قوّة، وشجاعة، ودهاء، را: إبن تغري بردي، المنهل الصّافي، ج4، ص ص314و323-324.

[2]) العيني، السّيف المُهنّد في سيرة الملك المؤيّد شيخ المحمودي، ص247، وإبن تغري بردي، النجوم الزّاهرة، ج12 ص282-286، وإبن الصّيرفي، المصدر السّابق، ج2 ص229، والسخّاوي، المصدرالسّابق، ج1 ص ص432و447.

[3]) السخّاوي، المصدر السّابق، ج1 ص447-448.

[4]) المقريزي، المصدر السّابق، ج6 ص184-185، والعيني، السّيف المُهنّد، ص249، وإبن تغري بردي، المنهل الصّافي، ج4ص322، وإبن الصّيرفي، المصدر السّابق، ج2 ص320-321، والسّخاوي، المصدر السّابق، ج1 ص448.

[5]) إبن شاهين الظّاهري، المصدر السّابق، ج3 ص176.

[6]) كلود كاهن، المرجع السّابق، ص263.

[7]) زبيدة عطا، المرجع السّابق، ص147.

العرقيّة،بل إرتكز على العناصر التركمانية التي شرعت في الإستقواء على الدّولة الإيلخانيّة(654-736هـ/1256-1335م)؛ وبخاصّة في القسم الغربي منها[1]، ويُفسّر هذا الأمر بأنّ المغول إحتلّوا مناطق تكثر فيها الشعوب التركية،وهم جنسٌ يتشابه معهم في كثيرمن الطّبائع والعادات والتّقاليد،والأصول العرقيّة،ولكن بمستوًى حضاري أرقى منهم بكثير، فتمّ التّساهل في انضمامهم للجيش حتّى صاروا مع مرور الوقت يُشكّلون ركيزته الأساسيّة[2].

كان الأمير تشوبان (جوبان) الحاكم الفعلي لدولة مغول فارس(لاحظ الخريطة رقم12 والجدول رقم9) بعد أن بقيّ وصيًّا على عرشها مدّة طويلة تمكّن خلالها من تدعيم نفوذه،وزيّادة إقطاعاته[3]، وتزويج إبنته بغداد خاتون للخان أبوسعيد قبل أن يُدبر قتله في 728هـ/1327م[4]، فاضطُرّ إبنه تيمور طاش (718-728هـ/1318-1327م) إلى ترك ولايته ببلاد الرّوم، والإلتحاق بخدمة السلطان المملوكي النّاصر محمّد (709-740هـ/1309-1340م) في لقاهرة سنة 728هـ/1327م[5]، ولكنّ خان المغول أبرم معاهدة صلح مع المماليك كان من بين شروطها إعدام الأمراء المتمرّدين ومن بينهم تيمورطاش في 4شوّال728هـ/23أوت 1327م بحضور مبعوث الخان أبي سعيد بهادر[6]،وبعد وفاة هذا الأخير في 736هـ/1336م[7] بسبب سُمّ دسّته له بغداد خاتون إنتقامًا من مقتل أخيها وأبيها على يديه [8] لم يتبقى وريثٌ للعرش،

---

[1]) إدوارد بروي وآخرون، المرجع السّابق، ص ص550و556-557.

[2]) رجب محمّد عبده، المرجع السّابق، ص81-82.

[3]) أبو الفدا، المختصر، ج4 ص96.

[4]) إبن تغري بردي، المنهل الصّافي، ج5، ص34.

[5]) النّويري، المصدر السّابق، ج33 ص191-193.

[6]) أبوالفدا، المختصر، ج4 ص99.

[7]) إبن كثير، المصدر السّابق، ج 18ص382، وأبو الفدا، المختصر، ج4 ص118.

[8]) عبد السّلام عبد العزيز فهمي، تاريخ الدّولة المغوليّة في إيران، ص228.

فانقرضت الأسرة المغولية الحاكمة[1]، وبقيّ أمراء من بيت هولاكو يسيّرون شؤونها حتّى 756هـ /1355م[2]، وتنازع أمراء الجيش حول ولاياتهم، وكان ممّن جاور ماردين منهم: إبراهيم شاه بن الأمير سنيّه في الموصل وديّار بكر، والأمير أرتنا (736-753هـ/1335-1352م) في بلاد الرّوم (لاحظ الخريطة رقم13)، والشيخ حسن كوتشك (728-744هـ/1327-1343م) بن تيمور طاش بن تشوبان في أذربيجان وبلاد الكرج[3].

أمّا الأمير علاء الدين أرتنا بن جعفر فقد تنافس على الأناضول مع الشيخ حسن الصّغير وانتصر عليه، ثم استقلّ عن سلطة المغول وأعلن تبعيّته لدولة المماليك،ثُمّ خلفه إبنه محمّد في 753هـ/1352م[4]، وكان قد صاهر صاحب ماردين الملك الصّالح شمس الدّين (712-765هـ/1312-1363م) ومنحه خرتبرت في 748هـ/1347م، وكان مُصرًّا على تزويج أحد أبنائه من إبنة الأمير الأرتقي إلى درجة أنّ وفاة إبنه الأمير حسن لم تمنع إتمام عمليّة المصاهرة؛ فآلت العروس لإبن آخر لأمير قيصري[5].

وكان الشّيخ حسن برزك الجلائري (736-757هـ/1335-1356م) قد انتزع من تركة خانات تبريز العراق العربي، واتّخذ بغداد عاصمة لدولته في 739هـ/1338م، فعمل على توطيد سلطانه، واكتساب محبّة رعيّته، ودعّم مذهبه الشّيعي[6]، ثُم أعلن الحرب على بني تيمور تاش-أمراء أذربيجان-في 746هـ/1345م، وامتدّت المعارك إلى ماردين بعد أن لاحقت قوّات الجلائريين الأمير سلطان شاه حينما لجأ إلى الأراتقة، فحاصروها دون جدوى، ثمّ دمّروا أريافها[7].

قام الأكراد بالإلتفاف حول زعيم لهم إسمه"هندو"، وساروا معه إلى الموصل سنة751هـ/1350م، ودخلوها، فاستغلّ التركمان هذه الإضطرابات وانضمّوا إلى أتباع هندو وعينوا فارسًا إسمه نجم زعيمًا لهم ، وتحصّن الثُوار بسنجار، وأغاروا على الرّحبة، وتطلعوا لماردين، فنهبوا أريافها وحاصروها، فأنجد مماليك الشّام الملك الصالح شمس الدين الأرتقي، وحاصروا سنجار، فطلب هندو الأمان والخضوع للسّلطان قبل أن يتحايل في الفرار[8]، ثمّ قام أمير ماردين في أواخر 754هـ / أواخر1353م بالقضاء على بدرالدّين حسن بن هندو والذي سيطر على سنجار والموصل، وكانت علاقته به سيّئة بسبب قيّامه في مرّاتٍ عدة بدعم عناصر من قطّاع الطرق، سبّبوا الفوضى والإضطرابات في كامل بلاد الجزيرة[9].

كما انتهز بيرم خوجا زعيم قبيلة قرا قيونلو وفاة أويس بن الشّيخ حسن في 2جمادى الأولى 776هـ /30 أكتوبر1374 م واستولى على الموصل، وسنجار[10]، بالتزامن مع إنتصار جيش المماليك في 11جمادي الأولى/8 نوفمبرعلى تركمان إمارة

---

1) إبن تغري بردي، المنهل الصّافي، ج3 ص443.

2) عبد السّلام عبد العزيز فهمي، المرجع السّابق، ص228.

3) إبن بطّوطة، المصدر السّابق، ص231.

4) إبن شاهين الظّاهري، المصدر السّابق، ق1ج1، ص238.

5) إبن تغري بردي، المنهل الصّافي، ج5، ص68.

6) عبد الرّزّاق محمّد أسود، موسوعة العراق السّياسيّة، ج1، ص375.

7) إبن تغري بردي، المصدر السّابق، ج10 ص123، وإبن شاهين الظّاهري، المصدر السّابق، ق1ج1، ص117.

8) إبن شاهين الظّاهري، المصدر السّابق، ق1ج1 ص209.

9) إبن تغري بردي، المصدر السّابق، ج10 ص295، و السخّاوي، المصدر السّابق، ج1 ص136.

10) عبد الرّزّاق أحمد أسود، المرجع السّابق، ص376.

ذولغادر قرب مرعش[1].

إستولى قرامحمّد تورمش بن بيرم خوجا (780-790هـ/1378-1388م) على تبريز،وضرب السكّة باسم السّلطان الظّاهر برقوق (784-801هـ/1382-1398م) في 2ذوالقعدة784هـ/7 جانفي1383م،وسارعلى نهجه لاحقًا عمه أمير الموصل مصر خوجا في شوّال 787 هـ/ نوفمبر 1385م وكانت حدود إمارته تصل إلى ماردين[2].

ساعد قرا محمّد المماليك ضد تيمورلنك و هاجم بألف جندي قوّاته المرابطة في نواحي ماردين سنة 789هـ /1387م، ثمّ خادع بقيّة الجيش في كمين قرب الرّها فقتل أغلب عناصره [3]، وبقي يدعم سلطان المماليك بالفرسان التّركمان، وحافظ على علاقة التّحالف مع إمارة ماردين، كما حارب الأمير سولي بن قراجا بن ذو القادر (788-800هـ/1386-1397م) في ربيع الآخر 791هـ/أفريل1389م[4]، ثمّ هاجم تبريز في سنة 792 هـ / 1390م وأقام بها ثانية الخطبة وضرب فيها السكة باسم السّلطان الظّاهر برقوق،واتُّخذ نفس الإجراء في ماردين وسنجار،وأرزن الرّوم، والموصل [5]، وحينما وحينما طلب الأخير من نوّاب الشّام تسليمه بعض الأمراء المتمرّدين من أمير ماردين، حاول الأمير سولي عرقلة العمليّة فوعد أمير ماردين بمحاربته وتسليمه في 793هـ/1391م[6].

أقام أمراء بغداد، والموصل، وماردين الخطبة لسلطان القاهرة في 797هـ/1395م لإظهار خضوعهم وتبعيّتهم لدولة المماليك[7]،وذلك للرّدّ على إعلان السّلطان أحمد بن أويس تبعيّته لتيمورلنك وضرْب السكّة باسمه، غير مُدرك وقوعه في إحدى حيَله إلا حينما هاجم بغداد بشكلٍ مُفاجيء في 21شوّال795هـ/31أوت1393م، ولاحق جيشه الحاكم الجلائري إلى الحلّة،ثمّ الرّحبة[8]، و في نهاية المطاف نجا إلى حلب في مئتي فارس[9].

وإستولى أراتقة ماردين على الموصل وسنجار في ذوالقعدة 800هـ/أفريل 1397م[10]،ثمّ منح سلطان المماليك لأمير تبريز والموصل قرا يوسف نويان (790-810هـ/1387-1407م) بن قرا محمّد سلطة تسيير شؤون الرّها في سنة 801هـ /1397م، فتحالف بدوره مع أحمد بن أويس في 802هـ/1398م لإعادته إلى بغداد بعدما أخرجه أهلها لسوء سيرته[11]، وكبّدوهما خسائر بشريّة فادحة في ذي القعدة 802هـ/جويلية1400م، ففرّا إلى شاطيء الفرات، أين منعهما نائب

---

[1]) إبن قاضي شهبة، المصدر السّابق، م1 ج3، ص60.

[2]) إبن تغري بردي، المصدر السّابق، ج11 ص255 ، و إبن قاضي شهبة، المصدر السّابق، م 1ج3، ص164.

[3]) إبن قاضي شهبة، المصدر السابق، م1 ج3، ص216-217.

[4]) نفسه، م 1ج3، ص ص269و313.

[5]) إبن تغري بردي، المصدر السّابق، ج12 ص115.

[6]) إبن قاضي شهبة، المصدر السّابق، م1ج3، ص386.

[7]) السخّاوي، المصدر السّابق، ج 1ص379.

[8]) إبن تغري بردي، المصدر السّابق، ج12 ص43-44.

[9]) إبن قاضي شهبة، المصدر السّابق، م1ج3، ص473-474..

[10]) نفسه، م1ج3، ص663.

[11]) إبن شاهين الظّاهري، المصدر السّابق، ج3 ص43، و إبن تغري بردي، المصدر السّابق، ج 12ص175.

حلب دمرداش المحمّدي من دخول الشّام، ثمّ انتصر عليهما في 13ذي الحجّة/5أوت[1]، فغادرا إلى سيواس إلى أن أخذها القوّات التيموريّة في محرّم 803هـ/أوت-سبتمبر1400م[2].

وكان أميرالآق قيونلو بهاء الدين قرايلوك عثمان (780-839هـ/1378-1435م) بن فخر الدين ممّن إنضمّ لجيوش تيمورلنك بعد أن كان والده من أمراء دولة الأراتقة [3]؛ فشاركه في حروبه بآسيا الصّغرى وأرمينيّة، وفي حصار ماردين الفاشل

سنة 802هـ /1400 م[4]، بخلاف الخان أحمد بن أويس، وأمير التركمان قرا يوسف اللذان كانا في صفّ المماليك[5].

كان قرايلوك شديد الطّموح، إذ عمل على فتح قلعة الرّها، والكختين، وبهسنى، وكركر، وأدنه وغيرها في سنة واحدة (807هـ/1404 م) باستعمال عدد كبير من التركمان [6]، وبعد مقتل جكم أقرّه السّلطان النّاصر فرج (801-808هـ/1399-1405م) على نيّابة الرّها، و أعلن الحرب على قرا يوسف حليف المماليك[7]، والّذي وقع مع أحمد بن أويس أسيرًا لدى نائب دمشق الأمير سيف الدّين شيخ المحمودي ثانية في 806هـ/1403م[8]، ثمّ أطلق سراحهما في 807هـ/1404م، فانضمّا إلى جانب أمير ماردين وجكم في حركته التمرّديّة (804-809هـ/1402 -1407م)[9]، ثُم ثُم تعرّض شمال الشّام لهجوم من التركمان بقيّادة الأمير علي بك بن خليل بن دولغادر في محرّم 810هـ /جوان – جويلية1407م، بعد أن خلت من عساكر المماليك الّذين قُتلوا قرب آمد مع جكم [10]. وما لبث أن استغل الأمير قرايلوك سيطرته على الجزيرة وشمال الشام فهاجم ماردين في ذي الحجّة 811هـ/ ماي1409م، ومنح للصّالح أحمد بن إسكندر الأرتقي الموصل بدلًا من ماردين، فوافق ومالبث أن قُتل بها مسمومًا بعد 3أيّام[11].

---

[1]) المقريزي، السلوك، ج6 ص34، و إبن تغري بردي، المصدر السّابق، ج12 ص215-216.

[2]) المقريزي، السلوك،ج 6 ص 37، و إبن تغري بردي، المصدر السابق، ج12 ص26، وإبن شاهين الظّاهري، المصدر السّابق، ج3 ص46.

[3]) إبن تغري بردي، المنهل الصّافي، ج 7، ص425.

[4]) إبن عربشاه، المصدر السّابق، ص70.

[5]) محمود سليم رزق، المرجع السّابق، ص254.

[6]) إبن شاهين الظّاهري، المصدر السّابق، ج3 ص121.

[7]) إبن تغري بردي، المنهل الصّافي، ج7، ص425.

[8]) إبن تغري بردي، النجوم الزّاهرة، ج12 ص302.

[9]) إبن شاهين الظّاهري، المصدر السّابق، ج3 ص118، وإبن تغري بردي،ا لمصدر السّابق، ج12 ص314.

[10]) الصّيرفي، المصدر السّابق، ج2 ص238، و إبن شاهين الظّاهري، المصدر السّابق، ج3 ص153.

[11]) إبن شاهين الظّاهري، المصدر السّابق، ق1ج1، ص176.

الفصل الخامس:

علاقة الأراتقة بالقوى الإقليميّة غير الإسلاميّة.

أوّلًا:موقف الأراتقة من الغزو الصّليبي للشّرق الإسلامي.

ثانيًا:إنكسار إمارة ماردين أمام الغزو المغولي.

ثالثًا:علاقة الأراتقة ببقيّة القوى المسيحيّة في الشّرق الإسلامي.

1-الكرج.

2-الدولة البيزنطيّة.

3-القوى الأرمنيّة.

أوّلًا:موقف الأراتقة من الغزو الصّليبي للعالم الإسلامي:

1-قبل إستيلاء إيلغازي على حلب في 511هـ/1117م:

ظهرت القوّات الصليبيّة في الأراضي الإسلاميّة سنة490هـ/1096م[1]،ولقد حاربها أبناء أرتق بن أكسب ضمن قوّات المقاومة الإسلاميّة قبل أن يؤسّسوا ملكهم[2]،وبعد أن استقرّت أمور سقمان بن أرتق في حصن كيفا سنة 495هـ/ 1101م،إتّفق مع جكرمش أمير الموصل على الجهاد ضدّ الصّليبيين في 497هـ/1104م[3]،وذلك للرّدّ على هجومات قوّات الرّها وتل باشر وأنطاكية على المدن والقلاع الإسلاميّة في أعالي الجزيرة والّتي كان الهدف منها قطع خط الإمدادات المُتّصلة

---

[1])دخلت القوّات الصّليبيّة أراضي سلاجقة الرّوم،وتمكّنوا من الإنتصار عليهم في 20رجب490هـ/جانفي 1097م،كبداية لحرب قامت على أساس إستعادة الأراضي المقدسة في فلسطين لصالح الكنيسة الكاثوليكية في روما،وهي حرب تشعبت أسبابها من إقتصادية إلى سياسية إلى إجتماعية،،وكانت هذه الحملة تتكوّن من أربعةجيوش :جيش اللّورين وشمال فرنسا ،وجيش بروفونس، ،وجيش نورموندي ،والجيش الرّابع يتكوّن من المُتطوّعة من فرسان برغنديّا، واللّورين،وفلاندرز،وبقيّة فرنسا،وإيطاليا ،وكان عدد المقاتلين حوالي 700ألف، وسبقت الحملة الأولى حملة غير نظاميّة لفرسان وأمراء من فرنسا، إلتفّ حولهم عدد كبيرمن الفلّاحين والفقراء والحُثالة،وساروا وراء "بطرس النّاسك"، را:إبن القلانسي ،المصدرالسّابق ص 218، والذّهبي،دوّل،ج2ص425، ويوحنّا أبكاريوس،قطف الزّهور في تاريخ الدّهور،ص143،قتيبة الشهابي، صمود دمشق أمام الغزو الصّليبي،ص 36-39،ومصطفى وهبة،موجز تاريخ الحروب الصّليبيّة،ص 21-25،عصام عبد الرّؤوف الفقّي،المرجع السّابق،ص ص127-128و137.

[2])شارك الأمير سقمان بن أرتق مع ياغي سيّان أميرأنطاكيّة،والأمير كربوقا في شعبان 490هـ/جويلية-أوت1096م في حملة السّلاجقة لإنقاذ أنطاكية،من جيش صليبي قارب المائة ألف إستهدف السّيطرة عليها لأهمّيتها العظيمة من النّاحيّة الإستراتيجيّة،ولقد شارك سقمان في هذه الحملة بصفته أميربيت المقدس من طرف السّلطان السّلجوقي، فحاصروها تسعة أشهر، وكان الدّفاع على المدينة من الدّاخل أسهل من مهاجمتها لحصانتها الطّبيعيّة،حيث يوجد في أسوارها أربعمئة وخمسين برجًا ،وفي القسم الجنوبي الشّرقي منها توجد قلعة داخليّة حصينة،قدم أثناء الحصار جيش دمشق لإنجاد ياغي سيان ومن معه،ثم أنشأ العسكر الصّليبي بقيّادة ريموند خندقًا حول المدينة،وكانت شديدة التّحصين إلى درجة أدهشت الجيش الصّليبي،وكان بهاسثّةإلى سبعة آلاف فارس،ومايزيد عن عشرة آلاف من المُشاة،فتواطأ جزء من جنود حاميّتها مع المُحاصرين،وسلّموا لهم برجًا من أبراج المدينة،تسرّب منه الصّليبيّون في اللّيْل،وهزموا المسلمين ومات ياغي سيّان متأثرًا بجراحه،وقيل قتله أحدالأرمن،بعد أن نجا في ثلاثين فارس ،وبعدها قام الغزاة بارتكاب الفظائع في أنطاكيّة،وتحصّن ثلاثة آلاف من أهلها بالقلعة،وذلك في جمادى الأولى 491هـ/أفريل1097م،وكانت القوّات الصّليبيّة قد عملت على الإستيلاء على عدّة حصون ومدن مُجاورة لها أثناء فترة الحصارمثل :المعرّة ،وأفامية ، وكفرطاب، وبعد ثلاثة أيّام من سقوط المدينة حاصرتها قوّات التّحالف الإسلامي بقيّادة أمير الموصل كربوغا،وعسكرت بعيدًا عنها،وكرّرت هجماتها بشكل يومي مستغلّين إحتفاظ قوّات ياغي سيّان بالقلعة الرّئيسيّة،وكانت بين الحين والآخر تناوش طلائع الصّليبيين،وطلبوا الأمان فرفض كربوغا وتوعّدهم ،ولكنّ قادة جيشه إختلفوا معه،وانشغلوا بذلك عن التفكير في الإنتصار،وكانت معنويّات الصّليبيين قد إرتفعت ،فقاموا بالمجازفة ومهاجمة معسكر جيش كربوغا والّذي فضّل الإنسحاب تاركًا كمّيّة كبيرة من المؤونة،وذلك في 26رجب 492هـ / 28 جوان 1098م،وتمكّن بوهيموند النّورماندي من تأسيس ثاني إمارة لاتينيّة بالمشرق الإسلامي،وصارت الطّريق أمام الصّليبيين مفتوحة نحو بيت المقدس،والّتي عاد إليها سقمان بعد هذه الكارثة،فأخذها منه الجيش الفاطمي في شعبان 491هـ/جويلية1097م،ثمّ فتحها الصّليبيّون في 13شعبان492هـ/6جويلية1098م.

بعدها قام هذا الأمير في ربيع الأوّل 494هـ/جانفي1101م بجمع التركمان ومهاجمة الرّها ،فانتزع الصّليبيّون من سقمان سروج،وقتلوا وسبوا من تبقّى من أهلها،وكانت ذات أهمّيّة كبيرة في الرّبط بين أنطاكيّة والرّها،ومراقبة الطّريق الرّابط بين هذه الأخيرة ونهر الفرات،بعد أن فتحوا عددًا من حصون ومدن أعالي الجزيرة،في 494هـ/1101م،را:إبن القلانسي،المصدر السّابق،ص ص218-220و 224،إبن الأثير، الكامل،ج9ص43، وإبن الجوزي، المصدر السّابق،ج17ص ص43و47،وريموندا جيل،تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ص ص 85-86و104و120-122و145-146،وبطرس توديبود،تاريخ الرّحلة إلى بيت المقدس،ص ص 135-142و165-170و185و231،ووليم الصّوري،المصدرالسّابق،ج 2ص257-271، والذّهبي، دوّل، ج 2ص426،واليافعي، المصدرالسّابق، ج3ص117،ومصطفى وهبة،المرجع السّابق،ص25،وحسين محمّد عطيّة،إمارة أنطاكية،ص122،وزابوروف،الصّليبيّون في الشّرق،ص85.

[3])تفاصيل هذه الحرب في المبحث الأوّل من الفصل الثّاني ص49-68.

بالعراق وبلاد فارس(العُمق الإسلامي)لأمراءالشّام المسلمين و حماية كونتيّة الرّها [1]،وفي نفس الوقت الرّبط بين القلاع والمدن المتناثرة الّتي إستولوا عليها أمام العجز التّام للمقاومة الإسلاميّة بعد سقوط أنطاكية [2](لاحظ الشكل رقم 1)، وفي هذا السيّاق قام أمير الرّها بالدوين دي بورغ baldwin de bourg بمهاجمة أرياف ماردين ونهبها وقتل كثير من سكّانها،وأسرأحد الأمراء[3]،ولا يخفى طموحه في الإستيلاء على العراق والموصل [4]، فهاجمت قوّات سقمان وجكرمش الرّها،في سبعة آلاف تركماني وثلاثةآلاف من العرب والأكرادوالأتراك لمنعه من أخذ حرّان، فاستنفرت إمارة أنطاكية الصّليبيّة جزءًا من جيشها بقيّادة بوهيموند الأوّل(492-498هــ/1098-1104م) وتنكريد(498-506هــ/1104-1112م) لإنجاد القوّات المُحاصِرة [5] ، وشاركهم في ذلك حاكم تل باشرجوسلين[6].

التقى الجيشان في 9شعبان/7 ماي[7]،على نهر البليخ و خادعهم المسلمون بكمين [8]،حينما تراجعوا إلى الخلف مُتظاهرين بالهزيمة فتبعتهم القوّات الصّليبيّة لإثنا عشر كيلومتر فتُطوّقهم قوّات الموصل والأراتقة،وتُبيد إثنا عشرألفًا من جيش الصليبيين ماعدا ستّة فرسان،وأسر الأمير جكرمش كونت الرّها، وظفر سقمان ببقيّة الغنائم وبجوسلين صاحب تل باشر [9]، سُميّت هذه الموقعة بــ"معركة حرّان"[10].

ويُلقي فوشي الشّارتري باللّائمة على قادة الصّليبيين والّذين كانوا قادرين-حسب رأيه- على الإستيلاء على حرّان بسهولة بالنّظر إلى قدراتهم العسكريّة،ولكنّ ثقتهم المُفرطة ساعدت الجيش الإسلامي على الإيقاع بهم،بعد أن تباطؤوا في اقتحامها وفضّلوا المواجهة[11].

نُتج عن هذه المعركةإرتفاع الرّوح المعنويّة للمسلمين وكرَس سقمان ذلك في الإستيلاء على كثير من حصون إمارة الرّها، مثل:

---

[1])حسين محمّد عطيّة،إمارة أنطاكية،ص130-131.

[2])مصطفى وهبة،المصدرالسّابق،ص29.

[3])édouard dularier, historique arménienne,ou choix des principaux historiens arméniens et accompagnés de notes historiques et géographiques,collection en français Traduits destinée à servir deComplément aux chroniqueurs byzantins et slavon,édition a.durand ,paris,1858,p253.

[4])عيسى الحسن،المرجع السّابق،ص144.

[5])إبن القلانسي،المصدرالسّابق،ص232.

[6])عصام عبد الرّؤوف الفقّي،المرجع السّابق،ص138.

[7])إبن القلانسي،المصدرالسّابق،ص232.

[8])إبن الأثير،الكامل،ج9ص73.

[9])فلوشر الشّارتري،تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس،ص132،وإبن القلانسي،المصدر السابق،ص232،وإبن الأثير،الكامل،ج9ص73.

[10])علي عبد الحليم محمود،الغزو الصّليبي والعالم الإسلامي،ص165.

[11])فلوشرالشارتري،المصدرالسّابق،ص132.

شخبتان،كما تمرّد المسلمون من سُكّان *الفوعة*[1]،و*سرمين*،ومعرّة مصرين[2] ضدّ حاميّاتها الصّليبيّة،إضافة إلى أمير حلب الّذي حاول إستغلال الموقف باسترجاع ما فقده سابقًا من أراض وحصون لصالح أنطاكيةالصليبية [3]، ناهيك عن أن هذا النّصر أوقف تقدّم القوّات الصّليبيّة نحو الشّرق،و استهدافهم للعراق،وبقيّة إقليم الجزيرة،وحطّمت أسطورة أنّ الصّليبيين لا يُقهرون،ومهّدت الطّريق لظهور تحالفات وقيّادات إسلاميّة —ومنهم الأراتقة- لتوجّه الضّربات المُتتاليّة لهم [4]،وماعزز أكثرمكانة الأراتقة إستنجاد الأتابك طغتكين-أثناء مرضه الشّديد- بسقمان من أجل حماية دمشق من غزو صليبي محتمل؛ينتج عنه تقويّة موقفهم العسكري وإضعاف الجبهة الإسلاميّة[5]،ولاسيّما أنّ جيوش أمراء الشّام لم تكن تتجاوز بضعة آلاف[6].

وإذا إنتقلنا إلى الأميرالأرتقي الآخر إيلغازي نجدُ أنه إستخلص من إبراهيم بن سقمان ماردين [7]،ثم تفرّغ للمشاركة في الجهاد الجهاد إبتداءً من سنة503هــ/1109م، حينماصارت قوّاته من التركمان جزءًا من الجيش السّلطاني بقيّادة مودود بن ألتون تكين[8]، لإيقاف توسّعات الصّليبيّين في بلاد الشّام وأخذهم للمدينة تِلْوَ الأخرى؛ وكان إيلغازي كان قد أطلق سراح جوسلين الأوّل مقابل فدية قدرها عشرون ألف دينار،والّذي سعى إلى إطلاق سراح بالدوين دوبورغ مقابل ثلاثين ألف أخرى[9].

بدأت قوّات التّحالف الإسلامي محاصرة الرّهافي منتصف شوّال/27 أفريل،فانجدها قوّات أنطاكيّة بقيّادة تنكريد، وقوّات طرابلس بقيّادة الكونت إبن سان جيل،ومعهما بعضُ من صغار النبلاء الإقطاعيين بفرسانهم،وبالدوين الأول[10]؛ ملك بيت المقدس [11]،وكانوا قد تباطئوا بسبب إستيلائهم على بيروت[12]؛في 15شوّال 504هــ/27أفريل1111م، ثُم انتظروا اكتمال تعدادهم أمام الضفّة الشرقيّة للفرات لمهاجمة الجيش الإسلامي المرابض في الجهة المقابلة حينما يعبر النهر،ولمّا علم قادة الجيش الإسلامي باقتراب أعدائهم اتّفقوا على المبادرة باختيّار مكان المعركة؛فأوقفوا حصار الرّها في آخرذي الحجّة/جويلية 1111م،وغادروإلى سهل حرّان ينتظرون فيه وصول قوات دمشق،ثم الإصطدام بالعدو، والذي علم قادته بالخطّة ؛فتقهقروا إلى الضفّة الأخرى للفرات،أين رأى تنكريد ومن معه أنّهم يُبدّدون الوقت في ترقّب القتال،ففضّلوا التّوجّه إلى الرّها وإغاثة

---

[1]) ***الفوعة***:من أعمال حلب،تتواجد مع معرّة مصرين وسرمين في منطقة واحدة جنوبًا على بعد مرحلة واحدة منها (ثمانية وثلاثون كيلومترًا)،وهيّ منطقة كثيرة التّين والزّيتون،را: أبوالفداء،تقويم البلدان،ص233.

[2]) ***معرّة مصرين***:راجع التّعريف بالفوعة.

[3]) محمود سعيد عمران،بحوث،ص70.

[4]) عيسى الحسن،المرجع السّابق،ص146-147.

[5]) إبن القلانسي،المصدر السّابق،ص237.

[6]) هاملتون جب،المرجع السّابق،ص62.

[7]) ستيفن رنسيمان،تاريخ الحروب الصّليبيّة،ج2ص176.

[8]) تفاصيل هذه الحرب في المبحث الأوّل من الفصل الثّاني ص49-68.

[9]) عصام عبد الرؤوف الفقي،المرجع السابق،ص139.

[10]) فلوشر الشارتري،المصدرالسابق،ص146،وإبن القلانسي،المصدرالسابق،ص270-271.

[11]) كانت هذه الدّولة تمتدّ من نهر الأردن والبحر الميّت إلى السّاحل الشّامي،وكانت تتبعها مدن تجاريّة هامّة كصور وعكّا ونابلس،وتتمتّع بثروة زراعيّة كبيرة قوامها الزّيتون،والكروم،وقصب السكّر،كما كانت تتمتّع بموارد ضريبيّة كبيرة من تجارة العبور،را:زابوروف،المرجع السّابق،ص141.

[12]) محمود سعيد عمران،تاريخ الحروب،ص45.

سكّانها،فهاجمت قوات إيلغازي وطغتكين مؤخّرة جيشهم وقتلوا منهم عددًا معتبرًا،واستخلصوا منهم الكثيرمن الغنائم أثناء عبورهم النّهر عائدين إلى أنطاكية،بعد أن دعموا المدينة بالمؤونة والعتاد الضروريين لفترة حصار أخرى و جندوا مجموعة من الأرمن لحمايتها فأدرك جيش المسلمين عدم جدوى عمليّة الحصار الجديدة،فغادروا[1].

ثمّ شارك إيلغازي في حرب أخرى ضدّ الصليبيين في 505هـ/1112م[2]،تُسمّى بالحملة الإسلاميّة الثّانيّة على الرّها،وسببها قيّام رضوان –أمير حلب–بالخضوع للصّليبيين،وانهزّاميّته الّتي أضعفت من موقف المسلمين في دولته و إنقيّاده لتنكريد[3]،الذي أدّى إلى استنجاد أهل حلب بالخليفة والسّلطان في بغداد[4].

تم تجهيز جيش سار إلى سنجار،و فتح حصونًا مجاورة لها كانت بيد الصّليبيين،وحاصر الرّهاثمّ سروج ودمّروا أريافهما[5]، ثم راسل الأمير سلطان بن منقذ قادة الجيش الإسلامي لإبلاغهم بنيّة تنكريد في أخذ شيزر بعد أن بنى حصنًا يقابلها،وشرع في تعميره[6]، لمراقبة تحرّكات أمراء شيزر[7]،فسار إلى مهاجمة أفامية–وكانت لتنكريد- ثمّ عسكروا بشيزر،فأحجمت قواته عن الإشتباك معهم بشكل مباشر،وعادت أدراجها[8]،و كان مودود قد قام بمحاصرة تل باشر في19محرّم506هـ/19أوت1112م،أين نجح المتطوّعة في نقب سورها،بعد خمسة وأربعين يومًا من الحصار،فبادر جوسلين أمير الرّها إلى الإتّصال بأحمد يل–أمير مراغة–وكان أكثر الجيش مُكوّنًا من قوّاته،و إستماله،فغادر بقوّاته متحجّجًا بمرض سقمان القطبي ورغبة هذا الأخير بالموت في بلده،فدمّر جيش الموصل وحلفائه أرياف حلب قبل المغادرة[9]،بعد أن رأى أميرها رضوان أنّ هذا الجيش الكبير يُشكّل خطرًا على مُلكه[10]، أكثر ممّا تُشكّله القوّات الصّليبيّة المجاورة[11]،زيادة على سوء علاقته بأراتقة ماردين كون إيلغازي كان تابعًا له ثم تمرد عليه[12]،وهذا الموقف كان سببًا في ارتفاع الرّوح المعنويّة للصّليبيين فهاجموا صور، غيْرَ أن جيش دمشق حال دون إستيلائهم عليها[13].

---

[1])إبن القلانسي،المصدر السابق،ص271–272،وفلوشر الشارتري،المصدر السابق،ص146–147،و وليم الصّوري،المصدرالسّابق،ج1ص540.

[2]) تفاصيل هذه الحرب في المبحث الأوّل من الفصل الثّاني ص 49–68.

[3])ستيفن رنسيمان،المرجع السّابق،ج2ص196،و محمود سعيد عمران،تاريخ الحروب،ص46،و عيسى الحسن،المرجع السّابق،ص158.

[4])سهيل زكّار،الموسوعة الشّاملة للحروب الصّليبيّة،ج23(الحريري) ،ص325،واليافعي،المصدرالسّابق،ج3ص132.

[5])إبن الأثير،الكامل،ج9ص143،وإبن العبري،المصدرالسّابق،ص346.

[6])إبن القلانسي،المصدر السّابق،ص279.

[7])ستيفن رنسيمان،المرجع السّابق،ج2ص192.

[8])فلوشر الشّارتري،المصدرالسّابق،ص149.

[9])إبن القلانسي،المصدر السّابق،ص279، و إبن الأثير،الكامل،ج9ص144.

[10])عصام عبد الرّؤوف الفقّي،المرجع السّابق،ص143.

[11])أحمد الشّامي،تاريخ العلاقات بين الشّرق والغرب في القرون الوسطى،ص98.

[12])ستيفن رنسيمان،المرجع السّابق،ج2ص176.

[13])الذّهبي،دوّل،ج2ص10.

عاد الأراتقة بقيّادة أياز بن إيلغازي إلى العمل العسكري رفقة جيش السّلاجقة في بلاد الشّام سنة 506هـــ /1112م[1]، للتّصدّي لتحالف روجرأميرأنطاكية مع كونتية طرابلس،ومملكة بيت المقدس(لاحظ الجدول رقم 10)، والّذي عسكر غربي جسر الصّنبرة[2]،لمنع وصول القوّات الإسلاميّة إلى حصن الأقحوّانة [3]،ولكي لايقع الصّليبيّون في أخطائهم السّابقة تركوا أثقالهم وراء الجسر ،فأدركتهم قوّات تميراك [4] بن أرسلان طاش،وتصادم الطّرفان في 11محرّم507 هـــ/ 29 جوان 1113م،وقُتِل من الصّليبيين ألفي رجل،كما غرق كثير منهم في بحيرة طبريّة،ولجأ من نجا من الأسر إلى حصنها، وتمّ أسر إبن ملك القدس–ولكنّ شكله لم يكن معروفًا من طرف من أسره–فأنقذ نفسه مُقابل فديَةٍ صغيرة،وسبب ماحدث للجيش الصّليبي أنّه حاول الإيقاع بقوّات مودود في كمين ولكنّ ثقل حركة فرسانه وتسرُّع الملك بالدوين أدى إلى فقدانه ثلاثين فارسًاوألف مائتين من المشاةحينما باغتهم المسلمون وهم ينتظرون وصول قوّات أنطاكيّة وطرابلس،والّتي عزمت على تحويل الهزيمة إلى نصر،ولاسيّما أنّ الملك لم يكن يتوقّع وصول قوّات الدّعم بهذه السّرعة، واعتمد بإفراطٍ على شجاعته،ولوإنتظر يومًا أو يومين لصار في موقع قوّة،حيثُ تعرّضت القوّات الصّليبيّة إلى تضييقٍ شديد من طرف قوّات المسلمين في جبل مشرف على البحيرة،فحيل بينهم وبين الماء،وزوّد العربان الجيش الإسلامي بالمؤونة والمِيّاه والإبل ، وبقيّ الوضع على حاله إلى آخرصفر/منتصف أوت 1113م،حينما انسحبت القوّات الإسلاميّة فترل الصّليبيّون من الجبل وتزوّدوا بالمؤونة،غير أنّ جرائد المسلمين بقيّت تهاجمهم بين الفَيْنة والأخرى،فعادوا أدرجاهم،وبقيّ الوضع على هذا الحال مدّة سبعة وعشرين يومًا [5]،ويُفسّر وليم الصّوري[6] مكوثهم بهذا الجبل برغبتهم في مراقبة تحرّكات المسلمين نحو أراضيهم ،فتسبّب طول فترة الحصار في ملل قوّات الموصل لبعدهم عن بلادهم،فأذن لهم مودود في الإنصراف على أن يعودوا في فصل الرّبيع،ودخل دمشق برفقة طغتكين في 21ربيع الأوّل 507هـــ/5سبتمبر1113م،بعد أن سمح لقوّاته بمهاجمة ضيّاع الصّليبين بين عكّا والقُدس ونهبها[7]،مستغلّين بذلك تموقعهم في معاقل المسلمين،وتركهم إقطاعاتهم بدون حماية[8].

وحسب أرنست باركر[9] فهذه الحملات المُبكّرة كانت تهدف بالأساس إلى الإنتقام من الضّغط المُستمر الّذي شكّلته إمارتي الرّها بقيّادة بالدوين دي بورغ،وأنطاكية(لاحظ الجدول رقم11) بقيّادة تنكريدعلى الأراضي والمُدن الإسلاميّة المجاورة. فالرّهاكانت تُشكّل أهميّة كبيرة بالنّسبة للقُدرات الحربيّة الصّليبيّة في بلاد الشّام،وكانت قوّتها عاملًا في حمايتهم بما فيها مملكة بيت المقدس،ولاسيّما أنّ التّهديد المباشر لها من قبل القوى الإسلاميّة كان بعيدًا نسبيًّا،وارتكز بالأساس حول حصونها

---

[1]) تفاصيل هذه الحرب في المبحث الأوّل من الفصل الثّاني ص49-68.

[2])***الصّنبرة:***مكان بالأردن يبعد عن طبرية بـــخمس كيلومترات ونصف،را:ياقوت الحموي،المصدر السّابق،ج3ص425.

[3])***الأقحوّانة:***مكان بالأردن على شاطىء بحيرة طبريّة،را:ياقوت الحموي،المصدر السّابق،ج1ص234.

[4])تولّى حكم سنجار في سنة 493هـــ/1099م خلفًا لأخيه ألبي وتصالح مع الأمير جكرمش،را:إبن الأثير،الكامل،ج93.

[5])إبن القلانسي،المصدرالسّابق،ص295-297،ووليم الصّوري،المصدرالسّابق،ج1ص548،واليافعي،المصدرالسّابق،ج3ص147.

[6])الأعمال الكاملة وراء البحار،ج1ص549.

[7])إبن العبري،المصدرالسّابق،ص346،واليافعي،المصدرالسّابق،ج3ص147.

[8])أحمد الشّامي،تاريخ العلاقات بين الشّرق والغرب،ص101.

[9])الحروب الصّليبيّة،ص49.

ومُدنها[1]،وكذلك كشفت حملات مودود أنانيّة بعض الأمراء المسلمين،وعدم إخلاصهم في الجهاد ضدّ الصّليبيين [2]،فبعد إغتيّاله[3]- والّذي كان من نتيجته تخلّص الصّليبين من أقوى أعدائهم،وتحطيم ماعمل على بنائه السّلاجقة من تكوين جبهة إسلاميّة موحّدة تستطيع التّصدّي لهم [4]-خلفه على قيّادة قوّات الموصل الأمير آق سنقر البرسقي،والّذي كان في خلاف مع إيلغازي،ونال هذا الأخير بسببه سخط السّلطان محمّد بن ملكشاه،ففرّ إلى دمشق لاجئًا لدى طغتكين [5]،ولاسيّما أنّ الفشل المُتكرّرلحملات جيش الموصل على بلاد الشّام،كرّس اليأس في نفوس سلاطين سلاجقة العراق من إمكانيّة استعادته [6]،كما زرع في عقل السّلطان محمّد بن ملكشاه فكرة مفادها أنّ طرد الصّليبيين من الشّام لايكون إلّا بالتّخلّص من أمرائها،ولاقت هذه الفكرة تأييد الخليفة العبّاسي المستظهر[7].

ولكن كُلّ هذه الإنجازات المُحقّقة من طرف إيلغازي ضدّ الصّليبيين لم ذات قيمة بالنّسبة لتهديد تواجدهم،إذ كانت مُجرّد إنتصارات سريعة وخاطفة؛أدّت بالأساس إلى تكبيدهم خسائر بشريّة فادحة،لاسيّما مع إستمراريّة الإنقسامات والخلافات بين القادة المسلمين[8].

تحالف طغتكين مع إيلغازي وإمارة حلب من أجل تجنّب الوقوع في أيدي السّلطان،فأرسلوا إلى روجر ،وإلى بالدوين الثّاني،والّذي تسلّم من طغتكين رهائن،ثمّ عسكرت قوّاتهم مع قوّات الصّليبيين في قلعة أفامية [9]؛حتّى ينتهي الشّتاء،ثمّ تفرّقوا بعد أن إستمرّ برسق وجيشه في العمل العسكري طيلة هذه الفترة [10]،وبانقضاء سنة 510هـــ/1116م،انتهت طموحات السّلاجقة في القيّام بتهديد الصّليبيين إنطلاقًامن منطقة الجزيرة(لاحظ الخريطة رقم 15)،بعد أن فتر حماسهم،ولاسيّما بعد أن اكتسب روجر خبرة كبيرة في قتال الأتراك[11].

---

[1])حسين محمّد عطيّة،إمارة أنطاكية،ص ص122و124.

[2])عيسى الحسن،المرجع السّابق،ص165.

[3])سهيل زكّار،الموسوعة الشّاملة للحروب الصّليبيّة،ج23(الحريري)،ص327،والذّهبي،دُوَل،ج2ص12.

[4])عصام عبد الرّؤوف الفقّي،المرجع السّابق،ص145.

[5]) تفاصيل ذلك في المبحث الأوّل من الفصل الثّاني ص 49-68.

[6])عصام عبد الرّؤوف الفقّي،المرجع السّابق،ص148.

[7])محمودسعيد عمران،تاريخ الحروب،ص48.

[8])عيسى الحسن،المرجع السّابق،ص166.

[9]) إبن القلانسي،المصدرالسّابق،ص317، و أسامة بن منقذ،المصدرالسّابق،ص90.

[10]) تفاصيل ذلك في المبحث الأوّل من الفصل الثاني ص 49-68.

[11])حسين محمّد عطيّة،إمارة أنطاكية،ص138-139.

2-مقاومة الأراتقة للصّليبيين خلال حكمهم لحلب (511إلى518هـ/1117-1124م):

قام ياروق طاش الخادم بمراسلة روجر أمير أنطاكية،ونجم الدّين إيلغازي لتسليم حلب،والحيلولة دون أن يأخذها آق سنقر البرسقي فعاد إيلغازي إلى الشّام في محرّم 511هــ/ماي1117م؛وتسلّمها[1]،مُكرّسًابذلك علاقة جديدة مع الصّليبيين إذ أصبح في خطّ المواجهة المباشر مع إمارة أنطاكية وحلفائها،كماآلت إليه قيّادة حركةالجهاد الإسلامي ضدّالصّليبيين مُؤقّتًا؛ولاسيّما أنّ هذه المدينة كانت أهلًا لذلك لتوسّطها إمارتي الرّها وأنطاكية الصّليبيّتين [2]،و بوصفها أهم مدينة في شمال الشّام،والثّانيّة من حيث الأهميّة على محورالموصل- حلب كانت مركز الدّفاع الأهم في وجه التوسّع الصّليبي نحو الشّرق،فتمتُّعها بميزات هامّة من النّواحي العسكريّة، والبشريّة،والإقتصاديّة،وتوفّرها على شبكة طرق بريّة كثيفة،أهّلها للإتّصال بالقوى الإسلاميّة في الجزيرة، والشّام وآسيا الصّغرى، والعراق،ومنحها الإستمراريّة والصمود في وجه التوسّع الصّليبي[3]،والواقع أنّ استيلاء إيلغازي على حلب تزامن مع تعاظم قوّة إمارة أنطاكيّة، وسيطرتها على كثير من أراضي شمال الشّام،ومراقبة لكلّ طرقاتها الرّئيسيّةبهدف تطويق حلب،ودمشق،وفتحهما بسهولة في مابعد،وبالتّالي حرمان القوّات الإسلاميّة من أهمّ مدينتين في الشّام[4].

تعرّض جيش ماردين في حلب لعجزفي مصادر تموينه،فأدرك أهل أعزاز أنّهم لا ي قدرون على المقاومة فاستسلموا ، وحذاحذوهم إيلغازي،فهادن روجر مقابل ألف دينار،وتل هرّاق[5]،وحصولهم على أعمال حلب الشّماليّة والغربيّة[6].

توجّه الأمير الأرتقي في السّنة التّاليّة إلى دمشق، وعقد تحالفًا مع أتابك طغتكين مُستغلًّا ولاء تركمان حلب والجزيرة له،ثمّ أرسل إلى الخليفة العبّاسي يطلب دعمه في حملة جديدة على بلاد الشّام،وجمع التّركمان وراسل طغتكين[7]،والأكراد في الجزيرة،والقبائل العربيّة في باديّة الشّام،وبني منقذ أمراء شيزر[8]،بعد أن بلغه خبر نقض الصّليبيين معاهدة عدم الإعتداء الّتي عُقِدت بينهما[9]،وكان عدد عساكره أربعين ألف عبروا الفرات وهاجمواأرياف تل باشر،وتل خالد[10]، وعاثوا فيها

---

[1])إبن القلانسي،المصدر السّابق،ص317،و إبن العديم،المصدرالسّابق،ج2ص178-179.

[2])عيسى الحسن،المرجع السّابق،ص166.

[3])عماد الدّين خليل،الطريق إلى حطّين(583هــ/1187م)؛دراسة في مفهوم تكامل الجهد عبر المقاومة الإسلاميّة للغزو الصّليبي،مقال منشور في مجلّة أفاق التراث والثّقافة،دبي،العدد 25و26،ربيع الأوّل1420هــ/جويلية1999،ص9.

[4])حسين محمّد عطيّة،إمارة أنطاكيّة،ص139-140.

[5])***تل هرّاق***: من حصون حلب الغربيّة،را:ياقوت الحموي،المصدرالسّابق،ج2ص45.

[6])إبن العديم،المصدرالسّابق،ج1ص186.

[7])إبن القلانسي،المصدر السّابق،ص318-319.

[8])ستيفن رنسيمان،المرجع السّابق،ج2ص236.

[9])عيسى الحسن،المرجع السّابق،ص167.

[10])***تل خالد***:قلعة من نواحي حلب،را:ياقوت الحموي،المصدرالسّابق،ج2ص41.

نهبًا،وقتلًا،وأسرًا،وكان أهل حلب في نفس الوقت يستعجلونه في القدوم إليها [1]،وأرسلوا قِسمًا منهم لمهاجمة ضواحي أفامية مع مع جيشي شيزرودمشق[2].

واستعدّ روجر لقتال جيش إيلغازي،فأرسل إلى كونت الرّهاجوسلين،و كونت طرابلس بونز(507-521هـ /1113-1127م)،وإلى ملك بيت المقدس بالدوين الثّاني (512-526هـ/1118-1131م) يُلحُّ عليهم بالقدوم سريعًا لإنقاذ إمارته، ومكث ينتظروصولهم،غَيرأنّهم تباطئوا،فرأى أنّ قوّاته كافيّة لمواجهة جيش العدو،وكان عددها سبعمائة فارس،وثلاثة آلاف من المشاة [3]،جلّهم من الأرمن والسّريان، و أخطأ بالتّمركز في مكان مكشوف للرّياح فأدّى إستمرارها طويلًا في الهبوب إلى توتّر أفراد جيشه [4]،فركّز على السّعي للإفلات من أي تطويق محتمل من التركمان [5]،أمّا إيلغازي فساربجيشه إلى منطقة البلاط بين جبلين في شمالي الأثارب،ومكث ينتظر وصول قوّات دمشق،فأشار عليه أمراء جيشه بالسّير ليلًا لمباغتة قوّات أنطاكية،فكان لهم ذلك بعد أن تركوا خيّامهم منصوبة في قنّسرين لتمويه طلائع العدو [6]،ولاسيّما أنّ الجواسيس أكّدوا قلّة عساكر روجر،وانتظاره لحلفائه للهجوم [7]، فباغتوا جيش روجرفي 17ربيع الأوّل 513هـ/29جوان 1119م،فقتلوه ومعه معظم جيشه قبل وصول طغتكين، وبالمقابل لم يُقتل من المسلمين إلّا عشرين [8].

أرسل إيلغازي رأس روجر إلى بغداد [9]،و انشغل التركمان بجمع الغنائم،ووقع الأمير الأرتقي في خطأ جسيم إذ لم يبادر إلى مهاجمة أنطاكية الّتي بقيّت من دون تغطيّة عسكريّة [10]،وسُمّيت هذه المعركةبـ"موقعة البلاط" [11]،أو معركة ساحة الدّم ager-sanguinis لكثرة ماقتل من الصّليبيين في السّهل الّذي شهد هذا الحدث الجَلَل [12]،وكانوا خمسة عشر ألفًا حسب رواية إبن العديم[13]،كما أُسرمنهم أكثر من سبعين[14].

---

[1])إبن العديم،المصدرالسّابق، ج2ص187.

[2])ستيفن رنسيمان،المرجع السّابق، ج2ص236.

[3])وليم الصّوري،المصدرالسّابق، ج1ص579-580.

[4])ستيفن رنسيمان،المرجع السّابق، ج2ص238.

[5])محمود سعيد عمران،تاريخ الحروب،ص51.

[6])إبن العديم،المصدرالسّابق، ج2ص188.

[7])ستيفن رنسيمان،المرجع السّابق، ج2ص237.

[8])إبن القلانسي،المصدرالسّابق،ص320،وأسامةبن منقذ،المصدرالسّابق،ص40،ووليم الصّوري،المصدرالسّابق، ج1ص582،وإبن العديم،المصدرالسّابق، ج 2ص189، والذّهبي، دوّل، ج2ص19.

[9])سهيل زكّار،موسوعة الحروب الصّليبيّة، ج23(إبن قاضي شهبة-الكواكب الدّريّة)، ص194.

[10])إبن القلانسي،المصدر السّابق،ص320.

[11])علي عبد الحليم محمود،المرجع السّابق،ص165.

[12])عصام عبد الرّؤوف الفقّي،المرجع السّابق،ص150.

[13])إبن العديم،المصدرالسّابق، ج2ص189.

[14]) سهيل زكّار،موسوعة الحروب الصّليبيّة، ج23(إبن قاضي شهبة-الكواكب الدُريّة)،ص194.

كان من أهمّ نتائج معركة ساحة الدّم ager sanguinis مقتل الأمير روجر،وتدمير جيش أنطاكية عن آخره [1]، وضمان الأمان لحلب،و أسر"رينالد مازوار"سيّد حصن المرقب [2]، ،بعد أن إمتنع مع طائفة من فرسانه في برج من أبراج مدينة سرمدا[3]،فأمر الأمير الأرتقي بقَتْلِهم،وحَمْلِه في الأغلال،كما أُسرأيضًا روبرت الأبرص سيّد زردنا [4]،وكان قد قدم متأخّرًا في في مائة فارس و لم يلتحم في المعركة بل إنسحب إلى أنطاكية[5]،واستغلّ بني منقذ قلّة من تبقّى من فرسانها،وهاجموا مع المُتطوّعة المُتطوّعة والأعراب أراضيها،ونهبوها إلى أن ردّتهم كتيبة صليبيّة قرب أفامية[6].

وبعدها أرسل إيلغازي روبرت الأبرص إلى طغتكين ليضغط عليه فيرفع من قيمة الفدية-وكان قد عرض عشرةآلاف دينار- ولكنّه تسرّع و قتله[7]،كما أرسل إلى أمراء الشّرق الإسلامي يُبشّرهم بانتصاره العظيم،ومنهم الخليفة العبّاسي المسترشد باللّه (512-529هــ/1117-1134م)،والّذي أرسل إليه بالخلع والتّشريفات،ولقبّه بنجم الدّين[8].

حرص الصّليبيون على تحصين أنطاكية وحمايتها [9]،و تقليص الأضرارالنّاتجة عن هزيمتهم في معركة البلاط [10]،فسار إليها ملك بيت المقدس ومعه بونز كونت طرابلس(507-521هــ/1113-1127م) في مئتين وخمسين فارس، وأرسلوا إلى نبلاء الرّها وأنطاكيّة لتزويدهم بما تبقّى من فرسانهم،وإشتبكوا مع قوّاتٍ أرسلها إيلغازي لتُعرقل تحرّكاتهم نحو أراضي أنطاكية،ولكنّ بالدوين تمكّن من دخولها وصادر أموال القتلى و ما في خزائن روجر،وشرع في تقويّة التّحصينات [11]،وطلب المساعدة من الأساطيل الأوروبيّة،فقامت البنادقة بالإستيلاء على صور وعسقلان من أجل الحصول على إمتيازات تجاريّة،والسّيطرة بشكل كامل على المنطقة السّاحليّة[12]،إذ أنّ مقتل روجر ترك تأثيرًا عميقًا على قوّة أنطاكيّة،والّتي عرفت في عهده أقصى إتّساعٍ لها،وشهدت النمُوّ والإستقرار،والقوّة[13].

---

[1])وليم الصّوري،المصدرالسّابق،ج1ص580.

[2]) ***حصن المرقب***:قلعة ساحليّة حصينة تابعة لبلدة بلنياس،وتبعد عنها بفرسخ(ستّة كيلومترات)،ويعود تاريخ بنائها إلى 45هــ/1062م،را:أبوالفداء،تقويم البلدان، ص255.

[3]) ***سرمدا***:ويقال لها سرمد بدون الألف ،وهيّ من أعمال حلب،را:ياقوت الحموي،المصدرالسّابق،ج3ص215.

[4]) ***زردنا***:بلدة صغيرة غرب حلب،را:ياقوت الحموي،المصدر السّابق،ج3ص136.

[5])ستيفن رنسيمان،المرجع السّابق،ج2ص238-239،و محمود سعيد عمران،بحوث،ص79-80،و عصام عبد الرّؤوف الفقّي،المرجع السّابق،ص150.

[6])أسامة بن منقذ،المصدرالسّابق،ص40-41.

[7])نفسه،ص120.

[8])ستيفن رنسيمان،المرجع السّابق،ج2ص240-241.

[9])كان إنجاد ملك بيت المقدس بالدوين الثّاني لقوّات روجر سببًا في حفظ أنطاكية من الوقوع في أيدي قوّات إيلغازي،إضافة إلى ما قام به البطريرك برنارد أوف فالنس من ترتيبات لحفظها فلم يظفر المسلمون إلّا بزردنا والأثارب ليُخفّفوا الضغط عن حلب،وتولّى بالدوين الثّاني الوصاية لسبع سنوات على عرش أنطاكية إلى أن حضر بوهيموند الثّاني الوريث الشّرعي للإمارة،را:حسين محمد عطية،إمارة أنطاكية،ص141.

[10])عيسى الحسن،المرجع السّابق،ص168.

[11])إبن العديم،المصدرالسّابق،ج2ص191،وفوشيه الشّارتري،المصدرالسّابق،ص187،ووليم الصّوري،المصدرالسّابق،ج1ص582-583.

[12])محمود سعيد عمران،تاريخ الحروب،ص52.

[13])حسين محمّد عطيّة،إمارة أنطاكية،ص141-142.

ماانفكّ أمير ماردين يعمل على حماية ملكه بالشّام من الصّليبيّين فاستغلّ إنتصاره في ساحة الدّم،وهاجم أراضي إمارة أنطاكيّة،فبدأ بالحصون الواقعة شرق نهر العاصي [1]،فأخذ أرتاح،وهاجم ربض الأثارب [2]، ثمّ قام بهدم حصن زردنا في 514هـ/1120م[3]،وهوّ من أملاكها[4]،وهاجم الأمير بلك بن بهرام الرّوم في قلعة سريان [5]،وقتل منهم خمسة آلاف وأسر وأسر مقدّمهم،وبالتزامن مع ذلك حشد الأمراء المتواجدون بأنطاكيّة كتائب للثّأر من هزيمتهم ،وراحوا يُمشّطون نواحي الأثارب بحثًا عن التّركمان وقائدهم إيلغازي [6]،لأنّ ملك القدس بالدوين خشيَّ أن يتحرّكوا جنوبًا إلى أراضيه إن إستعصت عليه أنطاكية[7]،ثمّ رابضت الكتائب الصّليبيّة بتَل دانيث،بعد أن تفرّق الكثير من التّركمان وبقيّ فقط جيش الأراتقة وقوّات دمشق وجيش دوغان أرسلان وجيش حمص، فتخلّص إيلغازي من الغنائم والخيّام بإرسالها إلى قنّسرين،وسارع إلى معسكر بالدوين،فاصطدم الجيشان في معركة شرسة بتاريخ 30ربيع الآخر 513هـ/ 14أوت1119م،عرفت بمعركة تل دانيث(لاحظ الشكل رقم 2)، أسفرت عن مقتل سبعمائةفارس ومائة من المشاة الصّليبيين،ولاحق المسلمون من نجا منهم إلى حصن هاب[8]،وهيّأهذا الإنتصار تأمين إمارة حلب من أيِّ هجوم مُحتمل و توحيد الجبهة الإسلاميّة في شمال الشّام لمقاومتهم،والرّفع لمقاومتهم،والرّفع من رّوح أهلها المعنويّة[9]،و تخفيف الضّغط الصّليبي عنهم[10].

إستغلّ الملك بالدوين عودة الأمير الأرتقي إلى ماردين،فهاجم عددًا من الحصون لتعويض خسائر موقعتي البلاط و تل دانيث، فعاد إيلغازي في أواخر صفر إلى حلب،ولكنّه في هذه المرّة لم يظفر بنصر كبير لتمرّد التركمان عليه بسبب قلّة الغنائم،فهادن أمير أنطاكية سنة 514هـ/1120م،لينشغل بأمور الجزيرة،ثُمّ خرّب جوسلين بزاعة،والأثارب في 515هـ/1121م فخرج إيلغازي بقوّات من حلب سنة 516 هـ/1122م لردعه وعَبَر الفرات،وخرّب أراضي الرّها ، واستهدف أنطاكية لولا إصابته بمرض أعاقه عن مواصلة الحرب[11].

---

[1])محمود سعيد عمران،تاريخ الحروب،ص51-52.

[2])إبن العديم،المصدرالسّابق، ج2ص191.

[3])إبن القلانسي،المصدر السّابق،ص322.

[4])حسين محمّد عطيّة،إمارة أنطاكية،ص141.

[5])***سريان***: لم أجدها في المصادر الجغرافيّة.

[6]) إبن القلانسي،المصدر السّابق،ص322،ووليم الصّوري،المصدرالسّابق، ج1ص583-586.

[7])عصام عبد الرّؤوف الفقّي،المرجع السّابق،ص150.

[8])إبن العديم،المصدرالسّابق،ج 2ص191-193،و وليم الصّوري،المصدرالسّابق،ج 1ص583-585،و***حصن هاب***:قلعةهامّةوكبيرة في إقليم العواصم، را:ياقوت الحموي،المصدرالسّابق،:ج3ص215.

[9])عيسى الحسن،المرجع السّابق،ص169.

[10])حسين محمّد عطيّة،المرجع السّابق،ص141.

[11])إبن القلانسي، المصدر السّابق، ص ص322و329، وإبن العديم، المصدر السّابق،ج2ص ص193-195و198، ووليم الصّوري، المصدر السّابق، ج1ص587-588.

كان دور إيلغازي لافِتًا في محاربة الصّليبيين كجزء من المُقاومة الإسلاميّة المُبكّرة،ويُمكن إيعاز ذلك إلى امتلاكه جيش مُكوّن من عددٍ كبير من التّركمان شبه الرُّحّل،الّذين كانوا مُهيّئين لمعاداة الغزاة الجُدد،كما كان على قدر كبير من الإستقلاليّة في اتّخاذ القرار مقارنة بأمراء حملات السّلاجقة من الموصل كمودود وجكرمش [1]،وبعد أن تُوُفيّ في رمضان516هـ/نوفمبر1122م[2]،هاجم فرسان أنطاكية وحلفائهم الأرمن وادي بزاعة،ودمّروا مزروعاته وبيوت أهله،وسلبوا أموالهم،ثمّ هاجموا بالس،فهزمهم من بها من التركمان ،فغادروا إلى البيرة،واحتلّوها وأخذوا أهلها أسرى [3]، وذلك وذلك ردًّا على مهاجمة الأمير الأرتقي نور الدّولة بلك بن بهرام للرّها في رجب 516هـ/ سبتمبر1122م[4]، ولكنّه يئس من الإستيلاء عليها،إذكان معه مابين أربعمائة وثمانمائة فارس فقط،وكان كونت الرّها نازلا في البيرة،فعاد مسرعًا في 100فارس،وهدفه الأكبرالقبض على الأمير الأرتقي أو إنتزاع حصن زيّاد منه،ولكنّ هذا الأخير تمكّن من القبض على جوسلين في 9رجب516هـ/22 سبتمبر 1122م[5]،برفقة قريبه حاكم البيرة غاليران،و فرسان آخرين قرب سروج [6]، بعد بعد أن علقت خيولهم في الوحل،فاصطادهم التركمان بالنّشّاب [7]، وقتلوا منهم مائة [8]،لرغبة بلك في مباغتة من كان يتعقّبه من الفرسان الصّليبيين [9]، وسُمّيت هذه المعركة بموقعة لَيْلون [10]،ثمّ حاول القائد الأرتقي إستغلال مغنمه الهام،فقام بتعذيب أسراه لتسليم حصونهم،فأبَوا،فسار بهم إلى أسوار الرّها وساوم أهلها بهم فرفضوا طاعته، فانسحب بهم إلى خرتبرت لقلّة جُنْده[11].

كان ملك بيت المقدس في طرابلس يحاول إنهاء تمرّدٍ قام به حاكمها بونز،ولكنّه رأى خطورة تحرّكات بَلَك على أنطاكية،فسار لإنجادهاو وضع الرّها تحت إدارة حاكم مرعش الرّاهب غودفراي وجلب المؤونة لحصونها تحسّبًا لحصار مرتقب[12].

أمّا القدرات العسكريّة لحلب فقد كانت ضعيفة بعد وفاة إيلغازي لافتقارها للتّركمان الّذين كان يحشدهم من شمال الجزيرة إلى شمال الشّام[1]،وظهرعجز سليمان بن عبد الجبّار الّذي أبرم هُدنة مع الملك بالدوين في 10صفر517هـ /9أفريل

---

[1])كلود كاهن،المرجع السّابق،ص120.

[2])إبن العبري،المصدر السّابق،ص351.

[3])إبن العديم،المصدر السّابق،ج2ص206.

[4])إبن القلانسي،المصدرالسّابق،ص330.

[5])محمود سعيد عمران،بحوث،ص85.

[6])إبن القلانسي،المصدر السّابق،ص330.

[7])كمال بن مارس،المرجع السّابق،ص153.

[8])فوشيه الشّارتري،المصدرالسّابق،ص193.

[9])عصام عبد الرّؤوف الفقّي،المرجع السّابق،ص152.

[10])إبن العديم،المصدرالسّابق،ج2ص206.

[11])محمودسعيد عمران،بحوث،ص85-86.

[12])كمال بن مارس،المرجع السّابق،ص153-154.

1123م[2]،أمّا بلك فهاجم حصن كركر [3] الّذي أخذه بالدوين الثّاني من صاحبه ميخائيل الأرمني لحمايته [4]في أوائل صفر517هـ/أفريل 1123م،فسارإليه الملك من أنطاكيّة في 19صفر/18أفريل،واصطدم بقوّات القائد الأرتقي في"أورش"قرب سنجة،فانهزم ،وأُسر مع بعض القادة بقلعة خرت برت مع جوسلين وأتباعه في بئر داخل السّجن إمعانًا في إذلالهم،ثمّ سارع إلى حصن منصورفأخذه صُلحًا،وسبى من فيه،وأحرقه،فانسحبت حامية كركر الصّليبيّة خوفًا من نفس المصير، فدخله بلك بعد أسبوع من معركة أورش[5]،ثمّ استولى في العُشر الأوّل من ربيع الأوّل 517هـ/ماي1123م على حصن البارة[6]؛ وأسر أسقفها وغادرإلى كفرطاب لاستخلاصها من حاميّتها الصّليبيّة، فكان له ذلك يوم الثلاثاء 12جمادى الآخرة /9أوت1123م،فوجد بها أسقف البارة–وكان فرّ من أسره–،ثمّ إستولى على حرّان،وثلاث قلاع أخرى من عرب تحالفوا مع الصّليبيين [7]،وهيّ بانقوسا[8]،والنّيْرب[9]،وجبرين[10]،وأحرق أريافها وتزامن ذلك نجح الأسرى في الفرار من قلعة خرت برت،بعد أن إستمالوا مجموعة من عمّال البناء الأرمن[11] الموالين لجوسلين [12]، فأغراهم بالأموال لانتزاع القلعة[13]،بعد أن تحجّجوا بتعطّل حصولهم على أجورهم،فقتلوا ثلاثة حرّاس كانوا على المدخل [14]،ثمّ إنتزعوا القلعةمن البقيّةوعددهم مائة حارس [15]،ورأى جوسلين أن يغادر الجميع الحصن بعد أن أخذوا كلّ مافيه من ثروات ضخمة فرفض بالدوين واختارالبقاء فيه ؛على أن يسير

---

[1])عيسى الحسن،المرجع السّابق،ص172.

[2])إبن العديم،المصدرالسّابق،ج2ص210.

[3])إبن القلانسي،المصدر السّابق،ص332.

[4])كمال بن مارس،المرجع السّابق،ص154.

[5])إبن القلانسي،المصدر السّابق،ص332،وسهيل زكّار،الموسوعة الشاملةللحروب الصّليبيّة،ج5(ميخائيل السرياني)،ص121،وإبن العديم،المصدرالسّابق، ج2ص214.

[6])***البارةalbara***:بلدة صغيرة من نواحي حلب،لها حصن وبساتين،را:ياقوت الحموي،المصدر السّابق،ج1ص.320

[7]) إبن القلانسي،المصدر السّابق،ص333، و سهيل زكّار،الموسوعة الشاملة للحروب الصليبية،ج5(ميخائيل السرياني)،ص121.

[8])***بانقوسا***:جبل قرب حلب من جهة الشّمال،را:ياقوت الحموي،المصدر السّابق،ج1،ص331.

[9])يذكر ياقوت أن النّيرب إحدى قرى دمشق،ونيربا إحدى قرى شرقي الموصل،والأكيد أنّهما ليستا ما يقصد المصدر،را:معجم البلدان،ج5،ص330.

[10])هناك جبرين الفستق؛وهيّ قرية كبيرة في ربض حلب ،تبعد عنها بـــأربعة كيلومترات تقريبًا،وجبرين الشّمالي أو جبرين قورسطايا؛وهيّ من قرى حلب في طريق أعزاز، را:ياقوت الحموي، المرجع السّابق،ج2،ص101.

[11]) إبن القلانسي،المصدر السّابق،ص333،وسهيل زكار،موسوعةالحروب الصّليبيّة،ج5(ميخائيل السرياني)،ص121،و إبن العديم، المصدرالسّابق، ج2ص211.

[12])ستيفن رنسيمان،المرجع السّابق،ج2ص260.

[13])وليم الصّوري،المصدرالسّابق،ج1ص592.

[14]) سهيل زكّار،الموسوعة الشاملة للحروب الصّليبيّة،ج5 (ميخائيل السرياني)،ص121.

[15])فوشيه الشّارتري،المصدرالسّابق،ص201.

بمجرّد اكتشافهم لتمرّد الأسرى،والّذين بالغوا بدورهم في تحصينها إنتظارًا للنّجدة من القلاع الصّليبيّة المجاورة [1] أ مّاجوسلين فوصل إلى القدس بعد رحلة مُضنيّة،وجمع قوّات كبيرة [2]،فأجّل بَلَك مشروع فتح أنطاكية أن ضمّ حلب إلى أملاكه من أجل هذا الهدف[3]،فالقائد الأرتقي كان يدرك أهميّتها الإستراتيجيّة(لاحظ الخريطة رقم 16)وأنّه لايستطيع تحقيق إنتصارات حاسمة على الصّليبيين بدون اتّخاذها قاعدة لقوّاته في شمال الشّام [4]،واختار العودة إلى خرتبرت[5]، فوصلها بعد فرار جوسلين، ونصب ونصب أربع مجانيق،وهدم أسوارهابعد أن فشلت مفاوضاته مع من تحصّن بها [6]،وإسترجعها في 23رجب 518هـ/ 17 سبتمبر1123 م، وكان يُسرع في ذلك لإدراكه أنّ الكونت الهارب سيعود مسرعًا بالنّجدات فيصعب عليه الأمر [7]، ثمّ أعدم أعدم سبعين رجلًا بعد تعذيبهم [8]، وكان أعظم سبب لقسوته إنتهاك المُتمرّدين من الفرنج والأرمن لشرف حريمه،وكان فيهنّ جوارٍ أرمنيّات، فألقى كثيرًا من الأسرى من شرفات القلعة لشدّة غضبه [9]، ماعدا الملك بالدوين،وابن أخته،وغاليران، الّذين مضى بهم إلى حرّان و سجنهم في قلعتها تحت حراسة مُشدّدة [10]،وهيّ أحصن وأكثر أمنًا من خرتبرت [11]، محاولًا بذلك تضليل القوّات القادمة لنجدة الأسرى،فلا تُحقّق مبتغاها بتحريرهم إن دخلتها [12]،ثمّ سار بعدها على عجل ليحاصر مرعش، فأرسل أهلها إلى جوسلين يطلبون منه أن يتسلّمها مقابل مال يدفعونه له[13].

---

[1])وليم الصّوري،المصدرالسّابق،ج1ص592.

[2])إبن العديم،المصدرالسّابق،ج2ص214.

[3])كمال بن مارس،المرجع السّابق،ص154.

[4])عيسى الحسن،المرجع السّابق،ص173.

[5])إبن القلانسي،المصدر السّابق،ص334-335.

[6]) سهيل زكّار،المرجع السّابق،ج5 (ميخائيل السرياني)،ص121،وفوشيو الشّارتري،المصدر السّابق،ص205.

[7])محمود سعيد عمران،المرجع السّابق،ص92.

[8]) سهيل زكّار،المرجع السّابق،ج5 (ميخائيل السرياني) ،ص121.

[9])ستيفن رنسيمان،المرجع السّابق،ج2ص262.

[10])وليم الصّوري،المصدرالسّابق،ج1ص593-594.

[11])ستيفن رنسيمان،المرجع السّابق،ج2ص263.

[12])محمود سعيد عمران،العلاقات بين الشرق والغرب،ص94.

[13]) سهيل زكّار،المرجع السّابق،ج5 (ميخائيل السرياني) ،ص121.

شعرجوسلين أنّ ماقام به من جمع للنّجدات من جميع أمراء الشّام كان بدون فائدة،ولاسيّما أنّه لم يكن مستعدًّا للتوغّل شرقًا صوب حرّان بكلٍّ ما يحمله ذلك من مجازفة[1]،فاستغلّ ماكان معه من قوّات للإنتقام من أتباع الأراتقة في حلب وأعمالها[2]. فقام بتخريب أرياف "الباب"[3]وبزاعة،وقرى حلب في شعبان،أين لقيّ مقاومة شديدة من عامتها وجيشها، والّذين إنتقموا كذلك من مسيحيّيها بتخريب كنائسها وتحويلها إلى مساجد واستمرّ الوضع بغيّاب بلك في خرت برت،فهجم جوسلين أريافها في 19رمضان/30 أكتوبر1124م،وأخذ خمسمائة فرس لجيش حلب فلم يبق بها من الفرسان سوى خمسون ،وأخذ فرسان أنطاكية ثلاثمائة فرس من أرياف الأثارب،ثمّ توسّع في عمليّاته العسكريّة وعبر الفرات إلى شختبان، وهاجم التركمان والأكراد، وأسروهم و قتل في الأرياف،ونبش جنوده مقابر المسلمين،فردّ عليه بلك بالتّحالف مع طغتكين وقوّات من جيش آق سنقر البرسقي،وحاصروا أعزاز، فهزمهم الصّليبيّون في ذي الحجّة/فيفري1123م[4]،فنقل بلك الأسرى من حرّان إلى قلعة حلب،وحارب قوّات صليبيّة في مَشحَلا[5] وقتل منهم أربعين رجُلًا، فحشد جوسلين عشرة آلاف مقاتل من طرابلس وبيت المقدس وغيرهما،وسار إلى منبج، بعد أن راسله عيسى بن كمشتكين،ووعده بها إن نصره على جيش بلك،والذي لاقى جيش جوسلين في 18ربيع الأوّل 518هـــ/5ماي1124م ،فانتصر المسلمون،وقَتلوا حتّى الأسرى[6]،بسبب تسرّع كونت الرّها في المسير إلى منبج بعدد قليل من العساكر[7]، ثُم قُتِلَ بلك بعد أن عاد لمحاصرة قلعتها قلعتها من جديد[8]،فتفرّق جيشه من التركمان،وعاد بعضهم إلى خرتبرت، لاختيّارخليفة لقائدهم المغدور[9] الّذي كان جوسلين يخشى حصوله على منبج فتصبح مركزًا لتهديد إمارته،لأنّ بقائها في يد أميرها الحالي –الضّعيف والمُحايد-يبعدها عن الحرب الدّائرة[10]،واستغلّ ذهاب بلك إلى غير رجعة،وهاجم ناحيّة شختبان، فردّ عليه نائب الأراتقة عليها،وقاتله،فقُتل في المعركة،وأُرسل رأسه، ورؤوس من معه إلى حسام الدّين تيمورطاش في حلب[11]، وكان قد أسرع لدخولها بعد مقتل إبن عمّه[12].

---

[1])ستيفن رنسيمان،المرجع السّابق، ج2ص263.

[2])محمود سعيد عمران،العلاقات بين الشّرق والغرب،ص95.

[3]) **_الباب_**:ويعرف أيضًا بباب بزاعة، بلدة صغيرة في وادي بطنان من أعمال حلب،تبعد عن منبج بـأربعة كيلومترات تقريبًا،وعن حلب بـثلاثة فراسخ (ثمانية عشر كيلومترًا)،را:ياقوت الحموي، المصدرالسّابق، ج1ص303.

[4]) وإبن العديم،المصدرالسّابق، ج2ص ص214و216.

[5])**_مَشْحَلا_**:قرية من نواحي عزاز من أعمال حلب،را:ياقوت الحموي،المصدرالسّابق، ج5ص132.

[6])إبن العديم،المصدرالسّابق، ج2ص218-219.

[7])فوشيه الشارتري،المصدرالسّابق،ص212.

[8]) تفاصيل ذلك في المبحث الأوّل من الفصل الثّاني ص51-71.

[9]) سهيل زكّار،المرجع السّابق، ج5(ميخائيل السرياني)،ص122.

[10])وليم الصّوري،المصدر السّابق، ج2ص623.

[11])إبن العديم،المصدرالسّابق، ج2ص220-221.

[12])إبن كثير،المصدرالسّابق، ج16ص265.

وكان ذلك هديّة للصّليبيّين،لأنّ أمير ماردين كان إنعزاليّ الترعة،يميل إلى مهادنتم،وبذلك إنتهى تزعّم الأراتقة للمُقاومة الإسلاميّة،و لم يحظَوا بقادة مثل بلك و إيلغازي في محاربة الصّليبيين،وإلحاق الهزائم الفادحة بهم،والّتي شلّت حركاتهم التّوسّعيّة،وحملتهم على إتّخاذ موقف دفاعي محض [1]،فالقائدالأرتقي المغدورأظهرنشاطًا فائقًا وإستراتيجيّة محكمة في قيّادة الحرب ضدّ إمارتي أنطاكية والرّها،وتفوّق عمليًّا على كلّ من سبقه من القادة الأتراك[2].

أطلق حسام الدّين سراح الملك بالدوين الثّاني من قلعة حلب [3]،بعد أن توسّط له أميرشيزرسلطان بن منقذ،والّذي ترك أولاده وأولاد إخوته رهائن كضمان عن ملك بيت المقدس في حلب[4]،فحمله أمير ماردين بنفسه إلى شيزر[5]،و بقيّ عند بني منقذ،إلى أن استقرّت المفاوضات على ترك إثنا عشر من أهمّ الشّخصيّات الصّليبيّة كرهائن،مع الحلف بتنفيذ الإتّفاق كاملًا غير منقوص[6]،ويتمثّل في دفعه لثمانين ألف ديناروتسليم الأثارب، وزردنا، والجَزْر[7]، وكفرطاب،وأعزاز[8]،مع مُعاضدته ضدّ ضدّ دُبيس بن صدقة،واحتفاظ أمير شيزر بالرّهائن إلى أن يُكمل بالدوين دفع مبلغ الفدية كامِلًا[9]،فأطلق بالدوين من سجن شيزر في 17رجب/1 سبتمبر1124م، فلمّا دخل أنطاكيةأرسل إلى حسام الدّين يتحجّج بأنّ البطريرك لم يوّافق على تسليم أعزاز، وانتهت المفاوضات بينه و بين تيمورطاش في 18شعبان /21سبتمبر بنقض الهدنة[10]،ولا تخفى أهميّة المدينة المتنازع عليها في مراقبة الطّريق الرّابط بين حلب والمناطق الواقعة شرقي الفرات[11]،كماأنّ بالدوين–والّذي عرّض حياة الرّهائن للخطر–كان مُتأكّدًا من قوّة موقفه،وأنّ الأمور تسير لصالحه بعد أن تعرّض لضغوط كبيرة من قادة أنطاكيّة، وكان يملك ضمانات بالحفاظ على حياة الأسرى في شيزر[12]، ضِف إلى ذلك أنّه عمل على تكوين تحالف مع الأمير العربي دبيس بن صدقة لحمايته من أي ردّ فعل لتيمورطاش[13]، الّذي إستوحش من غدره،فغادر إلى ديّار بكر،وجمع الأراتقة والتركمان،ثُمّ عاد

---

[1])عماد الدّين خليل،المرجع السّابق،ص7.

[2])ستيفن رانسيمان،المرجع السّابق،ج2ص264.

[3]) إحسان عبّاس،شذرات من كتب مفقودة(العظيمي)،ص68.

[4])إبن العديم،المصدرالسّابق،ج2ص222.

[5])أسامة بن منقذ،المصدرالسّابق،ص120.

[6]) إحسان عبّاس،شذرات من كتب مفقودة (العظيمي)،ص68.

[7])**الجَزْر**:كورة من كِوَر حلب،را:ياقوت الحموي،المصدرالسّابق،ج3ص133.

[8])إبن العديم،المصدرالسّابق،ج2ص221.

[9])عصام عبد الرّؤوف الفقّي،المرجع السّابق،ص154.

[10]) إحسان عبّاس،شذرات من كتب مفقودة(العظيمي)،ص68،وإبن العديم،المصدرالسّابق،ج2ص222.

[11])عصام عبد الرّؤوف الفقّي،المرجع السّابق،ص149.

[12])محمود سعيد عمران،بحوث،ص100.

[13])محمود الحويري،الصّراع السّياسي،ص74.

إلى حلب،حينما نزل بها بالدوين وتزامن ذلك مع قيّام جوسلين ودبيس بن صدقة بتدمير أريافها[1]،وحالفهم كلّ من كان مُعاديًا للأراتقة من أمراء الشّام[2]،ثُمّ هاجمتهاقوّات صليبيّة حلب،وضيّقت عليها[3]، فراسل أهلها حسام الدّين تيمورطاش وهوّ وهوّ في ماردين ، فتماطل في إنجادهم،وهم يقولون له:"نريد منك أن تصل بنفسك، والحلبيّون يكفونك أمرهم" [4]،ولكنّه آثر المكوث في ديّار بكر لاستكمال ضمّ ميّافارقين إلى إمارته بعد وفاة أخيه سليمان [5]،وفي نفس الوقت كان لايرغب في أن يستنجد الحلبيّون بأمير آخر فتخرج المدينة من بين يدَيْه[6]،كما أنّ أمر الدّفاع عنها صار فوق طاقته،والأمراء المسلمين يخذلونه في ذلك،ورأى أنّ أهل حلب يُغرّرون به،ولو كانوا قادرين على الدّفاع عنها ما استنجدوابه [7]، وهوالأمير العالم الّذي كان مُسالِمًا"...لايَرَى القتل ولا الحبس"[8].

3- مقاومة الأراتقة للصّليبيين بعد 518هـ/1124م:

إستصرخ أهل حلب بالأمير آق سنقر البرسقي،وسلّموها له ليحولوا دون سقوطها في أيدي المحاصرين [9]، ومالبث أن قُتل في الموصل في 9ذي القعدة520هـ/27نوفمبر1126م[10]، فعادت لها الإضطرابات والفوضى [11]، فهاجمها أمير الرّها جوسلين الثّاني وأمير أنطاكية بوهيموند الثّاني (520-525هـ/1126-1130م) وحاصراهاحتى إذا ما مُنحوا أموالًا عادا أدراجهما[12].

ولقد تعاون الأراتقة مع آق سنقرالبرسقي أثناء مكوثه بحلب،حينما قام بدر الدّولة سليمان بن عبد الجبّاروإبن عمّه شهرياربك برفقة مجموعة من التّركمان بمهاجمة المعرّة،و القضاء على مائة وخمسون فارس صليبي،وأسْر قائدهم "جوفري بلانك"حاكم بَسَرفوث[13]، وحبْسه في قلعةحلب [14]،فهاجم الصّليبيّون منطقة ديّار بكرووصلت غاراتهم إلى آمد،ونصيبيين،ورأس العين،وحرّان،وبخاصّة في سنة 521هـ/1127م[15].

---

[1])إبن العديم،المصدرالسّابق، ج2ص223.

[2]) تفاصيل ذلك في المبحث الأوّل من الفصل الثّاني ص49-62.

[3])إبن القلانسي،المصدر السّابق،ص337.

[4])إبن العديم،المصدرالسّابق، ج1ص226.

[5])عصام عبد الرّؤوف الفقّي،المرجع السّابق،ص154.

[6])عيسى الحسن،المرجع السّابق،ص178.

[7])إبن العديم،المصدرالسّابق، ج2ص227.

[8])إبن تغري بردي،المصدرالسّابق، ج5ص300.

[9])إبن القلانسي،المصدر السّابق،ص337-338.

[10])إبن الأثير،الباهر،ص31.

[11]) تفاصيل ذلك في المبحث الأوّل من الفصل الثّاني ص51-71.

[12])إبن العديم،المصدر السّابق، ج2ص238.

[13])***بَسَرفوث***:حصن وقرية من أعمال حلب،را:ياقوت الحموي،المصدرالسّابق، ج1ص420.

[14])إبن العديم،المصدرالسّابق، ج2ص232.

[15]) سهيل زكّار،المرجع السّابق، ج23،(إبن قاضي شهبة،الكواكب الدريّة)،ص200.

لم يكن مغادرة الأراتقة لحلب وبقيّة شمال الشّام سببًا في الإبتعاد عن"الجهاد"؛ فشاركوا الزّنكيين،والأيّوبيين في ذلك، فدعّموا عماد الدّين زنكي عسكريّا في تصدّيه لحملة الإمبراطور البيزنطي حنا كومنين(512-538هـ/1118-1143م) على الشّام في532هـ/ 1137م[1]،وذلك ببثّ اللّا أمن على الطرق الغربيّة للرّها بالتّزامن مع مهاجمة حسام الدّين تيمورطاش بعشرةآلاف تركماني قوّات تتألّف من الجيش البيزنطي، والأرمن،والصّليبيين، الّذين تحرّكوا من سميساط لفكّ حصار جيش زنكي على الرّها،وا نتصر تركمان حسام الدّين على التّحالف الصّليبي في 30ربيع الأوّل532هـ/29نوفمبر1137م،ثمّ هاجموا قافلة محمّلة بالمؤونة على طريق الرّها ونهبوها[2].

عبر خمسون ألف تركماني بزعامة قرا أرسلان بن داود الفرات في 533هـ/1138م ،وهاجمواالقوّات البيزنطيّة-الصّليبيّة المحاصرة لشيزر،فأحرقوا آلات الحصار،ونهبوا الصّليبيين،قبل أن يُرسل الأتابك عماد الدّين زنكي إلى قرا أرسلان يأمره بالعودة إلى حصن كيفا،وأنّه في غنًى عن مساعدته،وانسحب إلى ضواحي حمص ليبتعد عن التركمان [3]، ولكنّ قرا أرسلان تحالف لاحقًامع جوسلين لحمايته من غارات قوّات زنكي على ديّاربكر،وسلّمه حصن بابولا قرب كركر، فهادن زنكي الأراتقة،الّذين قبلوا بالصّلح لإدراكهم ضعف حليفهم أمير الرّها إذ كان هدفهم من التقرّب إليه إستفزاز زنكي لتحويل أنظاره نحوالمدينة الصّليبيّة الشديدة الحصانة [4]،وكان ذلك من أسباب فتحه لها في سنة 539هـ/1144م[5]،فأفاد الأراتقة من ذلك وقاموا باحتلال عدد من حصون الإمارة،واستولى قرا أرسلان على كركر وحصن منصور في 544هـ/1149م،وانتزع تيمورطاش سميساط سنة 545 هـ/1150م[6] بالتّنسيق مع نور الدّين محمود لإضعاف إمارة أنطاكيّة بمحاصرتها بريًّا، وهيّ المستقويّة بالمساعدات الآتيّة من أوروبا عن طريق البحر [7].

كما شارك حاكم البيرة شهاب الدّين محمّد بن إلياس بن إيلغازي بن أرتق بـمائتي فارس سنة 565هـ/1170م في محاربة الصّليبيين، ومن أبرز ماقام به إنتصاره على كتيبة تضمُّ ثلاثمائة فارس بنواحي بعلبك،وأسْرِ قادتها،وتسليمهم لنور الدّين محمود بن زنكي، الذي ساندوه عسكريًا في معركة حارم[8]،وحاربوهم مع الأيّوبيين،حينما شاركت قوّات من حصن كيفا-آمد في محاصرة حصن الكرك في محرّم583هـ/مارس-أفريل1187م،ولمّا فشلوا في فتحه،قاموا بمهاجمة إقطاعاتهم في فلسطين وتدميرها، ثمّ شاركوا في نصرحطّين في 14ربيع الآخر583هـ/22جويلية1187م،و في حملة أخرى سنة 584هـ/1188م

---

[1])راجع تفاصيل هذه الحملة في المبحث الثّاني من الفصل الثّاني ص 62-68.

[2]) سهيل زكّار،المرجع السّابق،ج5،(المؤرّخ الرّهاوي المجهول)،ص58-59.

[3])إبن العديم،المصدرالسّابق،ج2ص268.

[4])سهيل زكّار،المرجع السّابق،ج5(المؤرّخ الرّهاوي المجهول)،ص61.

[5])محمود سعيد عمران،العلاقات بين الشّرق والغرب،ص126.

[6])محمود سعيد عمران،تاريخ الحروب،ص105-106.

[7])عُبادة كُحالة،العقد الثّمين في تاريخ المسلمين،ص281.

[8]) راجع تفاصيل هذه الحملة في المبحث الثّاني من الفصل الثّاني ص 62-68.

في منطقة أنطاكية وطرابلس الشّام،كماشارك الأمير عماد الدّين محمود بن بهرام الأرتقي في حصار عكّاسنة 586هــ/1190م[1]،واشتركت قوّات من جيش ماردين مع جيوش الأيّوبيين بقيّادة الملك الكامل في استرجاع ثغر دمياط[2] سنة618هــ/1221م[3] ،حينما حاصرته الجيوش الإسلاميّة،وانتزعته في 19رجب/ 9سبتمبر، بعد أن كان في يد الصّليبيين لثلاث وعشرين شهر،وكان تسليمها مقابل تبادل الأسرى،وإقرار صُلحٍ عام[4].

---

1)سبق وأن ذكرناها في القسم الخاص بعلاقة الأراتقة بالأيّوبيين ص69-91.

2) ***دمياط***:مدينة تجاريّة مصريّة تقع على مصبّ النّيل في البحر المتوسّط،تشتهر بصناعة الثّياب،وهيّ ثغر هام من ثغورالإسلام البحريّة،را:ياقوت الحموي، المصدرالسّابق، ج2ص472.

3) قام ملك القدس الصّليبي حنادي بريين jean de brienne (607-622هــ/1210-1225م) بمهاجمة ثغر دمياط في السّاحل الشّمالي المصري إنطلاقًا من ميناء عكّا في 615هــ/1218م،وأخذها في رمضان 616هــ/نوفمبر 1219م،واتّخذوها قاعدة لمهاجمة القاهرة،ثمّ وقع خلاف بين قادة هذه الحملة أدّى إلى إنشاء جيش الأيّوبيين بقيّادة الكامل والمُعظّم طوق حصار يمنع الجيش الصّليبي من مغادرة الميناء ،ونجحوا في إعاقة تقدّمهم بحبس ميّاه النيل في السدود ثمّ إطلاقها في ربضه،را:عُبادة كُحيلة،المرجع السّابق ،ص287-288.

4)إبن العبري،المصدرالسّابق،ص413.

ثانيا:إنهيار الأراتقة أمام الغزو المغولي.

تمهيد: كانت أولى هجومات المغول على بلاد المسلمين في 612هـ/1215م[1]،وما إن حلّت سنة 617هـ /1220م؛ حتّى كانوا قد بثّوا الخراب والفوضى في جميع البلدان الواقعة شرق نهر دجلة [2]،فاستنفرت الخلافة العبّاسيّة كلّ ماتملكه من قوّات، وحصّنت العاصمة بغداد بعد أن وصلت طلائع المغول إلى أذربيجان ودمّرتها عن آخرها [3]، وما أعاق التّقدّم السّريع لهم المقاومة المستميتة الّتي أبلاها جلال الدّين منكوبرتي آخر شاهات خوارزم،والّتي أجّلت سّيطرتهم على بلاد الجزيرة لمدّة عشر سنوات حتّى اغتيّاله قرب ميّافارقين في 628هـ/1230م[4]،فترك ذلك فراغًا كبيرًا على مستوى المقاومة العسكريّة للمغول الّذين واصلوا هجوماتهم على المنطقة لثلاثين سنة أخرى إلى أن أخضعوها كُليّة [5]،ولاسيّما بعد أن تحالف معهم مسيحيّوها من كرجٍ وأرمن[6]،كما كانوا يرمون إلى اختبار القدرات العسكريّة لأمراء هذه المناطق ومنهم أراتقة ماردين[7].

كان المغول شعبًاوثنيًّا دون مستوى أخلاقي أو روحي يماثل الشعوب الإسلاميّة،غير أنّهم إمتلكوا وسيلتين للنّجاح: جموعهم الكثيرة،والقيّادة العسكريّة الصّارمة ؛والّتي إنتهجت أسلوبًا دقيقًا في التّنظيم،وهوّ أهمّ ما تفوّقوا به على أعدائهم وكان أساس إنتصاراتهم[8]،إضافة إلى أنّ سكّان المشرق الإسلامي إستسلموا تمامًا لهم،وأصابتهم حالة من الوهن والهلع،وبخاصّة لّما شهدوا

---

[1])إبن الفرات،المصدر السّابق، ج5ص214.

[2])الذّهبي،دوّل، ج2ص124.

[3])إبن كثير،المصدر السّابق، ج17ص106.

[4])إبن خلدون،المصدر السّابق،مج5ص171.

[5])كان أمير آمد متحالفًا مع خوارزمشاه،ولكنّه خذله حينما لجأ إلى ضواحي ماردين فارًّا من القوّات المغوليّة في 628هـ/1230م،فبرحها إلى ميّافارقين،وفيها كان مصرعه،وبعدها تدفّقت جيوش المغول على بلاد الجزيرة،والأناضول،وأرمينيّة،ومارسوا فيها أشنع مايقوم به الغزاة،واستولوا على مدينة خلاط في 629هـ/1231م،ثمّ فتحوا مدينة أسعرد المجاورة لآمد،وخرّبواأرياف نصيبين،وسنجار،والخابور،والموصل،وإربل،قبل أن تهزمهم قوّات الخليفة العبّاسي مؤقّتًا،ولكنّهم أرعبوا أمراء الجزيرة وعامّتها بشكل غير مسبوق،ثمّ احتلّوا مملكة سلاجقة الرّوم في مابين(638-641هـ/1240-1243م)،وفي 650هـ/1252م عيّن هولاكو خان أخاه منكو خان قائدًا عمليّاتيًّا لاستئناف مشاريع الغزو بعد أن فترت نتيجة وفاة جنكيزخان سنة 625هـ/1227م الصّراع على خلافته،فاستوْلى القائد الجديد على قلاع الإسماعيليّة في شمال غرب إيران الحاليّة، وأغلب أراضي العراق،وكثير من أعمال ديّار بكر،وميّافارقين،وسروج،ورأس عين،وأباد عشرة آلاف من سكّان الجزيرة الفراتيّة،وكان مأمورًا بإخضاع الأناضول، والشّام،ومصر أيضًا،ثمّ هاجم هولاكو بنفسه كردستان الحاليّة وأخضعها في 653هـ/1251م،ودان له أمير ميّافارقين الكامل وأعاد غزو مملكة سلاجقة الرّوم في 654هـ/1252م،ثمّ داهمت جيوشه بغداد في 20محرّم656هـ/28جانفي1258م وقضت على الخلافة العبّاسيّة،وزحفت على آمد، ودنيسر، ونصيبين، وسنجار،وحرّان،وميّافارقين،فكان مصيرها كسابقاتها،را:إبن نظيف الحموي،المصدر السّابق،ص 160،وإبن دقماق،المصدر السّابق،ص ص48و50و81و213و226و238و240-241،ورشيد الدّين الهمذاني،المصدر السّابق،م 2ج1ص ص233-234و306، والذّهبي، دُوّل، ج2ص ص 153 و 156 و 171و202،وإبن العبري،المصدر السّابق،ص 446-447،وإبن كثير،المصدر السّابق، ج 17ص ص 90 و 183و286 و 316،وإبن خلدون،المصدر السّابق،مج5ص ص170و622-623.

[6])عبد السّلام عبد العزيز فهمي،تاريخ الدّولة المغوليّة في إيران،ص138.

[7])حافظ أحمد حمدي،المرجع السّابق،ص271.

[8])محمّد ماهر حمادة،المرجع السّابق،ص64-65.

إنهيّار أسيادهم من الأمراء التركمان،وهروب كثير منهم أو إستسلامهم [1]،ولاسيّما بعد سقوط بغداد وماتركه ذلك من تأثير عميق[2].

1)سقوط ماردين في يد جيش المغول(658هـــ/1260م):

بعد أن فرغت قوّات هولاكو من إحتلال أهم مدن العراق والجزيرة(لاحظ الخريطة رقم 17)،أمرهم بمحاصرة ماردين[3]،وكانوا يمتلكون سابق معرفة بتحصيناتها حينما قاموا بنهب أريافها سنة 628هـــ/1230م،فقام أميرها بالإحتماء بقلعته المنيعة برفقة سكّان دنيسر [4]،وفي هذه المرّة أيضًا أعاقهم الإرتفاع الشّاهق لقلعة"البازي الأشهب"والّتي تتميّز بالموقع الحصين لأنّها بُنيّت على أعلى جبل ينحدر مباشرة نحو وادٍ عميق،إضافة إلى أنّ طريقها صعب المسلك، ولا يوجد قربها مكان صالح للقتال أو لنصب آلات الحصار كالمجانيق فيُضطرُّ المُحاصرون إلى إستعمال المعاول والفؤوس لنقب سورها المتين والصّلب جدًّا فتكون كـــ"منقار طيْر على حجرٍ صلب"[5].

فأرسل "أرقتو نويان" قائد القوّات المُحاصِرة إلى الملك السّعيد قائلًا:"...إهبط من القلعة،وقدّم الطّاعة والولاء لملك العالم، ليبقى رأسك،ومالك،ونساؤك،وأبناؤك،مهما تكن قلعتك مُحكمة مُرْتفعة...فإنّها ستصير تُرابًا تحت أقدام جيش المغول،فإن كان الإقبال والسّعادة حليفَيْن لك،فعَلَيْك أن تسمع نُصْحي وتعمل بموجبه،أمّا إذا لم تستمع وخالفت أوامري،فاللّه المُتَعال أعلم بمايحدث"[6].

هذه اللّهجة المتعاليّة لم تكن غريبة على المغول،فاستخدامهم للرّسل بصفة دائمة كان ينطوي على شقّين:الجوسسة واستكشاف حالة الأعداء من جهة،و بث الرّوح الإنهزاميّة في نفوسهم من جهة أخرى[7].

كان هولاكو قد شرع في محاصرة حلب في أواخر 657هـــ/1259م؛فانشغل به عن المسير إلى ماردين [8]،وعليه فلقد رفض الملك السّعيد الإستسلام خوفًا من الغدر [9]،وردّ بكتاب مضمونه:"كُنتُ قد عزمت على الطّاعةو الحضور إلى الملك، ولكن حيْثُ إنّكم قد عاهدتم الآخرين ثمّ قتلتموهم؛بعد أن إطمأنّوا إلى عهدكم وأمانكم،فإنّي الآن لا أثق بكم،وإنّ القلعة -بحمدِ اللّه تعالى-مشحونة بالذّخائر والأسلحة،ومليئة برجال التّرك وشجعان الكُرد"[10].

---

1)إدوارد بروي،المرجع السّابق،ص549-550.

2)حافظ أحمد حمدي،المرجع السّابق،ص275.

3)رشيد الدّين الهمذاني،المصدر السّابق،م2ج1،ص324.

4)إبن الأثير،الكامل،ج10ص493.

5)إبن عربشاه،المصدر السّابق،ص99.

6)رشيد الدّين الهمذاني،المصدر السّابق،م2ج1،ص324.

7)محمّد ماهر حمادة،المرجع السّابق،ص89.

8)إبن دقماق،المصدر السّابق،ص259،والذّهبي،دُوَل،ج2ص176،وأبوالفداء،المختصر،ج4ص199.

9)عصام عبد الرّؤوف الفقّي،المرجع السّابق،ص250.

10)الهمذاني،المصدر السّابق،م2ج1ص324-325.

وفي الجانب الآخر كان رجال هولاكو يُواصلون إنتصاراتهم،فارتفعت معنويّاتهم أكثر فأكثربسقوط حلب-وهيّ أكبر وأعظم من ماردين- بيّدِهم في مُحرّم-صفر 658هـ/جانفي1260م أي أثناء حصارمعقل الأراتقة [1]،فاعتصم جيشها في القلعة لثمانيّة أشهر؛صامدًا أمام حجارة المجانيق،وسهام الغزاة،والّذين كان قسم منهم يهاجم دنيسر،وأرزن للحيلولة دون تقديم قوّاتهما المساعدة للملك السّعيد [2]،فصمّم هولاكو أكثر من أيّ وقتٍ مضى على الظّفربماردين، فشدّد الحصارعليها،وفتكت عساكره بأيٍّ شخصٍ يُغادرها وبخاصّة التُّجّار [3]،وذكرإبن العبري [4] أنّ خان المغول اتّصل بالملك المُظفّروليّ العهد واستخدمه كوسيط لإقناع أبيه بالإستسلام، فأبى وحبسه في سجن القلعة،وهيّ رواية تقترب من مانقله الديّاربكري [5] بأنّ أمير ماردين أرسل إبنه المذكور للتّفاوض مع هولاكو حينما هاجم آمد.

لم يكُن الوضع في معقِل الأراتقة يُبشّر بالصمود والذّي أضحى يبدو تدريجيًّا كأمرٍ عبثي،فقد كثرت بها الأمراض، وارتفعت الأسعار،و استفحل الجوع،وقلّت الأغذيّة والميّاه بقلعة"البازيّ الأشهب"،ومات أكثر من كان فيها،فاقترح الأمير مُظفّر الدّين قرا أرسلان على والده الإستسلام،فرفض الأمر،فقتله بالسُمّ في دوائه بتاريخ 16 صفر 658 هـ/2 فيفري 1260م،وراسل المُحاصرين مُستسلمًا،وبعد أن فاوض قادتهم قال:"إنّ التّضحيّة بدم واحد خير من التّضحيّة بمائة ألف" [6].

ثُمّ عفا عنه هولاكوخان واعترف به خليفة لوالده مُشترطًا عليه طاعة المغول طاعة تامّة [7]، وقرّر تخريب أسوار القلعة وفرض على قرا أرسلان دفع ضريبة سنويّة تقدّر بخمسين ألف درهم،مع تسييره لشؤون دارا،ونصيبين،ورأس العين نيّابة عن المغول،والّذين أعدموا أعوان أبيه من كبار الأمراء والقادة،واستلموامنه ثروته من الأموال،والذّخائر [8].

وبعد أن إنهزم جيش المغول في عين جالوت في نفس السّنة،أمر هولاكو بإعدام رهائن من حاشيّة قرا أرسلان،وعيّن أميرًا من أعوانه لمراقبة ماردين،ونصيبين،والخابور [9].

---

[1])الذّهبي،دوّل،ج2ص176،وأبوالفداء،المختصر،ج4ص200،و العيني،المصدر السّابق،ص95،والمقريزي،المصدر السّابق،ج1ص511.

[2])الهمذاني،المصدر السّابق،م2ج1ص325.

[3])إبن كثير،المصدر السّابق،ج18ص167-168.

[4])تاريخ مختصر الدوّل،ص488.

[5])تاريخ الخميس،ج2،ص378.

[6])الهمذاني،المصدر السّابق،م2ج1ص325، و إبن دقماق،المصدر السّابق،ص271،وإبن تغري بردي،المصدر السّابق،ج7ص202.

[7])الهمذاني،المصدر السّابق،م2ج1ص325،و إبن العبري،المصدر السّابق،ص489.

[8])إبن العبري،المصدر السّابق،ص489،و جرجس بن العميد،المصدر السّابق،ص53،و المقريزي،المصدر السّابق،ج1ص513.

[9])سحر السّيد عبد العزيز سالم،المرجع السّابق،ص407.

2)الأراتقة كتابعين للمغول(658-736هـ/1260-1335م):

كان من نتائج إستسلام أمير ماردين للمغول تبعيّته لمركز قرارهم السيّاسي في تبريز،وعليه فإنّ قوّاته صارت مجرد فرقة ملحقة بجيشهم،فكان من المنطق أن تشترك إلى جانبه في حصار البيرة سنة 674هـ/1275م[1]،وبخاصّة أنّ أباقا خان بن هولاكو- والّذي خلف والده في 3رمضان663هـ/14جوان1265م- عيّن كثيرًا من الأمراء المسلمين على أقاليم دولته،ومنهم الملك المُظفّر قرا أرسلان الأرتقي لإدارة ديّار ربيعة [2]. كما شاركت القوّات الأرتقيّة في حملتي المغول على الشّام سنتي680هـ/1281م،و699هـ/1299م (والثانيّة معروفة بحملة غازان)[3]، ونتيجة لهذا الولاء والإخلاص أكرم غازان(694-703هـ/1295-1304م) أمير ماردين الملك المنصور نجم الدّين إيلغازي بمنحه التّاج والمظلّة الملكيّة وجَعَلَهُ من الأمراء المقرّبين،فأسند له مرّة أُخرى تسيير شؤون ديار بكر وربيعة بالنّيابة عن حكومة تبريز [4].

ويذكر العيني[5] أنّ غازان كان يُكرم الملك المنصور ويعامله معاملة حسنة،وأنّ الأخير كان "رجُلًا معظّمًاعند المغول وسائر ملوكها"،ولاسيّما أنّ الإسلام هذّب أخلاق المغول بعد إسلام الخان غازان،ومايدلّ على ذلك أنّ ماقاموا به من قتل وتخريب في حملتهم على بلاد الشّام في عهده يقلّ بكثير عن ماارتكبه أجداده [6]،ولاسيّما أنّه جعل الإسلام ديّانة رسميّة لدولته،وأجبركلّ لدولته،وأجبركلّ سكّانها على اعتناقه [7]،ورغم ذلك فإنّ إسلام خان المغول ظلّ مشكوكًا فيه،واعتبره المماليك مجرّد مطيّة لاكتساب تعاطف رعاياه المسلمين في حروبه ضدجيوش الشّام [8].

ثمّ أقرّ الأراتقة بالتّبعيّة لخان المغول خربندا سنة 715هـ/1315م حينما وفد أمير ماردين الملك الصّالح بن الملك المنصور إيلغازي بن الملك المُظفّر قرا أرسلان على قصره في تبريز ليُجدّد له الولاء مثلما اعتاده الطّرفان [9]،والأمر نفسه قام به الملك

---

[1])راجع القسم الأوّل من الفصل الرّابع ص 106-111.

[2])من بين أعوانه المسلمين الّذين عيّنهم في مناصب في دولته؛نذكر:شمس الدّين محمّد الجويني وزيرًا،والصّاحب علاء الدّين عطا ملك نائبًا على بغداد، والخواجةعزّالدّين طاهر وزيرخراسان،والخواجة وجيه الدّين،وصدر الدّين نائبًا في تبريز،وجلال الدّين طرير والملك رضيُّ الدّين بابا في ديّاربكر،والخواجة بهاء الدّين محمّد على أصفهان ومعظم عراق العجم،وعلى قزوين وجزء من عراق العرب إفتخار الدّين القزويني وغيرهم،را:رشيد الدّين الهمذاني،المصدر السّابق،م2ج2ص3و12-13.

[3]) راجع القسم الأوّل من الفصل الرّابع ص 106-111.

[4])رشيد الدّين الهمذاني،المصدر السّابق،م2ج1ص326.

[5])عقد الجمان،ص563.

[6])عبد السّلام عبد العزيز فهمي،المرجع السّابق،ص204.

[7])حافظ أحد حمدي،المرجع السّابق،ص291.

[8])رجب محمّد عبد الحليم،إنتشارالإسلام بين المغول،ص196.

[9])أبوالفدا،المختصر، ج4ص76.

المنصورأحمد الأرتقي (766-769هــ/1364-1367م) بتجديد الولاء لذات السّلطان وأكثر من ذلك قَبِلَ بتزويجه بابنته دنيا خاتون[1].

ثالثًا:علاقة الأراتقة ببقيّة القوى المسيحيّة الإقليميّة.

1-علاقة الأراتقة بالكرج[2]:

وكان الكرج قد غزوا كنجة [3] وأعمالها في شوّال 503هــ/1109م،فتمكّنت جيوش السّلطان محمّد بن ملكشاه (498-511هــ/1104-1117م) من طردهم منها؛ومن أذربيجان أيضًا [4]،ثمّ توقفّت غارات الكرج على الأقاليم الإسلاميّة طيلة سنوات حُكمه إلى أن تُوُفِيَّ فدبّت الفوضى واشتدّالصّراع على السّلطة داخل أركان دولة السّلاجقة [5]، فعادوا إلى الغارات على أرّان[6] ووصلوا إلى العراق[7]، وكان معهم خمسة عشر ألف رجل من خيرة فرسان القفجاق،و خمسةآلاف من اللان،ومئة اللان،ومئة مرتزق من الفرنجة [8]، وذلك في 514هــ/1120م ؛فسارإليهم أمير ماردين إيلغازي بن أرتق ومعه أمير أرّان الملك طغرل، ودبيس بن صدقة،وكثير من التركمان في ثلاثين ألف ؛وقيل كانوا مائة ألف، فانتصروا في البداية وتوغّلوا داخل بلادهم،فخادعهم الكرج وحلفائهم وحاصروهم بمضايق الجبال ثمّ رموهم بصخورها، فقتلوا كثيرًا من جيش المسلمين وأسروا أربعة آلاف،فتقهقر من تبقّى بقيّادة إيلغازي [9]، وكانوا عشرون ألفًا؛جُلّهم مُثخنين بالجراح [10]،ثمّ نجح الكرج في استعادة تفليس[11]،بعد أن حاصروها لِسَنة كاملة [12]،ومكثوا فيها إلى سنة 516هــ/1122م،أين داهمهم السّلطان محمود

---

[1])إبن بطّوطة،المصدرالسّابق،ص238.

1)تقع بلاد الكرج في النصف الجنوبي من القوقازبين أذربيجان،وأرمينيا،وتركيا الحاليّة،وجبال بلاد الشركس،والبحر الأسود،وهم من أقدم شعوب المنطقة وينتمون للعرق الأبيض،وهم شعب ذوحضارة ومدنيّة،أساس حياته الزّراعة الجبليّة والتّجارة،وكانت علاقاتهم التّجاريّة مع الأرمن بصفة خاصّة، وهم شعب مسالم لايملك تقاليد عسكريّة كالأتراك،وأساس تنظيم مجتمعهم هيّ القبيلة،اعتنقوا الدّيّانة المسيحيّة،ثمّ أسلم جزء كبير منهم ابتداءً من 22هــ/647م،ولهم لغتهم الخاصّة بهم،كما عانوا من الإحتلال السلجوقي بسبب تحالفهم مع البيزنطيين،را:محمّد جمال صادق أبازاو، موسوعة تاريخ القفقاس والجركس،ص ص187-189و192-193.

[3])*كنجة*:مدينة في إقليم أرّان شمال شرق مدينة بردعة،را:أبوالفداء،تقويم البلدان،ص404-405.

[4])إبن القلانسي،المصدر السّابق،ص269 ،و العمري،المصدرالسّابق،ص31.

[5])حسن أحمد محمود،المرجع السّابق،ص479.

[6])*أرّان*:إقليم يمتد من تفليس إلى أذربيجان،من مدنه:برذعة،كنجة وقاليقلا،را:أبوالفداء،تقويم البلدان،ص387.

[7])إبن خلدون،المصدر السّابق،مج5ص59.

[8])édouard dularier,opp.cit,p304.

8)إبن القلانسي،المصدر السّابق،ص 326،و العظيمي،المصدرالسّابق،ص 68،و إبن العديم،المصدرالسّابق،ج 2ص200،و إبن العمراني،المصدر السّابق،ص213، وإبن العبري،المصدر السّابق،ص350.

9)édouard dularier,opp.cit ,p304.

[11])إبن القلانسي،المصدر السّابق،ص326.

[12])إبن العبري،المصدرالسّابق،ص351.

السّلجوقي[1]، و لم يُحقّق نصرًا حاسمًا على ملكهم ديمتري بن دافيد، لحرصه على عدم التوغّل في بلادهم،ولانشغاله بالإضطّرابات في العراق[2].

كانت الحرب مع الكرج سببًا في إصابة إيلغازي بمرض خطير؛عاد على إثره إلى ميّافارقين ليموت بها بعد أيّام في رمضان 516هـ/نوفمبر1122م[3]،وهذا ما دفع أحد المؤرّخين الغربيين [4] إلى القول بأنّ مهاجمة الأراضي الإسلاميّة من طرف جيش جيش هذه الدّولة المسيحيّة كان بتحريض من الإمبراطوريّة البيزنطيّة-والّتي تملك نفوذًا دينيًّا كبيرًا بين الكرج- من أجل تخفيف الضّغط العسكري الّذي تقوم به جيوش الجزيرة على إمارة أنطاكية الصّليبيّة.

عاود الكرج هجوماتهم في سنة 548هـ/1153م،وطرقت جيوشهم مدينة أرزن الرّوم،ولكنّهم واجهوا مقاومة شديدة من أميرها،والّذي وقع أسيرًا في أيدي الغزاة،قبل أن يطلقوا سراحه[5].

ومرّة أخرى هاجموا "حاني " من أعمال أرّان في شعبان 556هـ/جويلية-أوت1161م،واستباحوها بالقتل والأسر، فجمع لهم شاه أرمن بن إبراهيم بن سقمان-أمير خلاط-الجند والمتطوّعين(جهاد ضدّ النّصارى)،ولكنّه انهزم أمامهم، ووقع كثير من عناصر جيشه في الأسر [6]،وسبب قيّام أمير خلاط بهذه الحرب هوّ نصرته لصهره أميرأرزن الرّوم ؛والّذي أسر ه الكرج مرّة أخرى[7]، فارتفعت معنويّاتهم وزحفوا على أذربيجان وماجاورها في شعبان 557هـ/جويلية-أوت1162م في ثلاثين ألف واجهوا خمسين ألف من المُسلمين بقيّادة أمير أذربيجان إيل دوكوز(531-568/1136-1172م)،وعساكرخلاط،وأمير مراغة آق سنقر و هاجموا معاقل العدو في صفر 558 هـ / جانفي1163م،وأمعنوا في القتل والأسر،كما أسلم عدد من الأمراء المحلّيين وانضمّوا للجيش الإسلامي [8].

في سنة 601هـ/1204م تعرّضت أذربيجان وخلاط وأرجيش لهجوم جديد إنتهى قرب ملازكرد، يقتلون وينهبون ويسبون،و لم يعترضهم أحد من المسلمين[9]،ومالبث أن إنضوى أراتقة ماردين في تحالف أنشئه الأيّوبيّون للتّصدّي لجحافل الكرج في 602هـ/ 1206م بعد أن إستنجد أهل خلاط بناصر الدّين أرتق أرسلان بن إيلغازي الثّاني [10]،وهيّ المدينة الّتي هوجمت مرّة أخرى في سنة 607هـ/1210م فحاربهم الأوحد بن العادل،ثمّ صالحهم وصاهر ملكهم،لأنّ مهاجمة الكرج

[1])إبن خلدون،المصدر السّابق،مج5ص59.

[2])إبن العمراني،المصدرالسّابق،ص214.

[3]) إبن القلانسي،المصدر السّابق، 326،وإبن العُمراني،المصدر السّابق،ص 214،وإبن العبري،المصدر السّابق، ص 351،وإبن خلدون،المصدر السّابق، مج5ص59،وإبن تغري بردي،المصدر السّابق،ج5ص223.

[4])ستيفن رنسيمان،المرجع السّابق،م2ق1،ص254.

[5])إبن الأثير،الكامل،ج9ص210.

[6])إبن خلدون،المصدر السّابق،مج5ص96.

[7])إبن الأثير،الكامل،ج9ص289-290.

[8])إبن كثير،المصدرالسّابق،ج16ص403،إبن خلدون،المصدر السّابق،مج5ص96.

[9])إبن العبري،المصدر السّابق،ص398.

[10])إبن الأثير،الكامل،ج10ص236-237،والذّهبي،تاريخ،حوادث ووفيّات601-610هـ،ص ص8و10،ودوّل،ج2ص109.

لخلاط دون سواها من البلدان الإسلاميّة المجاورة؛كانت بتحريض من سلطان سلاجقة الرّوم،وحلفائه من أمراء الموصل، وإربل،وحلب،وسنجار لإضعاف العادل الأيّوبي وإنهاك جيشه[1]،وبسبب تآمر أمراء الجزيرة ضدّ الأوحد قيّام أهل خلاط بتسليمها له في 604هــ/ 1207م، فاتّخذها قاعدة لضمّ كثير من أعمال أرمينيّة، فاستفحلت غارات الكرج في مابين

(604-606هــ/1207-1209م)[2]،ثُمّ تحالفوا مع أميرأذربيجان[3]،فقام جلال الدّين منكوبرتي خوارزمشاه بغزو بلادهم،والقضاء على عشرين ألف رجل من قوّاتهم، واستعادة تفليس في 622هــ/1225م[4]،وكان قد بسط هيمنته على بلادهم قبل تمرّد أهلها[5].

وأثناء الغزو المغولي لبلاد الجزيرة حاول الكرج التّحالف مع أتابكيّة أذربيجان،والأشرف –أميرخلاط–ولكن علم أحد مماليك أتابك أذربيجان بهذا المُخطّط،فباغت جيشهم ودمّر قدراتهم العسكريّة [6]،ونتيجة ضعف موقفهم خضعوا للغزاة الجدد، وشاركوا في كثير من معاركهم ضدّ جيوش المماليك المُرابضة في الشّام [7]؛مثل:موقعة الأبلستين في 9ذي القعدة 675هــ/ 14أفريل 1277[8]،وبسبب ذلك قبض السّلطان الظّاهر بيبرس على ملكهم أثناء قيّامه بزيّارة بيت المقدس[9]، وعليه فإنّ العلاقة العلاقة بين هذا الشّعب المسيحي والأراتقة أصبحت قائمة على التبعيّة والولاء للمغول أسياد الأراتقة الجدد.

2– ***علاقة الأراتقة بالبيزنطيين:***

لم يقف البيزنطيّون(لاحظ الجدول رقم:15) أوّل الأمر مع الصّليبيين أثناء حملتهم الأولى سنة 490هــ/1096م على الشّام والجزيرة لأنّهم رفضوا تنفيذ الإتّفاق المبرم بينهما والقاضي بتسليمهم ما يحتلّونه من أراضٍ باعتبارها من أملاكهم الّتي إحتلّها المسلمون[10]،غيْر أنّهم إستفادوا بطريقة غير مباشرة من الإنتصارات الصّليبيّة المُبكّرة بإضعاف سلاجقة الرّوم عسكريًّا،واستعادة السّيْطرة على معظم أراضي آسيا الصّغرى[11].

---

[1])أبو شامة،المصدرالسّابق، ج5ص116.

[2])الذّهبي،تاريخ،حوادث ووفيّات601-610هــ،ص18-23.

[3])إبن واصل،المصدرالسّابق، ج4ص147.

[4])إبن كثير،المصدر السّابق، ج17ص132-133.

[5])اليافعي،المصدرالسّابق ،ج4ص40.

[6])حافظ أحمد حمدي،المرجع السّابق،ص156.

[7])راجع القسم الخاص بعلاقة الأراتقة بالمماليك في هذه الدّراسة ص106-111.

[8])اليونيني،المصدرالسّابق،ص553.

[9])النويري،المصدر السّابق، ج30ص133.

[10])عصام عبد الرّؤوف الفقّي،المرجع السّابق،ص118.

[11])محمود سعيد عمران،الإمبراطوريّة البيزنطيّة وحضارتها،ص268.

وبالنّسبة لعلاقة الأراتقة العسكريّة بهم فإنّها تتّضح من خلال طَلَبِ عماد الدّين زنكي مساعدتهم في ردّ هجوم قوّات القسطنطينيّة على بلاد الشّام في 533هـ/1138م،فسار إليه أمير حصن كيفا داود بن سقمان بن أرتق(502-539هـ/1108-1144م) مُرفقًا بعدد كبير من التّركمان[1].

ويُمكنُ تفسير التّقارب البيزنطي-الصّليبي آنذاك بالخوف من تبعات استقواء زنكي في بلاد الشّام والجزيرة،واكتساب نوع من الإحساس بالقوّة من خلال إظهار حُكّام القسطنطينيّة كحُماة للمُمتلكات الصّليبيّة في بلاد الشّام،لذا يُمكن القول أنّ ماقام به الإمبراطور البيزنطي حنا كومنين من دعم عسكري لإمارة أنطاكية كان بمثابة حملة صليبيّة تحت مُسمّى"الحملة البيزنطيّة"[2].

البيزنطيّة"[2].

لم يكن عامّة البيزنطيين يُحرّضون على محاربة المسلمين،ولا يعملون على استعادة بيت المقدس،ولكنّ أباطرتهم كانوا يعتبرون حكّام غرب أوروبا-بما فيهم الأمراء الصّليبيّون في المشرق-"رعايا مُتمرّدين" تملّصوا من طاعتها[3]،ففي سنة 546هـ/1150م إشترى الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين (540-575هـ/1145-1180م) ماتبقّى من إمارة الرّها الصّليبيّة من بياتريس زوجة جوسلين الثّاني،والوصيّة على الإمارة ،غير أنّ مانويل لم يتمكّن من المحافظة على مُكتسباته لبعدها عن القسطنطينيّة[4]، فكان الأراتقة من الّذين ظفروا بما عجز عن حمايته وكرّس ذلك استيلاء أمير ماردين نجم الدّين ألبي(547-575هـ /1152-1179م) على سميساط والبيرة سنة 546هـ/1151م[5]، والّذي إنضم لاحقًا لأراتقة حصن كيفا بقيّادة قرا أرسلان بن داود(539-562هـ/1144-1162م) من أجل دعم جيش الزنكيين في حربه ضدّ البيزنطين والصّليبيين في حارم سنة560هـ/1164م[6]،كما أنّ علاقة البيزنطيّين بنور الدّين محمود كانت جيّدة[7]،وهوّ مايعني مايعني أن علاقة الأراتقة بهم سارت على ذات النّهج لارتباطهم بالزنكيّين.

وكان سلاجقة الرّوم والإمارات الصّليبيّة في بلاد الشّام والجزيرة يحولون واتّصال الأباطرة الشّرقيّين بشكل دائم بديّار بكر أو الشّام،فارتبطت علاقتهم أكثر بإمارة أنطاكية،وعملوا على حمايتها من توسّعات نور الدّين محمود[8]،واعتبروها تابعة لهم، ولكنّ ولكنّ أمرائها لم يُظهروا الولاء إلّا في حالة تواجد الجيش الإمبراطوري بديّارهم[1].

---

[1])عصام عبد الرّؤوف الفقّي،المرجع السّابق،ص122.

[2])محمود سعيد عمران،تاريخ الحروب،ص ص60.

[3])محمود سعيد عمران،الإمبراطوريّة البيزنطيّة،ص ص257و321.

[4])عصام عبد الرّؤوف الفقّي،المرجع السّابق،ص175.

[5])إبن القلانسي،المصدرالسّابق،ص315.

[6])إبن واصل،المصدرالسّابق،ج1ص144.

[7])حسين محمّد عطيّة،إمارة أنطاكية،ص170.

[8]) محمّد مؤنس أحمد عوض،المرجع السّابق،ص ص185و188.

ترك البيزنطيّون أمر التّدخّل في شؤون بلاد الشّام والجزيرة مباشرة بعد أن إنهزموا في معركة "ميريو كيفاليون" في 11ربيع الأوّل571 هـــ /17سبتمبر1176م،بسبب إسترجاع قلج أرسلان الثّاني لكامل السّيادة السلجوقيّة على الأناضول[2]،فقد كانت بمثابة متزكرت[3] جديدة لهم[4]، ثُمّ عملوا على بناء علاقة جيّدة مع مغول فارس للإستقواء بهم على التركمان دون جدوى[5]،لأنّ الإمبراطوريّة كانت تسير في طريق الإنهيّار بسبب ضعف وقدم نظامها الحربي،وفقدان مواردها الإقتصاديّة،فقلّت النفقات وأصبح جيشها لايتجاوز بضعة آلاف[6]،وكان يُعاني من قلّة المؤونة ، وأصبحت تحت إمرة قيّادة غير مخلصة هدفها المال والمناصب[7].

ومن بين الدّلائل على قيّام علاقة جيّدة بين الأراتقة في ماردين وحصن كيفا بالبيزنطيين،ظهور صوّر أباطرة ونقوش بيزنطيّة على بعض دنانيرهم لأنّها سُكّت في الأراضي التّابعة لإمبراطوريّة القسطنطينيّة[8].

3- علاقة الأراتقة بالأرمن:

كان كوغ باسيل الأرمني(ت 503هـــ/1109م) قد استولى على عدد من قلاع منطقة الثغور قبل قدوم الصّليبيين[9]، وهوّ مايُفسّرإلى درجة بعيدة تعاون الأرمن المُتواجدين في قيليقيا[10] مع القوّات الصّليبيّة،وبخاصّة أثناء الحملة الأولى حينما كانوا أدلّائهم في الجزيرة والرّها،وزوّدوهم بالمؤونة أثناء حصار أنطاكية[11]،ولاسيّما أنّ قادة هذه الحملة عملوا على استمالتهم منذ البداية لاشتراكهم في معاداة البيزنطيين والمسلمين[12]،وتوقّعوامساعدةمن إماراتهم الصّغيرة المتواجدة هناك،وهوّ مايُفسّر تعمّدهم

---

[1])حسين محمود عطيّة،إمارة أنطاكيّة،ص170.

[2])كلود كاهن،المصدرالسّابق،ص190.

[3])*متزكرت:*وقعت في نواحيها معركة من أشهر وأخطر معارك التّاريخ الإسلامي،وسببها هجوم الإمبراطور البيزنطي رومان ديوجين الرّابع (460-463هـــ/1068-1071م) على شمال الشّام وفشله في البقاء فيها،فقرّر الإنتقام بتجهيز جيش جرّار يقضي به على قوّة السّلاجقة العسكريّة بشكل نهائي ولكنّ السلطان ألب أرسلان (455-465هـــ/1061-1071م)هزمه وأسره في 463هـــ/1071م،وحطّم الجيش البيزنطي،فأصبحت آسيا الصّغرى مفتوحة أمام غزوات التركمان وهجراتهم،را:محمّد عبد العظيم يوسف أبي النّصر،المرجع السّابق،ص85-88.

[4])محمّد مؤنس أحمد عوض،المرجع السّابق ،ص187.

[5])كلود كاهن،المرجع السّابق،ص257.

[6])زبيدة عطا،المرجع السّابق،ص150-151.

[7])محمّد عبد الشّافي المغربي،المرجع السّابق،ص41.

[8])عصام عبد الرّؤوف الفقّي،المرجع السّابق،ص244.

[9])إبن العبري،المصدرالسّابق،ص346.

[10])يحدّ قيليقيا(كيليكيا) من الشّرق جبال آمانوس،ومن الشّمال والغرب جبال طوروس،ومن الجنوب البحر الأبيض المتوسّط من طرسوس إلى الإسكندرونة، وتبلغ مساحتها أربعون ألفكلم مربّع،وأقصى إمتدادٍ لها من الشّرق إلى الغرب هوّ 400كلم،ومن الشّمال إلى الجنوب 100كلم،ومن أهمّ مدنها:مرعش، عينتاب،وطرسوس،وتتألّف من قسمين:جبلي،وسهلي،ومن أنهارها:سيهون،وجيهون،ومن النّاحيّة الإقتصاديّة يزرع فيها قصب السكّر، والقطن، والكروم، وفيها بعض المعادن،كما أنّ سواحلها أهّلت الأرمن للإحتكاك بحياة البحر لأوّل مرّة في تاريخهم،وعليه صار هذا الإقليم الوطن البديل لهم،بعد أن هاجروا إليه مابين 464-473هـــ/1071-1080م،وأسّسوا فيه إمارة مستقلّة، را:مروان المدور،المرجع السّابق،ص223-224.

[11])بطرس توديبود،المصدرالسّابق،ص135و170.

[12])محمّد عبد الشّافي المغربي،المرجع السّابق،ص123.

المرور بأراضيهم خلال عبورهم نحوَ الشّام [1]،بل كان أرمن الرّها في عداء لجيرانهم من الأمراء المسلمين [2]، فرحبّوا بقدوم حملة الأمراء في مرعش،سميساط وغيرهما من مدنهم [3]،فلولا مساعدتهم لما تمكّن بالدوين دي بورغ من تأسيس كونتيّة الرّها سنة 492هـ/1098م[4].

كان أمير أنطاكيّة تنكريد يطمح لتوحيد إمارته بمملكة قيليقيا(لاحظ الخريطة رقم: 18) قبل أن يُباغته الأجل[5]، كماأنّ أمير الرّها أمر سكّان إمارته من المسيحيّين -وأغلبهم من الأرمن-بالمغادرة إلى الضفّة اليمنى من الفرات لاتّخاذها ملاذًا يقيهم من هجومات جيوش مودود بما فيهم الأراتقة[6].

ودفع الأرمن ثمن ولائهم للصّليبيين، حيثُ عاملهم الأراتقة معاملة الغزاة القادمين من غرب أوروبّا،وهذا يتّضح من خلال حروب بلك بن بهرام ضدّ الصّليبيين(514-518هـ/1120-1124م)[7]،حيث أنّ التمرّد الّذي حدث في قلعة خرت برت كان بمساعدة كثير من الأرمن السّاكنين في أريافها، فدام شهرًا ونصف لاتّخاذه طابعًا إحتجاجيًّا ضدّ سيّاسة الأراتقة في تلك النّاحيّة[8] ، أمّا إيلغازي فَلَم يتعرّض لمن خضع له منهم مثلما يتّضح في أرتاح حينما فَتَحها في 514هـ/1119م؛إذ أمّن أمّن أهلها،وعيّن قائدًامنهم إسمه يوسف لتسيير شؤونهم،وترك مُمثّلاً عنه فيها[9].

كان أمراء قيليقيا (كيليكيا)، وبخاصّةمنهم ثوروس الثّاني (494-517هـ/1100-1123م)، وكوغ باسيل (فاسيل) يهدفون إلى توسيع مملكتهم على حساب البيزنطيين بالإستعانة بحليف قوي؛ فوجدوا غايتهم في أمراء أنطاكية [10]،ففي سنة 553هـ/1158م إستولى مانويل كومنين على قيليقيا بسهولة كبيرة،ففرّ ثوروس الثاني إلى الجبال [11]،وكان له دور في منع البيزنطيين من التّدخّل في أنطاكية بطريقة غير مباشرة بمحاربته لقوّاتهم في أراضي مملكته وطردهم منها [12]،فصار بمثابة "خط

---

[1])أرنست باركر،المرجع السّابق،ص31.

[2])قام سقمان بن أرتق وبُلك أميرسميساط مع مجموعة من التّركمان بمهاجمة الرّها بأربعين ألف فارس،وحاصروها لمدّة خمسة وستّين يوم،ورغم تسرّب مجموعات منهم إلى داخلها إلّا أنّ أميرها ثوروس الأرمني نجح في دفع الغزاة،الّذين إستعانوا بقوّات دعم من رضوان بن تتش-أمير حلب-وياغي سيّان-أمير أنطاكية-وذلك في صيف1095م/جمادى الآخرة-شعبان488هـ،را:.Edouard dularier ,opp.cit.p. 210

[3])بطرس توديبود،المصدر السّابق،ص117-119،ووليم الصّوري،المصدر السّابق،ج1ص267-268.

[4])عصام عبد الرّؤوف الفقّي،المرجع السّابق،ص131-133.

[5])الذّهبي،دوّل، ج2ص11.

[6])عصام عبد الرّؤوف الفقّي،المرجع السّابق،ص143.

[7])تفاصيل ذلك في القسم الأوّل من الفصل الخامس ص117-133.

[8])محمود سعيد عمران،العلاقات بين الشّرق والغرب،ص93-94.

[9])محمود سعيد عمران،تاريخ الحروب،ص51.

[10])مروان المدور،المرجع السّابق،ص225-226.

[11])محمّد مؤنس أحمد عوض،المرجع السّابق،ص192.

[12]) أنطون خانجي،المصدرالسّابق،ص224-226.

دفاع أمامي في صالح الممتلكات الإسلاميّة في الشّام" [1]،كما أنّ الأرمن تعاونوا مع نور الدّين محمود-حليف الأراتقة-ومنعوا سلاجقة الرّوم من مهاجمة بلاد الشّام عبر أراضي مملكة قيليقيا [2]،وتمتّعوا بحمايته من الأخطار البيزنطيّة [3]، حيث قام مليح meleh بن ليون الأوّل (566-570هـ/1169-1174م)بالإنتصارعلى سلاجقة الرّوم في ربيع الآخر568هـ/نوفمبر-ديسمبر1172م،فأرسل إليه نورالدّين تقليدًا بتوليته رسميًّا على قيليقيا،وتمتّعه بحماية نورالدّين محمود كأحد أمرائه[4]،وبذلك صار الأرمن حلفاء للزّنكيين، ومعهم الأراتقة في ماردين وحصن كيفا،وأمراء الموصل كذلك[5].

أدّت معركة ميريوكيفاليون سنة 571هـ/1176م إلى ظهور الإتّجاه الإستقلالي للأرمن في قيليقيا [6] فتحالفوا مع الأيّوبيين و صارت علاقاتهم مرتبطة بالسّياسة الخارجيّة لهم،وبخاصّة بعد وفاة السّلطان صلاح الدّين في 27صفر 589هـ /3مارس1193م،وتكرّس ذلك من خلال تدهور علاقتهم بإمارة أنطاكيّة [7]،ولم تشُذ هذه المملكة الأرمنيّة عن قاعدة صغار نبلاء الأرمن المتحالفين مع الصّليبيين الأوائل، فهاجم ملكها ليون الثّاني (583-616هـ/1187-1219م) أعمال حلب،وأحرق وأسر وسبى ونهب،وهزم قوّات نجدة إسلاميّة [8]،ولم يكن تحرّك قوّاته إلّا بالتّنسيق مع القوى المسيحيّة في أوروبا وعلى رأسها البابا نفسه،إذ حرّضوه على تقديم كل قدراته الماديّة والعسكريّة لجيوش الصّليبيين بقيّادة الإمبراطور الألماني فريدريك،والّتي قدمت لاسترجاع القدس من المسلمين [9]، فكرّر هجماته على حلب في 602هـ/1205م،واستباح نواحي حارم وهزم قوّاتها-من الأيّوبيين-على مرّتين [10]،ومايُفسّراستقواء الأرمن هوّتوحيد إمارتهم،وتحسين علاقتهم بملك القدس،واهتمام ملكها بتقويّة الإقتصاد،ومنافسة البيزنطيين، والصّليبيين، وتنشيط تجارة العبور من طرف الملك ليون الثّاني[11].
ثمّ إستولى المغول على أرمينيا في 629هـ/1231م[12]، فرأى الأرمن ماحدث لجيرانهم المسلمين وبالأخص في مدينة حاني،فأرسل ملك قيليقيا هيطوم الأوّل hetum(623-669هـ/1226-1270م) إليهم برسالة يطلب فيها الخضوع

[1])محمود سعيد عمران،تاريخ الحروب،ص65-66.
[2])إبن كثير،المصدرالسّابق،ج16ص465.
[3])حسين محمّد عطيّة،إمارة أنطاكية،ص178.
[4])الذّهبي،تاريخ،حوادث671-680هـ،ص14.
[5])سهيل زكّار ،موسوعة الحروب الصّليبيّة،ج5(ميخائيل السرياني) ،ص238.
[6])كلود كاهن،المرجع السّابق،ص190.
[7])حسين محمّد عطيّة،إمارة أنطاكيّة،ص234.
[8])محمود سعيد عمران،تاريخ الحروب،ص194.
[9])أنطون الخانجي،المصدرالسّابق،ص230-231.
[10])الذّهبي،تاريخ،حوادث ووفيّات 601-610هـ،ص ص9و12.
[11])مروان المدور،المرجع السّابق،ص231-232.
[12])عصام محمّد شبارو،المرجع السّابق،ص186.

بإلحاح مع تقديمه في سبيل ذلك الكثير من الهدايا [1]،وعليه فقد حافظ أرمن قيليقيا على علاقة جيّدة مع الدّولة الإيلخانيّة وكانوا أدلّاء أوفيّاء لجيوشهم ،فاستعداهم المماليك وهاجموا بلادهم،وتحالفوا مع المُعادين للمغول في آسيا الصّغرى[2].

ويرى صاحب كتاب المغول في التّاريخ[3] أنّ تحالف المغول مع الحكّام المسيحيين في غرب آسيا؛كان سببًا من أسباب تحمّسهم تحمّسهم لغزو الشّام،وكان ملك قيليقيا هيطوم الأوّل يهدف إلى الإستقواءبهم من أجل السّيطرة على الشّام وفتح بيت المقدس،وأنّه جهّز خطة لذلك بالتّنسيق مع هولاكو خان.

إمتلك الأمراء الأرمن في قيليقيا فِكْرًا ديبلوماسيًّا "براغماتيًّا"؛تكرّس وقت وصول المغول إلى ديّارهم في 642هـ /1244م، والّذين نجحوا في تدمير الوطن التّاريخي للأرمن وإخضاع سلاطين سلاجقة الرّوم،فقام "سيمباد" سنة644هـ/1246م بالمثول بنفسه أمام الخان الأغظم لتقديم الولاء،وقام هيطوم الثّاني hetum II (688-705هـ/1289-1305م)بنفس الإجراء،فأصبح ملوك أرمينيا الصّغرى حلفاء أوفيّاء للغزاة الجدد،فشاركوا بقوّاتهم في حملاتهم على الشام[4] بخمسمائة جندي في معركة عين جالوت [5] ،وسارت العلاقات بين الطّرفين على أحسن حال في المجالين السيّاسي،والتّجاري،فجلب لهم كلّ ذلك غضب سلاطين القاهرة[6].

ولكنّ السلطان المملوكي بيبرس وضع حدًّا لغزواتهم المتلاحقة على الأراضي الإسلاميّة،بتوغّل قوّاته المُتواصل في أراضيهم[7]،كما قام جيش المماليك بغزو عاصمة قيليقيا مدينة سيس[8]،وإخضاع ملكها ليون الخامس leo v(720-743هـ/1320-1342م) في 738هـ/1337م،قبل أن يتمرّد في 748هـ/1347م[9]،ومالبثت غزو الجيش المملوكي المتلاحقة على مملكة الأرمن أن أثمرت بإزالة هذا الكيان السيّاسي في 777هـ/1375م،واعتقال الملك ليون السّادس سبع سنوات في القاهرة[10].

---

1)أنطون الخانجي،المصدرالسّابق،ص238.

2)كلود كاهن،المرجع السّابق،ص ص256و258.

3)فؤاد عبد المعطي الصيّاد ،ص295.

4) joseph-andré gatteprias ,opp.cit.p304.

5)محمود سعيد عمران،العلاقات بين الشّرق والغرب،ص223.

6)مروان المدور،المرجع السّابق،ص236.

7)كارل بروكلمان،المرجع السّابق،ص367.

8)**سيس:** مدينة محصّنة تعتبر عاصمة مملكة أرمينيّة الصغرى ،تبعد عن المصيصة بأربعة وعشرون ميلًا(ثلاثة وأربعون كيلومتر)،وعن عين زربة بنفس المسافة،را:أبو الفداء،تقويم البلدان،ص257.

9) الذّهبي،دوّل،ج2ص282،وإبن شاهين الظّاهري،المصدرالسّابق،ق1ج1،ص143.

10)مروان المدور،المرجع السّابق،ص244.

وحينما نلاحظ علاقة الأرمن بالمغول يبدو بشكل جلي أنّ موقفهم على الصّعيد السيّاسي صار مُشابهًا لموقف الأراتقة بوصف الطّرفين من أتباع خانات تبريز وبالتّالي أصبحا جزءًا من إمبراطوريّتهم وصارت علاقتهما على وفاق وتعاون حذ ر كجزء من الإدارة المغوليّة.

الخاتمة

درسنا في هذا البحث علاقة الأمراء الأراتقة بالقوى السياسة التي عاصرت حكمهم ؛والذي إمتد لفترة زمنية تجاوزت الأربعة قرون مع كثير من الأحداث الشديدة الأهمية في تاريخ المشرق الإسلامي،لقد كانت سياسة بني أرتق بمثابة سجل لكثير من هذه الأحداث،وساعدت في تشكيل صورة عامة عن السياسة الخارجية لكيانات سياسية أخرى؛كانت هي أيضا في ميدان واسع من الصراعات وحرب المصالح والتحالفات،والحركية العسكرية الواسعة التي ميزت بلاد الجزيرة والشام وماجاورهما أيام السلالة الحاكمة موضوع الدراسة،وعليه فالخلاصة العامة لهذه الدراسة تضمنت الآتي:

1- في الفصل التّمهيدي تموقع بني أرتق في منطقة شمال الجزيرة؛مستغلين في ذلك الفراغ السياسي الناتج عن تراجع القوى السلجوقية أواخر القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي،وبروز قوى محلية لم تبرز أمام قوة أوائل حكام الأسرة الأرتقية، فنال هؤلاء مغنما عظيما لم يكن من السهل الحفاظ عليه مثل سهولة إستخلاصه،فكان من مميزات منطقة شمال الجزيرة الثروة المائية الهائلة سواء من خلال المجاري المائية أو من خلال عملية التساقط المنتظم نتيجة إعتدال المناخ،وهو اعتدال عوض نوعا ما الطبيعة الجبلية لمنطقة ديار بكر بتوفير الأراضي الرعوية فيها،وبالمقابل مكن كل هذا من التأثير على الجانب البشري فلقد جلبت طبيعة جبال الجزيرة الرعوية قبائل التركمان للعيش إلى جانب سكان البلاد الأصليين من العنصر الكردي،وجلبت الثروة المائية وفرة في الإنتاج الزراعي جعل شمال الجزيرة منطقة جذب لعناصر سكانية أخرى تعددت إثنياتها وطوائفها، وبالمقابل شهدت المنطقة حركة تجارية مزدهرة نتيجة الإزدهار الزراعي من جهة وشبكة الطرقات الهامة سواء داخل هذه المنطقة أو الشأن العظيم لمكسب تجاري هام:"طريق التجارة الدولي" من الشرق الأقصى إلى أوروبا وموانيء البحر المتوسط، فضاعف ذلك من أهمية بلاد الجزيرة وبلاد الشام المجاورة لها والتي تكاد تتمتع بنفس الخصائص،فهذه القوة الإقتصادية والزاد البشري أثرا على المناخ السياسي العام لحكام شمال الشام وبلاد الجزيرة سلبًا وإيجابًا.

2- في الفصل الأوّل ؛ لم ينطلق سقمان و إيلغازي إبنا أرتق من فراغ في تأسيس ملكيهما سنتي 495هـ/1100م و500هـ/1105م على التّوالي،فلقد كان أرتق أو "أرتوق بك" قائدًا عسكريًا ذو نجاحات كبيرة،ومكانة مميزة لدى الأمراء السلاجقة،فاستفاد إبناه من أمجاده السابقة،وكاناشبيهين به في القدرات العسكرية،إلا أنهما كانا أحسن منه في قراءة الوضع القائم على ضعف السلطة السلجوقية المركزية فانبريا إلى نيل جزء من أملاكها في إطار مشروع (الإقطاع) ،وأخذا في الدخول في تحالفات وحروب مع من شاركهم في الولاء لسلطان السلاجقة،و لم يكن خلفائهما في مستواهما من التأثير والحنكة والقوة، فتداعت إنجازات سقمان بسقوط إمارة حصن كيفا في يد الأيّوبيّين سنة 630هـ/1230م،و لم يشفع لأمراء ماردين سوى الحصانة الطبيعية لمدينتهم في المكوث لمدة طويلة جزءا من المشهد السياسي في منطقة الجزيرة حتّى 811هـ/1409م .

3- في الفصل الثّاني القسم الأوّل؛ دخل الأراتقة مباشرة في صناعة الأحداث السياسية في العراق،وبلاد الشام ، فتحالف إيلغازي سنة 502هـ/1107م مع رضوان بن تتش أمير حلب ،وجاولي سقاوو لدفع خطر السلاجقة على العراق بلاد الجزيرة،واشترك في محاربة الصليبيين إلى جانب القوى الإسلامية الأخرىإبتداءً من 503هـ/1108م،إلا أن تحالفات الأراتقة ضد الصليبيين كانت تحالفات يشوبها جو من الحذر واللاثقة بين الأمراء المسلمين ،أي أن المناخ العام للحياة السياسية كان مبنيا على جو من إنعدام الثقة ومنطق القوة ،وهذا ماتسبب في فشل القوى الإسلامية في طرد الصليبيين من بلاد الشام ،

كما أن الأراتقة وبعد أن قاوموا عمادالدين زنكي لفترة ما لبثوا أن حالفوه من أجل محاربة الصليبيين، ويتأكد هذاالتحالف أثناء فترة حكم نورالدين محمود آل زنكي،والذي أصبح حاميا للأراتقة وحليفًا لهم.

4-في الفصل الثّاني القسم الثّاني إتسمت علاقة الأراتقة بالأيوبيين بثلاث مراحل،فأولا أراد أميري ماردين وحصن كيفا تحدي السلطان صلاح الدين والتحالف مع المناوئين له من أمراء الجزيرة وعلى رأسهم الزنكيين،غير أن موقفهم مالبث أن تغير بعد أن مالت الكفة لصالح سلطان مصر ولاسيما أنه كان يحمل فكرة توحيد القوى الإسلامية ضد الصليبيين وهم العدو المشترك،كما أن الأراتقة أصبحوا تحت حماية جيوش الأيوبيين ضد أي خطر خارجي،ولكنهم إكتشفوا أن خلفاء القائد العظيم لم يكون في مستواه السياسي والأخلاقي،فاعتبروا أنفسهم أندادا لأمراء البيت الأيوبي ولاسيما مع إنقسامه،وهو ما كان سببا في إزالة إمارة آمد-حصن كيفا من الوجود لصالح حاكم من البيت آنف الذكر.

5- في الفصل الثّالث القسم الأوّل؛ كان أعظم خطر هدد الأراتقة هو الطموح الدائم لسلاطين الأناضول من الفرع السلجوقي في السيطرة على منطقة الجزيرة كاملة،وبالتالي كان هدفهم إبعاد أي منافس لهم من السيطرة عليها،وانطلاقا من ذلك حاول الأمراء الأراتقة التحالف مع القوى الكبرى القادرة على الوقوف في وجه سلاطين قونية مثل الزنكيين،والخوارزمشاهيين،والأيوبيين،و لم ينقذ إمارة ماردين من طموح هذه الدولة سوى الغزو المغولي.

6- في الفصل الثّالث القسم الثّاني؛ أراد الأراتقة الإستفادة من توسع جلال الدين منكوبرتي خوارزمشاه في بلاد الجزيرة هربا من جحافل المغول؛فتعاونوا معه وأيدوه،واستنجدوا به ضد سلاجقة الروم و بعض الأيوبيين،غير أنهم خذلوه لما ضعف أمره وعجز عن الوقوف في وجه الغزاة الجدد.

7-في الفصل الثّالث القسم الثّالث الفرع الأوّل ؛كان علاقة أراتقة بالدانشمنديين قائمة على التحالف،والمُصاهرة، والتدخل في شؤون هذه الأسرة التركمانية،مع المحافظة على هذه الإمارة كحاجز يحميها من القوة السلجوقية الكبرى في الأناضول.

8-في الفصل الثّالث القسم الثّالث الفرع الثّاني؛ نافس إيلغازي شاه أرمن وكان له طموح في ضم خلاط إلى دولته،ثم أصبحت العلاقة بين الأراتقة وأمراء خلاط علاقة تحالف نتيجة عملية المصاهرة بين كلتا الأسرتين الحاكمتين.

9- في الفصل الثّالث القسم الثّالث الفرع الثّالث؛إستفاد الأراتقة من الندية التي واجهوا بها القوى السياسية الصغيرة في منطقة الجزيرة قبل الغزو المغولي،وتمكنوا من القضاء على الإمارات الكردية الصغيرة،والإستيلاء على ميافارقين وآمد لأهميهما الإستراتيجية ،وأصبحوا أقوى كيان سياسي محلي في منطقة شمال الجزيرة.

10- في الفصل الرّابع القسم الأوّل ؛ بعد الغزو المغولي لمنطقة ديار بكر وخضوع إمارة ماردين له،تغيرت علاقة الأراتقة بالقوى الإسلامية بشكل تدريجي،إذ ساهم إنضواء أراتقة ماردين تحت سلطة خان المغول في معاداة المماليك في مصر لهم ،وإن حاول هؤلاء ربط علاقات سرية مع حلفاء المغول من المسلمين لاستمالتهم، إلاأن اكتشاف ذلك من طرف الغزاة الجدد أدى إلى إلغاء هذه الفكرة نهائيا،وبالمقابل عادت إمارة ماردين إلى الدخول في حماية سلطان المماليك بعد انهيار دولة أعدائهم،وتم تعيين نائب للسلطان المملوكي في ماردين مع المحافظة على حكم الأراتقة بها،حيث تصرف هؤلاء في أواخر أيامهم كولاة للمماليك أكثر من كونهم أمراء مستقلين،وبرز هذا الأمر في غزو تيمورلنك لمنطقة شمال الجزيرة،إلا أن تحالف الأمير جكم مع أراتقة ماردين عجل بزوال ملكهم.

11- في الفصل الرّابع القسم الثّاني إعتبر أراتقة ماردين أنفسهم أندادا لخلفاء مغول إيران من أمراء التركمان،فعقدوا علاقة مصاهرة مع بني أرتنا،وحاربوا جلائريي العراق،وتحالفوا مع أمراء أذربيجان من بني تشوبان،وحالوادو ن قيّام دولة جديدة ضمن مناطق نفوذها تضم الأكراد والتركمان،ولكن الأراتقة لم يصمدوا أمام طموح بعض هؤلاء الأمراء، وبخاصة بعد أن ساندوا الأمير جكم في تمرده ضد سلطان القاهرة،فلم يصمدوا أمام قوة الأمير قرايلوك الحليف الجديد للمماليك.

12- في الفصل الخامس القسم الأوّل كانت علاقة الأراتقة بالصليبيين علاقة العدو بعدوه ،فقد كانوا في مقدمة الجيوش الإسلامية المناوئة لهم،وانتصروا في كثير من المعارك الحاسمة ضد أعظم قادة الجيوش الصليبية،وكان الأراتقة الأوائل مثل: سقمان بن أرتق،ونجم الدين إيلغازي،وبلك بن بهرام من الذين برزوا كقادة عسكريين من أصحاب الكفاءة والدهاء والقوة في مواجهة جيوش أنطاكية والرها،وبخاصة لما آلت حلب إلى إمارة ماردين ،حيث أبلى بني أرتق البلاء الحسن في هذه الحروب، وشكلوا في كثير من المعارك مثل:ساحة الدم،ودانيث،وأورش القوة الإسلامية الرئيسة،ولكن جهاد الأراتقة ضد الإمارات الصليبة تراجع مع تراجع قوتهم ونفوذهم وبالأخص منذ مغادرتهم بلاد الشام –كقوة سياسية- فاتقر الأمر على مشاركتهم بقوات عسكرية في الحملات التي كان يقودها سلاطين مصروالشام من الأيوبيين والمماليك،وقبلهما الأتابكة الزنكيين،وكلهم عملوا على توحيد القوى الإسلامية ضد نظيرتها الصليبية.

13- في الفصل الخامس القسم الثّاني كانت سياسة الأراتقة تجاه المغول واقعية،فهؤلاء الغزاة القادمين من شرق آسيا تمكنوا من دحر العباسيين وقبلهم دولة الخوارزمشاه،و هما ماهما من قوة لا تقارن بإمارة ماردين الصغيرة،وعلى هذا الأساس خضع بني أرتق لخانات تبريز ،فشاركوا معهم في حروبهم ضد المماليك بشكل خاص،ورأوا مصير من يحاول خداع المغول مثلما فعل سلاجقة الروم،فصار الأراتقة من أعوان الدولة الإيلخانية،وتمكنوا من إستعادة السيطرة على أغلب اراضي بلاد الجزيرة ولكن كولاة لها،كما أن أمراء الأراتقة أصبحوا من أشد المقربين من حكام مغول فارس، وبخاصة بعد دخول المتأخرين منهم الديانة الإسلامية.

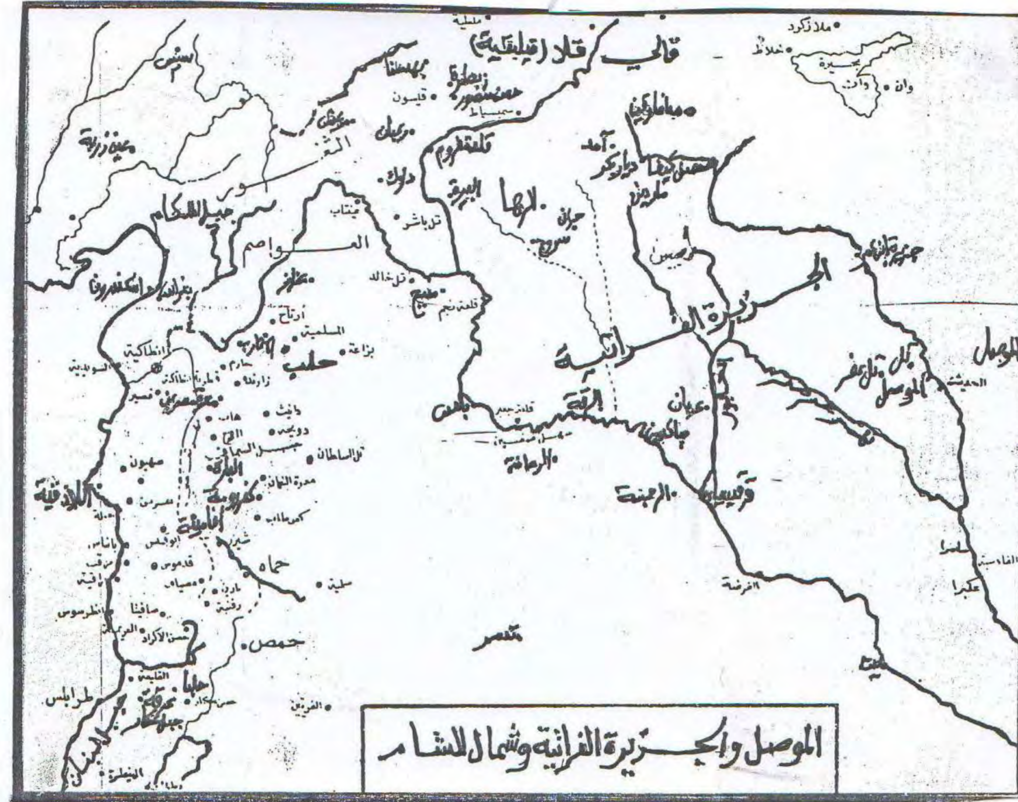
14- في الفصل الخامس القسم الثّاني حارب نجم الدين إيلغازي الغزاة الكرج في إطار خدمته لدولة السلاجقة العظام فقد كان منوطا كغيره من الأتابكة بالدفاع عن أراضي السلاجقة إذا تعرضت للغزو،ولاسيما أن الكرج كانوا يعملون لصالح البيزنطيين والصليبيين،وبالمقابل فإن الأراتقة لم يحتكوا كثيرا بالدولة البيزنطية لوجود عدد من الكيانات السياسية الحاجزة بين أراضي الدولتين،وعليه فلقد حاربهم الأراتقة حينما تحالفوا مع الصليبيين في غزو الشام واسترجاعهم لحقوقهم في أنطاكية. أما الأرمن فارتبطوا خلال هذه الفترة بالصليبيين،وكان قسم منهم من رعايا الأراتقة،حيث عاملهم هؤلاء معاملة الرعايا المتمردين أثناء المعارك بين الطرفين،و لم تذكر المصادر المتوفرة علاقتهم مع مملكة أرمينيا الصُغرى في قيليقيا.

15-لا تتوفر المراجع التي إستخدمناها في هذه الدراسة عن كثيرمن المعطيات –والتي تنعدم تماما – في ذكر علاقة الأراتقة بالكيانات السياسية الأخرى والتي لم يتضمنها هذا البحث،و إن يبدو لنا أنه من المنطقي أن يكون هناك نوع من الإحتكاك بينها وبين أمراء ماردين وحصن كيفا من بني أرتق،إلا أن متطلبات البحث الأكاديمي تتطلب توفر المادة التاريخية وهو ما لم يحدث.

قائمة الملاحق

1) الخرائط

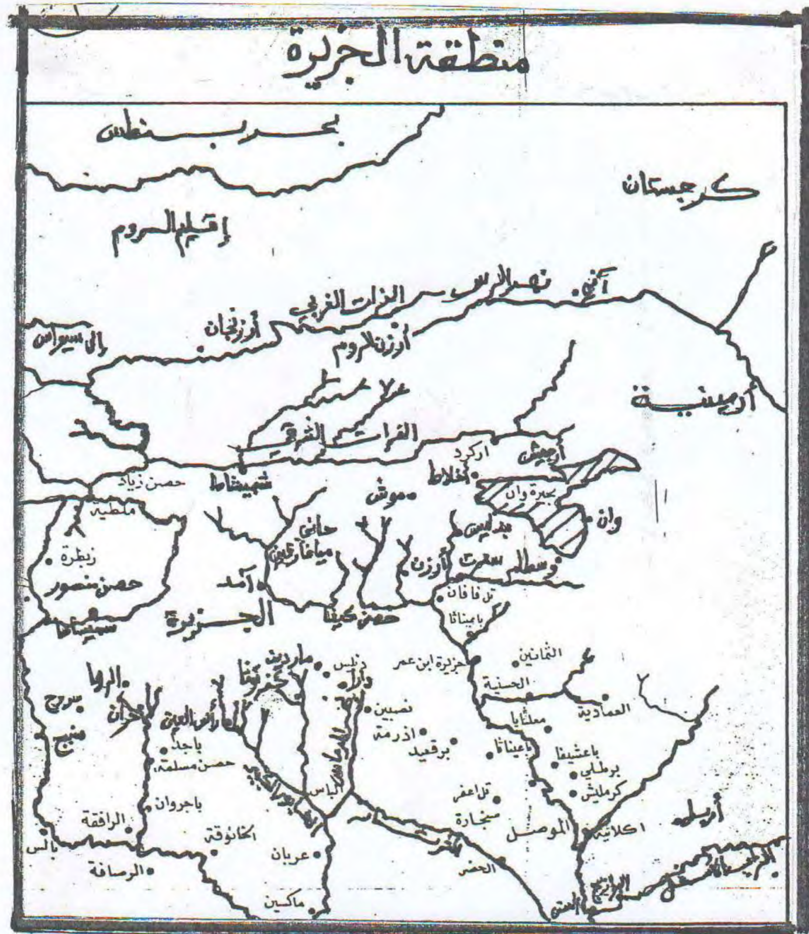
خريطة رقم 1: الموصل والشّام والجزيرة الفراتيّة[1].



---

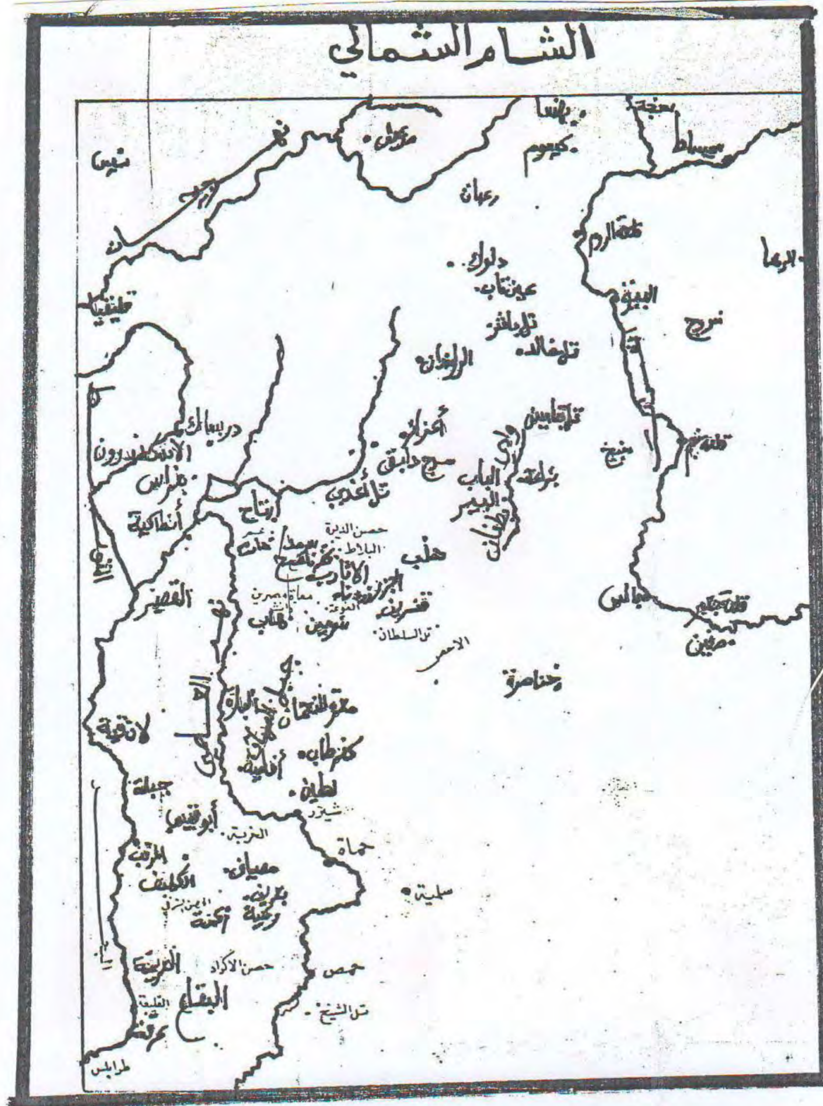
[1] علياء ديب تبريزي،المرجع السّابق،ص342.

خريطة رقم 2:منطقة الجزيرة[1].



1)علياء ديب تبريزي،المرجع السابق،ص344.

خريطة رقم 3: الشّام الشّمالي[1].

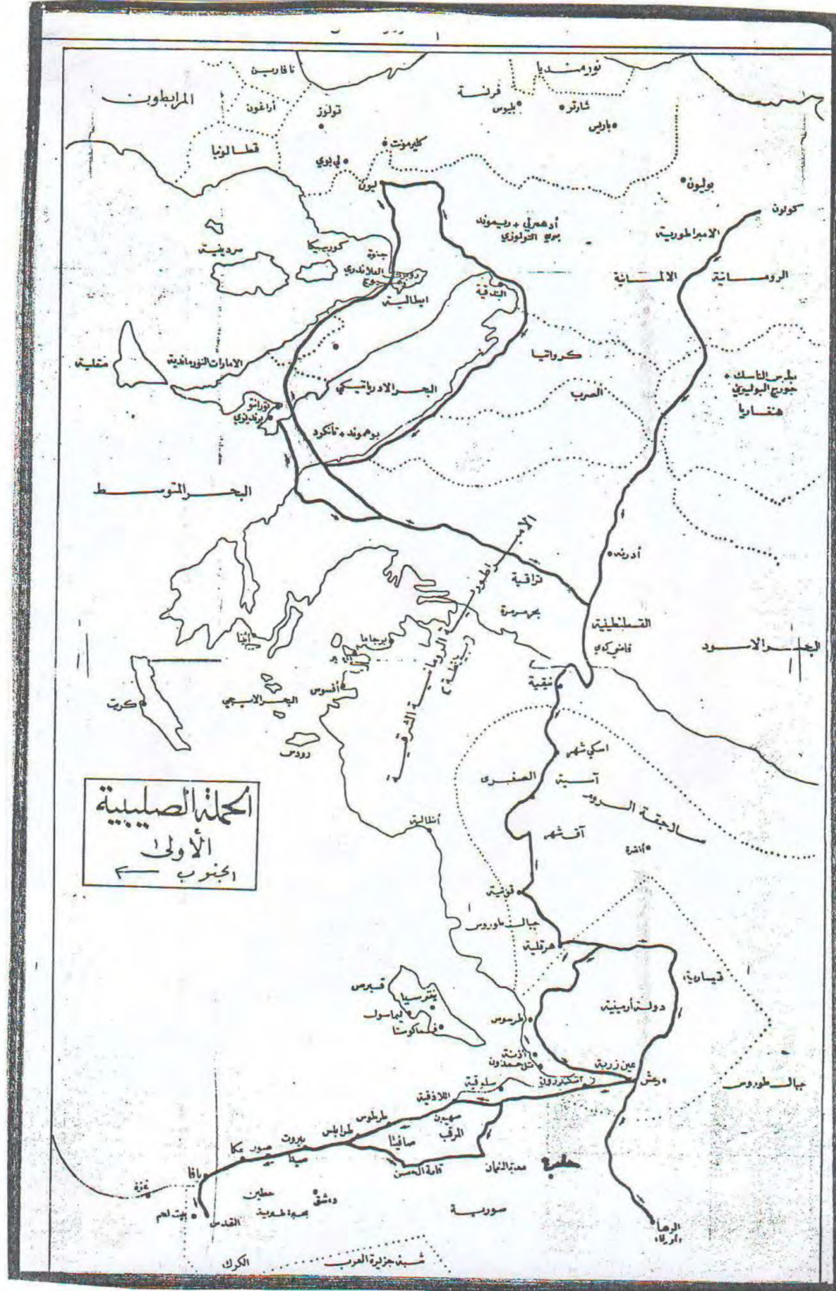


[1] علياء ديب تبريزي،المرجع السّابق،ص354.

خريطة رقم 4: المشرق الإسلامي في عهد السلطان السلجوقي ملكشاه(465-485هـ/1072-1092م)[1].

[1])حسين مؤنس،أطلس تاريخ الإسلام،ص219.

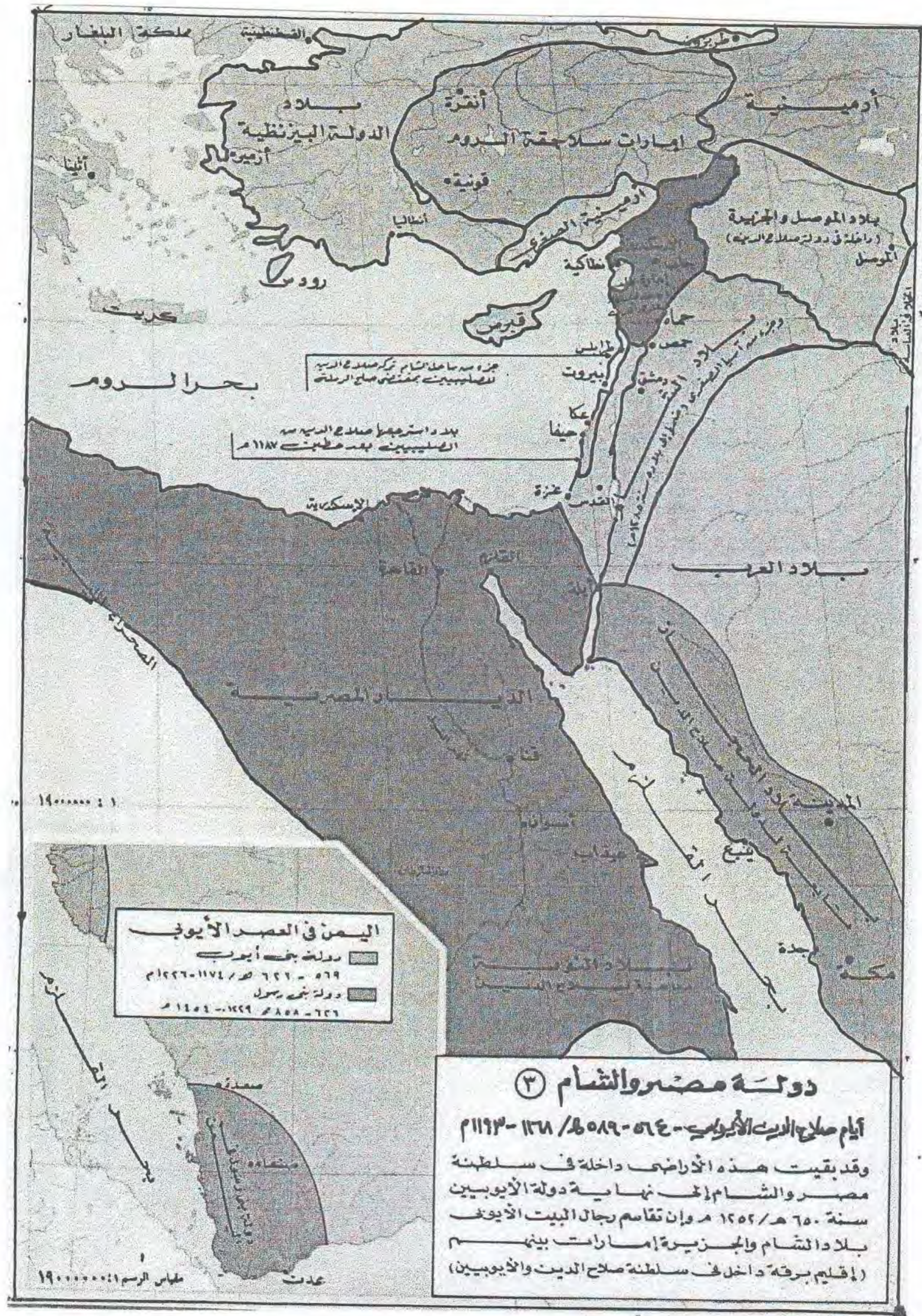
خريطة رقم 5: الحملة الصّليبيّة الأولى على الشّام والجزيرة(485هـ/1096م)[1].



---

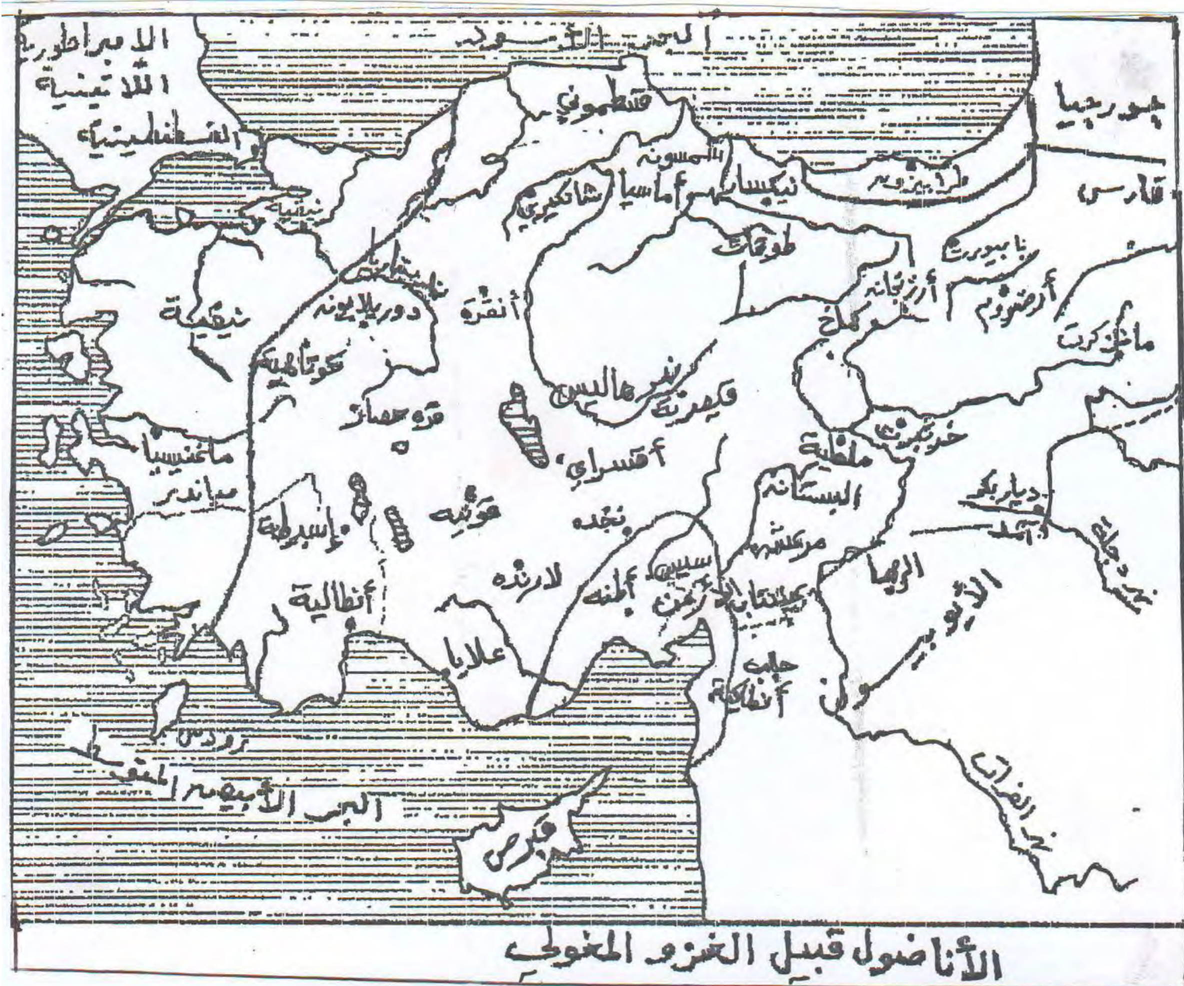
[1]علياء ديب تبريزي،المرجع السّابق،ص246.

خريطة رقم 6:الدولة الأيّوبيّة في عهد صلاح الدّين(564-589هـ/1168-1193م)[1].



[1])حسين مؤنس،المرجع السّابق،ص305.

خريطة رقم7:الأناضول قبل الغزو المغولي[1].



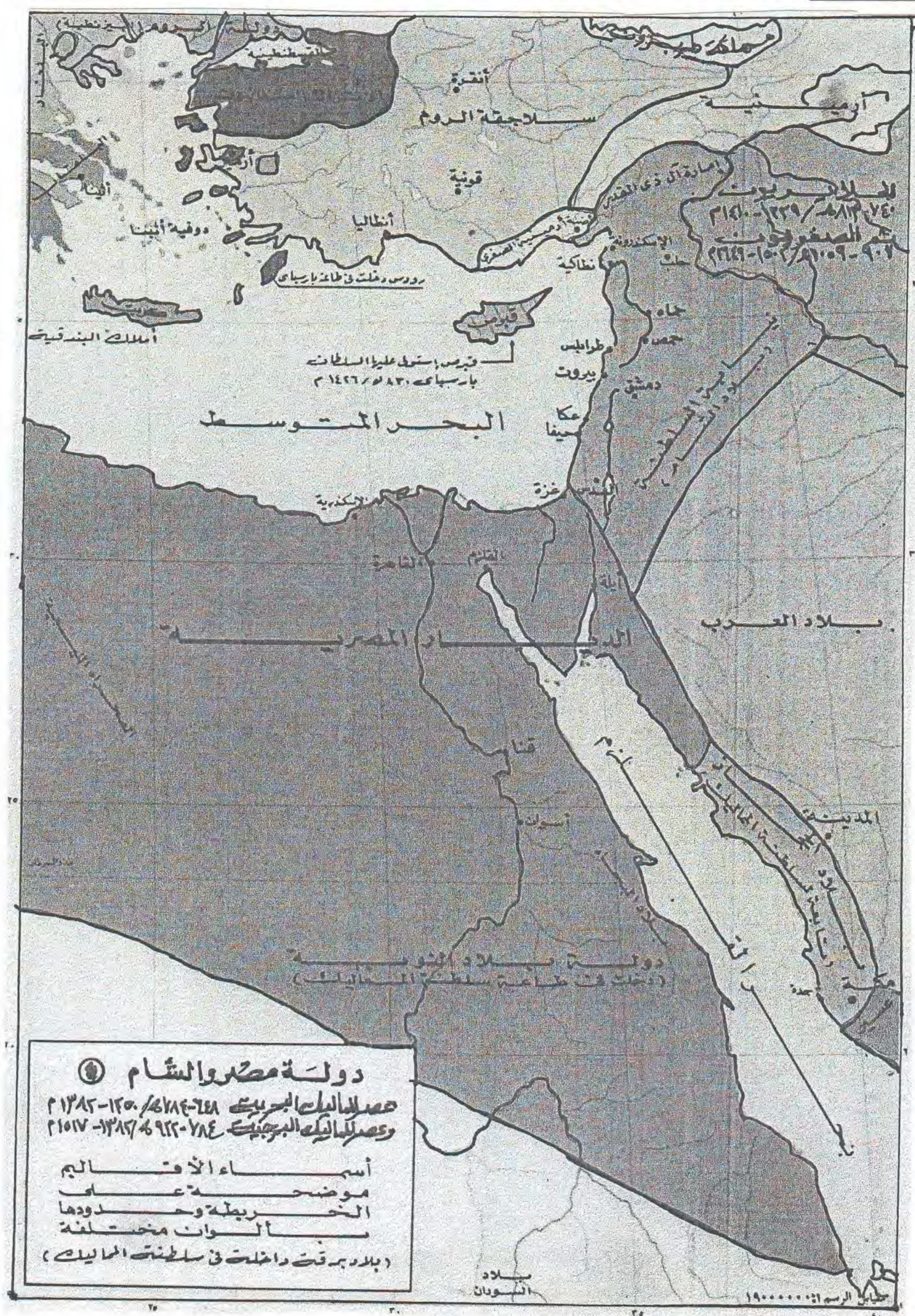
[1] محمود الحويري، تاريخ الدّولة العثمانيّة،ص273.

خريطة رقم 8:الدّولة الخوارزميّة في أقصى إتّساعها(511-629هـ/1117-1231م)[1].



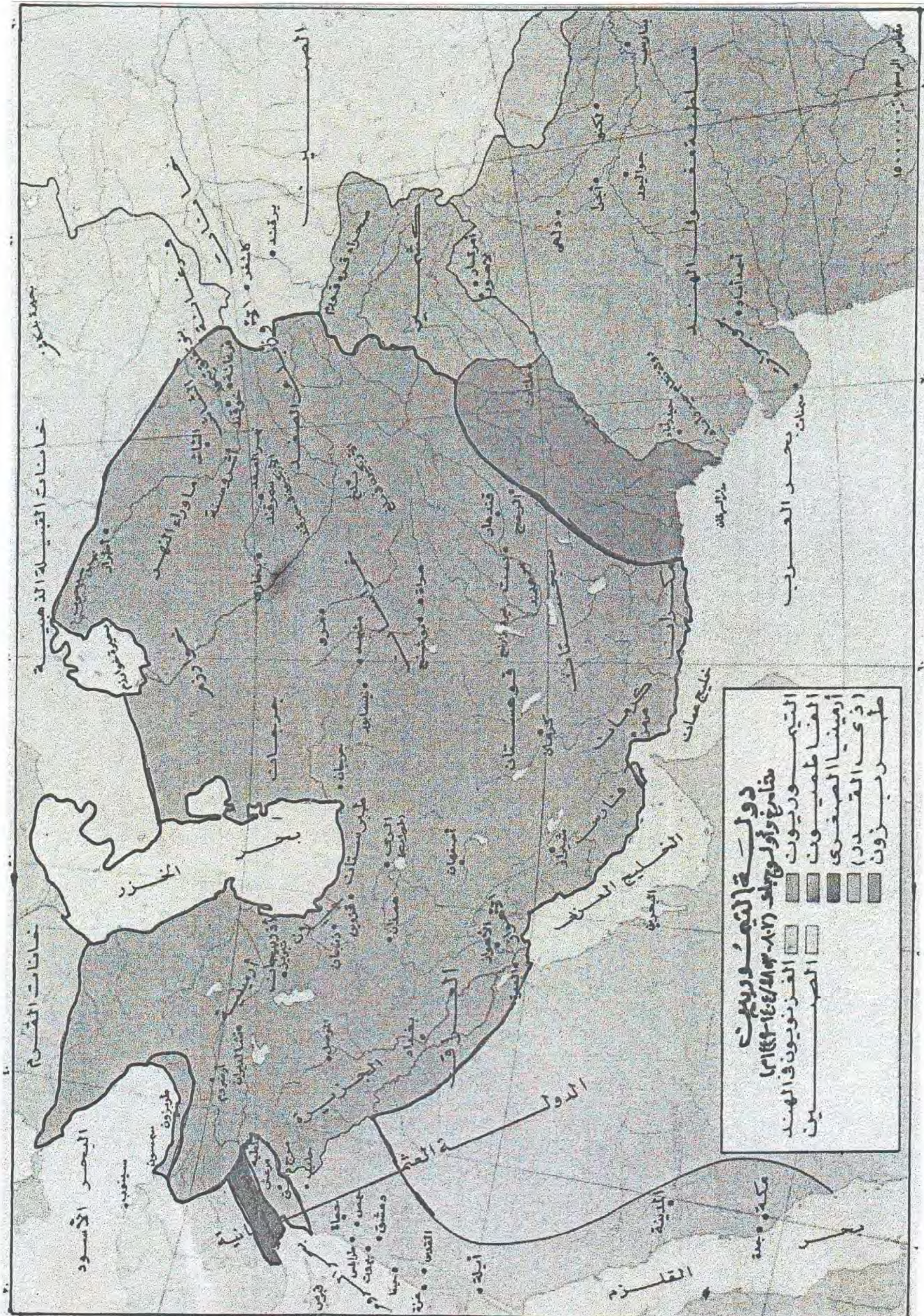
[1])حسين مؤنس،المرجع السّابق،ص305.

خريطة رقم 9:دولة المماليك في مصر والشّام(648-922ه/1250-1517م)[1].



[1]حسين مؤنس،المرجع السابق،ص305.

خريطةرقم 10:دولة التيموريين(تيمورلنك وأحفاده)[1].

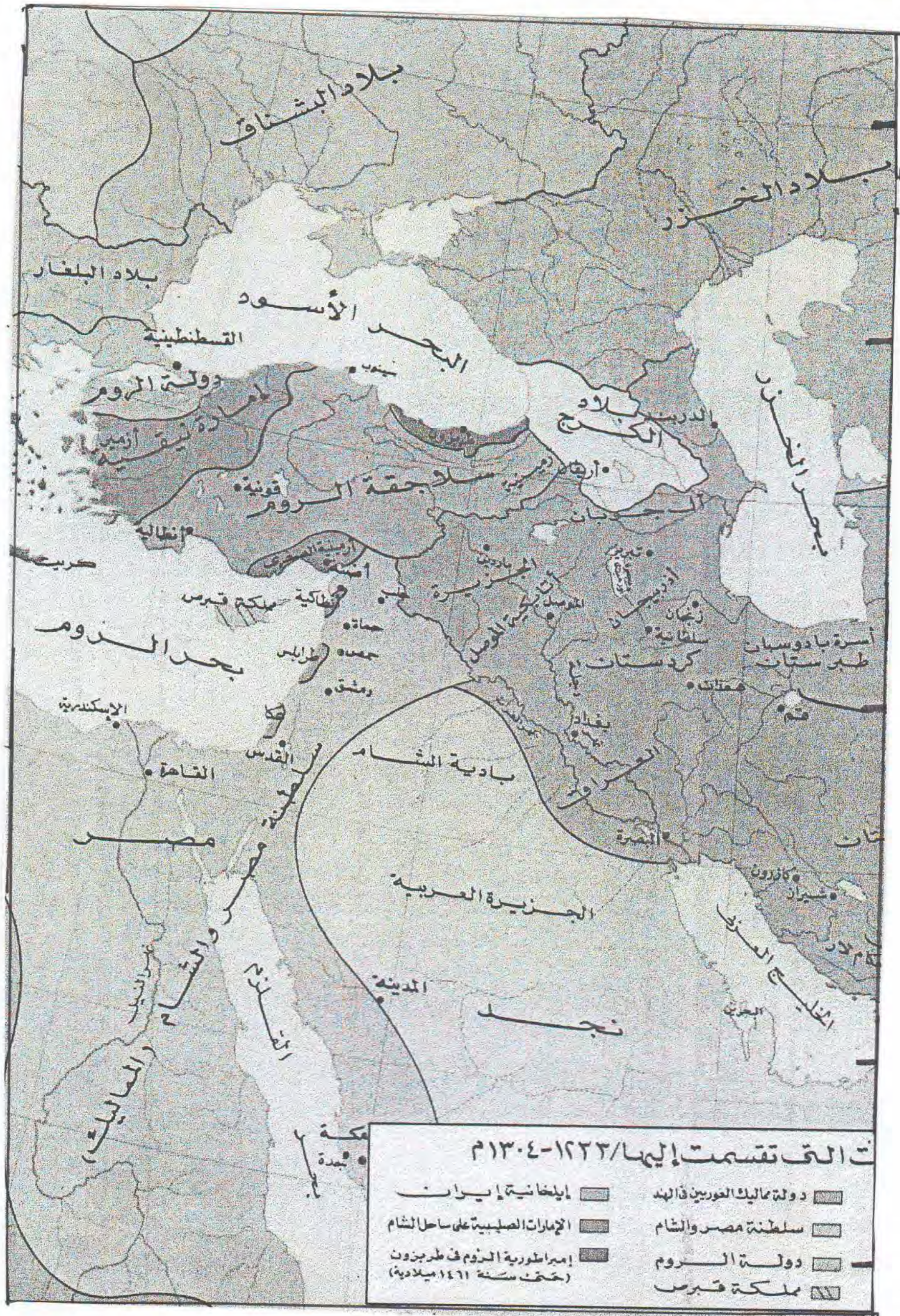


[1])حسين مؤنس،المرجع السابق،ص229.

خريطة رقم11:حروب تيمورلنك في الشّرق الأدنى[1].

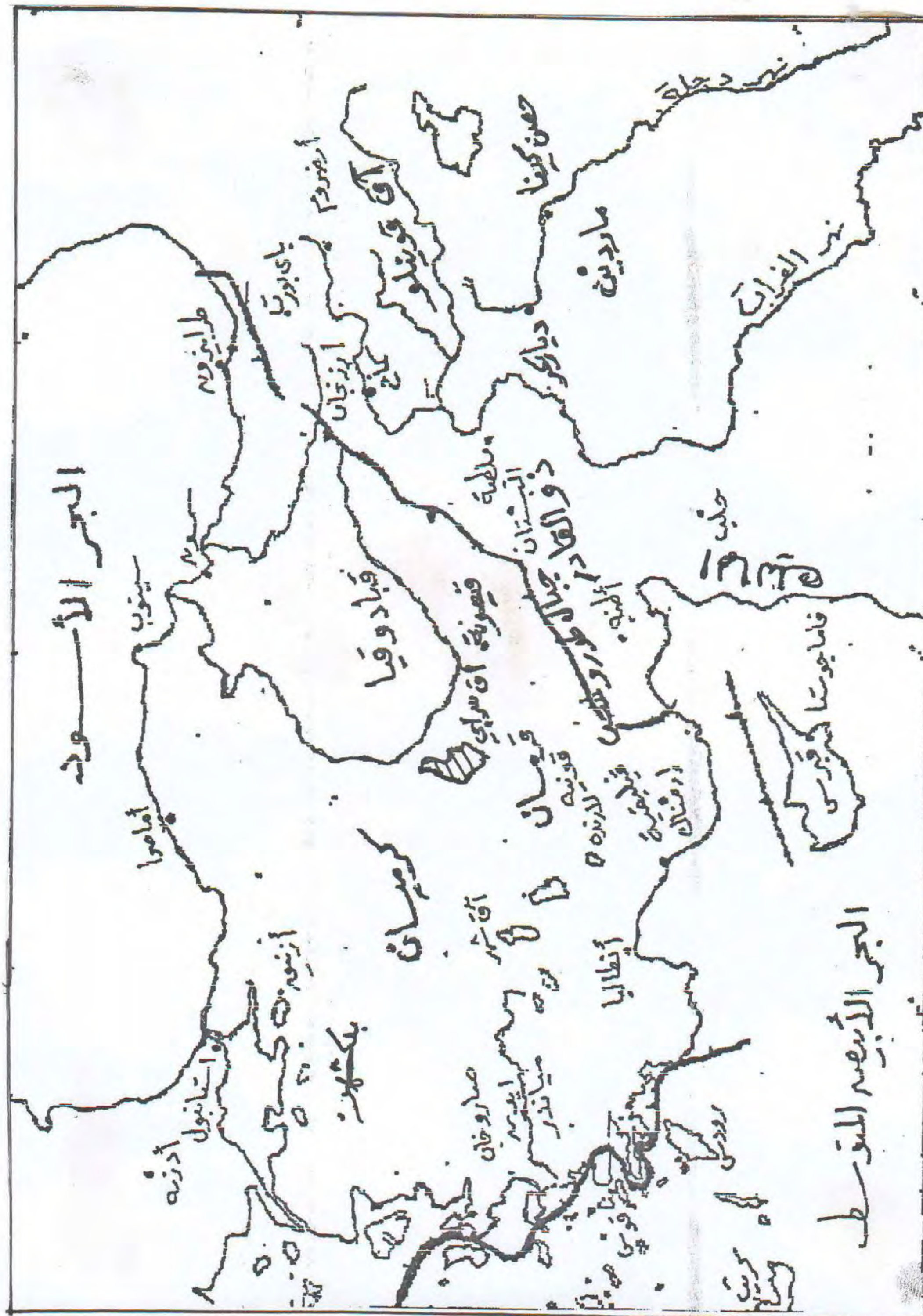
[1]حسين مؤنس،المرجع السّابق،ص227.

خريطة رقم 12:الوضع السيّاسي في الشرق الأدنى بداية القرن 8ه/14م[1].



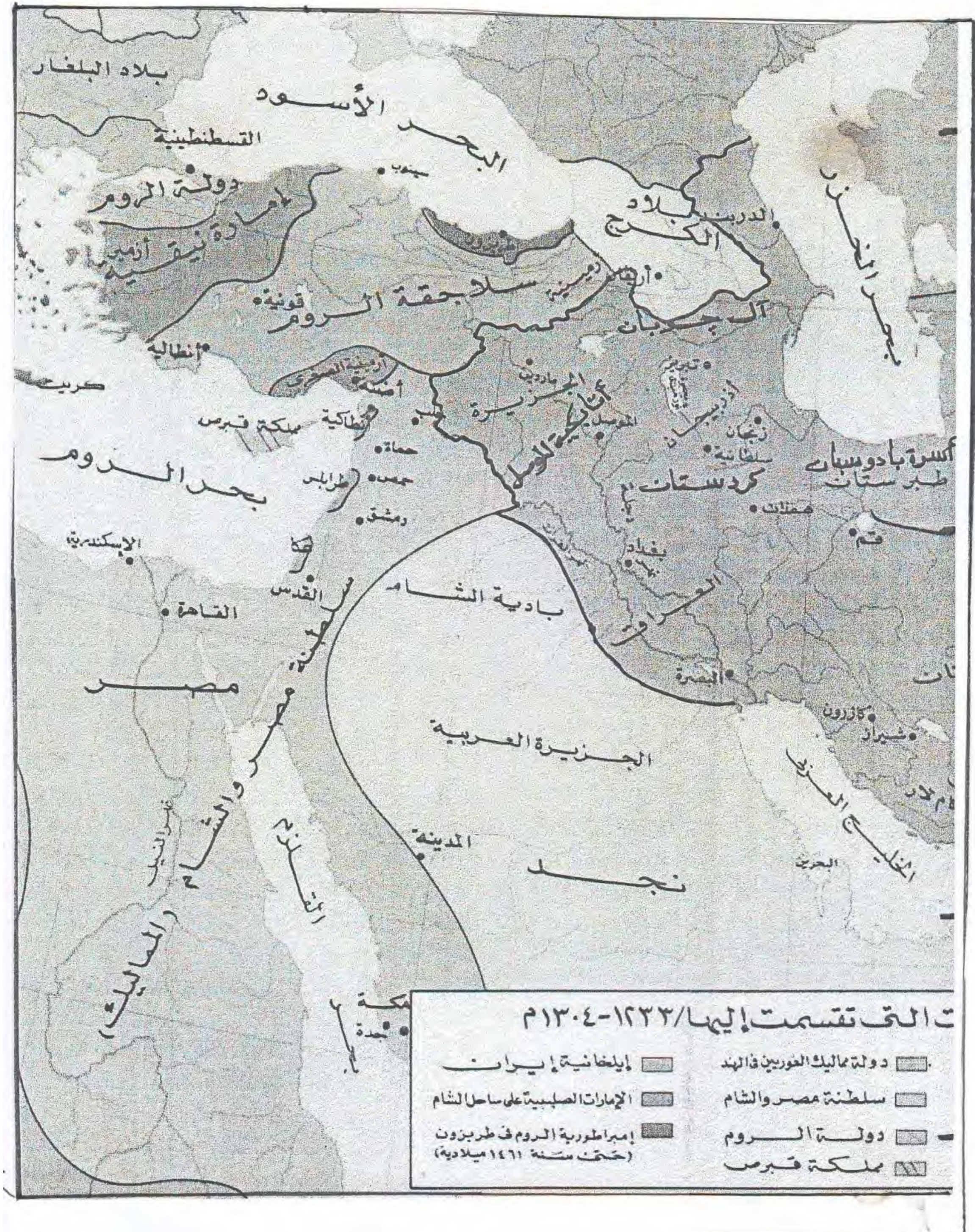
[1])حسين مؤنس،المرجع السّابق،ص225.

خريطة رقم 13:الأناضول بعد الغزو المغولي[1].



[1])محمود الحويري،تاريخ الدّولة العثمانيّة،ص274.

خريطة رقم 14: إنقسام وتفكّك الدّولة الإيلخانيّة[1].

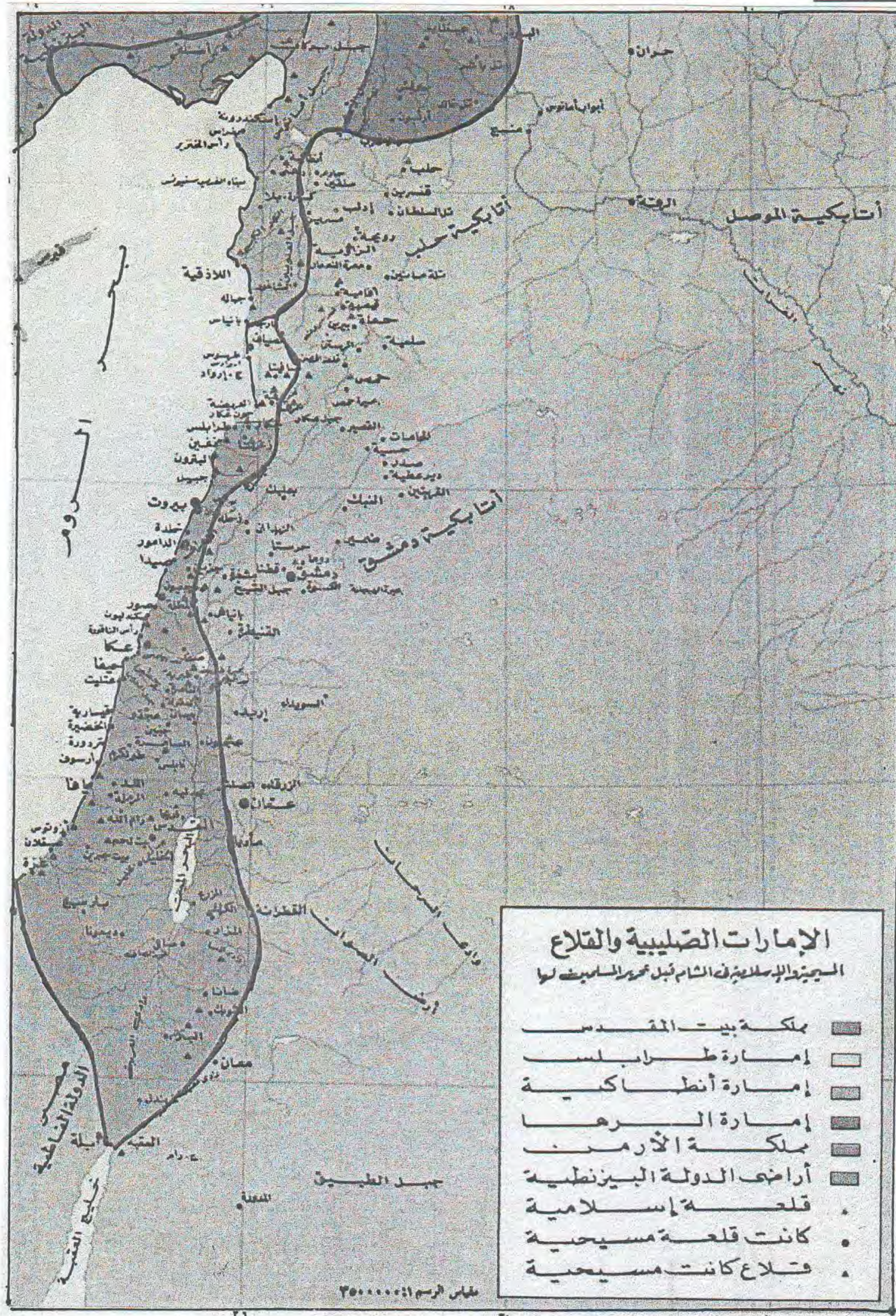


[1])حسين مؤنس،المرجع السابق،ص225.

خريطة رقم 15: الحروب الصّليبيّة[1].

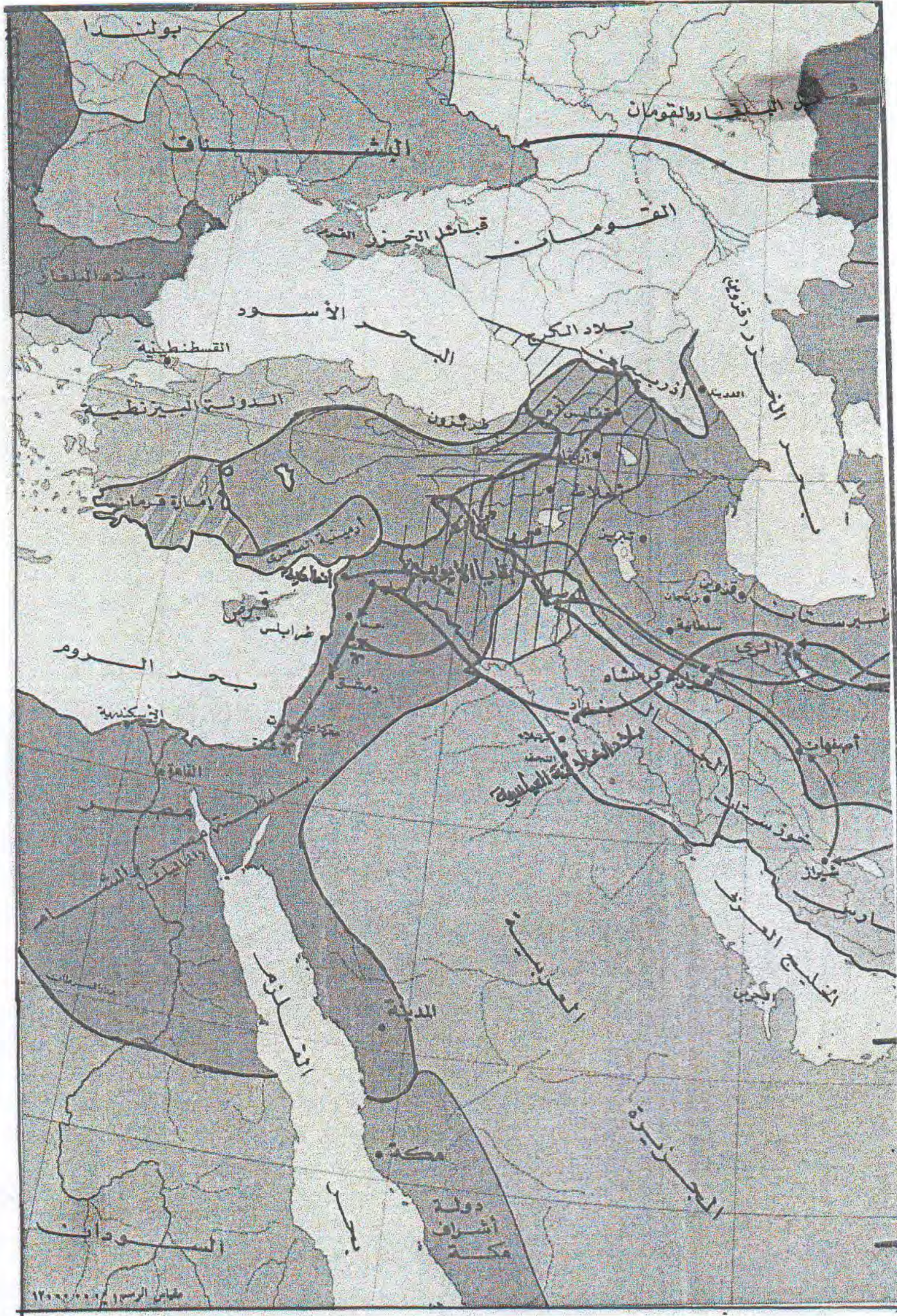
[1])حسين مؤنس،المرجع السّابق،ص262.

خريطة رقم 16:الإمارات والقلاع الصّليبيّة[1].



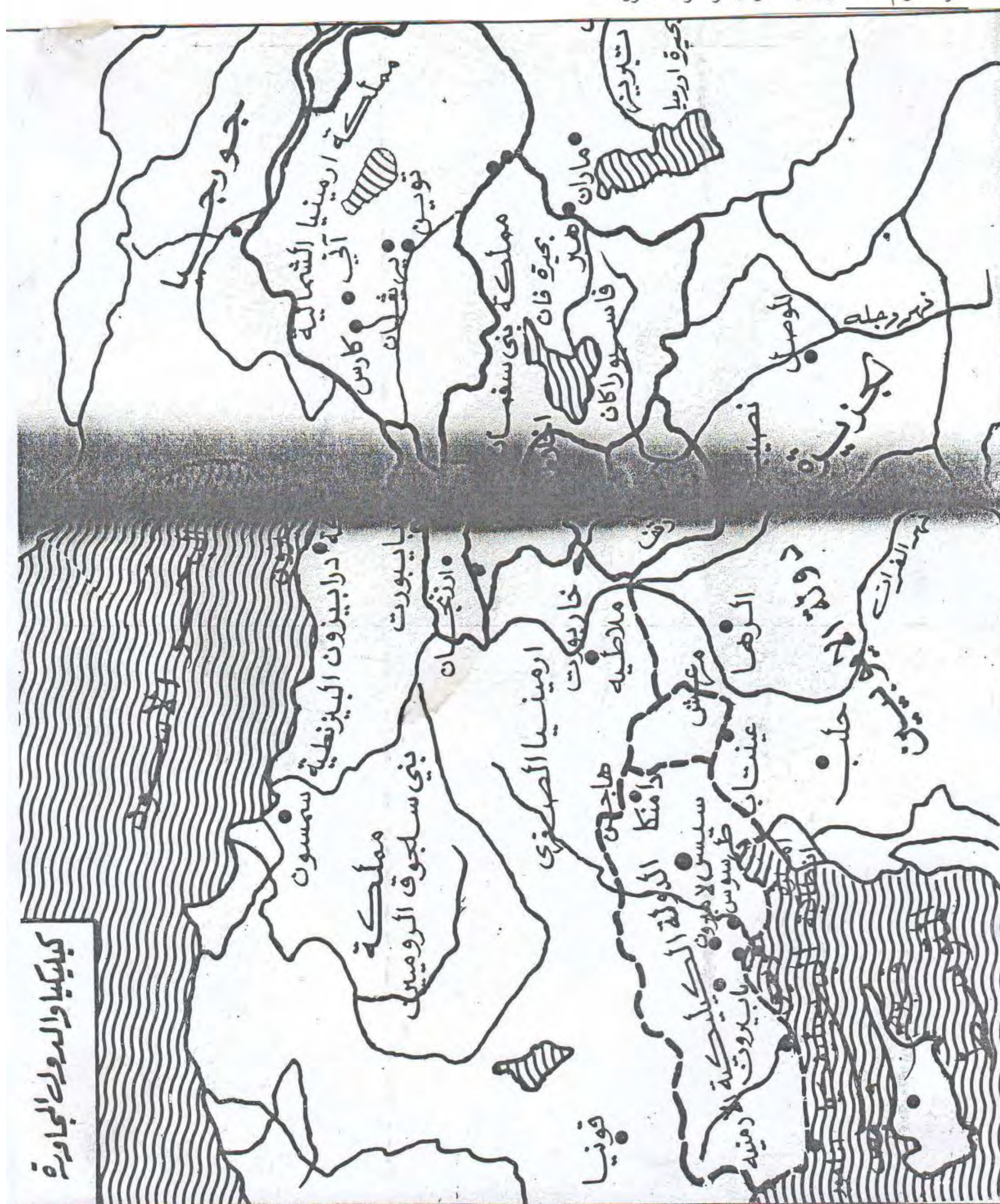
[1])حسين مؤنس،المرجع السّابق،ص220.

خريطة رقم 17: الغزو المغولي للمشرق الإسلامي[1].



1)حسين مؤنس، المرجع السّابق، ص223.

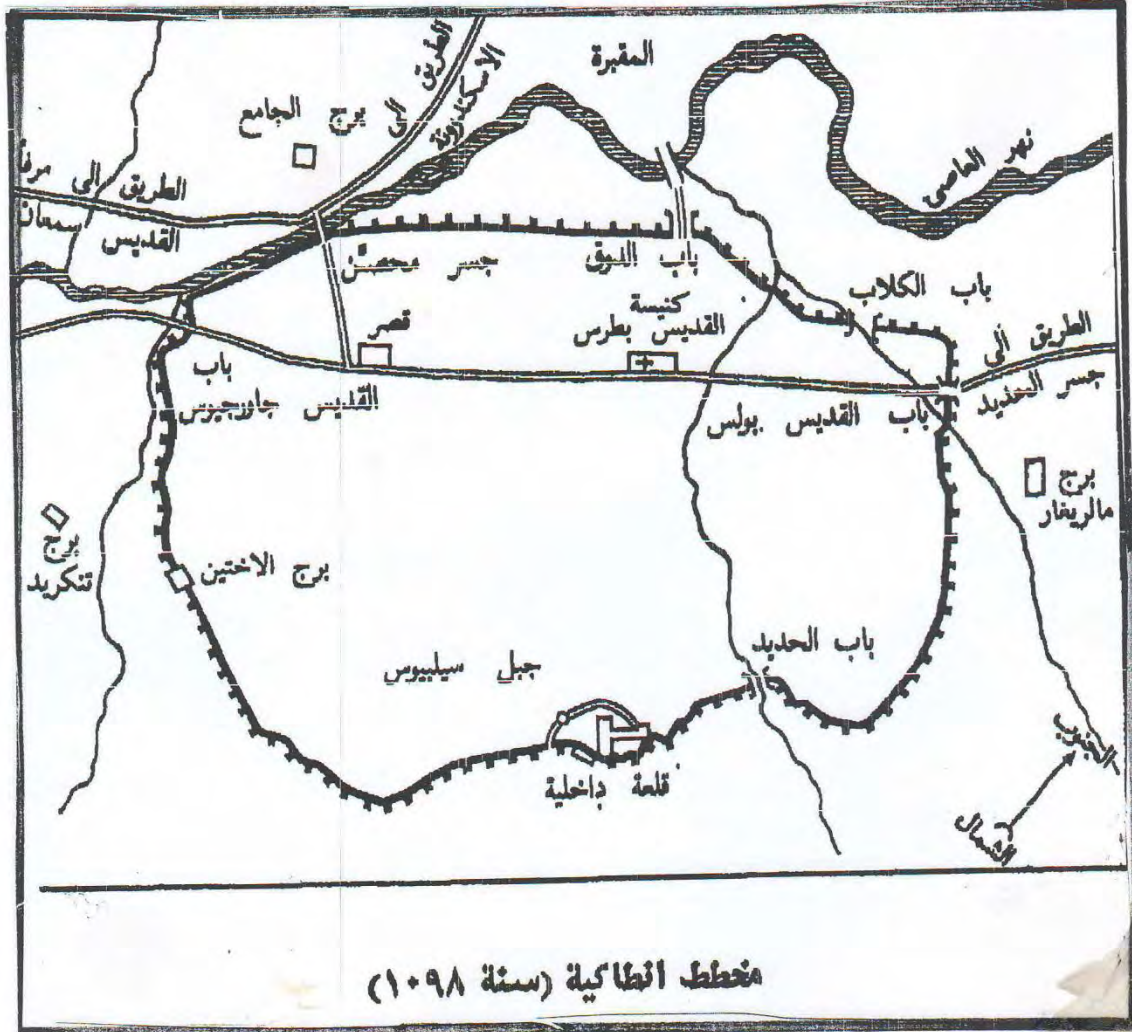
خريطة رقم 18: كيليكيا الأرمنيّة والدوّل المجاورة لها[1].



[1] مروان المدور، المرجع السابق، ص294-295.

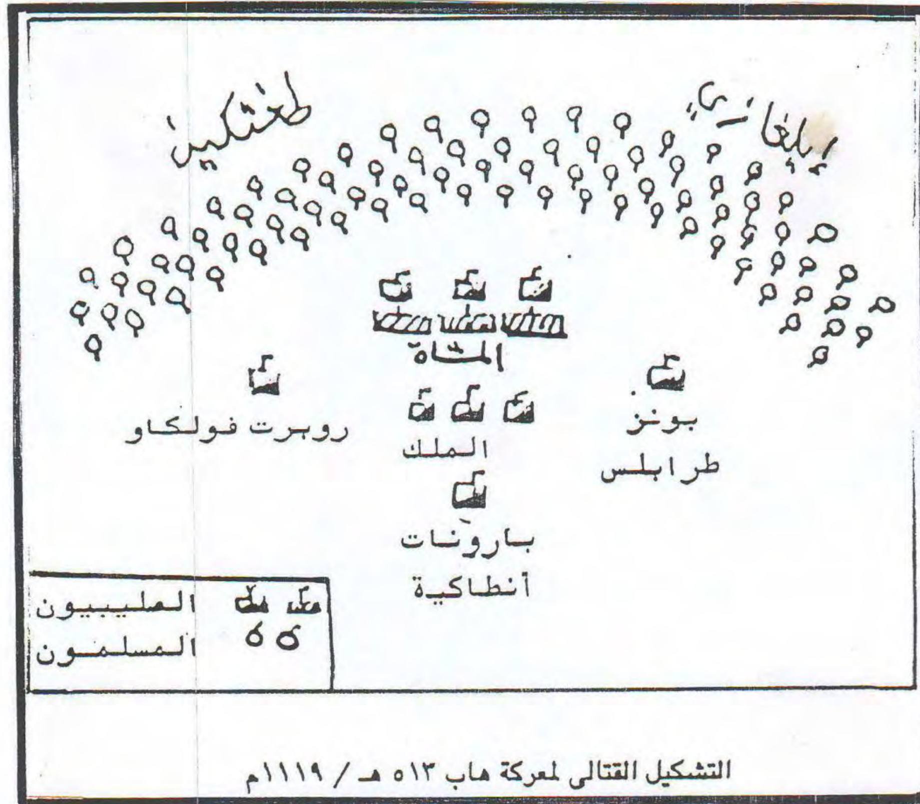
2) الأشكال

شكل رقم 1: مخطّط مدينة أنطاكيّة أثناء الغزو الصّليبي 492هـ/1097م[1].



[1])زابوروف،المرجع السّابق،ص87.

شكل رقم2:التشكيل القتالي لمعركة هاب 513هـ/1119م[1].



التشكيل القتالى لمعركة هاب ٥١٣ هـ / ١١١٩م

1) كمال بن مارس،المرجع السابق،ص156.

3) الجداول

جدول رقم1: أتابكة حصن كيفا[1].

(هـ) أتابكة حصن كيفا ثم آمد:

معين الدين سقمان الأول بن أرتق ٤٩٥ – ٤٩٨هـ (١١٠١ – ١١٠٤م)

ابراهيم بن سقمان ٤٩٨ – ٥٠٢هـ (١١٠٤ – ١١٠٨م)

ركن الدولة داود بن سقمان ٥٠٢ – ٥٣٩هـ (١١٠٨ – ١١٤٤م)

فخر الدين أبو الحارث قرا أرسلان بن داود ٥٣٩ – ٥٦٢هـ (١١٤٤ – ١١٦٦م)

تسلم آمد سنة ٥٧٩هـ (١١٨٣م)

قطب الدين سقمان الثاني بن محمد، الملك المسعود ٥٨١ – ٥٩٧هـ (١١٨٥ – ١٢٠٠م)

ناصر الدين محمود بن محمد – الملك الصالح – ٦٩٧هـ (١٢٠٠ – ١٢٢٢م)

[1])عصام عبد الرؤوف الفقي،المرجع السابق،ص267.

جدول رقم2:أتابكة ماردين وخرتبرت[1].

(و) أتابكة ماردين :

نجم الدين أيلغازى الأول بن أرتق ٥٠٠ – ٥١٦ هـ (١١٠٦ – ١١٢٢)
حسام الدين تمرتاش بن ايلغازى ٥١٦ – ٥٤٧ هـ (١١٢٢ – ١١٥٢ م)
نجم الدين أبى بن تمرتاس ٥٤٧ – ٥٧٥ هـ (١١٥٢ – ١١٧٩ م)
قطب الدين ايلغازى الثانى بن ألبى ٥٧٥ – ٥٨٠ هـ (١١٧٩ – ١١٨٤ م)
حسام الدين بولق أرسلان بن ايلغازى الثانى ٥٨٠ – ٥٩٧ هـ (١١٨٤ – ١٢٠٠ م)
ناصر الدين أرتق أرسلان بن ايلغازى الثانى ٥٩٧ – ٦٣٧ هـ (١٢٠٠ – ١٢٣٩ م)
نجم الدين غازى الأول بن أرتق أرسلان ٦٣٧ – ٦٥٨ هـ (١٢٣٩ – ١٢٥٩ م)
قرا أرسلان بن غازى الأول ٦٥٨ – ٦٩١ هـ (١٢٥٩ – ١٢٩١ م)
شمس الدين داود بن قرا أرسلان – ١٢٩١ – ١٢٩٣ م).

(ز) أتابكة خرتبرت :

عماد الدين أبو بكر بن قرا أرسلان ٥٨١ – ٦٠٠ هـ (١١٨٥ – ١٢٠٣ م)
نظام الدين إبراهيم بن أبى بكر ٦٠٠ – ٦٣١ هـ (١٢٠٣ – ١٢٣٣ م)
الخضر بن إبراهيم ٦٣١ – ٦٦٠ هـ (١٢٣٣ – ١٢٦١ م)
نور الدين أرتق شاه ، الملك المعز بن الخضر ٦٦٠ هـ (١٢٦١ م)

[1] عصام عبد الرؤوف الفقي،المرجع السابق،ص268.

جدول رقم 3: سلاجقة العراق والشّام[1].

(ب) سلاجقة العراق :

محمود بن محمد بن ملكشاه ٥١١ — ٥٢٥ هـ (١١١٧ — ١١٣١ م)
داود بن محمود ٥٢٥ — ٥٢٦ هـ (١١٣١ — ١١٣٢ م)
طغرل الأول بن محمد ٥٢٦ — ٥٢٧ هـ (١١٣٢ — ١١٣٣ م)
مسعود بن محمد ٥٢٧ — ٥٤٧ هـ (١١٣٣ — ١١٥٢ م)
ملكشاه بن محمود ٥٤٧ — ٥٤٨ هـ (١١٥٢ م)
محمد بن محمود ٥٤٨ — ٥٥٥ هـ (١١٥٣ — ١١٥٩ م)
سليمان شاه بن محمود ٥٥٥ — ٥٥٦ هـ (١١٥٩ — ١١٦١ م)
أرسلان شاه بن طغرل ٥٥٦ — ٥٧٣ هـ (١١٦١ — ١١٧٧ م)
طغرل الثاني بن أرسلان شاه ٥٧٣ — ٥٩٠ هـ (١١٧٧ — ١١٩٤ م)

(حـ) سلاجقة الشام :

تتش بن ألب أرسلان ٤٧١ — ٤٨٨ هـ (١٠٧٩ — ١٠٩٥ م)
رضوان بن تتش (حلب) ٤٨٨ — ٥٠٧ هـ (١٠٩٥ — ١١١٣ م)
دقاق بن تتش (دمشق) ٤٨٨ — ٥٠٧ هـ (١٠٩٥ — ١١١٣ م)
ألب أرسلان بن رضوان (حلب) ٥٠٧—٥٠٨ هـ (١١١٣—١١١٤م)
سلطان شاه بن رضوان (حلب) ٥٠٨—٥١١ هـ (١١١٤—١١١٧ م)

[1] عصام عبد الرّؤوف الفقّي، المرجع السّابق، ص273.

جدول رقم 4:أتابكة الموصل من آل زنكي[1].

أولا : أتابكة الموصل والجزيرة

(أ) أتابكة الموصل

عماد الدين زنكى بن آقسنقر ٥٢١ هـ — ٥٤١ هـ (١١٢٧ — ١١٤٦ م)
سيف الدين غازى الأول بن زنكى ٥٤١ — ٥٤٤ هـ (١١٤٦ — ١١٤٩م)
قطب الدين مودود بن زنكى ٥٤٤ — ٥٦٤ هـ (١١٤٩ — ١١٧٠م)
سيف الدين غازى الثانى بن مودود ٥٦٤ — ٥٧٢ هـ (١١٨٠ — ١١٧٦م)
عز الدين مسعود الأول بن مودود ٥٧٢هـ — ٥٨٩هـ(١١٧٦ — ١١٩٣م)
نور الدين أرسلان شاه الأول بن مسعود ٥٨٩ هـ — ٦٠٧ هـ (١١٩٣ — ١٢١١٠ م)
عز الدين مسعود الثانى بن أرسلان شاه ٦٠٧ هـ — ٦١٦٠ هـ (١٢١٠ — ١٢١٨ م)
نور الدين أرسلان شاه الثانى بن مسعود الثانى ٦١٦ — ٦١٦ هـ (١٢١٨ — ١٢١٩ م)
ناصر الدين محمود بن عز الدين مسعود الثانى ٦١٦ — ٦٣١ هـ (١٢١٩ — ١٢٣٣ م)
بدر الدين لؤلؤ ٦٣١ هـ — ٦٥٧هـ (١٢٣٣ — ١٢٥٦ م)
ركن الدين إسماعيل بن لؤلؤ ٦٥٧ — ٦٦٠ هـ (١٢٥٦ — ١٢٥٩ م)

[1] عصام عبد الرؤوف الفقي،المرجع السابق،ص266.

جدول رقم 5:الأيّوبيّون في دمشق[1].

(ب) الأيوبيون فى دمشق :

الأفضل نور الدين أبو الحسن على ٥٨٢ – ٥٩٢ – ١١٨٦ – ١١٩٥م)

الملك العادل الأول – سيف الدين أبو بكر أحمد ٥٩٢ – ٦١٥ هـ
(١١٩٥ – ١٢١٨ م).

المعظم شرف الدين عيسى ٦١٥ – ٦٢٤ هـ(١٢١٨ – ١٢٢٧ م)

الناصر صلاح الدين ٦٢٤ – ٦٢٦ هـ(١٢٢٧ – ١٢٢٩ م)

الأشرف الأول مظفر الدين أبو الفتح موسى ٦٢٦ – ٦٣٤ هـ
(١٢٢٩ – ١٢٣٧ م).

الصالح عماد الدين اسماعيل (للمرة الأولى) ٦٣٤ – ٦٣٥هـ (١٢٣٧م)

الكامل الأول ٦٣٥ هـ (١٢٣٧ م)

العادل الثانى سيف الدين أبو بكر ٦٣٥ – ٦٣٦ هـ (١٢٣٨ – ١٢٣٩م)

الصالح نجم الدين أيوب (٦٣٦ – ٦٣٧ هـ(١٢٣٩ م)

الصالح اسماعيل (للمرة الثانية) ٦٣٧ – ٦٤٢ هـ(١٢٣٩ – ١٢٤٥م)

الصالح نجم الدين أيوب – صاحب مصر – ٦٤٣ – ٦٤٧ هـ
(١٢٤٥ – ١٢٤٩ م)

المعظم توران شاه الرابع ومعه مصر ٦٤٧ – ٦٤٨هـ(١٢٤٩ – ١٢٥٠م)

الناصر الثانى صلاح الدين يوسف صاحب حلب ٦٤٨ – ٦٥٨ هـ
(١٢٥٠ – ١٢٥٩ م)

[1] عصام عبد الرّؤوف الفقّي،المرجع السّابق،ص268.

جدول رقم 6:الأيّوبيّون في حلب وحمص وحماه[1].

(جـ) الأيوبيون فى حلب :

الملك العادل الأول سيف الدين أبو بكر أحمد ٥٧٩ — ٥٨٢ هـ (١١٨٣ — ١١٨٦م)

الظاهر غياث الدين أبو الفتح غازى الأول ٥٨٢ — ٦١٣ هـ (١١٨٦ — ١٢١٦ م)

العزيز غياث الدين أبو المظفر محمد ٦١٣ — ٦٣٤هـ(١٢١٦ — ١٢٣٦ م)

الناصر الثانى صلاح الدين يوسف ٦٣٤ — ٦٥٨ هـ ١٢٣٦ — ١٢٦٠م)

(د) الأيوبيون فى حمص :

القاهر محمد بن شيركوه ٥٧٤ — ٥٨١ هـ (١١٧٨ — ١١٧٦م)

المجاهد شيركوه الثانى ٥٨١هـ — ٦٣٧ (١١٨٦ — ١٢٤٠م)

المنصور ابراهيم ٦٣٧ — ٦٤٤ هـ (١٢٤٠ — ١٢٤٦ م)

الأشرف موسى الثانى ٦٤٤ — ٦٦١ هـ (١٢٤٦ — ١٢٦٣ م)

(هـ) الأيوبيون فى حماه :

المظفر الأول عمر ٥٧٤ — ٥٨٧ هـ (١١٧٨ — ١١٩١ م)

المنصور الأول محمد ٥٨٧ — ٦١٧ هـ (١١٩١ — ١٢٢٠ م)

الناصر قلج أرسلان ٦١٧ — ٦٢٦ هـ (١٢٢٠ — ١٢٢٩ م)

المظفر الثانى محمود ٦٢٦ — ٦٤٢ هـ (١٢٢٩ — ١٢٤٤ م)

المنصرر الثانى محمد ٦٤٢ — ٦٨٣ هـ (١٢٤٤ — ١٢٨٤ م)

[1])عصام عبد الرّؤوف الفقّي،المرجع السّابق،ص273.

جدول رقم 7:الأيّوبيّون في ميّافارقين وسنجار[1].

(و) الأيوبيون فى ميافارقين (وسنجار):

الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ٥٨١ هـ (١١٨٥ م)
العادل سيف الدين أبو بكر ٥٩١ — ٥٩٦ هـ(١١٩٤ — ١١٩٩ م)
الأوحد نجم الدين أيوب ٥٩٦ — ٦٠٧ هـ(١١٩٩ — ١٢١٠ م)

الكامل الأول محمد ٦١٥ — ٦٣٥ هـ (١٢١٨ — ١٢٣٨ م)
العادل الثانى أبو بكر ٦٣٥ — ٦٣٧ — ١٢٣٨ — ١٢٤٠ م)
الصالح أيوب ٦٣٧ — ٦٤٧ هـ(١٢٤٠ — ١٢٤٩ م)
المعظم تورانشاه الرابع ٦٤٧ — ٦٤٨ هـ(١٢٤٩ — ١٢٥٠ م
الملك الأشرف الثانى موسى بن يوسف بن محمد ٦٤٨ — ٦٥٠هـ
(١٢٤٩ — ١٢٥٢ م)

[1] عصام عبد الرّؤوف الفقّي،المرجع السّابق،ص272-273.

جدول رقم 8: سلاطين المماليك البحرية والخلفاء العباسيون في مصر(659-784هـ/1261-1382م).[1]

الخلفاء العباسيون فى مصر

والسلاطين المعاصرون لهم

(٦٥٩ — ٧٨٤ هـ = ١٢٦١ — ١٣٨٢ م)

السنوات	سلاطين المماليك	الخلفاء العباسيون
٦٤٨ هـ = ١٢٥٠ م	المعز أيبك	المستعصم
٦٥٥ هـ = ١٢٥٧ م	المنصور نور الدين على	
٦٥٧ هـ = ١٢٥٩ م	المظفر سيف الدين قطز	
٦٥٨ هـ = ١٢٦٠ م	الظاهر بيبرس .	
٦٥٩ هـ = ١٢٦١ م		المستنصر بالله أبو القاسم أحمد
٦٦١ هـ = ١٢٦٣ م		الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد
٦٧٦ هـ = ١٢٧٧ م	السعيد بركة خان	
٦٧٨ هـ = ١٢٧٩ م	العادل بدر الدين سلامش	
	المنصور سيف الدين قلاوون	
٦٨٩ هـ = ١٢٩٠ م	الأشرف صلاح الدين خليل	
٦٩٣ هـ = ١٢٩٤ م	الناصر محمد [سلطنته الأولى]	
٦٩٤ هـ = ١٢٩٤ م	العادل زين الدين كتبغا	
٦٩٦ هـ = ١٢٩٦ م	المنصور حسام الدين لاجين	
٦٩٨ هـ = ١٢٩٩ م	الناصر محمد [سلطنته الثانية]	
٧٠١ هـ = ١٣٠٢ م		المستكفى بالله أبو الربيع سليمان
٧٠٨ هـ = ١٣٠٨ م	بيبرس الجاشنكير	
٧٠٩ هـ = ١٣٠٩ م	الناصر محمد [سلطنته الثالثة]	
٧٤٠هـ = ١٣٣٩-١٣٤٠م		الواثق بأمر الله الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن المستكفى
٧٤١هـ = ١٣٤٠-١٣٤١م	المنصور سيف الدين أبو بكر	
٧٤٢ هـ = ١٣٤١ م	الأشرف علاء الدين كجك	
٧٤٢ هـ = ١٣٤١ م	الناصر شهاب الدين أحمد	
٧٤٣ هـ = ١٣٤٢ م	الصالح عماد الدين إسماعيل	
٧٤٦ هـ = ١٣٤٥ م	الكامل سيف الدين شعبان	
٧٤٧ هـ = ١٣٤٦ م	المظفر زين الدين حاجي	
٧٤٨ هـ = ١٣٤٧ م	الناصر حسن [سلطنته الأولى]	
٧٥٢ هـ = ١٣٥١ م	صلاح الدين صالح	
٧٥٣ هـ = ١٣٥٢ م		المعتضد بالله أبو الفتح أبو بكر المستكفى
٧٥٥ هـ = ١٣٥٤ م	الناصر حسن (سلطنته الثانية)	
٧٦٢ هـ = ١٣٦١ م	المنصور صلاح الدين محمد	
٧٦٣ هـ = ١٣٦١ م	ابن حاجى	
٧٦٣ هـ = ١٣٦٣ م		المتوكل على الله أبو عبد الله محمد
٧٦٤ هـ = ١٣٦٣ م	الأشرف زين الدين شعبان	
٧٧٨ هـ = ١٣٧٦ م	المنصور علاء الدين على	
٧٨٢ هـ = ١٣٨١ م	الصالح زين الدين حاجى	

[1] علي إبراهيم حسن، تاريخ المماليك البحرية، ص246-247.

جدول رقم 9:إيلخانات فارس[1].

إيلخانات المغول فى فارس

فى العصر المملوكى

عدد	سنة هجرية	اسماء الإيلخانات	سنة ميلادية
١	٦٥٤	هولاكو	١٢٥٦
٢	٦٦٣	أحمد تكودار	١٢٥٩
٣	٦٨٠	أباقا	١٢٨٢
٤	٦٨٣	أرغون	١٢٨٤
٥	٦٩٠	جيخاتو	١٢٩١
٦	٦٩٤	بيدو	١٢٩٥
٧	٦٩٤	غازان محمود	١٢٩٥
٨	٧٠٣	أولجايتو خدابنده	١٣ ٥
٩	٧١٦	أبو سعيد	١٣١٧
١٠	٧٣٦	أربا	١٣٣٥
١١	٧٣٦ — ٧٤٥	موسى	١٣٣٦ — ١٣٤٤

[1]علي إبراهيم حسن،المرجع السّابق،ص144.

جدول رقم 10:ملوك بيت المقدس الصّليبيّين(494-652هـ/1100-1254م)[1].

مملكة بيت المقدس

بلدوين الأول ٤٩٤ — ٥١٢ هـ (١١٠٠ — ١١١٨ م)

بلدوين الثانى ٥١٢ — ٥٢٦ هـ (١١١٨ — ١١٣١ م)

فولك الأنجوى . ٥٢٦ — ٥٣٩ هـ (١١٣١ — ١١٤٤ م)

بلدوين الثالث ٥٣٩ — ٥٥٨ هـ (١١٤٤ — ١١٦٢ م)

عمورى الأول ٥٥٨ — ٥٦٩ هـ (١١٦٢ — ١١٧٣ م)

بلدوين الرابع ٥٦٩ — ٥٨١ هـ (١١٧٣ — ١١٨٥ م)

بلدوين الخامس ٥٨١ — ٥٨٢ هـ (١١٨٥ — ١١٨٦ م)

جاى لوزجنان ٥٨٢ — ٥٨٨ هـ (١١٨٦ — ١١٩٢ م)

كونرادى مونتفرات ٥٨٨ هـ (١١٩٢ م)

هنرى دى شامبنى ٥٨٨ — ٥٩٣ هـ (١١٩٢ — ١١٩٧ م)

عمورى اثانى . ٥٩٣ — ٦٠٢ هـ (١١٩٧ — ١٢٠٥ م)

مارى (ابنة كونراد تحت الوصاية) ٦٠٢ — ٦٠٧ هـ
(١٢٠٥ — ١٢١٠)

حنادى دى برين ٦٠٧ — ٦٢٣ هـ ١٢١٠ — ١٢٢٥ م

الإمبراطور فردريك الثانى ٦٢٢ — ٦٤٨ هـ (١٢٢٥ — ١٢٥٠ م)

كونراد الرابع ملك ألمانيا (ملك اسمى) ٦٤٨ — ٦٥٢ هـ
(١٢٥٠ — ١٢٥٤ م)

كونرادين (ملك اسمى) ٦٥٢ — ٦٦٧ هـ ١٢٥٤ — ١٢٦٨ م)

هيو الثالث ملك قبرس (الثانى (٦٦٨ — ٦٨٣ هـ (١٣٦٩ — ١٢٨٤م)

حنا الأول ملك بيت المقدس ٦٨٣ — ٦٨١ هـ (١٢٨٤ — ١٢٨٥

هنرى الثالث ملك قبرس (الثانى) ٦٨٥ — ٦٩٠ هـ (١٢٨٦ — ١٢٩١)م

---

[1] عصام عبد الرّؤوف الفقّي،المرجع السّابق،ص274.

جدول رقم 11:أمراء أنطاكية النورمان(492-667هـ/1098-1268م)[1].

أمراء أنطاكية النورمان

الأمير	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي
بوهيموند الأول	٤٩٢ – ٤٩٨ هـ	(١٠٩٨ – ١١٠٤ م)
تنكرد	٤٩٨ – ٥٠٦ هـ	(١١٠٤ – ١١١٢) م
روجردى سالرنو	٥٠٦ – ٥١٣ هـ	(١١١٢ – ١١١٨ م)
بوهيموند الثانى	٥٢٠ – ٥٢٥ هـ	(١١٢٦ – ١١٣٠ م)
ريموند دى بواتييه	٥٣١ – ٥٤٤ هـ	(١١٣٦ – ١١٤٩ م)
رينالد دى شاتيون (أرناط)	٥٤٨ – ٥٥٥ هـ	(١١٥٣ – ١١٦٠ م)
بوهيموند الثالث	٥٥٩ – ٥٩٨ هـ	(١١٦٣ – ١٢٠١ م)
بوهيموند الرابع	٥٩٨ – ٦١٣ هـ	(١٢٠١ – ١٢١٦ م)
ريموند روبان	٦١٣ – ٦١٦ هـ	(١٢١٦ – ١٢١٩ م)
بوهيموند الرابع (مرة ثانية)	٦١٦ – ٦٣١ هـ	(١٢١٩ – ١٢٣٣ م)
بوهيموند الخامس	٦٣١ – ٦٤٩ هـ	(١٢٣٣ – ١٢٥١ م)
بوهيموند السادس	٦٤٩ – ٦٦٧ هـ	(١٢٥١ – ١٢٦٨ م)

[1]عصام عبد الرؤوف الفقي،المرجع السابق،ص275.

جدول رقم 12:أباطرة الدّولة البيزنطيّة خلال الحروب الصّليبيّة[1].

سابعاً : أباطرة الدولة البيزنطية :

ألكسيوس الأول كومنين ٤٧٣ – ٥١٢ هـ (١٠٨١ – ١١١٨ م)
حنا الثاني كومنين ٥١٢ – ٥٣٨ هـ (١١١٨ – ١١٤٣ م)
مانويل الأول كومنين ٥٣٨ – ٥٧٦ هـ (١١٤٣ – ١١٨٠ م)
ألكسيوس الثاني كومنين ٥٧٦ – ٥٧٩ هـ ١١٨٠ – ١١٨٣م)
أندرونيق الأول كومنين ٥٧٩ – ٥٨١ هـ (١١٨٣ – ١١٨٥ م)
اسحق الثاني انجيلوس ٥٨١ – ٥٩٢ هـ (١١٨٥ – ١١٩٥ م)
الكسيوس الثالث انجيلوس ٥٩٢ – ٦٠٠ هـ (١١٩٥ – ١٢٠٣ م
الكسيوس الخامس ٦٠١ هـ (١٢٠٤)

[1]عصام عبد الرّؤوف الفقّي،المرجع السّابق،ص276.

الفهارس العامة

فهرس الأعلام

فهرس القبائل والشّعوب والأسر الحاكمة.

فهرس المُدُن والبُلدان والجبال والأنهار والبحار.

(أ)

(ب)

(ن)

(هـ)

(ي)

قائمة المصادر مالمراجع.

قائمة المصادر.

1)المصادر التّاريخيّة:

أ-المصادر العربية:

1-إبن الأثير(أبوالحسن علي بن أبي الكرم محمّد الشيباني الجزري،ت630هـ/1231م):

-الباهر في تاريخ الدولة الأتابكية،تحقيق:عبد القادر أحمد طليمات،دارالكتب الحديثة،ط2،القاهرة،1995م.

2- ....،الكامل في التّاريخ،الأجزاء:8،و9،و10،راجعه وصحّحه محمّد يوسف الدقّاق،دارالكتب العلميّة،ط3، بيروت، 1418هـ/1998م.

3-إبن تغري بردي(جمال الدين أبو المحاسن يوسف الأتابكي،ت847هـ/1470م):

-المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي،الأجزاء:3و4و5 ،حققه ووضع حواشيه:محمد محمد أمين،الهيئة المصرية العامة للكتاب،د.م.ن،1984م.

4-................،النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،الأجزاء:5،و6،و7،و10،و11،و12،قدم له وعلق عليه:محمد حسين شمس الدين،دار الكتب العلمية ،ط1،بيروت،1413هـ/1992م.

5-إبن الجوزي(أبو الفرج عبد الحمان بن علي بن محمد،ت597هـ/1200م):

-المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، الأجزاء:16،و17،و18،دراسة وتحقيق:محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادرعطا،دار الكتب العلمية،ط1،بيروت ،1412هـ/1992م.

6-إبن خلدون(عبد الرحمان بن محمد،ت808هـ/1405م):

-العبر وديوان المبتدأ والخبر أو تاريخ إبن خلدون،المُجلّد الخامس،دار الكتب العلمية،ط1،بيروت ،1992م.

7-إبن خلكان(أبوالعباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكرالبرمكي الإربلي الشافعي،ت681هـ/1281م):

-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان،الأجزاء:4،و5،تحقيق:إحسان عباس،دار صادر،بيروت،1968م.

8-إبن دقماق(صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي،ت809هـ/1406م):

-نزهة الأنام في تاريخ الإسلام،دراسة وتحقيق:سميرطبارة،المكتبة العصرية،ط1،صيدا-بيروت،1420هـ/1999م.

9- إبن شاهنشاه (محمد بن تقي الدين عمر،ت617هـ/1220م):

-مضمار الحقائق وسر الخلائق،تحقيق:حسن حبشي،عالم الكتب،القاهرة،1968م.

10-إبن شاهين الظاهري(زين الدين عبد الباسط بن خليل،ت920هـ/1572م):

-نيلُ الأمل في ذيل الدول،القسم الأوّل الجزء الأوّل و الجزئين الثّالث والرّابع،تحقيق:عبد السلام تدمري،المكتبة العصرية، صيدا،ط1، بيروت ،1422هـ/2002م.

11-إبن شداد(بهاء الدين يوسف بن رافع،ت632هـ/1234م):

-النوادرالسلطانية والمحاسن اليوسفية،تحقيق:جمال الدين الشيال،مكتبة الخانجي،ط2،القاهرة،1415 هـ /1995م.

12- إبن شداد(عزالدين محمد،ت684هـ/1285م):

-الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة،نسخة،على موقع:

www.almostafa.com

13-تاريخ الملك الظاهر،إعتنى به:أحمد حطيط،دار النشر فرانز شتايز فيسبادن،بيروت،1403هـ/1983م.

14- إبن الصيرفي(علي بن داود،ت900هـ/1466م):

-نزهة النّفوس والأبدان في تواريخ الأزمان،الجزء الثّاني (801-825هـ)،تحقيق وتعليق :حسن حبشي،مطبعة دار الكتب،1971م.

15-إبن طباطبا(فخر الدين محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي،ت 709هـ/1247م):

-الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية،دار صادر ،بيروت،د.ت.

16-إبن عساكر(أبوالقاسم علي بن الحسن بن هبة اللّه بن عبد اللّه الشّافعي،ت571هـ/1175م):

- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسميّة من حلّها من الأماثل أواجتاز بنواحيها وأهلها ،الأجزاء :9، و10، و11، و17، و18، و57،دراسة وتحقيق:محبّ الدّين أبي سعيد عمربن عكرمة العمروي،دارالفكرللطّباعة والنّشر والتّوزيع ، بيروت،1415هـ/1995م.

17-إبن العبري(أبو الفرج مار غريغوريوس بن الحكيم أهرون الملطي،ت685هـ/1286م):

-تاريخ مختصر الدول،طبعة حجرية،الهند.

18-إبن العديم(كمال الدين أبوالقاسم عمر بن أحمد بن هبة الله،ت660هـ/1261م):

-زبدة الحلب من تاريخ حلب،الجزء الثّاني،تحقيق:سامي الدهان،منشورات المعهد الفرنسي للدراسات العربية،دمشق،د.ت.

19- إبن عربشاه(أحمد بن محمّد بن عبد اللّه بن إبراهيم أبو محمّد شهاب الدّين،ت854هـ/1450م):

-عجائب المقدور في أخبارتيمور،نسخة من موقع:

www.almostafa.com

20-إبن العمراني(محمّد بن علي بن محمّد،ت580هـ/1184م):

-الإنباء في تاريخ الخلفاء،تحقيق وتقديم:قاسم السّامرائي،دار الآفاق العربيّة،ط1 ،القاهرة ،1419هـ/1999م.

21-إبن العميد(عبد اللّه جرجس بن أبي ياسر بن أبي المكارم،ت672هـ/1273م):

-أخبار الأيوبيين،مكتبة الثقافة الدينية،بور سعيد،د.ت.

22-إبن الفرات(الشيخ ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم الحنفي المصري،ت807هـ/1405م):

-التاريخ،الجزء الخامس،تحقيق: حسن محمد الشمّاع،البصرة،1970م.

23- إبن قاضي شهبة(تقيّ الدّين أبي بكر بن أحمد الأسدي الدّمشقي،ت851هـ/1448م):

-التّاريخ،المجلّد الأوّل الجزء الثّالث (787-800هـ/1379-1397م)،تحقيق:عدنان درويش،المعهد العلمي الفرنسي للدّراسات العربيّة،دمشق،1977م.

24- إبن القلانسي(أبو يعلى حمزةبن أسد بن علي التميمي،ت555هـ/1160م):

- تاريخ دمشق،تحقيق:سهيل زكار،دار حسان،للطباعة والنشر،ط1،دمشق،1403هـ/1983م.

25-إبن كثير(إسماعيل بن عمر،ت742هـ/1373م):

-البداية والنهاية،الأجزاء:16،و17،و18،تحقيق:عبد الله بن عبد المحسن التركي،دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان،إمبابة،1997م.

26- إبن منقذ(أسامة بن منقذ الكناني الشيزري،ت584هـ/1188م):

-الإعتبار،تحرير:فيليب حتي،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،د.ت.

27-إبن نظيف الحموي(أبوالفضائل محمد بن علي،عاش خلال القرن 7هـ/13م):

-التاريخ المنصوري:تلخيص الكشف و البيان في حوادث الزمان،تحقيق:أبو العيد دودو،المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1990م.

28-إبن واصل(جمال الدين محمد بن سالم،ت 697هـ/ 1298م):

-مُفرج الكروب في أخبار بني أيوب،الجزئين الأوّل والرّابع ،و تحقيق:حسنين محمد ربيع، مركز تحقيق التراث بدار الكتب والوثائق القوميّة،القاهرة،1975م.

29- أبوشامة(شهاب الدّين عبد الرّحمان بن إسماعيل المقدسي،ت665هـ/1267م):

-عيون الرّوضتين في أخبار الدّولتين النّوريّة والصّلاحيّة،جزآن،تحقيق:أحمد بيّومي،منشورات وزارة الثّقافة،دمشق،1991م.

30- أبوالفداء(عماد الدين إسماعيل،ت732هـ/1331م):

-التّبر المسبوك في تواريخ الملوك،تقديم وتحقيق وتعليق:محمّد زينهم ومحمّد عزب،مكتبة الثّقافة الدّينيّة،القاهرة، ط1،1415هـ/1995م.

31-...........،المُختصر في أخبار البشر، الجزئين الثّالث والرّابع،المطبعة الحسينية،القاهرة،ط1،د.ت.

32-الأصفهاني(عماد الدين الكاتب أبي عبد الله محمد بن محمد بن حامد،ت597هـ/1200م):

-الفتح القسي في الفتح القدسي، ،دار المنار،ط1،د.م.ن،2004م.

33- البنداري الأصفهاني(الفتح بن علي بن محمد،ت643هـ/1242م):

-مختصرتاريخ دولة آل سلجوق،شركة طبع الكتب العربية،القاهرة،1318هـ/1900م.

34-الحسيني اليزدي(محمد بن محمد بن عبد الله بن النظام،ت743هـ/1342م):

-العراضة في الحكاية السلجوقية،ترجمة وتحقيق:عبد النعيم محمد حسنين وحسين أمين،منشورات جامعة بغداد،1979م.

35-الحنبلي(أحمد بن إبراهيم،ت876هـ/1471م):

-شفاء القلوب في مناقب بني أيّوب،تقديم وتحقيق وتعليق:مديحةالشّرقاوي ،مكتبة الثّقافة الدّينيّة،القاهرة،1415هـ/1996م.

36- الحنبلي(أبو الفلاح عبد الحي إبن العماد،ت1089هـ/1678م):

-شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الجزئين الثّالث و الرّابع ،تحقيق:لجنة إحياء التراث العربي،دارالآفاق الجديدة، بيروت،د.ت.

37- الدّياربكري(حسين بن محمّد بن الحسن،ت966هـ/1559م):

-تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس،الجزء الثّاني،مؤسّسة شعبان للنّشر والتّوزيع،بيروت،د.ت.

38- الذهبي(الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد،ت771هـ/1347م):

-دول الإسلام،الجزءالثّاني،مؤسسة الأعلى للمطبوعات،بيروت،1405هـ/1985م.

39-..........،تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام،تحقيق:عمر عبد السلام التدمري،أجزاء السّنوات من 491 إلى 700هجريّة ، دار الكتاب العربي،ط2،بيروت ،1419هـ/1998م.

40-...........،العبر في خبر من غبر،الجزء الثّاني ،تحقيق وضبط: محمد السعيد بن بسيوني زغلول،دار الكتب العلمية،ط1،بيروت،1405هـ/1985م.

41- السّخاوي(شمس الدّين أبو الخيرمحمّد بن عبد الرّحمان بن محمّد،ت902هـ/1496م):

-الذّيل التّام على دوّل الإسلام للذّهبي،الجزء الأوّل: حوادث وتراجم(745-850هـ)،حقّقه وعلّق عليه:حسين إسماعيل مروة،مكتبة دار العروبة للنّشر والتّوزيع،الكوّيت،ودار إبن العماد للنّشر والتّوزيع،ط1،بيروت ،1413هـ/1992م.

42- العصامي(عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكّي،ت1111هـ/1699م):

-سمط النجوم العوالي في أخبار الأوائل والتوالي،نسخة

www.almostafa.com:wordمن موقع

43- العيني(بدرالدين أبومحمّد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد الحنفي،ت885هـ/1451م):

-السيف المُهَند في سيرة الملك المؤيد"شيخ المحمودي"،تحقيق:فهيم محمد علوي شلتوت،دار الكتب المصرية ،ط2،القاهرة،1998م.

44-........،عقد الجُمان في تاريخ أهل الزّمان،نسخةمن موقع

word:www. almostafa.com

45-الفارقي(أحمد بن يوسف بن علي بن الأزرق الكردي،توفّي بعد 577هـ/1189م):

-التاريخ أو تاريخ ميافارقين وآمد أو الدولة المروانية،تحقيق وتقديم :بدوي عبد اللطيف عوض،الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية،القاهرة،1379هـ/1959م.

46- القرماني(أبو العباس أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي،ت1019هـ/1610م):

-أخبار الدُول وآثار الأُوَل،طبعة حجرية ،الهند،1890م.

47- المدائني(عزالدين عبد الحميد بن أبي الحديد،ت656هـ/1258م):
-حملات الغزو المغولي للمشرق،ترجمه إلى الفرنسية وعلق عليه: مختار جبلي،دار لارماتون،باريس،1995م.
48- المقريزي(تقيّ الدّين أحمد بن علي،ت845هـ/1442م):
-المواعظ والإعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية،الجزء الثّالث،تحقيق:محمد زينهم ومديحة الشرقاوي، مكتبة مدبولي،القاهرة،1998م.
49-.........،السلوك لمعرفة دول الملوك،الأجزاء:6،1،وتحقيق:محمد عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية ،ط1، بيروت،1418هـ/1997م.
50- المنصوري(بيبرس،ت750هـ/1349م):
-مختار الأخبار:تاريخ الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية حتى سنة 702هـ/1309م،حققه وقدم له ووضع فهارسه:عبد الحميد صالح حمدان،الدار المصرية اللبنانية،ط1 ،القاهرة،1413هـ/1993م.
51- النويري(شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب،ت733هـ/1332م):
-نهاية الأرب في فنون الأدب، الأجزاء:29،و30،و32،و33،تحقيق:مفيد قميحة،دار الكتب العلمية،ط1، بيروت ،1424 هـ/2004م.

52- الهمذاني(رشيد الدين فضل الله،718هـ/1318م):

-جامع التواريخ،تاريخ المغول،المُجلد الثاني،الجزئين الأوّل و الثاني:الإيلخانيون"تاريخ أبناء هولاكو من آباقا خان إلى كيخاتو خان"،نقله إلى العربية:محمد صادق نشأت و فؤاد عبد المعطي الصياد،راجعه:يحيى الخشاب،دار إحياء الكتب العربيّة،د.ت.

53- اليافعي(أبومحمد عبدالله بن أسعد بن علي بن سليمان اليمني المكي،ت768هـ/1366م):
-مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة مايعتبر من حوادث الزمان، الأجزاء :3،و4،و5،وضع حواشيه:خليل منصور،دار الكتب العلمية،ط1،بيروت ،1418هـ/1997م.
54- اليونيني(قطب الدّين موسى بن محمّد ،ت726 هـ/1326م):
-ذيل مرآة الزّمان، الجزء الثّالث،نسخة من موقع:
Word /www.almostafa.com

ب-المصادر الأجنبية:

1-**ريموند اجيل:**

-تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس،نقله إلى الإنكليزية مع مقدّمة وهوامش:جون هيوغ هيل ولوريتال هيل،جامعة هيوستون،نقله إلى العربيّة وعلّق عليه:جوزيف نسيم يوسف،دار المعرفة الجامعيّة،2002.

2- فوشيه الشّارتري:

-تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس،ترجمة:زيّاد العسلي،دار الشروق للنّشر والتّوزيع،ط1،عمّان،1990م.

3-وليم الصوري(ت 581هـ/1185م):

-الأعمال الكاملة في ماوراء البحار،ترجمة:سهيل زكار،دارالفكر،ط1،بيروت،1990م.

2)المصادرالجغرافيّة:

1- إبن بطّوطة(شمس الدّين أبوعبد اللّه محمّد بن إبراهيم اللّوّاتي الطّنجي ،ت779هـ/1377م):

- تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار أو الرّحلة ، دارصادر،بيروت،1964م.

2- إبن جبير(أبوالحسن محمّد بن أحمد بن جبيرالكناني البلنسي،ت614هـ/1217م):

-تذكرة الأخبار عن إتّفاقات الأسفارأو الرّحلة،دار موفم للنشر،الجزائر،1988م.

3- إبن حوقل(أبوالقاسم محمّد بن علي الموصلي،ت367هـ/977م):

-صورة الأرض،دار مكتبة الحياة،بيروت،د.ت.

4- إبن خرداذبة(أبوالقاسم عبيد اللّه بن عبداللّه الفارسي،ت300هـ/912م):

-المسالك والممالك،طبعة حجرية،نَيْدَن،1889م.

5- إبن سعيد المغربي (ت685هـ/1286م):

-الجغرافيا،نسخة:

WORD موجودة على موسوعة شرطيوة الإلكترونية،

6- إبن الشحنة(أبوالفضل محمد،ت890هـ/1456م):

-الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب،تحقيق:عبد الله محمد الدرويش،دار الكتاب العربي وعالم التراث،دمشق، 1404هـ/1984م.

7- إبن الوردي(سراج الدين أبوحفص عمر،ت749هـ/1348م):

-خريدة العجائب وفريدة الغرائب،طبعة حجرية،1303هـ/1885م، من نسخة مصوّرة موجودة على موقع COM.WADOD.WWW

8- أبوالفداء(الملك المؤيّد عماد الدّين إسماعيل بن علي بن محمود بن أيّوب،ت732هـ/1331م):

-تقويم البلدان،صححه:رولاند وماك كوكين ديسلان،دار الطباعة السلطانية،باريس،1840م.

9- الإدريسي(أبوعبداللّه محمّد بن محمّد بن عبد اللّه بن إدريس بن يحيى،ت560هـ/1165م):

-نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،نسخة موجودة على موقع

:WORD : www.al-mostafa.com

10- الأصطخري(إبراهيم بن محمّد الفارسي،ت246هــ/957م):

-المسالك والممالك،نسخة ،

من موقع:WORD :www.al-mostafa.com

11- الحِميَري(محمّد بن عبد المنعم الصّنهاجي الحميري ،ت900هــ/1494م):

-روض المعطار في خبرالأقطار،تحقيق :إحسان عباس،مكتبة لبنان،ط2،بيروت ،1984م.

12- الزّهري(أبو عبدالله محمّد بن أبي بكر،ت550هــ/1055م):

-كتاب الجغرافيّة،تحقيق:محمد حاج صادق،مكتبة الثقافة الدينية،د.ت.

13- شيخ الربوة(شمس الدين أبي عيد الله محمد بن أبي طالب الأنصاري الصوفي الدمشقي،ت727هــ/1327م):

-نخبة الدهرفي عجائب البر والبحر،تحقيق:م.أ.ف.مهرن،نشر:أوتو هاراسوفيتش،طبعة حجرية،لايبزيغ،1923م.

14- القزويني(جمال الدّين أبو يحيى زكريّا بن محمّد بن محمود،ت682هــ/1283م):

-آثار البلاد وأخبار العباد،دار صادر ،بيروت،د.ت.

15- القلقشندي(شهاب الدّين أبوالعبّاس أحمد بن علي،ت821هــ/1418م):

-صبح الأعشى في صناعة الإنشا،الأجزاء:دار الكتب المصرية،القاهرة،1340هــ/1922م.

16- المقدسي(محمّد بن أحمد بن أبي بكرالبنّاء الشّامي،ت390هــ/1000م):

-أحسن التّقاسيم في معرفة الأقاليم،طبعة حجرية،نيدن،1906م.

17- ياقوت الحموي(شهاب الدّين أبو عبد اللّه ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ، ت626هــ/1229م):

-معجم البلدان،خمسة أجزاء،دار صادر،بيروت،1397هــ/1977م.

18- التطيلي(بنيامين بن يونة النباري الأندلسي،ت 569هــ/1173م):

-رحلة إبن يونة الأندلسي إلى بلاد الشرق الإسلامي،ترجمة:عزرا حداد،دار إبن زيدون للطباعة والنشر والتوزيع،ط1،د.م.ن،1416هــ/1996م.

19- خسرو(ناصر علوي،ت481هــ/1088م):

-سفرنامه،ترجمة:يحيى الخشاب،الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة،1993م.

قائمة المراجع

1-المراجع التّاريخيّة.

أ-الصادرة باللُغة العربية:

1-إحسان عبّاس،شذرات من كتب مفقودة في التّاريخ،دار الغرب الإسلامي،بيروت،ط1408،1هـ/1988م.

2-أحمد الشّامي،تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى،دار النهضة العربية،ط1، القاهرة،1405هـ/1985م.

3-............،صلاح الدّين والصّليبيّون،تاريخ الدّولة الأيّوبيّة،مكتبة النّهضة العربيّة،القاهرة،ط1991،1م.

4-أنطون خانجي،مختصر تواريخ الأرمن،مطبعة دير الآباء الفرنسيسكانيين،القدس،1868م.

5-حاتم عبد الرحمان الطحاوي،الإقتصاد الصليبي في بلاد الشام،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية،ط1،1999م.

6-حافظ أحمد حمدي،الدّولة الخوارزميّة والمغول:غزوجنكيزخان وآثاره السيّاسيّة والدّينيّة والإقتصاديّة والثّقافيّة، دارالفكر العربي،القاهرة،د.ت.

7-حامد زيان غانم زيان،الصراع السياسي والعسكري بين القوى الإسلامية زمن الحروب الصليبية،دار الثقافة للنشر والتوزيع،القاهرة،1403هـ/1983م.

8-حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشّريف،العالم الإسلامي في العصر العبّاسي،دار الفكر العربي،القاهرة، 1995.

9-حسين محمّد عطيّة،إمارة أنطاكية الصّليبيّة والمسلمون(567-666هـ/1171-1268م)،دارالمعرفة الجامعيّة، الأزاريطة،2003.

10-حسين مؤنس،أطلس تاريخ الإسلام،دار الزهراء للإعلام العربي،القاهرة،ط1،1407هـ/1987م.

11-حمدي عبد المنعم حسين،دراسات في تاريخ الأيّوبيين والمماليك،دار المعرفة الجامعية،2005م.

12-خاشع المعاضيدي،الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي(359-527هـ/969-1171م)،دار الحرية للطباعة،بغداد،ط1975،1-1976م

13-رجب محمد عبد الحليم،إنتشار الإسلام بين المغول،دار النهضة العربية للنشر والطبع والتوزيع،القاهرة،1986م. 14- سحر السيد عبد العزيز سالم،تاريخ مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي،مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية،2009م.

15- زبيدة عطا،الترك في العصورالوسطى:بيزنطة،وسلاجقة الرّوم والعثمانيّون،دارالفكرالعربي،القاهرة،د.ت.

16-سهيل زكار وأمينة بيطار،تاريخ الدولة العربية في المشرق من السلاجقة حتى سقوط بغداد،ط3،إصدارات جامعة دمشق،1418هـ/1997م.

17-سعيد عبد الفتاح عاشور،الأيوبيين والمماليك في مصر والشام،دار النهضة العربية،القاهرة،1996م.

18-سهيل زكّار،الموسوعة الشاملة للحروب الصّليبيّة الأجزاء:1،5،6،7،16،17،18،19،20،21،23، 24،27،29، دار الفكر العربي،دمشق،1415-1420هــ/1995-2000م.
19-شعبان طرطور، الدولة الجلائرية،دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع،د.م.ن،1407هــ/1987م.
20-شوقي أبوخليل،أطلس التاريخ العربي الإسلامي،دارالفكر،دمشق،ط5،1425هــ/2005م.
21-عبادة كحيلة،العقد الثمين في تاريخ المسلمين،دار الكتاب الحديث،الكويت،1417هــ/1996م.
22-عبد الرزّاق محمّد أسود،موسوعة العراق السيّاسيّة،الدّار العربيّة للموسوعات،الجزء الأول،ط1،د.م.ن،1986م.
23-عبد السلام عبد العزيز فهمي،تاريخ الدولة المغولية في إيران،دار المعارف،القاهرة،1981م.
24-عبد الله الشرقاوي،تحفة الناظرين في من ولى مصر من الملوك والسلاطين،تحقيق وتعليق:رحاب عبد الحميد القاري، مكتبة مدبولي،القاهرة،1416هــ/1996م.
25-عزيز قادر الصمانجي،التاريخ السياسي لتركمان العراق،دار الساقي،ط1،بيروت،1999م.
26-عصام عبد الرؤوف الفقي،بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي،دار الفكر العربي،القاهرة،د.س.ن.
27-عصام شبارو،السلاطين في المشرق العربي،معالم دورهم السيّاسي والحضاري(السّلاجقة-الأيّوبيّون)،دار النهضة العربيّة، ط1،بيروت،1994م.
28-علي إبراهيم حسن،تاريخ المماليك البحرية،مكتبة النهضة العربية،القاهرة،ط3،القاهرة،1967م.
29-علي بن صالح المحيميد،الدانشمنديون وجهادهم في بلاد الأناضول،مؤسسة شباب الجامعة،ط1،الإسكندرية، 1414هــ/1994م.
30-علي عبد الحليم محمود،الغزو الصليبي والعالم الإسلامي،دار التوزيع والنشر الإسلامية،ط1،القاهرة،1414هــ/ 1993م.
31-علياء ديب تبريزي،المُخطط الأعظم لتحرير القدس"نور الدين محمود زنكي"،المكتبة العصرية، صيدا-بيروت،ط1،1423هــ/2003م.
32-عماد الدين خليل،نور الدين محمود وتجربته الإسلامية،دار القلم،ط2،دمشق-بيروت،1407هــ/1987م.
33-عيسى الحسن،تاريخ العرب من بداية الحروب الصليبية إلى نهاية الدولة العثمانية، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمان،ط1،2008م
34-فؤاد عبد المُعطي صياد،المغول في التاريخ، الجزء الأول،دار النهضة العربية،بيروت،1980م.
35-قاسم عبده قاسم،ماهية الحروب الصليبية،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية،القاهرة،1993م.
36-............. وعلي السيد علي،الأيوبيين والمماليك التاريخ السياسي والعسكري،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية،القاهرة،1995م.
37-قتيبة الشهابي،صمود دمشق أمام الحروب الصليبية،منشورات وزارة الثقافة،دمشق،1998م.
38-كمال بن مارس،العلاقات الإقليمية والحروب الصليبية،محور الموصل-حلب(464-583هــ/1071-1187م)،ط1،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية،2004،د.م.ن.

39-محمد جميل صادق آبه زاو،موسوعة تاريخ القفقاس والجركس،دار علاء الدين،دمشق،1996م.
40-محمد راغب الطباخ الحلبي،أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء،الجزء الثّاني،المطبعة العلميّة،حلب،ط1، 1342هـ/1924م.
41-محمد العروسي المطوي،الحروب الصليبية في المشرق والمغرب،دار الغرب الإسلامي،ط2،بيروت،1982م.
42-محمّد عبد الشّافي المغربي،آسيا الصّغرى في العصورالوسطى:ددراسة في التّاريخ السّيّاسي والحضاري(القرن11-13م)،دار الوفاء لدنيا الطّباعة والنّشر،ط1،الإسكندريّة،2003م.
43-محمد عبد العظيم يوسف أبو النصر،السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية،ط1،القاهرة،2001م.
44-محمد ماهر حمادة،وثائق الحروب الصليبة والغزو المغولي للعالم الإسلامي،مؤسسة الرسالة،بيروت،ط2، 1402هـ/1982م.
45-محمد مؤنس أحمد عوض،في الصراع الإسلامي-الصليبي،السياسة الخارجية للدولة النورية(541-569هـ/1146-1174م)،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية،ط1998،2م.
46-محمود سعيد عمران،الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها،دار النهضة العربية،ط1،بيروت،1422هـ/2002م.
47-..................،بحوث في العلاقات بين الشرق والغرب،دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية،2008م.
48-..................،تاريخ الحروب الصليبية(1095-1291م)،دار المعرفة الجامعية،1998م.
49-محمود سليم رزق،عصرسلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي،المجلّد الأوّل،القسم الأول من الجزء الأوّل،مكتبة الآداب،القاهرة،ط1381،2هـ/1962م.
50-محمود السّيّد،العرب في أخطر المعارك الحربيّة في تاريخ العالم(القبائل العربية في بلاد الشام في بلاد الشام ودورها في عصر سلاطين المماليك)،منشأ المفكّرين،الإسكندريّة،1995م.
51-محمود محمد الحويري،الأوضاع الحضارية في بلاد الشام خلال القرنين 12و13م،عصر الحروب الصليبية، دار المعارف،القاهرة،1979م.
52-................،بناء الجبهة الإسلامية المتحدة وأثرها في التصدي للصليبيين،دارالمعارف،ط1،القاهرة،1992م.
53-................،تاريخ الدولة العثمانية،المكتب المصري لتوزيع المطبوعات،القاهرة،ط1، 2001م.
54-مروان المدور،الأرمن عبر التاريخ،دار مكتبة الحياة،ط1،بيروت،1982م.
55-مصطفى وهبة، موجز تاريخ الحروب الصليبية،مكتبة الإيمان،ط1،المنصورة،1418هـ/1997م.
56-نبيل زكي،الأكراد،الأساطير،الثورات والحروب،كتاب اليوم،القاهرة،1991م.
57-يوحنا أبكاريوس،قطف الزهور في تاريخ الدهور،طبعة حجرية،ط2،بيروت،1885م.
58-يوسف الدبس،تاريخ الشعوب الشرقية في الدين والسياسة والإجتماع،دار نظير عبَود،الجزء الأوَل،ط1،بيروت ،2000م.

ب-المراجع المترجمة:

59-إدواربروي وآخرون،القرون الوسطى،ترجمة:يوسف أسعد داغر،وفريد م.داغر،منشورات البحرالمتوسّط،بيروت-باريس،ومنشورات عويدات،ط2،بيروت-باريس،1986م.
60-إدوارد فون زامباور،معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التّاريخ الإسلامي،ترجمة:زكي محمّد حسن وآخرون،دار الرّائد العربي، بيروت ،1400هـ/1980م.
61-أرنست باركر،الحروب الصّليبيّة،ترجمة:السيد الباز العريني،دار النهضة العربية،ط2،بيروت،1967م.
62-باسيل نيكتين،الكرد،قدم لها وراجعها ودققها:صلاح برواري،منشورات مجلة aso ،1993م.
63-توماس بوا،تاريخ الأكراد،ترجمة محمّد تيسير ميرخان،دار الفكر المعاصر،بيروت،2000م.
64-ستيفن رنسيمان،تاريخ الحروب الصليبية،المُجلّد الثَّاني القسم الأوّل،ترجمة :السيّد الباز العريني،دار الثقافة،بيروت،1417هـ/1997م.
65-فالتر هانس،المكاييل والأوزان الإسلامية ومايعادلها في النظام المتري،ترجمة:كامل العسلي،منشورات الجامعة الأردنية،ط2،عمان،2001م.
66-كارل بروكلمان،تاريخ الشعوب الإسلامية،ترجمة:نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي،دار العلم للملايين،ط6،بيروت،1980م.
67-كلود كاهن،الشرق والغرب زمن الحروب الصليبية،ترجمة:أحمد الشيخ،دارسينا للنشر،ط1،القاهرة،1995م.
68-كي لسترنج،بلدان الخلافة الشرقية،ترجمة:بشير فرنسيس وكوركيس عواد ،ط2 ،مؤسسة الرسالة ،بيروت،1415 هـ/1985م.
69-ميخائيل زابوروف،الصليبيون في الشرق،ترجمة:إلياس شاهين،دار التقدم ،موسكو.1980م.
70-هاملتون.آ.ر.جب،دراسات في التّاريخ الإسلامي،صلاح الدّين الأيّوبي،حرّرها:يوسف أيبش،دار الجيل،ط3، 1989.
71-يوشع براور،الإستيطان الصليبي في فلسطين "مملكة بيت المقدس"،ترجمة:عبد الحافظ البنا،عين للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية،ط2001،5م.

<u>ج- المقالات:</u>

1-محمد نور الدين،الأتراك والتركمان:أصل كلمة تركمان ومعناها،مقال موجود في موسوعة شرطيوة الإلكترونية .
2- عماد الدّين خليل،الطريق إلى حطّين(583هـ/1187م)؛دراسة في مفهوم تكامل الجهد عبر المقاومة الإسلاميّة للغزو الصّليبي،مقال منشور في مجلّة أفاق التراث والثّقافة ،دبي،العدد 25و26،ربيع الأوّل1420هـ /جويلية1999م.

<u>د- المراجع باللغة الفرنسية:</u>

1-edouard dularier, bibliothèque historique arménienne,ou choix des principaux historiens arméniens,
Traduits en français et accompagnés de notes historiques et géographiques,collection destinée à servir de
Complément aux chroniqueurs byzantins et slavons,édition :a.durand ,paris,1858
2-Joseph-andré gatteprias,l arménie et les arméniens ,Edition l.cerf.paris.1882.
3-Histiore universelle : depuis le commencent du monde jusqu à présent ,composée en anglais ,Tome :45,Mautard éditions ,paris ,1779- 1791.

2-المراجع الجغرافيّة.

1-محمد خميس الزوكة،جغرافية المياه،دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،2007م.
2-فتحي محمد أبوعيانة،الجغرافيا الإقتصادية،دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،2005م.
3-قصي عبد المجيد السامرائي،المناخ والأقاليم المناخية،دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع،عمان،2008م.
4-علي أحمد غانم،الجغرافيا المناخية،دار المسيرة للنشر والتوزيع،ط2،عمان،2007م.

فهرس المحتويات.